



كلية العلوم الانسانية و العلوم الاجتماعية

قسم العلوم الانسانية

شعبة تاريخ

رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم - فرع التاريخ-

تخصص : تاريخ المغرب الإسلامي الوسيط

بجاية من العهد الحمادي إلى الغزو الإسباني دراسة تاريخية و حضارية

إشراف الأستاذ الدكتور:

مبخوت بودواية

بلحاج معروف

إعداد الطالبة:

بوتشيش أمنة

أعضاء اللجنة المناقشة

أ.د لخضر عبدلي - أستاذ التعليم العالي جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان - رئيسا

أ.د بداواية مبخوت - أستاذ التعليم العالي جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان - مشرفا و مقرا

أ.د بلحاج معروف - أستاذ التعليم العالي جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان - مشرفا و مساعدا

أ.د(ة) فاطمة بلهوارى أستاذة التعليم العالي جامعة أحمد بن بلة - وهران - عضوا مناقشا

أ.د(ة) نبيلة عبد الشكور أستاذة التعليم العالي جامعة - الجزائر 02 - عضوا مناقشا

أ.د عبيد بوداود - أستاذ التعليم العالي جامعة مصطفى إسطنبولي - معسكر - عضوا مناقشا

إهداء

إلى الوالدين الكريمين

إلى كامل أفراد عائلتي كل باسمه

إلى كل من أمدني يد المساعدة من قريب و من بعيد

داخل الوطن و خارج الوطن

شكر و تقدير

أتقدم بخالص الشكر و التقدير إلى المشرف الأستاذ
الدكتور "مبخوت بودواية" و الذي صبر علي طيلة
مدة هذا البحث، كما أشكر أيضا مساعد المشرف الأستاذ
الدكتور "معروف بلحاج" على نصائحه وتوجيهاته
القيمة، فلهما مني خاص التقدير والإمتنان و أتمن لهما
دوام الصحة و العافية .
و إلى اللجنة المناقشة كل واحد بإسمه خاصة الأستاذ
الدكتور "عبدلي لخضر" .

المقدمة

مقدمة

لازال مجال التاريخ في العصر الوسيط بالمغرب الإسلامي بصفة عامة ، يحتاج إلى تنقيب واكتشاف أجزاء من دهاليزه ، فمثلا تاريخ مدينة بجاية برغم من الجهود المبذولة في التعريف بها، من مصادر عربية و أجنبية ، إلا أنها لم تعط للمدينة حقها من التعريف والإحاطة بأخبارها أكثر، لاسيما أن هذه المدينة اكتسحت المجال المغربي بشكل واسع في كل الأنشطة والميادين ، فهي التي تلالاً إشعاعها الحضاري لعهود طويلة إبتداء من تاريخ تشييدها في العهد الحمادي إلى غاية القرن (9هـ-15م) العهد الحفصي ، وخلال تصفحنا ودراستنا لمصادر مختلفة لمسنا إقبالا كبيرا في المجال الديني ، هذا الأخير عرف روجا كبيرا في مختلف حقباتها المختلفة ، أما المجال السياسي ، فغياب كثير من المعطيات التي توصلنا إلى الدقة ، كما وجدنا أيضا أن النشاط الاقتصادي متأرجح بين الإنصاف والإشحاد، فالميدان التجاري والمهني حضيت بنصيب وافر من الكتابات التاريخية، أما الثاني فتمثل في مجال الفلاحة فهو ضعيف من حيث الدراسة، فهل هذا راجع إلى أهواء وميولات المؤرخين والكتاب في اختيار مجالات التدوين؟

ولا ننسى أيضا غياب التقارير حول تحديد بعض من معالمها الأثرية ، كأبواب المدينة: كباب إيلان وباب باطنة ، وباب الجديد ، هذه الأبواب يرجع بناءها إلى الفترة الموحدية و الحفصية ، بل الدراسات توقفت و اكتفت بما أمده لنا مصدر الغبريني "عنوان الدارية" ، في ذكر بعض الأبواب والقصور ، كباب البحر، باب أميسون ، باب البنود، باب اللوز، باب تاطونت بالقرب منه باب الدباغين...، ومن هذا الشح المادي من حيث المعلومات ، ارتأينا أن يكون موضوع دراستنا ، حول البحث عن الحلقات المفقودة من التاريخ السياسي والحضاري لمدينة بجاية ، وأن الحفريات الأثرية شحت ، ولا يوجد أي جديد في هذا النشاط، فجاء موضوعنا الموسوم: "بجاية من العهد الحمادي إلى الغزو الإسباني دراسة تاريخية وحضارية .

هذه الدراسة التي سنحاول فيها تمحيص ما يقارب خمسة قرون من تاريخ المدينة في كل محطاتها ومجالاتها وميادينها ، وفي مختلف عهودها التي عرفتها ، وكما نعلم أن تداول الدول على مجتمع واحد يؤثر في الأنماط المعيشية والاجتماعية والثقافية به ، فبجاية التي تزامنت عليها ثلاث دويلات ، حمادية ، موحدية ، وحفصية، كل واحدة تركت بصماتها التي تختلف عن الأخرى بمجتمعها الصنهاجي.

أما الغزو الإسباني الذي أُلّف رسم بجاية ، فكان هو حصيلة تطاحن وتضارب الدويلات البربرية الثلاثة (الحفصية، الزيانية ، المرينية)، التي جعلت الخلاف العسكري والسياسي هدفهم الوحيد بالمنطقة ، وبذلك فتحت شهية الفرنجة والقوطيين للاحتلال، فشهدت صراعا مريرا عليها من طرف الدويلات الثلاثة قبل الغزو الإسباني سنة (1510م/915هـ) الذي أقعدها ولم يقمها ، لكن لم يكن الصراع الحفصي،الزياني،المريني من بين أسباب تجرأ الأاسبان في غزو سواحل افريقية و المغرب فقط، بل هناك عامل آخر شجعهم على الغزو ،وهو القرصنة البجائية، أو ما يسمى بالجهاد البحري، تعاطى البجائيون القرصنة فترة طويلة بدايتها من العهد الحمادي وكانانتشارها أكثر في العهد الموحي والحفصي ، فكانوا بمثابة سادة البحر ، لكن الفرنجة كانوا يخططون للتأثر و اغتصابهم هذه الريادة ليس فقط في البحر الأبيض المتوسط ، بل قمعهم في عقر دارهم.

ومن هنا تتمحور لدينا عدة تساؤلات حول الموضوع :

- إلنأى مدى يكمن للموقع الجغرافي لمدينة بجاية في المساهمة في حصانتها طبيعيا وعسكريا واستقطاب مختلف التيارات الخارجية؟ وهل تغير وضعها السياسي منذ القرن الخامس للهجرة، كان عاملا في قوتها وتألقها عبر فترات الزمنية في شتى المجالات؟ وهل حافظ مجتمعها على النمط الصنهاجي أم سمحوا للنمط المصمودي والهنثاتي اقتحام عوائدهم؟ وكيف أثرت الأقاليم المجاورة الحاملة لمختلف الثقافات على المجتمع البجائي؟ إلى أي مدى ساهم المجال الفكري والثقافي ببجاية ما بين قرن (5 هـ - 6 هـ - 7 هـ - 8 هـ - 9 هـ) في النهضة العلمية داخليا وخارجيا لاسيما في أوروبا؟ وهل الصراعات والثورات السياسية هي التي أرهقت قوى سكان بجاية في التصدي للغزو الإسباني؟ وهل حقا أن الغزو الإسباني لبجاية سببه ديني قصد الانتقام من المسلمين وإحياء أمجاد الحروب الصليبية أم لغايات وأهداف خفية أخرى؟

ومن أجل التوصل إلى تفسير وإجابة على هذه الإشكاليات وعن تساؤلات أخرى ،قسمنا العمل إلى ثلاثة أبواب، ولكل باب ثلاثة فصول وخاتمة الدراسة.

أشرنا في التمهيد إلى مختلف المحطات التاريخية في العهد القديم التي عرفتتها منطقة بجاية وحدودها،منذ الفترة الفينيقية و الرومانية الوندالية البيزنطية والفتح الإسلامي ، وبعدها تطرقنا إلى أسباب اتخاذ بجاية العاصمة الثانية للدولة الحمادية هذها لأخيرة التي واجهت

عاصمتها الأولى القلعة هجمات شنها أعراب بني هلال ، فكان هؤلاء الدافع القوي في اضطرار الحمادي الى تغيير عاصمتهم وتشيد الأمير الحمادي الناصر بن علناس مدينة بجاية عاصمة جديدة والتي تميزت بموقع استراتيجي هام.

أما **الباب الأول**: خصصناه لدراسة تاريخية وسياسية لبجاية من القرن الخامس الهجري إلى غاية القرن التاسع الهجري، قسمناه إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول: جاء فيه تاريخ بجاية الحمادي والموحدي (5-11/هـ-12م) حيث أدرجنا أمراء بجاية الحمادية من سنة (460هـ إلى 547هـ/1066م-1152م)، ثم دخول الخليفة الموحي إلى بجاية بعد سقوط الدولة الحمادية، ومنها آلت إلى الحكم المصمودي إلى غاية سقوط الدولة سنة (627/1230م) وانقسامها الى ثلاثة دويلات (الحفصية-المرينية-الزيانية).

الفصل الثاني: أدرجنا فيه الحكم الحفصي بجاية من القرن (7-13م) إلى نهاية الحكم بها القرن (9-15م) والغزو الإسباني لها سنة (915-1510م) بعد الانفصالات التي شهدتها بجاية عن الحكم المركزي بتونس، وبعدها الهجمات التي واجهتها بجاية من طرف الزيانيين والمرينيين ، وانتهى هذا الصراع إلى تزعزع كيانات الدويلات الثلاثة (الحفصية ، الزيانية ، المرينية ودخول الغزو الإسباني على بجاية وما خلفه من نتائج.

الفصل الثالث: استعرضنا فيه نظم الحكم ببجاية خلال عهدها الثلاثة من نظم إدارية، ومالية متنوعة حسب نظام كل دولة خضعت ببجاية لحكمها ..

أما **الباب الثاني** من الدراسة ف جاء عنوانه المجتمع والتعمير خلال ثلاثة عهود:

الفصل الأول فيه البنية السكانية ببجاية خلال القرن (5 إلى 9/11م-15م) بينا فيه التركيبة السكانية للمدينة ، والهجرات المختلفة نحوها وأهم الفئات والطبقات الاجتماعية ، هذا المجتمع ألفسيفسائي ربطناه بدراسة طبوغرافية من نمط معيشي، وأيضاً تأثير الأندلسي على الوسط الاجتماعي ببجاية

وقد أفردنا **الفصل الثاني** لدراسة الحياة الدينية والفكرية، وأصناف العلوم التي عرفها ساكنو مدينة بجاية ورواد الفكر والعلم ببجاية والانتاجات العلمية بها.

الفصل الثالث عنوانه بأهم نشاط ومجال ألا وهو العمران ببجاية الذي شمل العمارة الدينية والمنشآت العسكرية ، والعمران الملكي والبنية التحتية المدنية والعمران الاقتصادي المتنوع، بتنوع الطاقات البشرية والموارد الطبيعية ببجاية التي تزخر بها.

وفيما يخص **الباب الثالث** خصصناه لدراسة الحياة الاقتصادية بالمدينة.

الفصل الأول اعتمدنا فيه على المجال الفلاحي ببجاية من العهد الحمادي إلى نهاية الحفصي بها ، استعرضنا فيه نظام الأرض وملكيته على أنواع الأراضي المنتشرة ببجاية ، على نظام السقاية ، على أهم المحاصيل الزراعية وضع الفلاح البجائي خلال هذه العهود.

الفصل الثاني فيه المهن والصنائع التي كانت منتشرة ببجاية من ضرورية وكمالية ، والتنظيمات المهنية التي كانت سائدة والعراقل التي تصادف كل نشاط حيوي بأي حاضرة.

أما **الفصل الثالث** ركزنا فيه على التجارة ومجالها الخارجي بالمدينة ، تطرقنا إلى الأسواق الداخلية ، وإلى الطرق البرية و البحرية، والتبادلات التجارية إلى أهم المعاهدات والاتفاقيات التجارية بين دول الخارج وبجاية إلى الصادرات والواردات ، وعراقل التجارة. وفي الأخير ذيلنا بحثنا هذا بخاتمة جاءت كحصيلة إستنتاجية لكل مدارسنا لأبوابنا الثلاثة من فصولنا التسعة.

ولتعزيز البحث أكثر كان لابد من الاعتماد على مناهج علمية في تحليل أكثر وتمحيص ، فاعتمدنا على المنهج التاريخي في استنباط واستقراء المعطيات، والمنهج الوصفي والمنهج المقارن ، كما زدنا البحث بمجموعة من الملاحق تمثلت في رسائل ديوانية، وخرائط، وصور متنوعة تنوع المعالم الأثرية ببجاية.

ولابد لأي باحث من استحضار المادة العلمية من مصادر متنوعة ومراجع لصياغة موضوع بحثه أهمها :

1-مصادر في التاريخ العام-

-كتاب الكامل في التاريخ : لابن الأثير (ت630هـ) مؤرخ مشرقى يعتبر مصدره من أهم المصادر التي تناولت تاريخ المغرب الإسلامي من الفتح إلى غاية سقوط الدولة الموحدية.
-مخطوط للفاسي: " الصورة الجمالية في تاريخ إفريقيا الشمالية" يتضمن أخبار عن الدولة الصنهاجية الحمادية وعن دخول الميارقة (بني غانية) في بجاية.

-كتاب العبر وديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر: لعبد الرحمن بن خلدون (732هـ-808هـ) أمدنا كتابه مادة غزيرة من حقائق تاريخية لكل مراحل الدراسة ، من تاريخ السياسي لبجاية من القرن (5 إلى 9/11م-15م)، فأى

دراسة في المغرب الإسلامي الوسيط لا تستطيع أن تتخلى عن مصدر "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"

-المعجب في تلخيص أخبار العرب: لعبد الواحد المراكشي (ت647هـ/1249م): هذا الأخير كان موالي الدولة الموحدية ، فلقد أمدنا مصدره بمعلومات دقيقة عن أخبار بعض الملوك خاصة الدولة الموحدية ، التي عايش حقيبتها، إذ كان شاهد عيان على أهم الأحداث ، والمراحل التاريخية ، كما استنبطنا منه تاريخ بجاية في العهد الموحد.

-البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: لابن عذارى المراكشي (ق7هـ-8هـ/13م-14م)، عايش هذا المؤرخ عصر الموحدين ، فيعتبر من أهم المصادر لتاريخ المغرب الإسلامي ، بسبب ما أورده من أخبار تاريخية أكثر دقة حيث أنه نقل مادته من مؤرخين كالرقيق القيرواني والبكري وغيرهم.

-الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس : لابن أبي زرع الفاسي ، يتضمن هذا الكتاب تاريخ المغرب الأقصى من قيام دولة الأدارسة إلى غاية الدولة المرينية ، فاستفدنا منه عن أخبار الدولة الموحدية وتوسعنا على مناطق المغرب الأوسط والأدنى.

-المن بالإمامة: لصاحب الصلاة ، يتضمن أخبار الدولة الموحدية ، أمدنا عن تاريخ السياسي وبعض من نظم حكم الدولة الإدارية والمالية ، كالزكاة ، والقبالة ، والجيش وخروجهم للحرب .

-الأدلة البيئية في أخبار الدولة الحفصية : لابن الشماخ ووظفناه في إدراج أمراء والولاة الحفصيين الذين ولو على بجاية الحفصية

- مخطوط القلصادي " كشف الأسرار في علم الغبار " أمدنا بتعريفات تخص مجال العلوم التجريبية، كعلم الإسطرلاب، وعلم التوقيت، ومعرفة القبلة، توجد نسخة بالمكتبة الوطنية بالحامة ، بعنوان "كشف الستار عن علم حروف الغبار".

-كتاب الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية: لأبي العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب بن القنفذ القسنطيني (ت810هـ)، وجدنا في هذا المصدر مادة تاريخية مهمة عن تاريخ الدولة الموحدية والحفصية ، فتنوعت أخباره من ثقافية وسياسية.

-كتاب تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية: لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم الزركشي (ت887هـ)، هذا الكتاب لا يقل أهميته عن باقي الكتب التاريخية التي تعالج الفترة الموحدية

و الحفصية ، فهو يتناول أهم أحداث ويشير خلاله لوضعية بعض المدن التي خضعت للحكم الموحد والحفصي من بينها مدينة بجاية التي عرفت مراحل تاريخية متنوعة خاصة ما بين القرنين (5-9هـ/11م-15م).

-الحلل الموشية في أخبار المراكشية: لابن السماك العامري مؤلف أندلسي من القرن (8/14م)، فيه الإحاطة بأخبار الدولة الموحدية و الحفصية.

-كتاب أعمال الأعلام قسم من كتاب تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط: لابن الخطيب (لسان الدين السليماني) (ت1374/776م)، فيه عن تواريخ الدول الصنهاجية وأعمال أمرائها وأمراء الأندلس

2-أماكتبالتراجموالسير:

-كتاب عنوان الدارية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية: لأبي العباس أحمد بن أحمد الغبريني (ت، 704/1304م)، يحوي المصدر تراجم لعلماء بجاية في مختلف التخصصات ، وعليه كانت استفادتنا منه كبيرة في استنباط منه عمران بجاية ، الأوضاع الاجتماعية لسكان بجاية ، الأحوال الاقتصادية ، ناهيك عن ترجمة لبعض أعلام بجاية خلال القرنين 6 و7هـ

-أنس الفقير وعز الحقير: لابن القنفذ القسنطيني أبو العباس أحمد بن الحسين بن علي بن الخطيب (ت.810/1407م)، فبدوره يتضمن تراجم أعلام المغرب الإسلامي بصفة عامة ، فحاولنا استخراج الوافدين والساكنين من أعلام بجاية.

-التسوّف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي: لابن الزيات التادلي أبو يعقوب يوسف بن يحيى(ت-617/1220م)، فيه تراجم ل 297 متصوفة من بينهم من استوطن بجاية وتوفي بها.

-نيل الإبتهاج بتطريز الديباج في كفاية المحتاج : لأبي العباس أحمد بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت يعرف ببابا التنبكتي، تكمن أهمية هذا المصدر في إدراج جمهرة كبيرة من العلماء في مختلف الدراسات ن وبذلك زودّ التاريخ الثقافي بثروة فكرية وعلمية على رأسها علماء المالكية.

- مخطوط "الفهرسة" لأبي الحسن أبو بن محمد بن علي الرعيني،فيه فهرسة مجموعة من العلماء الأندلس و علماء المغرب الإسلامي والمشرق الإسلامي.

3- أما كتب أدب الرحالة نذكر أهم مصدر جغرافي استفدنا منه هو كتاب:

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق : للإدريسي (ت 560هـ/1066) ورد فيه تعاريف لبعض المناطق من بينها منطقة بجاية ، كما أشار إلى بعض من مجالها الاقتصادي ، خلال القرنين (6هـ/12م)، فمعلومات الإدريسي ألم بها من مشاهداته عبر رحلات وأسفاره، من بينها مدن المغرب الإسلامي خلال القرن (5هـ-9هـ/11م-15م).

-كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار: لمؤلف مجهول ، عايش القرن (6هـ-12م)، يعتبر بدوره أهم مادة تاريخية جغرافية ، فمن خلاله كانت لنا إطلالة عن الأوضاع السياسية والاقتصادية وحتى الاجتماعية ، التي سادت بجاية في القرن (6هـ/12م)، فكانت استفادتنا منه كبيرة في دراسة المجال الحضاري لبجاية فعلاوة عن تعاريف بالمناطق العالم العربي الإسلامي ، يشير إلى ثرواتها الاقتصادية والحياة الاجتماعية من عمران وتركيبية سكانية وحتى إلى بعض الإشارات فيما يخص النمط المعيشي.

-معجم البلدان: لياقوت الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي (ت 626هـ/1229م)، هذا المصدر عبارة عن أجزاءها تعاريف لمختلف المدن مرتبة حسب الأبجدية ، فاستفدنا منه في التعريف ببعض المناطق التي وردت في الدراسة.

-وصف إفريقيا : لحسن بن محمد الوزان الفاسي ، المعروف بليون الإفريقي قدم لنا أوضاع بجاية خلال نهاية العهد الحفصي بها وغزو الأسبان لها، كما أمدنا بمعلومات في عمارتها والمجال الثقافي وفي المجال التجاري. إلى جانب هذه المادة التاريخية ، وظفنا في الدراسة مجموعة متنوعة من المراجع أهمها كتاب النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن (5هـ-6هـ/11-12م) لعز الدين أحمد موسى، وكتاب الدولة الحمادية لرشيد بوروبية ، فيه المجال التاريخي والسياسي والحضاري لدولة بني حماد (القلعة وبجاية)، وكتاب لعبد الحليم عويس ، ملوك بني حماد ، فيه إحاطة عن أخبار الدولة الصنهاجية في شتى مجالاتها ، وكتاب الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم لعز الدين عمر موسى، الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقيا في عهد بني أزييري من القرن 10 إلى القرن 12م للهادي روجي إدريس، دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية لإسماعيل العربي ، بالإضافة إلى دوريات وأطروحات جامعية ، وغيرها من الكتب باللغات الأجنبية منها الفرنسية و الإسبانية :

- glovin- le magrib central A l'époque des lrides.
-Beatriz alonso Acero- Sultanes de berberia en tierras de la cristiandad exilio musulman, conversion y asimilacion en la monarquiahispanica (siglos XVIY-XVII).
أمدنا بمعلومات عن الغزو الإسباني على بجاية ودخول الكردينال "بيدرو نافرو" بها وأيضا مراجع أخرينهلنا منها التحضيرات للغزو والصراع البجائي الإسباني ، والجانب الحضاري للمدينة منها كتاب:
-Fernand baudel, les espagnols et la berbérie de 1492 a 1577.
-Mahfoud Kaddache, l'Algériemédiévale.
-léon marie eugène – la Kalâa des Beni

berbère de l'Afrique de nord au XIemesiècles.

L'golvin le magrib central A l'

Recueil des Notices et mémoires de la sociétéArghéologique du département de constantine Année .

Recueil des Notices et mémoires de la sociétéArghéologique du département de constantine-Année- .

spécial Histoire les Ages, d'or oubliés.

Georges marçais, les Arabes en berbéries du XI2 au XIV siècle

Georges marçais, Algérie médiévale monuments et paysages

Louis mouilleseaux, Histoire de l'algérie.

-Miguel josédeyà

española.

cristiandad exilio musulmân,conversion y asimilacion en la monarquiahispànica (siglos XVI y XVII) alloranbellaterra,
España

كما أفدنا مرجع للمؤرخ "دومينيك فالريان"، بمادة غزيرة في المجال الاقتصادي لاسيما الميدان التجاري وأهم المنتجات، ونسب التعاملات التجارية بين بجاية و الدول المجاورة ،إلى جانبه طالعنا على النسخة المعربة ،التي قام ميناء مغاربي " (1067 -1510م) المؤرخ عمار علاوة بترجمتها في جزئين عنوانه: "بجاية سنة 2014.

بالإضافة إلى الوثائق الأرشيفية ، المتمثلة في بعض المراسلات بين ملوك المغرب الإسلامي وملوك أرغون حول مختلف التبادلات التجارية وعلى رأسها مسألة تبادل الأسرى بينهم والتحالفات الدولية كتحالف الدولة الزيانية مع مملكة أرغون ضد بجاية فكانت هذه الوثائق بمثابة إضافة جديدة لحقل التاريخي لمدينة بجاية. تبين لنا من خلال تصفحنا لبعض المصادر التي تصب في موضوع دراستنا، أنه لمسنا تفاوت في عرض المعلومات كالمؤرخ الفرنسي "جورج مارسسي" الذي اكتتفت الذاتية كتاباته من حين لآخر، وحتى الكتابات الاسبانية التيبررت الغزو الاسباني على بجاية ، أنه ردّ فعل منطقي ،كما اعتبروه جهاد مقدس مبارك من البابوية.

ومن منطلق هذه المادة المتنوعة بين الكتابات الذاتية والموضوعية، حاولنا قدر الإمكان أن نتوصل إلى البحث عن حقائق غفل عنها الكثيرون عن أول عاصمة بالمغرب الاسلامي بجاية عاصمة الرياضيات.

التمهيد

بجاية في التاريخ القديم

منطقة بجاية منطقة ذات موقع هام، شُدَّ إليه مختلف الحضارات القديمة، فهي تطل على البحر الأبيض المتوسط شمالا ويحدها شرقا وغربا قبيلة زواوة وقبيلة كتامة،¹ وفي عصرها القديم كانت مركز العبور للفنيقيين²، الذين أسسوا شمال إفريقيا مجموعة من المدن، منها بجاية أو صلدة كما سموها، تميزت صلدة بينابيع مياهها العديدة ماجعلها إحدى أهم المحطات الإقتصادية التي استفاد منها الفينيقيون . بعد الكنعانيين آلت صلدة إلى الحكم النوميدي،³ الذي وحد الإمبراطورية في عهد الملك ماسينيسا ابن غاية ولد سنة (240ق.م-149ق.م).⁴

لعبت بجاية دورا تجاريا هاما حسب ما تكشفه لنا النقوش التي تترجم العلاقات التجارية المختلفة مع المدن الداخلية والخارجية، التي كانت تصدر إليها عن طريق ميناءها إنتاج الزيت الذي اشتهرت به بجاية .

وبعد وفاة الملك ماسينيسا تغيرت العلاقات النوميديّة مع المدن الرومانية، من علاقات هادئة إلى علاقات مضطربة حيث شهدت الإمبراطورية النوميديّة من جديد إنقسامات، فالقسم الغربي النوميدي احتلته القوات الرومانية وهذا بعد هزيمة يوغرطة حفيد ماسينيسا سنة 104 ق.م.

أصبحت صلدة مستعمرة رومانية شيّدوا بها عدة مرافق عمومية وأطلقوا عليها اسم صلداي التي لعبت دورا اقتصاديا تجاريا، فأضحت بذلك من أهم مدنها بشمال إفريقيا، كما زودت المدينة بشبكة قنوات الماء من طرف الإمبراطور الروماني Antoni، هذا الاهتمام الكبير بصلداي له عدة دوافع منها:

الميناء الذي يزود الرومان بعدة محاصيل مثل التين والعنب والزيت، الزيتون الخشب، المعادن وغيرها¹.

¹ ينظر إلى التعريف بالقبيلتين في الباب الثاني من بحثنا في عنصر التركيبة السكانية (الفصل الأول)

² الفنيقيين فرع م الكنعانيين الذين أقاموا حضارتهم في فلسطين ولبنان وجزء من سوريا، ولم يكن يذكر إسم الفنيقيين قبل الربع الأخير من الألف الثانية ق.م، ولهذا يمكننا أن نجعل هذه الفترة بداية لتاريخهم ينظر محمد الهادي حارش، التاريخ المغربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، مؤسسة الجزائر 1992، ص 37 .

³ نوميديا مملكة تشمل قسمين كماهما قبيلتين قبائل مازيسيل وماسيل الأولى حدودها تشمل الغرب الجزائري أما الثانية تشمل الشرق الجزائري وشمال تونس عدا أراضي الدولة القرطاجية، تأسست مدينة قرطاجة من طرف المهاجرين الفنيقيين سنة 814 ق.م، وقد سبق تأسيسها بداية الألعاب الأولمبية الأولى 776 ق.م بحوالي 38 سنة ينظر محمد الصغير غانم، المملكة النوميديّة والحضارة البونية ط1، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، 1998، ص 50. Histoire a/-ncienne de s.gsell ,

l'Afrique du nord ,Tome 1,p397.

⁴ AHMED Slimani , Massinissa et Yughurtha et leur influence sur l'histoire traduit Madani

guesseriaux éditions dahalab 1994,Alger,p43

¹ Moloud gaid,HistoiredeBejaia et de sa région depuis l'antique jusqu'a1954,SNED ?Alger Avril 1976,pp51,53.

لكن الاحتلال الطويل للرومان بالمنطقة خلق ثورات سكانية للقبائل المجاورة الراضين الوجود الروماني، فتعاقبت الثورات والصراعات بين الطرفين كان حصادها الدمار، التخريب والقتل، وبإصرار قوي من المستعمر انتهى بإجلاء العدو، فعاد الإستقرار إلى صلداي بعد استنزاف طويل لطاقتها البشرية والمادية²

اجتاح الوندال³ افريقية خلال القرن 5م، وغزو صلداي سنة 430 م⁴، التي اتخذوها عاصمة لهم وسميت في عهدهم "غور" وفي رواية أخرى بقوراية " gouraya"، أي الموقع الصخري أو الجبل. ولقد أبقى الوندال على أسوار المدينة ولم يخربوها، لأن ملك الوندال "جنسريك" كان يرى في قورايا أو الغور، القاعدة الأساسية والمقر المناسب لحملته لما تتمتع به من مزايا جغرافية.

امتدت الفترة الإسلامية من عهد بنو الزيري القبيل لصنهاجية التي كانت تابعة للحكم الفاطمي وبعد توجه الخليفة الفاطمي المعز الى مصر، استخلف بلكين بن زيري على افريقية و المغرب الأوسط.

وقد أوصاه الخليفة الفاطمي بثلاث وصايا وهي: - ألا يرفع السيف عن البربر - ولا الجباية عن أهل البادية، - ولا يولي أحد من أهل بيته¹

غير أن "بلكين بن مناد" ضرب بالوصية الثالثة عرض الحائط، وهنا بدأت البوادر الأولى للإنفصال حيث استقلت عن الخلافة الفاطمية عهد الأمير الزيري المنصور بن بلكين .

عقد الأمير المنصور لأخيه حماد بن بلكين على أشير² وبعد وفاته خلفه ابنه باديس بن منصور بن بلكين، فأبقى بدوره لعمه حماد بن بلكين على أشير والمغرب الأوسط، الذي سيفرد به ويؤسس به دولته التي سينفصل بها عن ابن أخيه باديس بن المنصور .

أسس "حماد بن بلكين" القلعة وهي العاصمة الأولى لبني حماد، فأشعل بهذا الأمر فتيل حرب بينه وبين ابن أخيه "باديس بن المنصور بن بلكين"

ينظر: محمد البشير شنياتي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

الوندال قوم انحدروا من السلالات النوردية (الشمالية) أي جرمانيون ينظر: محمد الهادي حارش، التاريخ المغربي القديم السياسي والحضاري... ص 233

³ عثمان سعيدي، الأمازيغ البربر عرب عاربة وعروبة الشمال الإفريقي عبر التاريخ، 1996، ص 59.

⁴ Moloud gaid, Histoire de Bejaia ... p56-

¹ - عيد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص184، 183.

² - نفسه، ص 185.

قام هذا الأخير بمحاصرة القلعة، لكنه توفي أثناء الحصار سنة 406هـ-1016م¹ استمر العداء بين آل حماد وآل زيري إلى غاية تقسيم بلاد المغرب إلى قسمين، حيث تكون مسيلة² وطبنة³ والزاب وأشير وتيهرت، وما يفتح من بلاد المغرب تحت الحكم الحمادي، كما عقد لإبنه "القائد"⁴ بعض من أعمال الدولة .
وبذلك انقسمت صنهاجة إلى دولتين ابتداء من سنة 408 هـ-1018 م، الدولة الزيرية⁵ بإفريقية والدولة الحمادية⁶ وعاصمتها القلعة بالمغرب الأوسط .

يقول الإدريسي في قلعة بني حماد أو كما تسمى أيضا (قلعة أبي طويل)
"ومدينة القلعة من أكبر البلاد قطرا وأغزرها خيرا وأوسعها أموالا وأحسنها قصورا
ومساكن وأعمها فواكه وخصب"⁷ فوفرتها على الإنتاج الفلاحي، وعلى أنها
تمثل نقطة تواصل بين المنافذ والطرق البرية⁸، استغرق بناءها عامين نقل إليها
"حماد بلكين" سكان مسيلة وسوق حمزة (البويرة) وسكان جراوي⁹، فأصبحت قبة
للزوار، وصار "حماد بن بلكين" يقيم تارة بالقلعة وتارة أخرى بأشير.
استمر لمعان القلعة العاصمة التقليدية بني حماد إلى غاية الهجوم الهلالي
عليها، فالأعراب الهلالية وبعد ما شحنتهم الدولة الفاطمية ضد بني الزيري وبني

¹-ادريس الهادي روجي، الدولة الصنهاجية تاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12، ج1، تر:حمادي الساطي، ط- 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992، ص136.

²-مسيلة أو المحمدية مدينة اختطها أبو القاسم بن عبيد الله المهدي سنة 313 هـ، ولقد قضى عليها بلكين بن الزيري بن مناد س، سنة 362 هـ، ينظر توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص27، 26.

³-طبنة: كانت عاصمة الزاب الأعلى، وهي الآن واقعة على بعد 4 كلم شمال بريكة، ينظر: توفيق المدني، المرجع السابق، ص222.

⁴- القائد حماد بن بلكين بن زيري، تولى الحكم بعد وفاة والده سنة 419 هـ، ملك مايقرب من 27 سنة، توفي سنة 446 هـ، ينظر الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بوبع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام وما يجر لذلك من شجون الكلام، ج4، تقديم الشريف مربي، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص137.

⁵- ينظر المزيد عن تاريخ بني الزيري إلى: محمد ابن أبي القاسم الرعيني القيرواني (ابن أبي دينار)، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط3، دار الميسرة، لبنان، بيروت، 1993، ابن الأبار، كتاب الحلة السراء، ج3، إسماعيل العربي، دولة بني زيري ملوك غرناطة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982. Georges marçais, Les Arabes en berbèrie du Xi Au Xiv siecle, paris, constantine, 191

⁶- عن تاريخ العهد الأول للدولة الحمادية ينظر:

Jeu lassus, Georges marçais, lèo barbes, louis mouilleseaux, pierre boyer Jean farran, Histoire de l'agèrie, les productions de paris (1er), joseph cuoqu, l'èglise d'afrique du nord du deuzième siècle, le centurion.

⁷- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسيني (الإدريسي)، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1989، ص.....

⁸- يحيى بوعزيز، ملامح عن قلعة بني حماد والدولة الحمادية وبجاية، مجلة الثقافة، السنة6، العدد 36، 1977 م، ص15، 14.

⁹- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص202.

حماد، لأنهما اتفقا على انفصالهما عن الخلافة الفاطمية لفائدة الخلافة العباسية، كما أبطلوا المذهب الشيعي وأحيوا المذهب المالكي السني من جديد وبالفعل أثارت القبائل العربية الفوضى والإضطراب في المجتمعين الزيري والحمادي، كما تفاقمت هذه الأوضاع في عهد الأمير الحمادي "الناصر بن علناس" الذي حوصرت القلعة في عهده من طرف بنو هلال، الذين استغلوا غيابه وفراغ القلعة من الجيش، فأسقروا بأسوارها¹ وألحقوا بها خرابا لم تشهده القلعة من قبل، وقد أثر هذا الأمر في الأمير الزيري "تميم" ابن عم الأمير الحمادي "الناصر" ،فتغاضى عما كان بينهما من خصام ،فبادر "الناصر بن علناس" بإرسال وزيره "أبي الفتوح" للإصلاح بينهما وبدوره "الأمير تميم" أرسل وزيره "محمد بن بعبع" لإحكام الصلح، هذا الأخير كان له دورا هاما في تأسيس مدينة بجاية التي سيتخذها آل حماد عاصمة ثانية لدولتهم .

ولما خلى الوزير "محمد بن بعبع" بالأمير "الناصر بن علناس"، بعد أن سلمه كتاب الأمير "تميم الزيري" بدأ يطعن في الوزير "أبي الفتوح"، وفي الأمير "تميم" وهذا طمعا في التقرب من "الأمير الناصر" وبتوطيد العلاقة بينه وبين "الناصر بن علناس" حيث نصحه أن يتخذ بجاية دار ملكه بعد خراب القلعة مادحا له موقعها مستشهدا بذلك مروره عليها في طريقه إليه، وأكد له أيضا أنه سينتقل بأهله إليه ويكون له مدبرا لدولته، حسب ما ذكره ياقوت الحموي "....وقرر بينه وبين الناصر الهرب من تميم والرجوع إليه"²

يمكن لنا أن نصنف الزحف الهلالي وحصاره للقلعة³ من بين الأسباب التي غيرت الخارطة الجيوسياسية للدولة الحمادية. لأن هذا الزحف أدى إلى تدهور التجارة بالمنطقة، و زعزع الأمن والاستقرار بها فكان لزاما على حكام الدولة من تغيير وجهة المسالك التجارية من برية إلى التوجه نحو التجارة البحرية مع أوروبا، وعليه لا بد من توفر مكان لبناء ميناء تجاري.

¹ -ادريس الهادي روجي، الدولة الصنهاجية، ص315 .

² -ياقوت الحموي، معجم البلدان، م1، مقدمة محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ص270 .

³ Recuell des notices et mémoires de la société Archéologique du département de Constantine, 1 er volume de la quatrième série trente deuxième volume de la collection Anne 1898 et quarante deuxième volume de la collection année 1908 (Alger, paris)

موقع بجاية يتمتع بمزايا عديدة منها موقع حصين بعيد عن المد الهلالي لتمتعه بحواجز جبلية تعيق التحرك نحوه بالإضافة إلى وجوده في صلب الدولة، فمطل هو على كل الواجهات والمنافذ الشرقية والغربية إلى جانب الموقع وخصوصياته، نذكر حصانة تتمتع بها بجاية من نوع آخر وهي الطاقة البشرية، فهي تحيط بها مجموع من القبائل البربرية أهمها قبيلة زاوارة سدويكش من كتامة وملكانة بطن من بطون صنهاجة¹ . وعليه عقد "الناصر" الأمير الحمادي، العزم على بناء وإحياء روح المدنية من جديد في الموضع الذي أشار عليه "محمد بن بعبع" الذي ذكر له عمارة بجاية² فأمر الناصر ببناءها، فشهد البناء سرعة فائقة في الإنجاز³، فخطط بها مقر للحكم وبيوت للعامة وبعد سنة من تشيدها يقول عبد الرحمن بن خلدون أنه إنتقل إليها سنة 461-1069م⁴ ، ونقل إليها الناس وأسقط الخراج عن ساكنيها⁴ ، وبعد أن أتم أمره ونظم شؤونه تم تعمير مدينة بجاية التي غير من إسمها من بجاية إلى الناصرية وهذا تبركا بإسمه "الناصرية"

أصبحت الناصرية عاصمة بني حماد ودار ملك للأمرء الحماديين الذين تداولوا الحكم بعد وفاة الأمير "الناصر بن علناس" يذكرها الإدريسي: "ومدينة بجاية في وقتنا هذا مدينة المغرب الأوسط وعين بلاد بني حماد والسفن إليها مقلعة وبها قوافل منحة والأمتعة إليها برا وبحرا والسلع إليها مجلوبة..."⁵ ويواصل القول: "ومدينة بجاية قطب لكثير من البلاد"⁶ فغدت منذ تأسيسها قطبا هاما وقبلة للزوار والعلماء وشهدت إزدهارا في جميع الميادين .

عرفت الناصرية تقلبات سياسية في مسارها، فمن عاصمة سياسية قي العهد الحمادي إلى ولاية ضمن ولايات الدولة الموحدية خلال القرن (6 هـ -12م) واستمر هذا الوضع في العهد الحفصي فكانت من أكبر حواضر الدولة الحفصية بعد تونس، لكن شهد القرن (8 هـ -14م) قفزة نوعية في وضعها السياسي، حيث انفصلت عن السلطة المركزية حيث لم يعرف نظامها استقرارا، فقد كانت بين الانفصال

صالح بغيريق، بجاية في العهد الحفصي دراسة اقتصادية واجتماعية، منشورات كلية العلوم الانسانية والاجتماعية بتونس 2006، ص56 .¹

2- علي بن محمد بن عبد الكريم الجزيري(ابن الأثير)، الكامل في التاريخ ج 10 دار صادر، بيروت 1967 ص 46

3- ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص339 .

4- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص357 .

5- الإدريسي، نزهة المشتاق، ص116 .

- ينظر: نفسه: نبيلة عبد الشكور، نخب تاريخية جامعة لأخبار المغرب الأوسط، ج1، ط1، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، 2012،⁶

والاتصال بالدولة الحفصية حتى انتهى بها الأمر منتصف القرن (9 هـ-15م) إلى الغزو القوطي الإسباني، فسقطت مدينة بجاية سنة (915هـ/1510م)، وانطفأ إشعاعها الحضاري لتنتقل إلى عهد طغى فيه بطش وظلم .

**الباب الأول : بجاية دراسة تاريخية و
سياسية من القرن (5هـ-9هـ/11م-15م)**

الفصل الاول : بجاية في العهد الحمادي و الموحدى

(5هـ-6هـ/11م-12م)

أ- أمراء الحماديين ببجاية (460هـ-547هـ/1066م-1152م)

ب- دخول عبد المؤمن بن علي ببجاية في عهد الأمير يحيى الحمادى

ج- بجاية تحت الحكم الموحدى (547هـ-627هـ/1152م-1230م)

د- أسباب سقوط دولة الموحدين

بعد انفصال بني حماد عن أبناء عموماتهم الزيريين واتخاذهم القلعة عاصمة رسمية لهم ستشهد الدولة عدة تقلبات منها : الهجمات المتكررة التي شنها أعراب بني هلال، فيضطر **الناصر بن عناس** إلى تشييد مدينة بعيدة عن أنظارهم ومتناولهم فكانت بجاية، هذه الحاضرة سيثمر لمعانها كعاصمة لدولة مستقلة وهي الدولة الحمادية، وفي القرن 6هـ _12م تغير وضعها من عاصمة إلى حاضرة من الحواضر التابعة لحكم **الموحدى** الذي سيخضعها سنة 547هـ، وتصبح ضمن الخارطة السياسية للدولة الموحدية هذه الدولة التي تبلورت فكرة تأسيسها في ملالة نواحي مدينة بجاية عندما نزل بها ابن تومرت ورفيقه **عبد المومن بن علي خليفة** فيما بعد: وعليه بجاية من العاصمة السياسية إلى مدينة تابعة إلى نظام سياسي موحدى.

أ- أمراء بداية الحمادين (460هـ-547هـ/1066م-1152م)

بعدما اتخذ بنوحماد بجاية عاصمة جديدة لملكهم، تولى عليها خمسة أمراء اتسمت عهودهم بمحطات تاريخية متنوعة، في جميع المجالات والأصعدة.

1- عهد الأمير الحمادي "الناصر بن عناس" (460هـ-481هـ/1066م-1087م)¹

عرفت بجاية خلال عهده، تطورا في العلاقات بين آل حماد وآل الزيري حيث أبرم صلح بين الأمير الحمادي **الناصر بن عناس** و ابن عمه الزيري الأمير "تميم"، وكانت المبادرة من طرف الأمير الزيري "تميم"، لأن هجمات الأعراب الهلالية تزايدت عليه فأراد بهذا الصلح ردع هجمات وبطش الأعراب، وبعدها تمت المصالحة سنة 470هـ/1077م²، دعمت بزواج³، ومصاهرة، فقد زوج الأمير **الناصر بن عناس** ابنه الأمير "تميم"، الأميرة " بلارة"، وقد بنى لها فيما بعد قصرا يحمل إسمها، وبهذا تحسنت العلاقة الحمادية الزيرية، وإستطاع **الناصر بن عناس** أن يحافظ على الودّ القائم بينهما خلال فترة حكمه.

أما علاقته مع القبائل العربية فشهدت إضطرابا قويا، حيث اتخذ **الناصر** سياسة الحذر الشديد، وعمل على ضرب بعضهم البعض⁴، وأقطع لرؤسائهم أراضي، ليضمن الأمن لبلادهم. كما دانت لحكمه عدة قبائل، كقبيلة "بني ومان" التي وطدت علاقتها بالمصاهرة مع **الناصر بن عناس**⁵.

استعمل **الناصر** مع قبائل الزناتية⁶، مايسمى بسياسة المخادعة . يذكر لنا **عبد الرحمن ابن خلدون** . أن "الناصر الحمادي" أقطع "المنتصر بنو حزر بن سعيد الزناتي" صاحب

¹-مخطوط : محمد لن الحسن الجعفري الفاسي المغربي الحجوي الثعالبي، لصورة الجمالية في خلاصة تاريخ افريقيا الشمالية -تحت رقم 347(257ح)-رقم الورقة 103، النسخة بالرباط

²-ينظر ابنا الأثير، الكامل، ج10، ص 107، ابن عذارى، البيان، ج1، ص 430.

³-ينظر ابن عذارى، بيان، ج1، ص 430، ابن أبي دينار، المؤنس، ص

⁴-عبد الحليم عويس، دولة بن حماد، ص 134

⁵-مبارك الميللي، تاريخ الجزائر، ج2، ص 252

⁶-نسبة زناتة هو جانا بن صولات بن ورساك بن ضري بن مقبوبن يملا بن مادغيس بن زحيك بن هموق بن كراد بن مازيغ بن خريك بن برا بن بربر بن كنعان بن حام، ينظر :عبد الرحمن بن خلدون، العير، ج7، ص 1-7.

طرابلس ضواحي الزاب¹، وهذا ليمنع تمرده عليه، وعندما إطمأن "المنتصر بن حزون الزناتي"، لأمر الأمير "بن ناصر عناس"، أمر "عروس بن سندي" رئيس بسكرة² بقتله، وبالفعل لما وصل المنتصر إلى بسكرة غدر به وقطع رأسه وساقه إلى الناصر، فصلبه بالقلعة سنة 460هـ-1066م³، ومنذ هذه الحادثة، عازمت بطون زناتة أن تتأثر، لكن الناصر كان لهم بالمرصاد فقمع ثوراتهم، إلى جانب ردعه للقبائل الزناتية، استطاع أن يستميل قبيلة الهلالية وهي "الإثيج"⁴. التي شاركت بنو حماد في الكثير من حروبها، لم يكن الأمير الحمادي "الناصر بن عناس" متسلط، بل عُرف عنه التعايش مع أهل الذمة، حيث أبرم اتفاق سلم مع التيار المسيحي المتمثل في بابا "غريغوار السابع" ينص على الحرية الدينية، والحفاظ على التواجد المسيحي ببجاية خاصة وبالدولة الحمادية عامة، وكانت بين البابا والأمير الحمادي مراسلات⁵ ودية، هذه المصالحة هي اكبر دليل على التعايش الديني الذي انتشر بالدولة الحمادية الحمادية .

كما لا ننسى أنه تمكن الناصر بن عناس بسياسته المحنكة وخبرته الواسعة أن يلملم الوضع مع أبناء عمومته الزيريين .

توفي الأمير الحمادي الناصر بن عناس سنة 481هـ-1088، بعد حكم دام 27 سنة من حروب وتعمير وعمارة وفن وتجديد، وكانت وفاته يوم الجمعة السابع من جمادى الأولى أو الثاني بقصر بظاهر بجاية⁶.

2- عهد الأمير "المنصور بن الناصر بن عناس" (481هـ-498هـ-1088م-1205م)

شهد عهده أزمت سياسية، تجلت في العديد من المواجهات العسكرية بينه وبين الأعراب الهلالية من جهة، وبين القبائل الزيانية من جهة أخرى.

كان المنصور كله حزم وصرامة في اتخاذ القرار وتطبيقه، فقد اقتفى أثر أبيه⁷ في الحكم، يقول فيه ابن الخطيب: "أن المنصور كان على أمره حميد الخلال، ضابطا للأمر، يكتب ويشعر، ويقوم كأبي جعفر المنصور بترقيع الثياب والتحفظ في القليل من الأشياء"⁸.

¹-ضواحي الزاب أو بلاد الزاب" وهي على طرف الصحراء في سمت بلاد جريد، وهي مئبها في حر هوائها وكثرة نخلها، وهي مدن كثيرة، وأنظار واسعة وعمائر متصلة، فيها المياه السائحة والأنهار والعيون الكثيرة، ينظر، مؤلف مجهول، الاستنصار، ص 171.

²-بسكرة مدينة كبيرة وحواليها، حصون كثيرة وقرى عامرة وهي قاعدتها، ولها غابة كبيرة كثيرة النخل والزيتون وجميع الثمار، ببسكرة النخل لكثرت بها وأكثر ثمارها من الجنس المعروف بالكسبا، ينظر، مؤلف مجهول، الاستنصار، ص 173.

³-عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص 355-358

⁴-عبد الحليم عويس-دولة بني حماد، ص 134

⁵-ينظر إلى نص الرسالة إلى الملحق رقم 01

⁶-ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج3، ص 97.

⁷-ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص 166.

⁸-ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج3، ص 67

انتقل إلى جباية ابنه (483هـ\1090م)، بعدما بقي سنتين بالقلعة بعد وفاة أبيه فزاد الناصرية عمارة وتعميرا، لأنه كان مولعا بالبناء¹، وهذا يدل على النضج الحضاري الذي اتصف به الأمير الحمادي "المنصور".

لم تهدأ الأوضاع بينه و بين قبائل زناتة، رغم المصاهرة التي كانت بينهما إذ تزوج الأمير الحمادي بأخت **ماخوخ الزناتي**، هذا الأخير تحالف مع المرابطين² ضده، فنهض **المنصور** بجيش لملاقات **ماخوخ الزناتي**، كانت نهاية هذا التصادم، انهزام "المنصور"، وللإنتقام لخسارته قام بقتل زوجته وهي أخت **ماخوخ**.

إشتد النزاع بينهما، وهذه المرة تحالف " **ماخوخ** " مع قبيلتي " **بني يلومي** " و " **بني ومانو** " رغم المصاهرة التي كانت بينها وبين الأمير المتوفي " **الناصر** " إلا أنها نكثت وقامت ضد " **المنصور** " سنة 496هـ\1103م فتح تلمسان³ بجيش قوامه عشرين ألف عسكري، لكنه زوجة " **تاشفين** " استعطفت " **المنصور** "، وذكرته بأواصل القرابة والنسب الصنهاجي المشترك بينهما، وفي سنة 497هـ-1104م، انكب راجعا إلى حضرته واصطاح مع أمير المرابطين " **يوسف بن تاشفين** "⁴، بيد أن النزاع الحمادي الزناتي لم يتوقف، واصل المنصور محاربتة لهم فشردهم نواحي منطقة الزاب والمغرب الأوسط⁵، كما استطاع أن يقضي على الفتن الداخلية الداخلية التي قامت ببونة⁶، وقسنطينة⁷، هته المناطق أراد حكامها الانفصال عن الدولة الحمادية⁸، الذي كان أميرها منشغلا في خلافته مع زناته والمرابطين.

انقضت أيام " **الأمير المنصور** " سنة 498هـ\1105م، خلفا وراءه هدنة مع أعراب الهلالية الذي اتفق معهم على نصف غلة الأراضي، كما أجلى الزناتيين وأبرم صلحا مع أبناء عمومته الصنهاجيين المرابطين، هؤلاء الذين لم يتقربوا من حدود جباية "تغنى بها الشعراء".
تولى من بعده ابنه **باديس بن المنصور بن الناصر بن علناس الحمادي**."

3-فترة حكم " **باديس بن المنصور** "

- 1- عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج6، ص 358، ينظر المزيد من منشآته المعمارية بجباية في فصولنا اللاحقة،
- 2- المرابطين أو الملمثين، أسس كل من عبد الله بن ياسين، وأبي بكر بن محمد ويوسف بن شفيق قواعد دولة المرابطين، بقيت نحو ثمانين سنة 461-541م منبثها من رباط وحاج بن زلو، الذي كان يدعو للإصلاح قواعدها من رجال لمتونة، وقبائل صنهاجة، ينظر : مخطوط الفاسي، الصورة الجمالية، الورقة رقم 47، عبد الله كنون يوسف بن تاشفين، ط2، منتدى ابن تاشفين، المجتمع والمجال، 2004، ص6، 7، عبد الرحمن بن خلدون العبر ج6، ص 215، ابن الخطيب، أعمال الأعلام / ج3، ص 233-252.
- 3- تلمسان مدينة تقع غرب الجزائر كانت في القديم عبارة عن قرينتين أغادير التي بناها إدريس الاول وقرية تفرات التي بناها يوسف بن تاشفين، اتخذ هاتين المدينتين فشكلا مدينة واحدة تعرف بتلمسان عاصمة بني زيان ينظر:
- 4- يوسف بن تاشفين، هو أبو يعقوب ابن تاشفين اتوني ملك الملمثين ومشيد مراكش العاصمة، وأول من تلقب بأمير المسلمين، ولد على رأس المائة الرابعة، بطل معركة الزلاقة بالأندلس، بلغ نفوذه ببلاد المغرب شمالا وشرقا إلى غاية حدود جزائر بن مزغنة، توفي سنة 500هـ عن عمر يناهز 100 سنة، ينظر، عبد الله كنون، يوسف بن تاشفين، ص ص 6، 7، 63، 18.
- 5- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص 361.
- 6- بونة مدينة قديمة تقع على الساحل الجزائري، بها آثار كثيرة كانت تعتبر من أهم موانئ التجارية الفينيقية بشمال افريقيا، تسمى اليوم بعنابة (بلاد العناب)، ينظر : مؤلف مجهول، الاستبصار، ص 127.
- 7- قسنطينة مدينة وقلعة من حدود افريقية، ممايلي المغرب، تجاورها قلعة بمي حماد دنوبا وقسنطينة اليوم احدى مدن الجزائر الواقعة شرقها، ينظر : ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص 51
- 8- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص 358

خلف أباه في نفس السنة 498هـ\1105م، عرف عنه الشدة والبطش، قتل وزير أبيه "عبد الكريم بن سلمان"، و عامله، ولم يكتف بالقتل، بل عزل أخاه عن ولايته، وبث الرعب في أمه، إذ تذكر المصادر أن أمه سمته¹، لأنه كان يشكل خطرا على بقائها، توفي السنة نفسها (التي تولى فيها الحكم) مدة حكمه ثمانية أشهر شملت الكثير من الانحراف و الاستبداد تولى الحكم من بعده أخوه² "العزیز بن المنصور" الذي كان منفيا (في عهد أخيه) إلى جيجل³.

4- حكم الأمير "العزیز بن المنصور":

أرسل القائد علي بن حمدون رسولا إلى "العزیز"⁴ سنة وفاة أخيه، ليرجع إلى عرش الدولة، وبعد عودته من منفاه، نهض بدولته لتحسين أوضاعها بعدما نشر أخوه باديس فيها الفرع والخوف لكن الأمير "العزیز" اتصف بحسن الخلق والحزم والاستقامة والاعتدال، بالإضافة إلى الحنكة والمهارة في تسيير شؤون دولته فكل هذه الامتيازات أهلتة أن تكون فترة حكمه مزدهرة ومستقرة يعمها السلم. يقول ابن الخطيب عن عهده: "كانت أيامه أعيادا لحسنها وجمالها"⁵، ولقب بالميمون لأن مولده صادف توليه أبيه على عرش الدولة⁶ "كما إستوطن بجاية ومن بعد ولايته شرعت القلعة في الخراب"⁷، وحسن علاقته مع الأقاليم المجاورة "فكاتب ملوك زمانه وسالمهم"⁸ خاصة أن الأوضاع سيئت زمن أخيه بني حماد وبينهم، إلى جانب هذا صالح العدو أجداده وهم الزناتيون، فقد تزوج ابنه "ماخوخ الزناتي" وزاد من رابط السلم بينه وبين أبناء، عمومه الزيريين، إذ زوج ابنته بابن عمه الامير "يحيى بن تميم الزيري" سنة (509هـ\1115م)⁹.

أما جيرانه المرابطون، فاستمرت العلاقات الودية بينهما إلى غاية وفاة الامير المرابطي "يوسف بن تاشفين" سنة (500هـ\1106م) عن عمر يناهز 100 سنة وبعد وفاته اختلت قوى المرابطين، وشب بينهم النزاع والاضطرابات، كل هذه الأحداث كانت بعيدة عن الأمير

¹-ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج3، ص 98

²-عبد الحليم عويس، دولة بني حماد، ص 148

³-جيجل مدينة ساحلية جزائرية أسسها القرطاجيون، استمرت أهميتها البحرية عن الفتح العربي القرن 16 م ينظر : أحمد توفيق المدني كتاب الجزائر، ص 201-202.

⁴-رشيد بوروبية، الدولة الحمادية، ص 80

⁵-ابن الخطيب، المصدر السابق، ج3، ص 99

⁶-عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 148،

⁷-ابن الخطيب، المصدر السابق، ج3، ص 94، 95

⁸-نفسه

⁹-عبد الحليم عويس، دولة بني حماد، ص 149

الحمادى "العزىز" الذى انشغل فى التوجه نحو افريقية وبالضبط إلى جزيرة جربة¹ فى أساطيل أساطيل ضخمة وتمكن من إخضاعها فأدخل ساكنيها فى طاعته². وعندما انتهى من جزيرة جربة، اخضع تونس³ لطاعته مرة ثانية، وهذا بعد خروجها عن طاعة الحمادين سنة 510هـ-1116-1117م⁴.

أما الحدث الذى هزّ الأمير الحمادى "العزىز" هو الهجوم الذى شنه بنو هلال على القلعة انتهزوا فرصة غياب حاكميها "واكتسحوا جميع ما وجدوه بطواهرها وعظم عبثهم"⁵، فخلقوا فوضى وأفسدوا المدينة، فأمام هذا الوضع جيش "العزىز" جيشا بإمرة ابنه "يحيى وقائده "علي بن حمدون" و استطاعا أن يعيدا السلم و الأمن بالقلعة، فاعتذروا وتراجعوا، وأقاموا على ذلك باقى أيامهم مع أمراء الحماديين، وفى عهده إستضافت بجاية "ابن تومرت"⁶ مؤسس الروحى للدولة الموحدية التى ستقضى على دولة بني حماد، بعد رحلته الطويلة بالمشرق الإسلامى نزل بجاية، يذكر ابن القطان فى مصدره (نظم الجمان): "لما دخل ابن تومرت بجاية لقي الصبيان فى زي النساء بالصفائر و الأضراس والزينة وشواشي الخز، وألقى الأردال قد فتنوا بذلك وانهمكوا، فغير المنكر جده، وأزال ذلك الزي ثم حضر عيدا، فرأى فيه من إختلاط الرجال بالنساء و الصبيان المتزينيين المتكحلين مالا يحل فرجهم، وغير ذلك عليهم فووقت لأجل ذلك نفرة إستطال فيها الشر وسلب النساء حليهم، وقام الهرج"⁷.

حاول ابن تومرت تغيير الحال بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكن الأمير "العزىز" تصدى له مخافة أن يلتف من حوله الناس، فطرده من بجاية، يذكر عبد الواحد المراكشى أنه:"أمره صاحب بجاية بالخروج عنها حين خاف عن عادته"⁸، خرج ابن تومرت، متوجها إلى منطقة ملالة⁹، عند قبيلة "بني ورياكل" أين عقد العزم على القضاء على دولة بني حماد الصنهاجية، بعد قضائه على صنهاجية بالمغرب الأقصى "المرابطين"، توفي

¹ -جريدة جربة، تقع بساحل تونس، مقربة من قاب سبها اكبر نسبة من اليهود، ينظر لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام، ج3، ص 78

² -عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج6، ص 362.

³ -تونس مدينة عظيمة بينها وبين القيروان مسيرة 3 أيام، وبينها وبين البحر نحو أربعة أيام وبينها وبين قرطاج نحو 10 أميال... وهي مدينة حسنة يحيط بها من جميع جهاتها فحوض ومزارع للحنطة والشعير، وهي أكبر علاتها... ينظر، مؤلف مجهول، الإستصبار، ص 122، الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 32

⁴ -رشيد بورويبة، الدولة الحمادية، ص 80-81

⁵ -عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج6، ص 362.

⁶ -أبو عبد الله ابن عبد الله بن تومرت، المنعوت بالمهدي الهري، وينسب إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، ولد ابن تومرت بجبل السوس بالمغرب الأقصى، ينظر: شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، اعتناء محي الدين عبد المجيد، ج5، القاهرة، 1948، 1950، ص 45، 46، أبو عبد المجيد نجار، المهدي بن تومرت أبو عبد الله المغرب السوسي (ت-524هـ-1129م) حياته وأراءه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب، ط1، دار المغرب الإسلامى، 1403هـ-1982، ص 24-31، أبو بكر بن علي الصنهاجى البينق، كتاب أخبار المهدي بن تومرت تح، عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1395هـ-1975م

⁷ -ابن قطان، نظم الجمان، ص 41

⁸ -عبد الواحد المراكشى، المعجب، ص 180

⁹ -ملالة تقع نواحي بجاية تبعد عنها ب 7 كلم، بنى بها ابن تومرت مسجدا، مازال محرابها قائما ليومنا هذا.

"العزىز" سنة 515هـ\1121م¹، وتولى من بعده ابنه يحيى بن العزىز الذى أسقط دولة بني حماد فى (عهده).

5-الأمىر يحيى بن العزىز وسقوط دولة بني حماد (515هـ-547هـ\1121م-1152م)

عرّف بولعه للصيد، وحبّه للهو، وهذا ما اتفق عليه كل من عبد الرحمن بن خلدون وابن الخطيب²، لكن لا يمنع أنه كان فصيح اللسان والقلم، شهد عصره تغييرا جذريا فى الخارطة السياسية للدولة المجاورة لدولته، فمثلا المرابطين الصنهاجيين بدأت مؤشرات الضعف تطرق دولتهم، بعد فشلهم بالأندلس من جهة، ومن جهة أخرى تربص "ابن تومرت" بهم لتدمير دولتهم والقضاء عليها، بالإضافة إلى الزيريين بدورهم تعرضوا للغزو النورماندى، وعليه فالخطر يحاصر من كل الجهات الأمير "يحيى بن العزىز"، فكان لابد عليه من التحلى بالحنكة السياسية لمواجهة هذا التهديد ولتأمين حدود دولته، وهذا يكون باستحضار روح النخوة وعلاقة الدم والنسب القائمة بينه وبين أبناء عمومته، لأجل مساعدتهم للتخلص من العدو والكافر النورماندى.

لكن "يحيى بن العزىز" لغزوره وتجبره عوضا أن يتحد مع أبناء عمومته، قام بالاستيلاء على مناطق تابعة لهم ففتح "توزر" عنوة، كما هاجم تونس سنة (522هـ\1128م، وفى سنة (529هـ\1134م) حاصر المهديّة³، وطال حصارها، لكن روجار صاحب صقلية⁴ "بعث أسطولا عظيما لنصرة الحسن⁵ وأمر المقدم على الأسطول أن يقف عند أمر الحسن ونهيه، فلما جاء أسطول اللعين وانتشر حول المهديّة طاح ما بين صاحب جباية وأراد النصرانى أن يعكس مراكب أهل جباية، فمنعه الحسن وأمره بالكف عن القتال لأنه كره سفك دماء المسلمين وفرت مراكب جباية بالخبيّة ورحل الذين كانوا منازلى المهديّة من البربر"⁶. هذا الحدث كان له عواقب وخيمة على "يحيى بن العزىز"، حيث ساءت علاقته أكثر مع أبناء عمومته، كما أعطى فرصة للنورماندى أن يزحفوا نحو حدود دولته فقد تمكنوا من غزو منطقة جيجل، وفى سنة 539هـ-1144م تقدموا أكثر نحو ممتلكات الحمادية ليصلوا إلى منطقة برشك، كما سيطروا على بونة وصفاقس⁷، وواصلوا تقدمهم حتى ردعهم الموحدون.

¹- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص 362

²- ينظر: عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج6، ص 366، ابن الخطيب، أعمال، ج3، ص 99-100.

³- ابن أبى الضياف، اتحاف أهل الزمان، ج1، 142

⁴- ابن أبى دينار-المؤنس- ص 113، يتفق معه ابن الأثير الكامل، ج8، ص 350، عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج6، ص335

⁵- الحسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس من أمراء صنهاجية، تولى الحكم بعد وفاة أبيه لكن تدبير دولته كان على يد القائد "صندل" مولاه، ينظر: المؤنس، ص 112

⁶- ابن أبى دينار، المؤنس، ص113

⁷- صفاقس (صفاقص) شيدت فى حوالى سنة 275هـ (849م)، و أعيد بناؤها فى القرن 10م، وهى مدينة جل غلاتها الزيتون والزيت"، وهى مدينة على البحر مسورة ولها أسواق كثيرة ومساجد وجامع، وسوارها صخر وطوب ولها حماما وفنادق وىواد عظيمة وقصور جمّة وحصون ورباطات على البحر... " ينظر، ابن حوقل، صورة الأرض، ص 24-البكري، المصدر السابق، ص152

أما يحيى بن العزيز" كان منغمسا في اللّهُو والتّرف مهمشا أمور رعيته، فلما قدم إليه ابن عمه الأمير الزيرى "حسن" بعدما هاجم روجار مهدية، أساء إليه "يحيى بن العزيز" و أنزله بالجزائر بنى مزغنة ومنعه من السفر، فقام "حسن الأمير الزيرى" بمراسلة "عبد المؤمن بن علي الكومى"¹، وحرصه على أخذ بجاية² التي كانت تعيش فوضى عارمة ومؤامرات، هذا الجو خلق مختلف الأزمات في جميع الأصعدة، كيف لا وأميرها منشغل في ملذاته وأغراضه وغائب عن أمور رعيته أما الموحدى بدؤوا يتجهزون للزحف نحو بجاية التي سينتهي وجودها كعاصمة سياسية بعدما تؤول إلى الحكم الموحدى المصمودى.

ب-دخول عبد المؤمن بن علي بجاية في عهد الأمير يحيى الحمادى:

بعد خروج "ابن تومرت" من بجاية رفقة صاحبه وخليفته عبد المؤمن بن علي، الذي كان متوجها إلى البقاع المقدسة رفقة عمه، وحين إلتقى بابن تومرت، ألغى رحلته لأنه وجد فيه العالم والفقير المعصوم³، فبقيا عبد المؤمن علي في حضرة ابن تومرت بملاحة، ويذكر ابن أبي أبي زرع أنه: "إنصاق إلى خدمته وقرأ عليه وأخذ عنه العلم"⁴، وأصبح بذلك من المقربين له، بل "نفر من بجاية وسار معه"، وقدم إلى المغرب الأقصى⁵ معه، لأنه المكان الوحيد لتأسيس دولة الموحدى، وبالفعل بعد خروجها من ملاحة توجهها إلى وادي شلف تم الى الونشريس وإلى تلمسان ومنها دخلو إلى المغرب الأقصى ونزلوا بوجدة⁶، ومن خلال مسيرتهما مسيرتهما الطويلة جمعا من المساندين لهما الكثير من الأصحاب، ثم إستمروا إلى أن دخلوا فاس⁷، ومكناس¹ ثم إلى مراكش عاصمة المرابطين أيام الأمير "علي بن يوسف بن تاشفين"، وتمكنوا من السيطرة عليها.

¹- عبد المؤمن بن علي بن مخلوف بن مروان بن نصر بن علي بن عامر بن الأمير بن موسى بن عبد الله بن يحيى بن ورنيع بن صطفور أو كومية أخوة حماية، ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، والعير، ج6، ص 149.

²- التيجاني، رحلة التيجاني، ص 342، 343.

³- ينظر عبد الرحمن بن خلدون، العير، ج6، ص 267، الزركشى، تاريخ الدولتين، ص 05.

⁴- ابن أبي زرع-روض القرطاس، ص 173.

⁵- نفسه.

⁶- وجدة "مدينة كبيرة مسورة قديمة أزلية كثيرة السباتين والجنات والمزروعات كثيرة المياه والعيون، طيبة الهواء، جيدة التربة، يمتاز أهلها من غيرهم بنظارة ألوانهم وتنعم أجسامهم ومراعيها أنجع المراعي...وعلى مدينة وجدة، طريق المار والمصادر من بلاد المشرق إلى بلاد المغرب وسجلماسة وغيرها"، ينظر مؤلف مجهول، الإستبصار، ص111

⁷- مدينة فاس "هي أعظم مدينة من مصر إلى آخر بلاد المغرب، ومدينة فاس مدينتان كبيرتان مفترقان، يشق بينهما نهر كبير يسمى بوادي فاس ويدور حولها سور عظيم، وبين المدينتين قناطر كثيرة وتطردها جداول ماء لا تحصى..."، ينظر، مؤلف

مجهول، الإستبصار، ص111

فر الأمير المرابطى "علي بن يوسف بن تاشفين" إلى تلمسان، أين طلب من الحماديين المساعدة، فأمدهم "الأمير يحيى بن العزيز" بالمدد، فصاحب الحلل الموشية يذكر أنه "وصلت إلى الأمير تاشفين محلة من ملك إفريقية ابن حماد الصنهاجى برسم إمداده وإعانتة وعندما وصلوا إليه برز إليهم بمجموعة فملاً فحصى تلمسان خيلاً ورجالاً"²، لكن رغم هذه الإعانات تمكن الموحدون من القضاء على المرابطين فى سنة 540هـ/1146م، وألحقوا الهزيمة بالجيش الصنهاجى الحمادى.

بعد القضاء على الوجود المرابطين تمكن الموحدون بضم مدن المغرب الأقصى وتلمسان ووهران³، توجهت أنظار الخليفة عبد المومن بن علي" إلى الحدود الشرقية نحو بجاية وتونس وطرابلس.

من بين العوامل والأسباب التى دفعت الخليفة الموحدى "عبد المومن علي" أن يتوجه إلى فتح مناطق الشرقية من بلاد المغرب الإسلامى، هو استنجد مسلمى إفريقية به لتخليصهم من بطش وغزو العدو الفرنجى لبلادهم، بعدما تمكنوا من اغتصاب ملك بن باديس⁴، وسقوط المهديّة بيد الصقليين⁵، وللقضاء على وجود الفرنجة بالمنطقة، كان على الخليفة أن يضم عاصمة الحماديين بجاية لملكه، ليسهل عليه أمر إستنجد إخوانه المسلمين، وما سهل أمر فتح بجاية الحمادية، هو أنها كانت تعيش مرحلة انحطاط وتراجع كبيرين، فأمرها موكلاً كل أمور الدولة إلى وزيره "ميمون بن حمدون"، كما لم يستطع الجيش الحمادى أن يصد هجوم الجنوبيين على بجاية عام (530هـ/1136م)، بالإضافة إلى غارات بني هلال التى أضعفت أكثر قوى الحماديين.

قبل أن يتحرك "عبد المومن بن علي" للإستلاء على مملكة بني حماد، شاور كبار شيوخ الموحديين فى هذه المسألة، فخرج من مراكش سنة (546هـ/1151م)⁶ موليا الشيخ "أبا حفص الهنتانى" نائبه، واعتقد الناس أنه خارج لغزو الروم بجزيرة الأندلس حسب ماجاء عند النويرى "والناس يعتقدون أنه يدخل الأندلس"⁷.

¹- مكناس: "وهى أربع مدن وقرى كثيرة متصلة، مدن وحصون، المدن منها تآقرارت وتفسيرة المحلة وهى محدثة البناء، ومشرفة على بطاح وبفاع مملوءة بالثمار، وأكثرها الزيتون فسميت به، وهذه المدينة عليها سور كبير وأبراج عظيمة وهى مدينة جليلة..." ينظر مؤلف مجهول، الإستبصار، ص 111

²-ابن السماك العمري، الحلل الموشية، ص 103.

³-وهران "مدينة على ضفة البحر بناها جماعة من الأندلسيين البحريين بسبب المرسى، بالإتقان مع قبائل البربر المجاورين لها فسكنوها مع قبائل من البربر يقال لهم بني مسكين نحو 7 أعوام أنه زحف إليهم قبائل كثيرة من البربر يطلبون ثارا بينهم وبين بني مسكين... وهى مدينة كثيرة البساتين والثمار ولها ماء سائح وأنها كثيرة وأرجاء وعيون وهى من أعز البلاد ولها نظر كبير" ينظر: مؤلف مجهول، الإستبصار، ص 111

⁴-ينظر: ابن عذارى المراكشى، البيان، ص 45، عبد الرحمن بن خلدون، العبر ج6، ص 278.

⁵-الصقليين نسبة لجزيرة صقلية، فتحها المسلمين سنة 212م وهى من الجزر الإبطالية الموازية لبعض بلاد إفريقية، ينظر : لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام، ج3، ص 101.

⁶-ابن عذارى المراكشى، البيان، ص 45

⁷-النويرى، نهاية الأرب، ص 415.

يقول **عبد الرحمن بن خلدون**: " إستوضح أحوال أهل الأندلس"¹، وبعد انتهائه من أحوالها عاد إلى سبتة²، خرج منها سنة 547هـ/1152م قاصدا القصر الكبير قصر كتامة³، حيث فرق الأموال على جيوشه، وأمرهم بتجديد الأزواد سلك "**عبد المؤمن علي**" طريقا ليس بطريقه، إذ جعل مدينة فاس على يمينه وواصل سيره حتى دخل تلمسان، ففقد بها يوما ثم تحرك إلى الشرق بالتحديد نحو بجاية، وفي الطريق نادى منادي أنه من تكلم من الجيش بكلمة معناها أين هو المشي إلى الشرق وإلى الغرب؟ أو القبلة فجزاءه السيف⁴، وعليه كل من سار مع الخليفة الموحدى من جند ومشايخ وقواد إلى بجاية، إلتزم بالصمت والكتمان حتى وصلوا إلى أسوار جزائر بني مزغنة ثم مليانة⁵، فأخضعها الموحدون دون إراقة الدماء.

ولما دخل الموحدون مدينة جزائر بني مزغنة، فر حاكمها "**القائم بن يحيى بن العزيز**" ولي عهد بجاية، إلى أبيه تاركا المدينة في قبضة الخليفة "**عبد المؤمن بن علي**" الذي استقبله "**الأمير الزيري**" **الحسن بن علي بن يحيى بن تميم**" رفقة أولاده، كما ذكرنا سلفا أنه أنزله إبن عمه **الأمير يحيى بن العزيز** بالجزائر بني مزغنة، منزلة لاتليق به، ومنعه من السفر يقول "**الناصر**" عنه " أنه كان كالمسجون"⁶.

أما أوضاع مدينة بجاية، فالخطر المصمودى يدنو أكثر من أحوازها، فوزير الأمير "**يحيى بن العزيز**" "**ميمون بن خلدون**" الذي سمع بقدم الموحدين، نهض لتجيش جيش لمواجهتهم، لكن الجيشان لم يتواجه، بسبب كثرة جند الموحدين⁷، اما ابن **خلدون** له رواية أخرى يقول فيها أن الجيش الموحدى " اعترضته جيوش صنهاجة بأمر العلو فهزمتهم، وصبح ببجاية من الغد فدخلها"⁸، والواضح أن فشل وإنهزام الجيش الصنهاجى كان معتمدا من طرف الوزير "**حمدون**" الذي كانت بينه وبين الخليفة الموحدى "**عبد المؤمن بن علي**" كتب ومراسلات⁹، ولما تمكن الخليفة من بجاية فتح له بابها كما أصبح في خدمة الموحدين هو وأخوه وأخوه الفقيه "**أبو عبد الله محمد بن علي بن حمدون**"¹⁰.

¹- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص 278.

²- سبتة تقع شمال المغرب الأقصى، وهي عبارة عن شبه جزيرة في مضيق طارق، وهي اليوم، تابعة لإسبان، ينظر ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج3، ص 202، 203.

³- قصر كتامة يقصد بالقصر قرية صغيرة، ويقع كتامة على مقربة من نهر درعة شمال المغرب الأقصى، ينظر، مؤلف مجهول، الإستبصار، ص 112.

⁴- ينظر ابن الأثير، الكامل، ج9، ص 372، بن عذارى المراكشى، البيان، ص 76، ابن السماك العمري، الحلل الموشية، ص 149.

⁵- مليانة مدينة في آخر افريقية بينها وبين تنس أربعة أيام، ولقد بناها الروم، وجدوها زيري بن مناد وأسكنها بلكين الحمادى، ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص 318.

⁶- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الإستقصا، ج2، ص 121.

⁷- ابن الأثير، الكامل، ج9، ص 372.

⁸- ينظر : عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص 279، التيجاني، رحلة، ص 343، 344.

⁹- ابن السماك العمري، الحلل الموشية، ص 149.

¹⁰- محمد عبد الله عنان، دول الإسلام في الأندلس العصر الثالث عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القسم الأول عصر المرابطين وبداية الموحدين، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة 1990، ص 282.

حاصر الخليفة الموحدى بجاية، وضيق عليها أشد التضييق¹، فإضطر صاحب بجاية الأمير "يحيى بن العزيز" إلى الفرار، فركب البحر بعدما جهز أسطولين يحملان الذخائر والجواهر والأموال، وتوجه نحو بونة، حيث يوجد بها أخوه الحارث، الذي وبّخه و أنكر عليه سوء ضيعه، فضاقت عليه مقامه عند أخيه "الحارث"، فخرج عنه قاصدا أخاه "الحسن بن العزيز" صاحب قسنطينة، في شهر ذي القعدة من سنة (547هـ/1152م) حيث أكرمه، فأقام بقسنطينة أياما إلى أن سقطت في حكم الموحدين².

بعدما زحف الموحدين إلى بجاية، وبعدهما أضحت تابعة لهم، أرسل "الخليفة عبد المؤمن بن علي" رسالتين من بجاية إلى شيوخ و أعيان وجميع من بقسنطينة، يدعوهم إلى طاعة الموحدين، فكانت الرسالة الأولى في يوم 24 جمادى الأولى سنة (547هـ/1152م) مضمونها مايلي، الانتصارات العظيمة التي حققها الموحدون لاسيما فتحهم الأكبر لبلاد المشرقية (بجاية)، والقضاء على الكفر والمجون والفساد الذي اكتنفها في عهد العزيز وإبنة يحيى حتى نعتهم الخليفة ب"رؤساء الإستعلاء الجاهلي والإستكبار"

كما تبين الرسالة، الدور الكبير الذي قام به بن حمدون ويرى السابق "يحيى بن العزيز"، في مساعدته لفتح بجاية، إبنة حمدون وأخاه الشيخ أبو محمد ميمون بن علي بن حمدون" انظموا إلى الموحدين، بعدما كانت بينهما رسائل واتصالات وختم الرسالة الخليفة، بالإعانة عن إلغاء جميع الضرائب غير الشرعية كمكوس" وكان الأشقياء من ولائها يرون إيجابها وإلزامها" ويؤكد أنه بعد حكم الموحدين ستطبق التعاليم الشرعية لازيادة فيها ولا نقصان³.

إسترسل الخليفة الموحدى في رسالته هاته، عن البطولات والانتصارات الموحدية وعن اخلاص بعض من رجال الدولة، وأراد أن يغري في نهاية الرسالة بقية الحواضر والمناطق للإسراع للدخول في طاعته، لأن الخلافة الموحدية ستسعف أحوالهم.

تولى سقوط الحواضر المادية، فبعد سقوط بجاية، سقطت القلعة من دون قتال أهلها، فملكها الموحدون، ثم توجهوا نحو قسنطينة، وبدورها حوصرت⁴، ففر على إثرها "الحارث وعبد الله" إلى صقلية ليحتميا بالفرنجة، أما الأمير "يحيى بن العزي" ز فأرسل شيوخ صنهاجة إلى الخليفة" عبد المؤمن بن علي" يطلب الأمان، فأقرأه إياه وبايع "يحيى بن العزيز" الخليفة سنة 547هـ/1152م، وبعدها إنتقل معه إلى حضرة مراكش وأنزله بها، وأحسن مقامه، يقول ابن السماك العمري صاحب الحلل الموشية: "إستقر بنو حماد بمراكش تخاملا وتجاهلا، وشغلا نفسه بالصيد"⁵، حتى توفي بها، وبهذا انتهى أمر آخر أمراء بني حماد

¹-عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 152.

²-التيجاني، رحلة، ص 344.

³-ينظر إلى نص الرسالة كاملة في ملحق رسالة، دعوة أهل قسنطينة للدخول في طاعة الموحدين).

⁴-ابن السماك العمري، الحلل الموشية، ص 149.

⁵-ابن السماك، المصدر السابق، ص 149.

الصنهاجيين في الرسالة الثانية 10 شعبان 547هـ إستوضح فيها الخليفة الموحدى لأهمية التي شكلها فتح قسنطينة، لأنها تعتبر البوابة الرئيسية لفتح الامصار الأخرى¹.

توسع أمثر نفوذ الموحدين، بعدما ملكوا بجاية والقلعة وقسنطينة، وأعمال المملكة الحمادية، وقضوا على الوجود الفرنجى بجيجل والمهدية وتونس، هذا الزحف لم تتقبله بعض قبائل صنهاجية فعارضت وجود الموحدين بالمنطقة وعزّ عليها سقوط بجاية بسهولة، حيث جاء في مصدر النويرى أنهم تجمعوا: " في أمم كثيرة وتقدم عليهم رجل اسمه أبو قصبية²، واجتمع معهم من كتامة ولواته وغيرها مالا يحصى كثرة وقصدوا حراب عبد المؤمن³، فالتقى الطرفان في عرض جبل الشرقى لبجاية، قاد الجيش الصنهاجى "أبو قصبية"، اما الجيش الموحدى "أبو سعيد يخلف" واستطاع الجيش الموحدى القضاء على ثورتهم، ولم تلبث أن خمدت هذه الثورة، حتى ظهرت ثورة اخرى، قادها أعراب من الإثيج وزغبة ورياح وغيرهم، وسبب تخوفهم من نفوذ وتوسع الموحدين بالمغرب الإسلامى "...وقالوا إن جاورنا عبد المؤمن من أجلنا من المغرب، والرأى إخراجة من البلاد قبل أن يتمكن"⁴.

التقى الطرفان في معركة بنواحي منطقة سطيف⁵ سنة (548هـ/1153م)، وتمكن الموحدون من هزيمتهم في أكثر من موقعة⁶، واستطاع المصامدة بسط نفوذهم والسيطرة على الوضع، بل وصلت قدرات الخليفة الموحدى أن يستميل الأعراب ويجعلهم في خدمته ومن ضمن جنده الذين أدمجهم في صفوف جيشه لمحاربة النصارى وهذا الإحتواء كان نتيجة ردّ الخليفة لهم الغنائم و الأموال وأطلق سراح أسراهم⁷.

وبعد كل هذه المحطات، هدأت الأوضاع بالمغرب الإسلامى، وانتهى وجود دولة بني حماد الصنهاجية بالمغرب الاوسط الذي دام إشعاعها الحضارى 62 سنة، كما انتهى صيت الدولة المرابطة بالمغرب الأقصى، والدولة الزييرية بالمغرب الأدنى وهاهى دولة الموحدين، توحد المغرب الإسلامى تحت راية واحدة ونظام واحد وحاكم واحد، جعل لكل حاضرة ومدينة واليا يسير شؤونها ويرعى مصالحها لكن هذه الدولة بعدما سعدت على قمة هرم القوة والعظمة التي عاشتها حقبات طويلة، ستعرف إنزلاقات وانحدار من هذا الهرم، كغيرها من الدول التي

¹- ينظر إلى نص الرسالة كاملة في الملحق (رسالة فتح قسنطينة وطاعة الأمير الحمادى للموحدين)

²- أبو قصبية رجل من بني زلدون، إحدى بطون صنهاجة، ينظر : سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربى من الفتح إلى بداية عصر الإستقلال (ليبيا، تونس، الجزائر، والمغرب)، ج1، منشأة الناشر المعارف بالإسكندرية، 2003، ص 392.

³- النويرى، نهاية الأرب، ص 416.

⁴- ابن الأثير، الكامل، ج9، ص 390.

⁵- ينظر التيجانى، الرحلة، ص 344، عبد الرحمن بن خلدون، العبر ج6، ص 279، الناصرى الإستقصا، ج2، ص 121، نص الرسالة كاملة في الملحق (رسالة أرسلها الخليفة عبد المومن بن على إلى الأعراب في معركة سطيف).

⁶- ينظر : عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص 279، الناصرى، الإستقصا، ج2، ص 121، عبد الله عنان دولة الإسلام، ص 284.

⁷- على محمد الصلابى، أعلام أهل العلم و الدين بأحوال دولة الموحدين، ط1، مكتبة الإيمان بمنصورة، 2004، ص

سبقته يقول الله جل جلاله: "أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَرًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ" سورة غافر الآية 82

ج-جباية تحت الحكم الموحدى (547هـ-627هـ/1152م-1230م)

1-ولاية الموحدين ببجاية :

بعد عودة الخليفة الموحدى "عبد المؤمن بن علي" إلى مراكش، و بعدما أتم فتح عدوة المغرب الإسلامي، قام بتولية ابنه "محمد عبد الله بن عبد المؤمن وليا عهده¹، و رغب في تعيين إخوته ولاة على الولايات و المناطق المفتوحة التابعة للدولة، فجاءت في رسالته مايلي: "رغبت رغبة مستأنفة في استصحاب أحد إخوته -وقفهم الله- على التعيين، و تبينت مافي ذلك من جمع الكلمة وضم أشتات المصالح المقدمة بأتم وجوه التبيين، و أصفقت على أن ذلك يقطع أسباب الاختلاف، و يفتح أبواب الائتلاف، و يعمر جوانب تلك الأرجاء و الأكناف، بأحوال الدعة و السكون"²، فتم بعدها توزيع الولايات على أمراء الموحدين سنة (551هـ/1156م)، لكن الأمير محمد عبد الله بن عبد المؤمن بن علي أبعد عن الخلافة و ولاية العهد، بسبب إدمانه على شرب الخمر، و اختلال في الرأي، و كثرة البطش، و حبه لنفسه³، و كفاه بجباية فقط، فأصبح واليا عليها، و الشيخ "أبو سعيد يخلف بن الحسين" ووزيرا له و هو أحد شيوخ الموحدين⁴، و بالتالي و بالتالي "الأمير الموحدى محمد عبد الله بن عبد المؤمن بن علي": أول والى على بجاية. توفي الخليفة "عبد المؤمن بن علي" يوم 11 جمادى الآخرة سنة 558هـ/1163م تولى من بعده ابنه "الأمير يوسف بن عبد المؤمن بن علي" الذي لم يتلق الترحيب و المساندة من طرف أخويه، صاحب بجاية "عبد الله"، و صاحب قرطبة⁵ "محمد"، يذكر صاحب الصلاة أن والى بجاية "الأمير عبد الله" كان مابين خيارين إما مبايعة أخيه، أو عدم مبايعته، يقول: "و أما السيد أو محمد عبد الله فأقام ببجاية بعد الحال، يقدم رجلا و يؤخر أخرى ويرى الرأي و يكرره مع من يختصه في الذكرى... ثم عزم و تحرك عن بجاية و ظاهره إيصال الشمال الموصول و إن أهله خير مأمول فلما إستقلت به الرواجل، ادركته المنايا" سنة 560هـ-1165م⁶، و بذلك بايع والى بجاية أخاه سنة قبل وفاته (559هـ/1164م) مع أخيه صاحب قرطبة، و هذا بعدما سمعا أن أخاهما الخليفة "يوسف بن عبد المؤمن بن علي" يفرق الأموال و الأعطيات، و الصدقات على القبائل الموحدية⁷، فسار عا طائعين لأخيها، فرجعت بجباية من ضمن أعمال الدولة الموحدية.

1-كانت توليه سنة 548هـ-1153م، ينظر : أحمد عزوي رسائل الديوانية الموحدية صص 65-66-67

2-أحمد عزوي، المرجع السابق، ص 77

3-عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 179.

4-ينظر : صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص 113-180، البيهقي، المصدر السابق، ص 32-33.

5-قرطبة مدينة الأندلس، كانت بها ملوك بني امية، ينظر المزيد إلى ياقوت الحموي معجم البلدان، ج 4، ص 31، عبد

الواحد المراكشي المعجب، ص 266-276.

6-صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص 170

7-علي بن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب، ص 209.

في سنة 560هـ-1165م توفي صاحب بجاية "فوصل خبر نعيه إلى الأمير أبي يعقوب بمراكش ففتجع له وأوى جملته وأهله، ونظر في تثقيف بجاية وأنظارها، ريثما يوجه لها من اختاره لحماية ديارها وأقطارها¹،

وبقيت بجاية سنة من دون وال والخلافة منشغلة بأمور الأندلس وثورة مردنيش².

شاور الخليفة الموحدى أخاه السيد الأعلى أبي حفص في شأن مدينة بجاية التي مازالت دون وال: "فاختاروا لها من الإخوة السيد أبا زكريا يحيى بن أمير المؤمنين الخليفة -رضي الله عنه- فتوجه إليها من الحضرة غرة جمادى الأولى من عام واحد وستين وخمس مائة في جملة متعينة من أبناء الجماعة والحفاظ والموحدين أهل الديانة والاحتفاظ³، وقبل توجهه إلى بجاية، أوصاه الخليفة برعاية شؤون وأحوال ساكنيها وموليها كل جهوده، وبالفعل إلتزم "أبو زكريا يحيى بن عبد المؤمن بن علي" بوصايا الخليفة، وعاش أهل المدينة في استقرار خلال ولايته، حتى وفاته سنة 571هـ/1176م إثر مرض الطاعون⁴، وفي سنة 576هـ/1179م، تولى "السيد أبو موسى عيسى" ولاية بجاية⁵ ومن بعده تولى شؤونها أخوه "أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن بن علي" إلى غاية وفاة الخليفة "أبي يعقوب" سنة 580هـ/1183م، وبعد وفاته إستمر "أبو الربيع سليمان" في ولايته ببجاية في عهد الخليفة "عبد الله يعقوب بن عبد المؤمن بن علي" وكان رجلا مقدارا وسخيا، شهد عهده حركة إنتقالية تسبب فيها بعض المنتمين المتبقيين من الدولة المرابطية، إستهدفوا مدينة بجاية التي قام أعيانها وكبار الدولة الحمادية بطلب من علي بن إسحاق بن غانية⁶ في التعجيل بمحاربة الموحدين، وظفر بحكم بجاية بدلا من المصامدة، وبالفعل لبي بنو غانية النداء.

انشغل الموحدون بمبايعة الخليفة "يعقوب المنصور"، فخرج صاحب بجاية "أبو الربيع سليمان" إلى مراكش فيمغادرة والي بجاية خلت المدينة من الجيش، وبالتالي غياب الحراسة، أما شاطئها أضحى شاغرا لبني غانية الوقت المناسب لغزو بجاية والسيطرة عليها. =

¹-صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص 170.

²-مردنيش هو محمد بن مردنيش حاكم شرق الأندلس، هزم في معركة فحص الجلاب جنوبي مرسية، ينظر إسماعيل بن ابراهيم بن أمير المؤمنين، تايخ الأندلس من الفتح حتى السقوط من خلال مخطوط (تاريخ الأندلي)، تح: أنور محمد زناتي، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 2007، ص 96

³-صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص 217.

⁴-ابن السماك العمري، الحلل الموشية، ص 185.

⁵-الزرركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ص 14.

⁶-علي بن إسحاق بن غانية هو من أعيان الملتئمين المرابطين، امتلكوا جزيرة ميورقة إحدى جزر البليار، أو الجزائر الشرقية، وجزيرة منورقة ويابسة، وأول ملوك جزر البليار هو والده إسحاق بن محمد بن غانية، وبعد وفاته خلفه علي بن إسحاق حتى سنة 600هـ الذي هاجم قواعد الموحدين منطلقا من جزيرة ميورقة التي يبلغ طولها 40 كلم، من أخصب البلاد، بها حصون وقاعدتها وأول من فتحها عبد الله بن موسى بن نصير، وكانت ميورقة حصنا منيعا لبني غانية لم =مواجهة الموحدين والصلبيين، ينظر إبن الأثير الكامل، ج10، ص 128، عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 28، ابن السعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، ج1، تح شوقي ضيف، ط2، دار المعارف، مصر، 1964، ص 466، أبي المطرق أحمد بن عميرة المخزومي، تاريخ ميورقة، تح، محمد بن محمد بن معمر ط1، دار الكتب العلمية 2007، بيروت ص 28.

وفي سنة 580هـ/1182م¹، ركب "علي غانية" أسطوله في إثنين وثلاثين قطعة، وهجم على بجاية على غزة واليهما الذي كان غائبا عنها"²، كما أعد جيش جيشا عدته "مانتي فارس من الملتمين، وأربعة آلاف رجل"³، و أثناء صلاة الجمعة حطّ أسطول بني غانية بمحل بيع بحومة المذبح، فعندما نزل خيل بني غانية، تلقاهم الناس على عادة تلقيهم لأجل السبي⁴، لظنهم جاؤوا غزة وليس تجارا، فدخلوا من باب اللوز أحد أبواب بجاية، لم يكن فوقه سور، فإنفرد "علي بن غانية" بأهل بجاية "فوقف بخيله ورجله على باب المسجد ينادي الناس على البيعة فبايعوه في صفر سنة 581هـ إحدى وثمانين وخمسمائة، واستولى على قصور الموحدين وذخائرهم، وفرق الأموال العرب وجندهم"⁵، وقد مكث ببجاية أسبوعا وهو محاط بالدعم من انصار المرابطين و الساخطين على الحكم الموحدى، كما اعتقل وجهاءهم وكبار الدولة، هذا الوضع أدى بالخليفة الموحدى أن ينعتهم بالأوباش وبالفساق والفجار⁶، لإخضاعهم للموحدين، ولما وصل خبر سقوط بجاية لواليتها "أبي الربيع سليمان" جهز العدة والعتاد و إنضم إليه العرب وبعض القبائل المصمودية.

وبعدما تمكن بنو غانية من بجاية وأحوازها، امتدت أطماعهم إلى مازونة⁷ والجزائر بني مزغنة وأشير ومليانة وقلعة بني حماد⁸، إلتقى الجيشان بيلمبول⁹ ضواحي بجاية، وبعد مواجهة مواجهة دامية، تراجع قوى الموحدين التي انسحبت منها القبائل العربية، وانضمت إلى جيوش بني غانية هذا مازادهم قوة ودعما أكثر، وبعد إتحادهم ألحقوا بصفوف الموحدية هزيمة فرّ على إثرها صاحب بجاية إلى تلمسان، ثم إلى مراكش حيث أخبر الخليفة بوضع بجاية الخطير وحرصه على النهوض لتحريرها من قبضة المبارقة.

جهز الخليفة الموحدى جيشا عدته تقريبا عشرون ألف فارس وأسطولا ضخما، أما "علي بن غانية" عين أخاه "يحيى" على كامل تراب بجاية، وكلف "أبا محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي" بإمامة جامع بجاية والدعوة فيه لولاء بني غانية، وبعدما نظم أمور بجاية، توجه إلى قسنطينة، فرض عليها حصارا دام طويلا، وقطع عن أهلها الماء، وبعد معاناة أغانهم الله بالمطر.

فوض الخليفة أمر بجاية والمغرب الأوسط إلى القائد "أبي زيد بن أبي حفص بن عبد المؤمن" ابن عم الخليفة الموحدى (المنصور)، أما قيادة الأسطول كانت للقائد أحمد الصقلي

¹-ابن الأثير، الكامل، ج10، ص 128.

²-محمد بن الحسن الجعفري الفاسي، الصورة الجمالية في خلاصة تاريخ افريقيا الشمالية، ج3، الورقة 01.

³-ابن الأثير، الكامل، ج11، ص 508

⁴-الغبريني، عنوان الدارية، ص 77.

⁵-محمد بن الحسن الجعفري الفاسي، المصدر السابق، الورقة 01.

⁶-أحمد عزاوي، الرسائل ديوانية موحدية، ص 193.

⁷-مازونة : كان اختطاف مدينة مازونة سنة 565هـ، على يد بني منديل أبن عبد الرحمن المغراوي أحد زعماء قبيلة مغراوة، وإسم مازونة نسبة لإحدى فصائل قبيلة مغراوة، ينظر :عبدلي لخضر "الحياة الثقافية بالمغرب الاوسط في عهد بني زيان (633-962هـ-1236-1554م)، رسالة دكتوراه 1425هـ-1426م/2004-2005م - ص 86.

⁸-ينظر الفاسي الصورة الجمالية في خلاصة تاريخ افريقيا الشمالية، الورقة 01، احمد عزاوي، رسائل، ص 193.

⁹-تسمى أيضا بيلمبول، ينظر، ابن عذارى المراكشي، البيان، ص 176.

إنطلق لنجدة بجاية في سنة 581هـ/1183م وبعد نزولهما بها فر أخوي "علي بن غانية" إلى قسنطينة، لكن تمكن الموحدون من اللحاق بهم، فاضطروا إلى الفرار إلى الصحراء، تاركين قسنطينة في حالة دمار وخراب، ففك حصارها وأسعت من جديد.

بعد انقضاء سبعة أشهر من سقوط بجاية في يد الميارقة، توّول من جديد إلى حكم الموحدين بعد تتبعهم لبني غانية هؤلاء الذين توغلوا بمنطقة الجريد جنوب إفريقية الشرقية، أين سيجمعون قواهم ويعاودون تهديد حدود المصامدة، فهم ألحقوا بحواضرها الهلالي و الدمار والخراب مثل مافلوه بمدينة قسنطينة التي حاصروها طويلا، وبجاية التي ساءت أحوال ساكنيها بل انتشرت الأمراض ونقصت بها المواد الغذائية، فترتبت عنها ارتفاع الأسعار¹، كما نهبوا أموالها وذخائرها بل قسموها فيما بينهم، ورغم إسترجاعها من طرف الموحدين، إلا أنها ستعاني مرة أخرى من الفوضى والفتن.

وفي هذه الأثناء ظهر غري الصناهجة أحد قواد بدر بن عائشة²، الذي هيا جيشا من المثلثين والعرب وتقدم نحو أسير فتمكن من الدخول إليها³، أبو زيد الموحدى، وأبو المظهر بن بن مردنيش تمكن من إسترجاعها بعد حرب دامية إنتهت بمثله ومقتل أخيه عبد الله، وليكون عبرة صُلب على أحد أبواب مدينة بجاية.

أما مدينة بجاية فعمت بها الفوضى وتدهورت أحوالها، كما أسلفنا الذكر، لكن "أبا زيد" استطاع إخمادها وإرجاع الإستقرار فيها، إلا أنها بقيت مهددة من طرف بني غانية، خاصة وأن وضعها الإقتصادي لم يلحظ تحسنا بل بقي في تراجع مستمر، هذا الوضع دفع الخليفة الموحدى "المنصور" أن يغير من ولاية بجاية فأرسل بكتاب إلى "أبي زيد" يستقدمه منها إلى مراكش، وعين مكانه أخاه عبد الله واليا جديدا عليها من أجل تحسين الأوضاع والأحوال بها.

أما بلاد جريد مستقر الميارقة، فقد اجتمع على بن غانية بعرب رياح والإثيج وانضم إليهم قراقوش⁴، وطلب المدد علي بن غانية بعرب رياح والإثيج وانضم ومصر بالعدة، والتي بها أتم ماكان ينقصه من عدة الغزو، سار إلى إفريقية أين تمكن من غزوها سنة 582هـ-1184م ومن نفس السنة نهض الخليفة المنصور لتحريرها، وبعد إنقضاء سنة من غزو إفريقية تواجهها الطرفان في معركة بموقعة عمرة⁵ سنة 583هـ-1185م، إنتهت بهزيمة الموحدين بقيادة الخليفة المنصور الذي سلب منه الخيل والرجال⁶، لكن لم يستسلم بل

¹-ابن عذارى المراكشي، البيان، ص 181.

²-مصطفى أبو ضيف، أثر القبائل العربية في المغرب في العصر الموحدى وبني مرين، الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية، 1982م، ص 76.

³-ابن عذارى المراكشي، البيان، ص 181

⁴-قراقوش أو قراقش، هو شرف الدين قراقوش الأرمي مملوك الملك المظفر تقي الدين بن شاهنشاه بن شادي بن أخو السلطان صلاح الدين الأيوبي، كانت بينه وبين علي بن غانية مهادنة، ولقد استولى على منطقة طرابلس بعدما تمكن من التصديق على بن غانية، ينظر عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص 227، التيجاني، رحلة التيجاني، ص 103، الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ص 16

⁵- عمرة منطقة تقع ضواحي قفصة التونسية من أعمال الزاب الكبير بالجريد، ينظر ياقوت الحموي، معجم البلدان،

ج4، ص 77

⁶-ابن عذارى المراكشي، البيان، ص 187-188

عزم على ردّ اعتبار الموحدين، وبالفعل من نفس السنة تمكن من فتح "جربة" وقفصة¹ وبث الرعب في صفوف الميارقة.

واصل ابنه الخليفة "الناصر" من بعده تتبع بطش الميارقة، فهذا الأخير حارب بني غانية في موطنهم وعقر دارهم، حيث وجه حملة كبيرة إلى جزر البليار² لإخضاع مدنها فقتل عبد الله بن غانية بجزيرة مورقة وتم فتحها في آخر سنة 599هـ/1202م، واستولوا أيضا على جزيرة منورقة، وفي مطلع سنة 600هـ-1203م خضعت كل الجزائر الشرقية للموحدين، وكان هذا الفتح بمثابة صاعقة على كل الممالك النصرانية، لأنه كشف سواحل أرغون أمام الأسطول الموحدى "إن الفتح فيهم فتح في النصرانية وظهور على ممالكها الساحلية، ولأخذ ميورقة على صاحب أرغون وبرشلونة أشد من رشق النبل وأهول من وقع السيف وأوحش من القطع بحلول الممات"³، استمر الخليفة "الناصر" في محاربة ما بقي من بني غانية بإفريقية، ففي سنة 602هـ/1204م، انتصر جيشه على جيش "يحيى ابن غانية" في معركة "تاجرا" بنواحي قابس كما حرر تونس، فنراجع بنو غانية إلى القيروان ثم إلى قفصة ثم إلى قابس فاضطر الميارقة النزوح إلى طرابلس⁴، أما الخليفة قبل عودته إلى مراكش، عقد لأبي عبد الواحد بن أبي حفص حفص الهنتاتي جد الحفصيين⁵، على إفريقية سنة 603هـ/1206م.

ألحق القائد "أبو عبد الواحد بن أبي حفص" هزيمة بجيش بني غانية سنة 604هـ-1207م في معركة بوادي بشر و قرب تبسة⁶، ومنها غير الميارقة وجهتهم نحو سجلماسة التي ألحقوا بها الخراب والدمار ثم إلى المغرب الأوسط فخرج والي تلمسان "أبو عمران موسى بن يوسف بن عبد المؤمن" لمواجهة يحيى بن غانية، هذا الأخير الذي هزم جيش تلمسان وقتل واليها في معركة تيهرت⁷، بعد هذه المعركة ولى راجعا بجيشه إلى إفريقية، ليستولي عليها من جديد، لكن أبا محمد بن عبد الواحد بن حفص تصدى له سنة 606هـ/1209م، فهزمه واستولى على جميع محلاتهم⁸

ففر "يحيى بن غانية" إلى الصحراء وبعد هذه المعركة لم يعاود بنو غانية هجومهم على إفريقية إلا بعد وفاة صاحبها، سنة 618هـ/1221م، جاء من بعده أبو العلاء إدريس بن

¹- عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 199

²- مخطوط محمد بن الحسن الفاسي، تاريخ الصورة الجمالية، الورقة رقم 06.

³- أبي المطرق أحمد بن عمير المخزومي، تاريخ ميروقة، ص 28.

⁴- أحمد عزاوي، قضايا تاريخية خلال العصرين الموحدى والمريني دراسة وثائقية، ط1، رباني بتديوز، الجامع الرباط، 2010.

⁵- ينظر في تعينه والبا على إفريقية، التيجاني، رحلة، ص 366، ابن السماك العمري، الحلل الموشية، ص 161، ابن عذارى المراكشي، البيان، ص 245.

⁶- تبسة مدينة قديمة أزلية فيها آثار كثيرة... ولمدينة تبسا بساتين كثيرة وفواكه عجيبة ويجود فيها الجوز حتى يضرب به المثل في إفريقية، ينضر مؤلف مجهول، الإستبصار، ص 112

⁷- تيهرت أو تاهرت هي مدينة مشهورة قديمة كبيرة عليها سور ضخر ولها قصبه منيعة على سوقها تسمى المعصومة ومطينة تاهرت في سفح جبل يسمى قرقل، وهي على نهر كبير يأتيها من ناحية العرب يسمى منية، ولها نهر يخر يجري من عيون تجتمع يسمى نانس (منه) تشرب أرضها وبساتينها، ينظر، مؤلف مجهول، الإستبصار، ص 112

⁸- ابن عذارى المراكشي، البيان، ص 254.

يونس بن عبد المؤمن، الذي قام من جديد لصد هجمات الميارقة سنة 621هـ/1224م، ألحق بهم خسارة كبيرة، حيث قتل من جندهم الكثير وبدور الموحدين، غنموا بأرزاق وأموال، لم يستسلم بنو غانية من شن هجوم آخر، فتحرك سنة 623هـ/1226م نحو قسنطينة وبجاية ثم إلى متيجة فعات فيهم الدمار والفساد، ثم زحف إلى مليانة وإلى جزائر بني مزغنة، وبهذا تمكن من جديد من بسط نفوذه، لكن والى تونس "عبد الله بن أبي محمد بن أبي حفص الهنتاتي" أحد أبناء "أبي محمد بن حفص الهنتاتي" نهض لمواجهة هذا التمرد سنة 624هـ/1227م، ومرة أخرى تلقى بنو غانية و أتباعهم من هوارة¹ هزيمة أخدمت عزيمتهم، وقهقرت قواهم.

واصل "عبد الله بن حفص" سيره حتى دخل بجاية، فأصلح من شؤونها وأحوال رعيته، تم توجه إلى مليانة ومتيجة، وكل المدن التي أخضعها بنو غانية، ثم ولى راجعا إلى تونس، في شهر رمضان من نفس السنة، أما "يحيى بن غانية" بعد انهزامه بقي يترصد فرصة أخرى للهجوم على افريقية، وحاول أن الزحف إليها لكنه فشل "أبو زكريا أخو عبد الله² تمكن منه ومن ومن إستئصال حركته المتمردة وإعدام وجودها نهائيا، وتشريد قائدهم "يحيى بن غانية" الذي دوخ حكام وولاية الموحدين، كان هلاكه سنة 631هـ/1234م، وبذلك انقرض أمر المثلثين من مسوفة ولمتونة ومن جميع بلاد افريقية والمغرب والأندلس³، هذه الحركة التي أنهكت البلاد والعباد.

ومن بين الأحداث السياسية التي غيرت من وضع بجاية وإنتقالها من وضع إلى آخر هو مقتل الخليفة الموحدى العادل" سنة 624هـ-1227م بمراكش⁴، وببيع من بعده أخوه "إدريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي" أمير المؤمنين الملقب بالمأمون (مأمون الموحدين) بمراكش، لكن مشيخة الموحدين نكثوا بيعته والسبب في ذلك هو "تخوفوا أن يأخذهم بدم ابن عمه عبد الواحد المخلوع ثم أخيه عبد الله العادل فاتفق رأيهم على مبايعة يحيى بن محمد الناصر بن يعقوب المنصور وهو شاب غر"⁵.

أفرز هذا الوضع عدة أثار وخيمة، إذ خلق اختلافا واضطرابا في الحكم لوجود طرفين يحكمان في مقام واحد، بالإضافة إلى ظهور ثورة عرب الخلط وقبائل هسكورة التي رفضت مبايعة يحيى بن محمد بن العادل" لأنهم بايعوا المأمون" ولم ينكثوا البيعة ودخلوا في حرب مع يحيى بن محمد ابن الناصر ابن العادل⁶، كما ثار أفراد الموحدين على بعضهم واستعان بعضهم بالأسبان على بعض⁷، حيث تفاقم الوضع بين أمراء الموحدين، لينتهي النزاع بسيطرة

¹- قبيلة هوارة بطن من بطون برانس ينتسبون إلى ولد هوار بن أوريغ بن برنس، ينظر عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص 163-233.

²- ابن أبي دينار، المؤنس، ص 159.

³- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص 233.

⁴- ابن قنفذ القسنطيني، الفارسة، ص 107.

⁵- ينظر ابن ابراهيم العباس، الإعلام بمن حل بمراكش وأغامت من الأعلام، ج3، المطبعة الملكية، الرباط، 1975، ص 05، على بن أبي زرع الأنيس المطرب، ص 248.

⁶- ابن ابراهيم العباس، المصدر السابق، ص 05-06.

⁷- مخطوط، محمد بن الحسن الجعفري الفاس، الصورة الجمالية في خلاصة تاريخ افريقيا الشمالية، ورقم 39.

بسيطرة المأمون على زمام الأمور، لكن بعض هؤلاء رفضوا المبايعة من بينهم والى تونس "عبد الله بن حفص الزناتي"، والذي عزله المأمون عن ولايته وولي أخاه أبا زكريا بن حفص الهنتاني، الذي كان واليا على قابس فأصبح واليا على تونس سنة 625هـ-1228م.

تخوف مشايخ الموحدين من اعتلاء المأمون عرش الدولة الموحدية كان صائبا فقد أنكر مذهب ابن تومرت الذي تعود عليه الموحدون، كما وضع العقائد والأذان بلسان بربري¹، وقتل بعض الموحدين بمراكش، وخصوصا من هذاتة وتتمل، فلم يستطع "أبو زكريا الحفصي" أن يمتلك نفسه فسارع بالإقلاع عن ولائه للمأمون سنة 626هـ-1229م، وحول ولائه إلى يحيى بن محمد الناصر بن العادل، وأيضا قام بحذف إسم المأمون من خطب الجمعة وعوضه بإسم المهدي والخلفاء الراشدين، إلى جانب هذا لقب نفسه بالأمير، وهذا اللقب هو دليل إنفصاله أو بعبارة أخرى تمهيد بالإنفصال².

لم ينته أبو زكرياء الهنتاني عن هذا الحد بل أمر أن تكون الخطبة بإسمة وإستطاع أن يحتوي رعيته فالتقوا حوله، وعقد لنفسه البيعة العامة سنة 364هـ-1237م، وبهذا أعلن رسميا إنفصاله عن الخلافة الموحدية³.

نهض أبو زكريا الحفصي إلى باقي حواضر ومدن إفريقية لضمها إلى ملكه فوصل إلى قسنطينة وفرض حصارا عليها حتى تمكن منها ومن واليها "إبن السيد أبي عبد الله الخرصاني بن يوسف العشري، وولّى عليها "إبن النعمان" تم توجه إلى بجاية التي كان بها "أبو عمران بن أبي عبد الله الخرصاني" أخو والى قسنطينة سابقا⁴، فتم لأبي زكريا فتح بجاية وتوليه ابن عمه "علي أو عمار بن موسى" واليا عليها.

إستطاع "أبو زكريا الحفصي" أن يخضع كل مدن إفريقية في مدة وجيزة فبسط سلطانه على البلاد، وأسس دولة إمتدت شرقا من الجزائر بني مزغنة إلى عقبة التي تفصل طرابلس عن برقة، يحدها من الشمال البحر الأبيض المتوسط ومن الجنوب بلاد الجريد⁵. ساءت أحوال الناس بالدولة الموحدية و انبعث الثوار في الأقطار⁶، فكانت نهايتها زوال زوال حكم الموحدين.

د- أسباب سقوط دولة الموحدين:

أجمعت جلّ المصادر والكتابات التاريخية أن المحرك القوي الذي عجلّ وساهم في تراجع وإسقاط الدولة الموحدية هي حركة بني غانية وقراقوش، ذلك لأن هاتين الحركتين قد أثرتا تأثيرا بالغا في مجرى تاريخ الدولة، فقد عطلت كثيرا من المشاريع كالتعمير والبناء والتوسيع، وأيضا ضم المشرق الإسلامي إلى راية الموحدين، كما أدت إلى إهمال وفقدان عدوة

¹- عبد الرحمن بن خلدون، البعد ج6، ص 335.

²- ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية، ص 108.

³- الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ص 24.

⁴- وجدنا عند ابن قنفذ القسنطيني إسمين مختلفين عبد الله بن عبد المنصور، وأبا عمران بن أبي عبد الله بن يعقوب المنصور، ينظر الفارسية، ص 108.

⁵- الفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ص 302.

⁶- ابن ابراهيم العباس، المصدر السابق، ص 06.

الأندلس وسيطرة الأسيان عليها، لأن الموحدين صرفوا كل اهتمامهم للقضاء على هذين الحركتين خاصة حركة بني غانية، ومن الآثار التي خلفها زحف بني غانية على مدينة بجاية هي:

- ارتكبوا جرائم في حق القبائل الصنهاجية بغية تحقيق طموحهم في تأسيس دولة تعيد الملمين المرابطين وتعيد أيضا نفاخر صنهاجة .
- تحالفوا مع الأعراب الهلالية التي ساهمت بقسط وفير في السلب و النهب ونشر الذعر .
- تراجعت أحوال الناس ببجاية، فقد تعطلت وسائل الإنتاج من فلاحه وصنائع وتجارة وارتفعت الأسعار فالسلع قد ارتفع ثمنها لقلتها ما أدى إلى إنتشار الجوع وبالتالي انتشار الأوبئة والأمراض وساءت الأوضاع أكثر. يقول ابن عذارى في هذا الصدد: " لما وقعت الفتنة ببجاية و أنظارها، وخف قطينها وعمارها وانتهت زروعها وغلاتها وقلت خيراتها وهدمت مرافقها وأقواتها وعم بالرعية الحيف وتقسيمهم الجلاء والسيف، واعتصم من نجا منهم بقنن الجبال و الأوعار، واحتفى من ركن منهم إلى أحياء العرب بالجوار، فأفقرت من بجاية بسائطها وقلت مادتها وغلّت أسعارها، وتعذرت البجاية وجاوز تقتيرها النهاية فتسلل من القبائل خيلا ورجالا معظم سوادهم وتسربوا مع الأيام فرارا من الإعدام إلى أقطارهم وبلادهم ... والمجاعة تشتد والوباء يزيد حتى عم الموت وبطرت معيشتها الرخم والعقبان، وانحصر المسلوبون و المغنومون إلى البلد في أمم لا يحصى عددهم ولا ينادى من الأقتار، وليدهم، وعجز أهل البلد عن تكفين الموتى وعن مواساة الأحياء فكانوا يصبحون في الخرب وفي سكك المدينة، زمرا أمواتا ذكورا وإناثا"¹.

فوجود بني غانية ببجاية والأقاليم الموحدية هي بمثابة صاعقة ألحقت أنواع الضرر، وليس فقط حركة بني غانية وقراقوش الذي أراد أن يأخذ نصيبا من الغرب ليجعله قاعدة له تجاوز مصر و المشرق فقط كانتا سببا في سقوط الدولة، بل موقعه العقاب التي هزم فيها الموحدون شر هزيمة بالأندلس أمام الأسيان كانت المؤشر الذي سرع نحو السقوط، ناهيك عن كثرة الحروب، والمعارك التي خاضها الموحدون ضد الثوار من قبائل عربية بالمغرب الإسلامي وحتى بالأندلس، فشهدت الدولة حركة الجزيري² الذي أراد أن يصلح من أمور الناس، واستطاع أن يجمع حوله الأتباع والمريدين وزادت شهرته إتساعا. هذا الأمر أخاف السلطة الحاكمة فأمرت بالقبض عليه ففر عدة مرات من قبضتهم تم إجتاز إلى الأندلس وجمع أنصارا من مختلف ولاية الأندلس لكن تمكن الموحدون من القبض عليه وقتله³، إلى جانب هذه الحركة ظهرت حركة أخرى ببلاد الزاب ويدعي بالأشل سنة 589هـ، كان ينادي للإصلاح والقضاء على الظلم والطغيان وإتباع سنة "رسول الله عليه الصلاة والسلام"⁴، وقد إنتف حوله

¹-ابن عذارى المراكشي، البيان، ج3، ص 152-153.

²-عبد الله بن عبد الله الجزيري هو أندلسي الأصل من جزيرة الخضراء، ينظر : مراجع عقلية الغناي سقوط دولة الموحدين
ط1، ط2، دارة الكتب الوطنية، 1988م-2008م، بنغازي ليبيا، ص 232

³-ابن عذارى المراكشي، البيان، ج3، ص182.

⁴-نفسه، ص 189-191.

عدد كبير من أعراب بني هلال وسليم، وقد كثرت جموعه وانتشر، صيته، فأمر الخليفة الموحدى المنصور والى بجاية السيد أبى زكريا أن يقضى عليه، وبعد مطاردته إستطاع والى بجاية أن يقتله فاندثرت معه حركته.

آخر تمرّد أنك قوى الموحدىن، وهو تمرّد "محمد بن عبد الكرىم" أحد كبار قادة الجىوش الموحدىة¹ بالمهية وتعتبر حركة أولى لقائد موحدى ضد الدولة² سنة 596هـ وما دفعه لهذا هو سوء معاملة والى تونس له، خاصة أن هذا القائد انتصر فى العدىد من المعارك وخارت علىه نفسه فقرر الإنتقام فحاصر هو وجنده المهديّة وسيطروا عليها وأخذوا إثنى عشرة ألف دينار فدىة مقابل إطلاق سراح حاكم مهديّة³

انتهت حركة:

انتهت حركة ابن عبد الكرىم على يد ابن غانية الذى تحالف معه لكنه غربة وقتله لما نزل إلى المهديّة سنة 599هـ، وحركة أخرى بمضارب المغرب الأقصى لرجل يدعى عبد الرحمن الجزولى ويكنى (بأبى قسبة) حركته كانت حسب قول ابن عذارى سنة 598هـ، إستطاع أن يلحق هزائم عديدة فى صفوف الموحدىن، لكن نهايته كانت مثل الذين سبقوه من قبل حيث قتل وحمل رأسه إلى حضرة مراكش⁴.

وبالإضافة إلى هذا كله لاننسى فساد بعض ولاء وكبار الموحدىن، فمنهم من تأمر وإستولى على مافى خزانة الولاية لشخصه، ومنهم من أرق سكان ولايته بالضرائب، فبدأ التدمر والاحتجاج ضد تعفن الجهاز الإدارى الموحدى⁵.

شهدت مدن وحواضر الدولة الموحدىة فوضى واضطرابا فى آخر محطاتها التاريخية لاسيما إبان فترة حكم آخر خلفائها، حيث تناحر بنو عبد المؤمن من أجل الخلافة حتى وصلت بينهم إلى الحروب والإستعانة بالعدو والكافر والأسبان إنتهى الأمر بنشوب ثورات و إنقسامات مما أدى إلى إضعاف دولتهم أكثر وأكثر، وقتل آخر خلفاء الدولة الموحدىة وهو "الخليفة أبو دبوس" وبذلك تنقرض دولة الموحدىن وكانت مدة حكمهم من أول ظهورها إلى غاية مقتل "أبى دبوس" 152 سنة، وانقسمت فى الأخير الدولة إلى ثلاث ولايات دولة بني مرين بالمغرب الأقصى، ودولة بني عبد الواد (الزىانيين) بالمغرب الأوسط ودولة الحفصيين بالمغرب الأدنى (تونس).

ملك بنى مؤمن تولّى *** وكان فوق السماك سمكه
فاعتبروا وانظروا وقولوا *** سبحان من لا يبيد ملكه⁶

¹- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص 517.

²- نفسه

³- مراجع عقلية الغناى، سقوط دولة الموحدىن، ص 232.

⁴- عبد الواحد المراكشى، المعجب، ص 315-317

⁵- مراجع عقلية، الغناى، سقوط دولة الموحدىن، ص 240-241

⁶- بعض من رجال الصالحين ببجاية أنشد فى منامه هاذين البيتين فى اليوم الموالى قتل أبى دبوس ينظر، ابن ابراهيم العباس، المصدر السابق، ص 14.

الفصل الثاني : بجاية دراسة تاريخية ما بين القرنين

(7هـ-9هـ / 13م-15م)

أ- بجاية ضمن اعمال الدولة الحفصية (7هـ-9هـ/13م-15م)

ب- انفصال بجاية الأول عن الدولة الحفصية

ج- الهجمات الزيانية و المرينية على بجاية

د- أسباب تراجع الحكم الحفصي ببجاية

و- الغزو الإسباني لبجاية (5جانفي 915هـ/1510م)

الفصل الثاني : بجاية دراسة تاريخية ما بين القرنين

(7هـ-9هـ / 13م-15م)

أ- بجاية ضمن اعمال الدولة الحفصية (7هـ-9هـ/13م-15م)

ب- انفصال بجاية الأول عن الدولة الحفصية

ج- الهجمات الزيانية و المرينية على بجاية

د- أسباب تراجع الحكم الحفصي ببجاية

و- الغزو الإسباني لبجاية (5جانفي 915هـ/1510م)

بعد انفصال "الأمير الحفصي أبي زكرياء"، عن الدولة الموحدية نهائياً سنة (627هـ-1229م)، استنقل أمر الدولة الحفصية ، وبسطت نفوذها بالمغرب الأدنى (إفريقية) ومن بين الأسباب التي حفزت "أبا زكرياء"، على الانفصال هو ، فساد الجهاز الإداري للسلطة الحاكمة وتعرض الهنتاتين إلى القتل و التنكيل من طرف الخليفة الموحد، الذي عجز عن توفير الأمن والاستقرار لرعاياه.

كما أن بعض المدن ، قد تعطل نشاطها الاقتصادي ، لكثرة الفتن و الفوضى التي عمت المنطقة ، هذا جانب من الأسباب، وهناك جانب آخر تمثل في ضم بجاية إلى الخارطة السياسية الحفصية ، هي الحنكة القوية لدى "أبي زكرياء" في معرفة القوة الاقتصادية التي تملكها منطقة بجاية لاسيما دور مينائها في العلاقات الخارجية المتوسطة ، بالإضافة إلى المقومات الطبيعية والحضارية التي تتميز بها فبضمها يكون "أبو زكرياء" كسب طاقة وثروة اقتصادية ، وبذلك تكون الدولة اتسعت رقعتها لتشمل إفريقية و الجزء الشرقي من المغرب الأوسط (بونة، قسنطينة ، بجاية).

لم يكن "أبو زكرياء" وكل من خلفه ، متفوقا لهذا الحدّ من حدود الدولة بل كانوا يرون في دولتهم ، الوريث الشرعي لدولة الموحدين ، ولذلك طمحووا في السيطرة على كامل تراب المغرب الإسلامي ، لكن هذا الأخير انقسم إلى ثلاثة أقسام ، قسم استولى عليه بنو حفص (المغرب الأدنى) ، وقسم (المغرب الأوسط) أخذه بنو عبد الواد (الزيانيين)، والآخر بنو مرين (المغرب الأقصى)، هاته الدويلات مكثت لعدة قرون من القرن (7هـ-13م إلى غاية القرن 9هـ-15م) وهي تتصارع وتتناحر فيما بينها ، بل أبرمت إتفاقيات ومعاهدات ، إن لم نقل تأمرت على بعضها البعض، مع من؟ مع النصارى وأعداء الإسلام خاصة

مملكة أرغون التي إستأجرتهم سفنا حربية ، لشن حروب وفرض حصارات على بعضهم البعض.

بتراجع قواتهم العسكرية كانت النهاية لهذا الصراع الطويل ، فانتشار الفساد، و ضعف الميزانية كل هذه الآليات كانت بمثابة المحفز القوي المباشر لإستدعاء للغزو الإسباني.

فمدينة بجاية عاشت هذا الصراع المرير بين الدويلات البربرية الثلاثة بل كانت في قلب الصراع ، حاول الزيانيين ضمها إلى ملكهم لكنهم فشلوا ، أما بني مرين فقد فرضوا عليها حصارا وأخضعوها إلى أعمالهم، وكانت الدولة الحفصية تسترجعها تارة وتنفصل عنها تارة أخرى إلى غاية غزوها من طرف الأسبان سنة (915هـ-1510م)، هذا الغزو الذي ألحق بها الدمار والخراب وأتلف كل معالمها الحضارية وآثارها الإسلامية ، التي عاشت بها آلاف السنين، الغزو الاسباني أزال وجود جميع شواهدا الإسلامية من قصور ومساجد وأسوار وقلاع وغيرها كثير ، وستعرف بجاية أسوء محطة تاريخية لم تعهدها من قبل وهو محاولة الأسبان طمس الهوية الإسلامية بها خاصة أنهم جاءوا بحركة استعمارية إستدمارية إنتقامية.

أ-بجاية ضمن أعمال الدولة الحفصية (7-9هـ/13م-15م):

انقسمت الأوضاع السياسية ببجاية في العهد الحفصي إلى مرحلتين ، مرحلة الإستقرار وشملت حقبة الأمير الحفصي "أبي زكريا" ، وإبنه "المستنصر" ، والمرحلة الثانية كانت مضطربة شهدت فوضى وعدم الإستقرار الداخلي بالمدينة ، تولى حكمها مجموعة من الامراء والولاة من الهنتاتين وغير الهنتاتين.

1- عقد الامير "أبي زكريا" (627/1229م):

كان معظم ولاية بجاية من قبيلة هنتاتة ، فبعدما دانت بجاية لسيطرة بني حفص، آلت بجاية لولاية ابنه "أبي يحيى زكريا" سنة (633/1235م)¹، وجعل معه معاونين من وزارة "يحيى بن صالح بن ابرهيم" وشواره "العبد الله بن أبي تهدي" ، أما أمور جمع الجباية "العبد الحق بن ياسين"²، ولقد تميز "أبو يحيى زكرياء" بحبه للعدل وكان ذا علم واسع وخبرة سياسية، ولحسن تسيره لشؤون ولايته ، عرفت بجاية الإستقرار ، والإنتعاش في جميع المجالات ، لسيما المجال التجاري ، وتوسعت علاقاتها مع مختلف الدول المشرقية والغربية ، لكن المنية خطفت "الأمير يحيى بن زكريا" سنة (646هـ-1249م)³، وكان أبوه ولاءه الخلافة من بعده سنة (638هـ-1241م)، وخطب له على جميع منابر افريقية بولاية العهد.

حزن الأمير "أبو زكريا" على ابنه ، فقد ترك إنجازات كبيرة ببجاية ، أبهرت اخاه "المستنصر" بعدما دخلها وشهد لآثار أخيه.

توفي الأمير "أبو زكريا" سنة بعد وفاة ابنه في جمادى الثانية (647/1249م) ببونة ثم نقل جثمانه بعد ذلك إلى قسنطينة سنة (666هـ/1268م)

2- عهد الخليفة "المستنصر بالله الحفصي":

تولى سنة (647/1249م) عن عمر يناهز 27 سنة ، عرش الدولة في ليلة وفاة أبيه وذلك يوم الجمعة⁵، تمت له البيعة بتونس ثم بجاية ، فأبن عمير

¹-ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، ص 109.

²-عبد الرحمن بن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 337.

³-ابن قنفذ- الفارسية ، ص 110.

⁴-ينظر عبد الرحمن بن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 352، ابن عذارى المراكشي ، البيان المغرب ، قسم الموحدين ، ص 391-392.

⁵-أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الشماع ، الأدلة البيئية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب ، 1984، ص 62.

أحد رجال السلطة الحفصية ببجاية يخبر في رسالته¹ التي وجهها إلى الأمير محمد بتونس، خبر وصول البيعة، أما سكان بجاية فسعدوا "لما فيه من مصلحة القريب والبعيد... فحضروا للبيعة السعيدة، آخذين فيها بعزيمة الطاعة... فبايعوا للأمير لأجل السعيد"².

يعتبر "المستنصر بالله" أول من لقب نفسه من أمراء الحفصيين "بالخليفة"، وأمير المؤمنين، في يوم الإثنين 24 ذي الحجة سنة (650هـ/1252م)³، كما تمت له البيعة من قبل أمراء الحجاز كأمرير مكة⁴، وفي أول عهد له إتسمت أحوال بجاية بالهدوء⁵، تعد فترة حكمه من أحسن الفترات التي عرفتها الدولة الحفصية نظرا لإهتماماته في مختلف المجالات، التي ولاها الخليفة على جميع مدن الدولة.

ولى الخليفة "المستنصر بالله" على بجاية سنة (659هـ/1261م) "أبا هلال عياد بن سعيد الهنتاتي" إستمرت ولايته إلى غاية وفاته سنة (673هـ-1276م)، ثم خلفه ابنه "محمد بن هلال بن عياد"، لكنه لم يستمر طويلا في حكمه بسبب مضايقات "الأمير الواثق"⁶، الذي عزله وأبعده عن ولاية بجاية، وولي مكانه واليا من الأندلس.

توفي الخليفة "المستنصر بالله" سنة (675هـ/1277م) من ذي الحجة إثر مرض أصابه وعن عمر يناهز الخمسين، مدة حكمه 28 سنة من الإنجازات الحضارية والعلاقات الودية الخارجية.

¹ -نص الرسالة ينظر إلى ملاحقنا أجزاء البيعة بولاية العهد في بجاية للأمير محمد المستنصر الحفصي - أحمد عزوي- الغرب الإسلامي -ص 262.

² -أحمد العزاوي، الغرب الإسلامي (خلال القرنين 7 و 8هـ)، دراسة وتحليل لرسائله، ج1، 2006، ص 266، والنص كامل للرسالة في ملاحقنا وينظر: ابن قنفذ -الفارسية، ص 119.

³ -ينظر: الزركشي، تاريخ الدولتين، ص 33، ابن قنفذ، الفارسية، ص 117.

⁴ -أحمد عزوي -العلاقات بين العالمين الإسلامي والمسيحي في العصر الوسيط، ج2، ص 88.

⁵ -ينظر إلى ملاحقنا أحمد عزوي-الغرب الإسلامي، ص 276.

⁶ -هو المولى ابن المستنصر بن أبي زكرياء، يحيا بن عبد الواحد بن أبي بكر بن عمر (الواثق بالله)، ينظر: ابن أبي دينار: المؤنس، ص 160، وابن الشماخ، المصدر السابق، ص 74.

3- عهد الخليفة الواثق بالله (المخلوع):

بوع صبيحة يوم توفي والده¹، وبعدهما أصبح خليفة الدولة ، قام بتسريح أهل السجون وأحسن إلى الجند، وأمر برفع المظالم، وإلى جانب هذا أقحم العنصر الأندلسي في الحكم بدلا من الهنثاتيين، حيث إستوزر في شؤون الدولة "يحييا بن عبد الملك الغافقي" المكنى "بأبي الحسن يحيى بن مروان الأندلسي"²، فالواثق المخلوع إستطاع وزيره أن يتغلب عليه، ولم يبق له من الحكم إلا اللقب، يقول عنه **ابن قنفذ القسنطيني**: "... كان الواثق في يديه كالمحجور في يد الوصي، ولم يبلغ في هذه الدولة الحفصية أحد ما بلغ إليه هذا الرجل من التحكم به والاستيلاء ، وإنفرد بتدبير المملكة"³، فقد جعل أقاربه في المناصب العليا ، فولى أخاه "إدريس به عبد الملك الغافقي الأندلسي" على أشغال بجاية ، التي كان عليها "ابن عياد"، فعزله وضايق مشيخة بجاية حيث شهد في عهده سكان بجاية حياة مضطربة ، فقد خرب كل ما أنجزه من سبقه من الولاة، كما أرق سكانها بجبايات جديدة وبالتالي استبد بالحكم ، فكان لا يحسن من سياسة الملك شيئا.

ونتيجة تآزم وسوء الوضع ببجاية ، ظهرت ثورة واحتجاج على وجود مثل هؤلاء الولاة ببجاية ، فثار عليه "محمد بن هلال الهنتاتي" الوالي السابق لبجاية وسكانها من تجار وحرفيين وعلماء وعمال ، فكانت نهاية "إدريس الغافقي الأندلسي" القتل سنة 677هـ/1279م) ورمي برأسه إلى الغوغاء⁴.

¹ -ينظر: ابن أبي دينار- المؤنس-ص 160، ابن الشماع ، المصدر السابق ، ص 33.

² -"كان كثير الإعجاب ، مفرطا في التعسف والكبر منشغلا بالبناء وآلات الملاهي واقتناء الأثاث" ، ينظر ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص 160.

³ -ابن قنفذ -الفارسية-ص 235

⁴ -ينظر- عبد الرحمن بن خلدون ، العبر ، ج6، ص 381، ابن قنفذ ، الفارسية ، ص 136

ساء الوضع أكثر بتونس ، لأن الوثائق ، ملك ضعيف ولم يكن ناهضا بأعباء الملك ، فثار "الأمير أبو إسحاق إبراهيم"¹ عمّ الخليفة الحفصي (الوثائق)، لما آل إليه حكم ابن أخيه، فدخل بجاية في ذي القعدة ، بعدما بايعه ابن عياد وأهل بجاية، فعين من جديد "محمد بن هلال" على ولاية بجاية، وهذا بعد أن عزل "أحمد بن المغارة الأندلسي" كان قاضيا ، تولى شؤون بجاية بعد مقتل "إدريس الغافقي الأندلسي"²، وبعدها تمكن "أبو إسحاق إبراهيم" من ملك بجاية سنة (678هـ/1280م) خرج ليخضع كل من افريقية ، فتوجه إلى قسنطينة إستعصت عليه في بادئ الأمر لكن أخضعها في الأخير ، تقدم إلى باقي الحواضر" وأتى إلى تونس في غرة ربيع الثاني وضافت على المولى أبي زكريا ، فخلع نفسه لعمه ، وسلم له الأمر"³.

4- عهد الخليفة أبي إسحاق إبراهيم (إبراهيم الأول):

في سنة (679هـ/1281م) ولي إبراهيم الأول على بجاية ، ابنه "أبا فارس عبد العزيز" وحاجبه كان "محمد بن أبي بكر خلدون الأندلسي"⁴، شهدت ولايته عدة أحداث منها: القضاء على التمرد، الذي أثاره صاحب قسنطينة "أبو بكر بن الوزير"، الذي أعلن انفصاله عن الدولة ، وأفسد البلاد وإرتد عن دينيه كما أنه إستعان بملك أرغون، وتحالف مع ملكهم ليمده بجيش ، لكن استطاع والي بجاية "أبو فارس عبد العزيز" أن ينهي هذا التمرد ، بعد محاصرته لقسنطينة لأكثر من يوم ، وتم دخولها وأعادتها إلى ملك الدولة الحفصية (681هـ/1282م)⁵.

¹-ينظر ابن الشماخ ، المصدر السابق ، ص 74.

²-ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية ، ص 136

³-ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص 160.

⁴-مبارك الميلي ، تاريخ الجزائر القديم والحديث ، ج2، ص 391.

⁵-ابن أحمد صالح، بجاية في العهد الحفصي 628-1230/748-1347م، بحث في المنهجية لدبلوم الدراسات المعمقة ، قسم الدراسات العليا دائرة التاريخ 1978-ص13.

وبعد هذا الفوز، أرسل **يغمراسن** أمير تلمسان رسالة إلى السلطان الحفصي "**أبي إسحاق**" يهنئ بإنهاء "**أبي فارس**" التمرد في قسنطينة ، ف جاء في رسالته هذا القول: " وإن العبد لمسرور (الفؤاد شاكر الله سبحانه في هذا الخبر)، المستفاد وهو ما تسنى لحضرتكم (المؤيد من هذا الفتح الذي) ملأ حديثه الأفاق طيباً..."¹.

هذا النصر لم يستمر طويلاً ، فقد اجتاحت تونس تمرداً آخر وهو ظهور ثورة الدّعي²، الذي تمكن نفوذه على مدن افريقية³، فإضطر الخليفة (إبراهيم الأول) الفرار رفقة عائلته وإبنة **زكريا** إلى بجاية ، بعدما انهزم أمام قوات الدّعي.

وصل الخليفة إلى بجاية أين تخلى عن الحكم لإبنة "**أبي فارس**" الذي أجبر والده على خلع نفسه ، وبعدها تلقب "**أبو فارس**" ، "بالمعتمد" وتجهز للقاء الدّعي وترك والده ببجاية"⁴، والتقى هو والدّعي بوطاة قلعة سينان بالقرب من ميله سنة (682هـ/1284م)⁵، وإستخلف أخاه **أبا زكريا** على ولاية بجاية. إذ رجحا الأسباب التي دفعت "**بأبي فارس**" (المعتمد)، أن يجبر والده على التنازل بالملك والخلافة ، هو تخوفه من أن يأخذ منه ولاية بجاية ، خاصة أنه ترك تونس في يد الدّعي، وفي هذه الحالة يتجرد من كل أملاكه.

¹- أحمد عزوي المغرب والأندلس في القرن السابع /13م، دراسة وتحقيق لديوانيات كتاب فصل الخطاب في ترسيل أبي بكر ابن خطاب ، ط1، مطبعة ربانيت ، الرباط ، 2008، ص 121.

²- الدّعي أحمد بن مرزوق أبو عمارة المسلي، كان خياطاً ويؤمن بالكهنة والمشعوذين أدعى أنه من أبناء الملوك ومن البيت الحفصي ولد بمسيلة ، ادعى أنه الفضل بن الواثق الذي قتله السلطان أبو إسحاق وولى والده وإخوانه ، إستطاع الدّعي أن يهز كيان الدولة لفترة وبعدها تم قتله لسفاهته وبطشه، ينظر ابن أبي دينار، المؤنس، ص 161، عبد الرحمن بن خلدون ، العبر ، ج6، ص 302-303، ابن قنفذ ، الفارسية ، ص 143، 144، الزركشي تاريخ الدولتين ، ص 45-46.

³- ينظر: محمد بن محمد الأندلسي الوزير سراج ، الحلل السندسية في أخبار التونسية ، تح : محمد الحبيب هيل ، ج1، القسم 1970، 04-ص 1036، الزركشي ، تاريخ الدولتين ، ص 48.

⁴- ابن أبي دينار، المؤنس، ص 161.

⁵- ينظر: ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص 161، الزركشي، تاريخ الدولتين ، ص 48، ابن الشماخ-الأدلة ، ص 78.

دارت بينهما مواجهات حامية، كانت نهايتها هزيمة جيوش أبي فارس ، الذي خانته أنصاره من قبيلتي بن رياح وسد ويكش¹، الذين التفوا حول الدعي، كما قتل وقطع رأسه وقتل بقية إخوته عبد الواحد، وعمر وخالد ومحمد ابن عبد الواحد "ونهب مزاربه وخزائنه"²، وبهذا انتهى حكم أبي فارس "المعتمد" ببجاية وأعمالها تولى ولايتها مدة خمس سنوات وثلاثة أشهر ونصف³، توفي ولم ينل من الخلافة إلا اللقب.

أما والده "أبواسحاق" (إبراهيم الأول) لما بلغه مقتل ابنه ، فرّ مع ابنه أبي زكريا إلى المغرب ، خاصة أن الدعي سيتوجه نحو بجاية لإخضاعها لحكمه ، وهي تعيش الفوضى والاضطرابات ، بل وصل بهم الوضع إلى قتل قاضيهم "أبي محمد عبد المنعم بن العتيق" الذي حاول تهدئة الأوضاع، لكنهم لم يصغوا إليه، فقتل بمقصورته⁴، لم يتمكن (إبراهيم الأول) من الفرار من بجاية ، لأن بعض من البجائيون لحقوه وأدركوه بجل بن غبرين بن زواوة ، وأعادهم إلى بجاية وبقي معتقلا بها ، إلى أن أرسل له الدعي من يقتله⁵، في سنة 682هـ/1283م) تاسع عشر من ربيع الأول، أما ابنه أبو زكريا إستطاع النجاة وتم له الفرار إلى تلمسان عند صهره السلطان الزياني عثمان بن يغمراسن⁶.

¹-سدويكش قبيلة من قبائل كتامة البربرية ، مضاربها بين قسنطينة وبجاية ، ينظر عبد الرحمن بن خلدون ، العبر ، ج6، ص 149

²-ابن الشماخ -الادلة النورانية ، ص 78.

³-ينظر ابن قنفذ، الفارسية ، ص 143، الزركشي ، تاريخ الدولتين ، ص 48.

⁴-ينظر عبد الرحمن بن خلدون ، العبر ، ج6، ص 391، ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية ، ص 143

⁵-ابن الشماخ ، الادلة ، ص 79

⁶-محمد بن عبيد الله التنسي ، نظم الدور والعقبان في بيان شرف بني زيان ، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان ، تح : محمد بو عياد المكتبة الوطنية ، الجزائر ، 1985، ص 280.

5- عهد "أبي زكريا بن إسحاق إبراهيم:

آلت بجاية إلى حكم الدعي الذي استمر في حكم البلاد إلى غاية سنة 683هـ/1284م)، كان رجلا خاملا سافكا للدماء ، ظالما خسيسا ، بخيلا فاجرا كذابا، مخالفا للوعد، لم يكن يتسم بالوقار والحكمة التي هي من خصال أبناء الملوك، بل اعتمد على التنجيم والشعوذة للوصول إلى السلطة ، لكن حق السلطة والحكم رجع من جديد إلى من هو أحق منه بالملك حيث ثار عليه "المولى أبي زكريا" الذي شارك في موقعه قلعة سنان حيث تمكن من الفرار، وبعد انتشار الفوضى في البلاد الحفصية، نهض ليرجع حكم أجداده إلى بينهم، وبالفعل ألحق هزيمة بالدعي الذي تخلص منه سنة (683هـ/1284م)، ودان بهذا الملك افريقية إليه ولقب نفسه بالمستنصر، أرسل إليه من تلمسان الأمير الحفصي "أبو زكريا" رسالة يدور فحواها حول استرجاع العرش من الدعي ابن أبي عمارة سنة (683هـ/1284م)، يقول فيها لعنه المستنصر بالله: "... وإلى هذا- وصل الله تأييدكم- فقد تعرف الخديم ما سنى الله لدعوتكم السعيدة من علو أمرها وظهورها ، وتمزيق شمل الشقي الغوي الذي دلاه الشيطان بغروره ، فخدع بمحاله ناسا وأدخل على بنيتهم شكا وإلتباسا ، حين اعترى إلى غير مفتراه وأملى الله له ليزداد إثما حتى فضحه ودحره وأخزاه ، فمحا بأنواركم ظلاله ، وأزل عن ذروة ماكان له أن يرتقيها قدمه وتدارك برأيكم الأسد وعزمكم الأشد هذه الدعوة الكريمة فرقع منها و{وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا}، وتجددت الدعوة بأبي حفصها ، وعادت خبرتها إلى نهائها بعد نقصها ، ووضع زمامها في يد الحافظ لها الكالي ، ورجع إليها تعريفها بعد تنكيرها العارض لها الطاري فوجهها مستبشرا طليقا ، وفريقها لا يساميه غرة ولا يساويه ارتياح وهزة بريق وحضرة تونس- مهدها الله- قد أنست به صلاحها ،

1-سورة الإسراء الآية 81

وأدركت ما يسرّ لنا من العافية واقتراحها ، ووصلت بالأمنة التامة مساهما وصباحها ، واهتز منبرها يهفو إليه ولو أطاق لاحترق ...، وما اختاركم الله لجبر هذه الدعوة العلية وتلاقيها ، واسترجاعها من يد ابن أشباع من زوره ماتلا فيها ، ولا أهلكم لرفع هذه البلوى إلا لما أطلع الله عليه من سريرتكم المستنيرة بالتقوى ، ولما أراد من طليعها بكم من حراسة حمامها ، ومضاعفة سانها إلى الغاية القصوى ، خياله صنع شرف مطلعا ، وعدب مشرعا ، وكرم من قلب الإسلام موقعا! هنا الله الحضرة العلية هذا الفتح الذي خرق المعتاد ، والمنح الذي أربى على المنوح وزاد ، وأعلاه ...حظورتكم لديه وأشاد...¹

وبالرغم من هذه الرسالة التي تحمل أحسن وأبلغ المعاني والعبارات الموصولة ، إلا أنه لم يتمكن "الأمير الحفصي عم الأمير "أبي زكريا" من البقاء طويلا في كل أعمال افريقية لأن ابن أخيه تقاسم معه الملك واستولى على الجهة الغربية للدولة الحفصية.

ب-إنفصال بجاية الأول عن الدولة الحفصية (684هـ-

717/1285م1317م):

وبعد مقتل الدّعي، عادت بجاية وبلاد المغرب الأوسط وطرابلس إلى حكم الدولة الحفصية، لكن بجاية ستشهد مرحلة انتقالية، حيث سيتم فصلها عن مركز الخلافة، ويستقل بها الأمير "أبو زكريا"، الذي كان فارا إلى تلمسان في عهد الدّعي وبمساعدة قبائل الداوذة² له ، لم يتمكن من امتلاك بجاية سنة(684/1285م)وليس هذا فقط ، بل زحف إلى قسنطينة فدانت له ، وبإيعه أهل جزائر بني مزغنة وبونة وبسكرة ، وبهذا إستقل "أبو زكريا ابن أبي اسحاق"

¹-أحمد عزوي-المغرب والأندلس في القرن 13/7م ، ص 29.

²-قبائل الداوذة هم من دواد بن مراد بن رياح من القبائل الهلالية ، ويترأسون بطون رياح، يقول فيهم عبد الرحمن بن خلدون: "...امتاز الداوذة بملك ضواحي قسنطينة وبجاية ومجالات الزاب وريغ، ووركلا وماوراءها من القفار في بلاد القبلة" ينظر: العير ج6، ص 33

بالمملكة الغربية عاصمتها بجاية وتلقب "بالمُنتخب" ، وكان حاجبه "أبو الحسين بن سيد الناس الإشبيلي" الذي عاونه في امتلاك بجاية ، وبعد وفاته خلفه " أبو اسحاق بن أبي حي الأندلسي"

لم يكتف الأمير الحفصي" أبو زكريا بن أبي اسحاق: (المنتخب) بإستقلاله ببجاية بل حاول ضم تونس إلى حكمه ، ففي سنة (685هـ/1286م)، نهض بجيش متوجها إلى بقية البلاد الإفريقية ، فحاصر مدينة قابس، وعاث فيها الفساد والخراب، ثم سار نحو تونس التي أخفق في النيل منها ، وضيق الخناق على صاحبها ، فلم يجد أمامه إلا الإستجداد بالسلطان الزياني "عثمان بن يغمراسن" صاحب تلمسان، لم يكن صاحب تونس اختياره عبثا "للسلطان الزياني" ، حيث كانت بينه وبين حاكم بجاية الأمير "أبي زكريا" ، علاقة طيبة ، فلما فر أبو زكريا إلى تلمسان نزل عند السلطان "عثمان بن يغمراسن" ، وبعد القضاء على الدعي ، إستدعى أهل بجاية أميرهم ، فلبى الدعوة ، أما السلطان الزياني حاول أن يمنعه لكنه بدون جدوى أزم الوضع بينهما وخلق عدا، وتصدعت العلاقات بينهما، فإنتشغل صاحب تونس هذا الوضع بينهما ، واتخذ مع السلطان الزياني ضد الامير "أبي زكريا الحفصي"، من اجل إسترجاع أملاك افريقية وإقحام "أبي زكريا" في حرب مع السلطان الزياني، وبذلك يكون قد أبعدته وأشغله.

ج-الهجمات الزيانية المرينية على بجاية:

انفصل بنو زيان¹ عن الخلافة الموحدية ، وكان ولائهم الأول للحفصيين، إذ كان أمراء الزيانيين يبايعون خلفاء الدولة الحفصية¹، اتسمت العلاقات

¹بنو زيان نسبة حسب قول: " هو مولانا أبو عبد الله محمد بن مولانا محمد بن أبي ثابت بن أبي تاشفين بن عبد الرحمن بن أبي حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد بن زيدان سبدو وكسر بن طاع الله بن علي بن يمل بن يزدجن بن القاسم ومن القاسم هذا انتسال جمهور بني عبد الوادي وهم بنو طاع الله وبنو دلول وبنو مطهر وبنو وعزان وبنو معطي وبنو ضمني"

بالحسنة في مراحلها الأولى ، لكن في عهد السلطان "عثمان بن يغمراسن" تغيرت العلاقات بينه وبين "أبي زكريا" ، كما ذكرناه آنفا بل وصل العداء إلى الحرب ورغبة بني زيان حصار بجاية ، وتأديب مالكها . وبعد إنقضاء القرن (7/13م) ، تحرك بنو زيان ابتداء من سنة (686هـ/1287م) نحو بجاية ، فقد إستغل السلطان الزياني "عثمان بن يغمراسن" ، غياب "أبي زكريا" من بجاية ، الذي كان منشغلا في ضم تونس إلى حكمه .

حاصر السلطان "عثمان بن يغمراسن" بجاية ونازلها ، لكنها إستعصت عليه ولم يظفر بها² ، هذا الزحف الذي قام به السلطان ، كان بالدرجة الأولى معاقبة "أبي زكريا" ، وثانيا لمرضاة الخليفة أبي حفص (المستنصر بالله)³ ، وبعد هذا الفشل الكبير لم يتراجع سلاطين الدولة الزيانية في تكرار محاولاتهم لإخضاع بجاية⁴ .

إضطر "أبو زكريا" التخلي عن فكرة إستلاء على تونس ، ورجع إلى بجاية ليحافظ على ملكه والدفاع عن حدوده ، كما لم يكن حصار زياني لبجاية الوحيد الذي واجهته البلدة ، بل تحالفت كل من قبائل الذواودة مع المرينيين⁵ لغزو بجاية⁶ ، وأمام هذا الوضع المزري الذي آلت إليه بجاية ، لم يكن الخيار لأبي زكرياء سوى إبرام صلح مع السلطان "عثمان بن يغمراسن" لتأمين حدوده من

¹-رسائل تهنئة ومبايعة من أمراء الزيانيين إلى الخلفاء الحفصيين ، ينظر أحمد غزاوي تاريخ المغرب والأندلس ، القرن 7 الهجري /13م

²-عبد الرحمن بن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 395

³نفسه ج7 ، ص 94 .

⁴ -Jean chesch, l'algérie passé et présent le cadre et les étapes de la constitution de l'algérie, éditions sociales, paris-02-pp128-129.

⁵-المرينين: " هم أعلا قبائل زناتة حسبنا ، وأشرفها نسبا ، وأغزرها كرما ، وأحسنها شيما ، وأرعاهها ذمام ، وأرجحها أحلاما ، وأشدها في الحروب و إقداما ... وهم من ولد مرين بن ورتاجن ، بن ماخوخ ، بن جديج ، بن فاتن ، بن يدر ، بن عبد الله ، بن ورتيب ابن المعز ابن ابراهيم ، بن سجيح ، بن واسين ، بن يصلتين ، بن مشرى ، ابن زاكيا ، بن ورسيك ، بن زنات ، بن جانا ، بن يحيى... بن عدنان " ينظر ، ابن قنفذ ، الفارسية ، ص 278-279

⁶-عبد الرحمن بن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 313 .

جهة الغربية ، وبالفعل عقد صلحا ، وعادت العلاقات الودية¹ بينهما والمصاهرة مرة أخرى ، لكن بنومرين لم يرضوا بهذا الصلح ، وجهزوا العدة والعتاد وانطلقوا إلى المغرب الأوسط وحاصروا تلمسان عاصمة بني زيان².

توفي الأمير أبو زكرياء³، سنة (694هـ-1245م) وخلفه ابنه "أبو البقاء خالد" فانتقل إلى بجاية واستوزر "يحيى بن أبي الأعلام" هذا فيما يخص الجهة الغربية من المملكة الحفصية، أما القسم الشرقي تونس فتولى شؤونها بعد وفاة الأمير "أبي حفص عمر بن المولى أبي زكرياء" سنة (694هـ-1295م)، الأمير "أبو عبد الله ابن عصيدة" اتسمت أيامه بالهدنة والعافية والسلام لا حرب ، توفي عاشر ربيع الآخر وفي عام(709هـ-1308م)، وكانت مدة ولائه أربعة عشر عاما ولم يخلف أبناء⁴.

بعد وفاة "أبن عصيدة" انتقل الأمير "أبو البقاء خالد" إلى تونس وجمع من جديد بين المملكتين الغربية والشرقية ، واستخلف على بجاية "عبد الرحمن بن يعقوب بن خلوف الصنهاجي" لكن لم ستمر في ولاية بجاية بسبب تأمر الحاجب "ابن عمر" عليه فعقد "أبو البقاء" لأخيه "أبي بكر" على قسنطينة وأوكل معه صاحبه ابن عمر الأندلسي، أما هو فمكث بتونس لكن بقاءه لم يدم طويلا بسبب ظهور الأمير "أبي يحيى زكريا" بن الشيخ أبي العباس أحمد بن الشيخ أبي عبد الله محمد عرف الليحياني " رأى اضطراب الأحوال بإفريقية ، فتوجه إلى تونس"⁵، للمطالبة بالعرش فأرسل "أبا عبد الله المزدوري"

¹ نفسه

² -ينظر: ابن خلدون ، العبر ، ج7، ص 211، يحيى بن خلدون ، بغية الرواد، ج1، ص 125 في حصار تلمسان من طرف المرينين.

³ - كان اميرا... حلما فاضلا، يعظم الفقهاء ، والصلحاء ويبرهم وكانت أيامه هناء وأمن وعدل، ينظر ، ابن قنفذ، الفارسية ، ص 148

⁴ -ابن الشماخ ، الادلة البينية ، ص 83،

⁵ ابن الشماخ، الادلة ، ص 85

محاربا لأبي البقاء¹، وبالفعل استطاع أن يفقد "أبو البقاء" عرشه وسلطته على تونس، فخلع سنة (711هـ-1311م) التاسع جمادى الأولى، واعتقل عامين حتى توفي في شوال عام (713هـ-1313م)²، أما "أبو البكر" وحاجبه "ابن عمر الأندلسي" حاولا إسترجاع بجاية من "ابن خلوف" وتمكنا في الأخير من الغدر به وسلبه ولاية بجاية، بل قتلوه سنة (712هـ/1312م) فاستطاع صاحب قسنطينة وحاجبه من بسط نفوذهما في الجهة الغربية من الدولة الحفصية، وبالتالي رجعت الدولة إلى انقسامها، بعدما خلفا عداً كبيراً مع قبائل الذواودة والزيانيين اللتان كانتا تدعمان صاحب بجاية "ابن مخلوف" ولهذا سيتأزم الوضع بعد قتله، فبعد سنة من دخول "أبي بكر" بجاية شن عليه الذواودة والزيانيون هجمات تهاطلت على بجاية مدة ثلاث سنوات دون الظفر بها³، وفي سنة (718هـ-1318م) تغلب الأمير أبو بكر (المتوكل على الله) على تونس فانتقل بذلك إليها بعدما وحد المملكتين، وبقيى ببجاية حاجبه "ابن عمر الأندلسي" يسير شؤونها، فسرعان ما إستقل بأمورها ولم يكن للأمير "أبي بكر" دخل في شؤونها بل كان له فيها غير السكة تضرب بإسمه والخطبة، وبعدها توفي "ابن عمر الأندلسي" (719هـ/1319م).

تولى في عهد الأمير "أبي بكر" ابنه "محمد" على قسنطينة، و"يحيى" على بجاية والفضل على بونة، وبعث معهم الحجاب والوزراء، والقواد⁴. وفي ربيع الأول سنة (747هـ-1346م) توفي الأمير يحيى بن أبي بكر صاحب بجاية ومن بعده تولى ابنه بعدما أخذ البجائيين الموافقة من جده الأمير أبي بكر".

¹- لسان الدين بن الخطيب، اللوحة البدرية في الدولة النصرية، تقديم وتعليق محمد شايب شريف دار الامل، للدراسات، 2009، ص 137.

²- نفسه، لكن الزركشي، ص 61، ابن قنفذ الفارسية، ص 160، يذكرنا تاريخ وفاته سنة (711هـ-1311م)

³- ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، العبر ج6، ص 326، الزركشي، تاريخ الدولتين، ص 62

⁴- مبارك المليبي، المرجع السابق، ج2، ص 393.

لم يسلم عهد الأمير الحفصي "أبي بكر" من الغارات وهجمات القبائل العربية والدولة الزيانية، هذه الأخيرة التي جددت حملاتها، ففي سنة (725هـ/1325م)، قاموا بفرض حصار عنيف قبل هذا الحصار كان الزيانيون في سنة (712هـ/1312م) قد استولوا على جزائر بني مزغنة التابعة لبجاية الحفصية، فإضطر الأمير "أبو البقاء خالد بن أبي زكريا" أن يعقد مع مملكة الأرغون بموجبه إستئجار بعض السفن الحربية من أجل صد هجمات بني زيان، أرسل ملك أرغون السفن إلى بجاية، هذا الأمر آثار حافظة بني زيان الذين أبرموا معاهدة مع أرغون، حيث أرسل السلطان الزياني "أبو حمو موسى الأول" سفارة إلى ملك أرغون يطلب تأجير بعض السفن وبالفعل بعث له بشبه سفن مجهزة وعليها عمال أرغونيين يعملون في خدمة بني زيان لمدة سنة ويمكن أن تمتد أكثر، كما عاهد السلطان الزياني أن يقدم إمدادات حربية للدولة الحفصية¹ هذه الامتيازات التي قدمها ملك أرغون "خايمي الثاني" للدولة الزيانية ليس من العدم، بل مصدرها مادي بالدرجة الأولى، فهو منفعتة فيمن يدفع أكثر فكان بنو زيان سباقين في الدفع.

توفي السلطان "أبو حمو موسى الأول" سنة (718هـ/1318م)، فخلفه ابنه "أبو تاشفين" الذي سيوطد علاقته مع أرغون ضد الحفصيين، خاصة أنهم ألحقوا عدة هزائم بجيش بني زيان، أما الحفصيون ساءت علاقتهم مع الأرغون بسبب عدم تأدية مبالغ ايجارهم للسفن الأرغونية.

جدد "أبو تاشفين الزياني" معاهداته مع ملك أرغون، فكانت بينهما إتفاقيات ومراسلات كلها تصب في جانب تحرير الأسرى بينهما، ومن جهة أخرى مساعدات الحربية المتمثل في السفن الحربية من أجل السيطرة و حصار

¹-رضوان البارودي، دراسات وبحوث في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس، مركز الاسكندرية للكتاب، القاهرة، 2007، ص 22-23.

مدينة بجاية ، فلدينا وثيقة من أرشيف تاج ارغون¹ فيها إتفاق سار بين أبي تاشفين السلطان الزياني وملك أرغون "خايمي الأرغوني" سنة 1325/هـ725م، من أهم بنودها:

-تبادل الأسرى بين بني زيان والارغونيين.

-تعهد ملك ارغون بتقديم 15 سفينة (جفن) حربية إلى بني زيان تستخدم في حصار بجاية ومدة عملها أربعة أشهر.

-ثلاثون ألف دينار هو مبلغ إيجار هذه السفن

-تعيين قائد الفرقة العسكرية المسيحية يكون عاملاً بتلمسان.

-تخصيص فندق خاص بالبحارة الأرغوتيين.

-وفي حالة عدم دفع تلمسان للأرغون الحربية سيقوم ملك أرغون بتخفيض المبلغ الذي سيحصل عليه الزيانيون في حالة وقوع بجاية في قبضتهم.
-تكون المعاهدة مدتها خمسة سنوات.

-وعند الإستلاء على بجاية يتم إطلاق سراح الأسرى.

-ومائة ألف دينار فقط هو المبلغ الذي يتم تقديمه "السلطان الزياني أبو تاشفين" للأرغون في حالة إخضاعه لبجاية²

وبالرغم من هذه البنود لم يتوصل الطرفان إلى توقيع هذه المعاهدة بينهما بسبب قصر المدة التي حددها السلطان "أبو تاشفين" وغيرها من الأسباب³.

لم يقف السلطان الزياني "أبو تاشفين" فشل الإتفاق الزياني الأرغوتي ، بل نهض سنة (1325/هـ725م) لشن هجوم على الأمير الحفصي "أبي يحيى أبي بكر" لكن رغم الحصارات على بجاية وقسنطينة إلا أنه لم يتمكن من الظفر بملك الحفصيين ، فعاد إلى تلمسان.

¹- ينظر نص الإتفاق الى ملاحقتنا

²- رضوان البارودي ، المرجع السابق ، ص 34-35-36.

³-نفسه ص 37.

أما سنة (726هـ/1326م) نهض من جديد "أبو تاشفين" للإستيلاء على بجاية التي وجه إليها قوات ضخمة لمنازلتها ، لكنها إمتعت عليه ، فلجأ إلى بناء مكان سوق الخميس بوادي بجاية سماه "تامزيردكت"¹، لتجهيز الكتائب ومحاصرتها أكثر ، فاشتد الحصار بها ، نتج عنه علاء الأسعار ، واضطراب الأحوال ببجاية ، لكن ساكنيها صمدوا ، فلم يتمكن "السلطان أبو تاشفين" من مواصلة الحصار لأنه فشل في الحصار الثري الذي فرضه على بجاية لأنها محصنة حصانة طبيعية قوية ، فكان لا بد عليه من حصارها بحرا لإخضاعها ، فأعرض عنها وولى راجعا يقول التسني : "لقد فشلت جهود بني زيان كلها بضم المدينة لممتلكاتهم"².

ومن اجل إبعاد الخطر الزياني على بجاية ، تحالف الأمير الحفصي أبو بكر" مع المرينيين فقد أرسل الوفود والرسل والهدايا إلى حضرة مراکش ، يطلب مساعدة بني مرين³ في ردع بني زيان ولتدعيم أكثر هذا التحالف قام الأمير الحفصي بترويج إحدى بناته إلى أحد أمراء المرينين⁴، فتم الاتفاق بينهما ونهض سنة (732هـ/1331م) لمحاصرة تلمسان ، وبالفعل تم للحفصيين معاقبة بني زيان وكسر شوكتهم.

لكن وفاة "أبي بكر الحفصي" تذبذبت الأوضاع بالدولة الحفصية سنة (747هـ/1346)⁵ ففي سنة (748-1347م) ستشهد بجاية محاولة بني مرين الاستيلاء عليها بعدما تنكروا لكل الوعود والعهود التي كانت بينهم وبين الحفصيين.

¹-عبد الرحمن بن خلدون ، العبر ، ج7، ص 108

²-التسني-المصدر السابق ، ص 284

³-عبد الرحمن بن خلدون ، العبر ، ج6، ص 341،342.

⁴-عبد الرحمن بن خلدون ، العبر ، ج6، ص 332.

⁵-كانت مدة حكمه تسعا وعشرين سنة وشهرين وثلاثة عشر يوما ، ينظر ، ابن الشماع الادلة ، ص 91، ابن أبي دينار،

المؤنس، ص 166.

كانت اول محاولات بني مرين التوجه نحو بجاية وإخضاعها في عهد السلطان "أبي الحسن بن عثمان بن يعقوب" الذي سيطر على تلمسان وعلى وهران وتنس¹، وجزائر بني مزغنة ومليانة سنة (736هـ-1335م)²، وبعدها تم له إخضاع تلمسان سنة (737هـ-1336م) قام ببناء مدينة غرب تلمسان تكون لسكانه وقاعدة لعسكره سماها "بالمنصورة" ثم أخذ في الزحف نحو بجاية وقسنطينة فدخل بجاية.

يصف لنا "الحاج النميري" دخول السلطان المريني أبي الحسن" بجاية فيقول في هذا الصدد: "...وقع عزم مولانا أيده الله على دخول بجاية الآخدة بأهداب الغمام ، الحاكمة طرقها على الجيوش بالإزدحام كان من النظر السديد أن أقام -أيده الله -حتى جازت عساكره المنصورة مواكب بعد مواكب ، وكتائب تلو كتائب، وأمر بحبس حملة الأثقال، وردت عن الطرق قطارات الجمال ، وما أتى كشامخ الجبال من موقرة البغال وأتيم الكفاة للأخذ على أيدي الرجال ، وترتيب الاحوال وأسند لم ذلك العمل حتى امتلأت أباطح الرشد بالفرسان ، وغصت بالدراعين من الشجعان ... وأشخص من الوزراء والخواص من اكتمل في ترتيب القبائل وحفظ نظام الجحافل..."³، وبعدها نزل بتونس وظل بها عامين من سنة (748هـ-750هـ/1347م-1349م)، هذه المدة القصيرة بإفريقية كان سببها إنهزامه بالقيروان ، فانتشر خبر وفاته بالمغرب الأقصى، وعلى إثر هذا الحدث دعا لنفسه بالبيعة ابنه (أبو عنان) ، فبايعه الناس .

¹-تنس بينها وبين البحر ميلان، وهي مدينة مسورة حصينة ، ودخلها قسبة صعبة المرتقى ...وبها مسجد جامع مع أسواق حافلة كثيرة ، ولها نهر يسمى "تامن" يأتيها من جبال القبلة ثم يستدير بها من جهة الشرق والجوف ويصيب في البحر ، وهي كثيرة الزرع رخيصة الأسعار" ، ينظر مؤلف مجهول ، الإستبصار ، ص 133.

²-عبد الرحمن حسين العزاوي، تاريخ المغرب العربي في العصر الإسلامي ، طم، دار الخليج، عمان الأردن 2011، ص 170.

³-ابن الحاج النميري ، فيض العباب وإفاضة قذاح الدباب إلى قسنطينة والزاب ، دراسة وأعداد محمد بن شقرون ، طبعة خاصة، مؤسسة البلاغ والدراسات والبحوث ، الجزائر 2013، ص 263

اما والده بعدما حوَصر بالقيروان تمكن من الفرار إلى سوسة ثم إلى تونس ثم زحف إلى الجزائر بني مزغنة فركب أساطيله وعدتها ستمائة مركب في شهر شوال سنة (750هـ/1349م) متجها إلى المغرب لكنه لم يتمكن من الوصول إليها سالما ، بل تارت العواصف وهاجت الأمواج ، فمزقت معظم أجفانه التي كانت تحمل نجفة كبيرة من أهل العلم و الأدب ، وتمسك هو بلوح فنجا، وعند وصوله إلى البلدة وجد ابنه "أبا عنان" قد استولى على عرش دولة بني مرين، فدارت بينهما خلافات ، كانت نهايتها نهاية حياة السلطان المريني "أبي الحسن" سنة (752هـ/1351م)¹ ، الذي مات متأثرا بجروحه.

نهض السلطان "أبو عنان" بعد وفاة والده سنة (753هـ/1352م)، إلى تلمسان ليكمل ما بدأه والده ، فسيطر عليها وقتل "الأمير عثمان الثاني" قم قتل أخاه "الأمير أبا ثابت" وبعدها دانت له تلمسان ومدن المغرب الأوسط توجه إلى بجاية ، ومن بين ما أراد تحقيقه ببجاية حسب قول "ابن الحاج النميري": "وكان من قصد مولانا -أيده الله- أن تتلاقى على بجاية جيوش البر وجيوش البحر، ويقاوم الإسلام منهما يمين هائلة على الكفر، وشمال حاكمه على الأعداء بالقهر... ولم يكن إلا أن وصل الأسطول إلى مرسى بجاية..."².

بدأت التهاني تتهاطل على السلطات "أبي عنان" بعدما دانت إليه بجاية ، فقد أرسل سلطان الأندلس أبو الحجاج³ رسالة إلى "أبي عنان" يقول ابن الخطيب: "وجرت بين هذا السلطان (أبي عنان)، وبينه المخاطبات والمراسلات وسفرت إليه عنه ، و اتصلت أيامه إلى آخر مدته"⁴، وهذه واحدة من الرسائل

¹-أبي عبد الله محمد الانصاري ، فهرست الرصاع ، تح العنابي ، المكتبة العتيقة تونس ، ص 30، ابن الشماع ، الادلة ...، ص 52.

²-ابن الحاج النميري، فيض العباب ... ، ص 269، 270

³-هو يوسف بن اسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن ناصر الانصاري الخزرجي أمير المسلمين بالأندلس يكنى بأبا الحجاج، تولى الملك 13 ذي الحجة عام (734هـ/1333م)، وكان عمره خمسة عشرة عاما وثمانية أشهر : ينظر ابن الخطيب، اللحة البدرية في الدولة النصرية ، ص 199، 200

⁴-ابن الخطيب -اللحة البدرية في الدولة النصرية - ص 208.

التي وصلت إلى السلطان المريني ، وهذا بعض ماجاء فيها: "... اتصل بنا أن مقامكم خطب مدينة بجاية فألقت المقاد ، وراجعت الاعتقاد وأن من كان لنظره أمرها ... أذعن للحق وانقاد ، ثم تخللت المراوضة أمور وحدث في أثناء الوصل نفور، وللحق من بعد الاحتجاب سفور ... فلما ورد رسولنا على بابكم وقد عني بكشف المشكل ... عرفنا بالفتح الذي تشمخ به الأنوق وتبسم لمسرتة السيوف، وترتاح لعزه الجياد الجرد، وتتأود لذكره الرّماح الملد، فتح بجاية حرسها الله.

وما بجاية إلا باب الشرق ، وذات الأصالة بواجب الحق ، ومن لها في ميدان افتخار البلدان قصب السبق، العتيقة البناء، السامية الميناء، الأنيقة البقعة ، الخصيبة الرقعة ، دار السالة ، على طول المّة ومقل الملوك عند الشدّة، أزرت على القواعد بزيرها ومنادها ، وباءت بباديسها وحمّادها، وصابرت الأزمات على طول أمادها... دار الجياد المجنوبة، والأساطيل المرهوبة ، ومرق السفن ومحط الرّكاب وملتقى جوابي البيداء وخائطي العباب، تهوي إليها أجنحة الشراع شارعة وتبتدرها قوافل السفن مسارعة ما بين مخبرة عن مدينة الإسكندر، ومطرفة بأبناء رومة بني الأصفر، وصادرت عن السواحل العكية ، ومدثة بغرائب التركية وشاكية أليم الكرب، وناجية من ظلمة لقابس الغرب ، لأقت اليد إلى طاعتكم على شهرة إبانها وشماسها ... وأصبح ملككم مطلا على ماوراءها من الجهات ... وإن كانت قد بدأت نفاراوتيتها ، وعاودت عادة تجنيها، فالتيه من عادة الغادة ... فقد كانت خجلة من نشوزها المتقدم ... معترفة بحقوق من سلف لكم من كريم السلف، مستدركة مافاتا في أيامكم السعيدة المستقبل... فلما تحققتنا من هذا الخبر ... قلنا تحصل الأمل، ولما تبث الحديث وجب العمل، وهذا أمر لنا فيه الناقة والجمال ، إذ فتح الله على من نؤمل نصره فعلينا فتح ... الآن أمكن الاستعداد ، وتيسر الحج، وبعده -إن شاء الله- يتيسر الجهاد،

فأعطينا السرور به ما شاءه ... وبادرنا بتوجيه من يؤدي عنا حق الهناء بهذه الآلاء...¹.

وبعد سقوط بجاية في ملك السلطان "أبي عنان" ، تفقد أحوالها وشؤون رعيتها يقول ابن الحاج النميري، أن السلطان المريني دخل قسبة بجاية وقصرها "الذي تقاصر عن أدنى مباني الغرب وتضائل تضاولاً دون قصوره التي هي منية النفس والقلب" ويقول أيضاً: "واستقر جلوس مولانا -أيده الله- بالرياض الجديدة ، وهي التي أخذت من الحسن بطرف، وحازت من بدائع الغرب ببعض طرف"²، وبعد إنتظام الأحوال ولى "أبو عنان" راجعاً إلى منصوره فبقيت بجاية تابعة للمرينيين إلى أن سلمها السلطان "أبو سالم المرني" للأمير الحفصي "أبي عبد الله محمد سنة (760هـ/1359م)، الذي أنكر الصنيع بها بحيث يذكر لنا صاحب زهرة البستان في دولة بني زيان : "...أنه لما صرفه السلطان أبو سالم ببجاية هذه ، أنكره أهلها لسوء رأيه وبلوه، لأن هلاكهم كان على يديه ووقعهم في المحذور، وكان منه والله سعي في جلائهم عن البلاد... فرق برأيه جمع أهل التوحيد، وأعطى صفقة يده للبيعة من غير إبراق ولا ترعيد، وأعطى بجاية لأبي عنان وهو لم يكن له عليها من سلطان"³، من خلال هذا النص يتبين لنا أن أحوال سكان بجاية ساءت بعدما توفي الأمير الحفصي "أبي عبد الله محمد" شؤونها ، فأجمع أهلها على قتاله وعدم مولاته ، فخرج الأمير من بجاية مطروداً مصخوراً ، قاصداً "طائفة من العرب رياح،

¹-ينظر : ابن الخطيب، ربحانة الكتاب ونجعة المنتاب، تح ، محمد عبد الله عنان، م1، ط1 مكتبة الخانجي بالقاهرة - 1400هـ-1980، ص 229-234، نفسه، كناية الدكان بعد إنتقال السكان ، تح ، محمد كمال شبانة ، ط1- مكتبة الثقافة الدينية، 1423هـ 2003م ، القاهرة ، ص 114، 121، أحمد عزاوي ، الغرب الإسلامي في أواسط القرن الثامن الهجري (القرن 14م)، دراسة تاريخية لديوانيات ربحانة الكتاب لإبن الخطيب ط1 مطبعة الرباط نيت المغرب 2008، ص 68،

²-ابن الحاج النميري ، يرض العباب ، ص 268

³-مؤلف مجهول، زهرة البستان في دولة بني زيان 760هـ-746هـ/1359م-2363م تق: محمد بن أحمد باغي -السفر الثاني- ط1- شركة الأصالة للنشر والتوزيع ، الجزائر العاصمة -1432هـ/2011م- ص 373

يطلب منهم النصر على بجاية للكفاح"¹، لكنه هزم وفرّ الأعراب من حوله، فأرسل حاجبه "أبا زكريا يحيى بن محمد بن خلدون التونسي" رسولا إلى السلطان الزياني "أبي حمو"²، يطلب منه النصر والحماية³.

وبعد إستقباله لحاجب الأمير الحفصي "عبد الله" قبل عرضه رغم الخلاف الذي كان قائما بينهما المتمثل في أن الأمير "عبد الله" أستغل فرصة انهزام السلطان الزياني "أبي حمو" في معركة البطحاء، فإستولى بدوره على منطقة دلس. يقول في هذا الصدد صاحب زهرة البستان عن قبول السلطان الزياني إستقبال الأمير الحفصي "عبد الله" "... أقبلت له الأيام خادمة ، وانقادت له أبناء الملوك راغمة جاءه هذا الأمير أبو عبد الله، وقد صدر منه ماصدر ..."⁴.

وتحت ضغوط سياسية و عسكرية ، إضطر صاحب بجاية أن يتنازل عن دلس للسلطان الزياني سنة (767/1365م).

أما مدينة بجاية سنة (767/1366م)، تمكن الأمير الحفصي "أبو العباس أحمد" أن يضمها إلى ملكه وطاعته⁵، وبعد امتلاكه لإفريقية وضمه من جديد مدنها وأكوارها ، عين "الأبي يحيى"، كما شهد عهده الأمن وأنه حسن من أوضاع مدنه ورتبها، وعمل أيضا على إخماد وقطع دابر العرب وأرجع الأمور إلى نصابها⁶، وفي عام (795/92-1393م) توفي بحضرة تونس بعد الجمع بين المملكتين (الغربية والشرقية)، وستبقى الدولة الحفصية على هذا الحال إذ

¹- نفسه، ص 373-374.

²- ينظر: مؤلف مجهول، زهرة البستان ، ص 199، عبد الحميد حاجيات، أبو حمو الزياني وأثاره ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982م-114.

³-مؤلف مجهول، زهرة البستان ...، ص 360.

⁴-نفسه، ص 373.

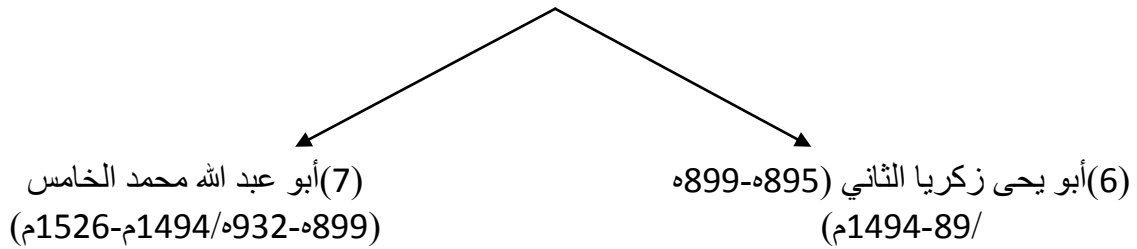
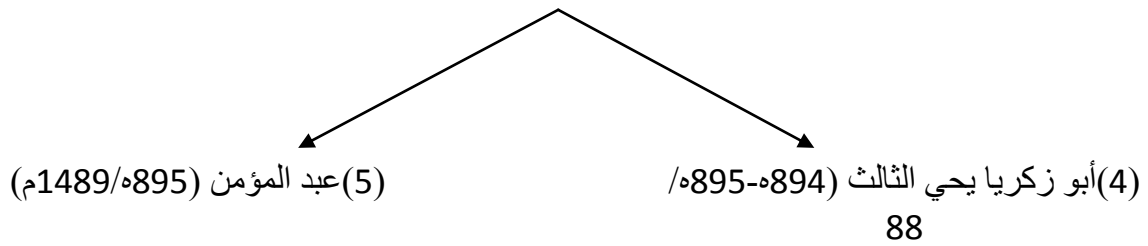
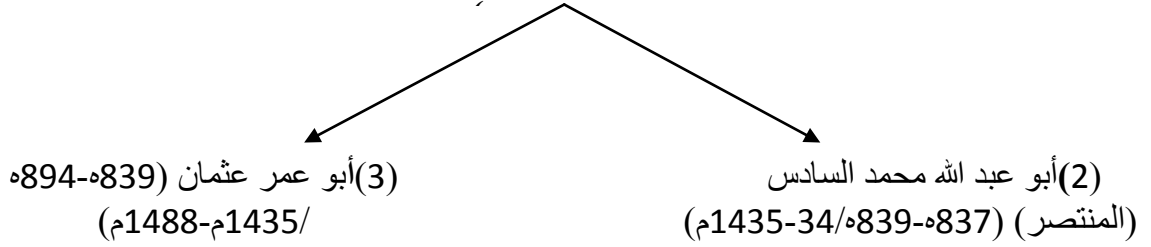
⁵-Mahfoud kaddache, l'Algérie médiévale, deuxième édition Alger, 1992,p165

-أحمد عزاوي ، الغرب الإسلامي في أواسط القرن الثامن الهجري (القرن 14)، ص 69

⁶-ابن الشماخ ، الأدلة ، ص 110

تولى عليها العديد من الأمراء، شهدت عهودهم ما يعرف بالمدّ والجزر في الأوضاع الداخلية للبلاد والأوضاع الخارجية .

(1) الأمير أبو فارس عبد العزيز (796-837هـ/139-1435م)



- هذا الجدول يبين بجاية بين الولاء الحفصي والإنفصال:

السنة	وضعها	السبب
675-626هـ 1277-1229م	الولاء للحفصيين	ضم الأمير الحفصي "أبو زكريا" بجاية إلى ملكه بعد انفصاله عن الدولة الموحدية
718-675هـ 1318-1277م	الإنفصال	-استقلال الخليفة "أبي زكريا ابن أبي إسحاق ببجاية، وعليه انقسمت المملكة إلى قسمين (القسم الغربي والشرقي)، ثم

استمر بإنفصالها من إبنه الخليفة "خالد ابن البقاء"		
-محاولة بني عبد الواد (الزيانيين) السيطرة على بجاية وضمها إلى ملكهم	ولاء مهدّد	718هـ-748هـ 1318م-1347م
-دخول بجاية في حكم المرينين بعد محاولات عديدة ومنافسة قوية.	الإنفصال	748هـ-772هـ 1347م-1370م
-قام السلطان "أبو سالم المرني" بتسليم بجاية إلى صديقه الأمير الحفصي "أبي عبد الله محمد سنة 760هـ-1359م	إستقلالها	761هـ-765هـ 1360م-1364م
-تمكن الأمير الحفصي أبو العباس أحمد " من ضم بجاية إلى امارته سنة 767هـ-1366م -توالى على حواضر الدولة الحفصية عدة أزمت لكنها كانت داخلية متمثلة في توارث الأعراب والخلافات بين الأمراء الحفصيين لكن بقيت بجاية تحت الحكم الحفصي.	الولاء للحفصيين	767هـ-1366م 772هـ-1370م
بعد مسيرة طويلة مع الصراع الزياني الحفصي والمرني الحفصي حول بجاية ، إنتهى بروجوع بجاية إلى ولائها للحفصيين خاصة أن بني مرين تعرضوا إلى الغزو البرتغالي	الولاء للحفصيين	772هـ-839هـ 1370م-1435م

ساعات الأحوال ببجاية كبقية المدن الحفصية ، بسبب كثرة القرصنة على ساحلها والخلافات التي كانت بين الأمراء الحفصيين هذا ما شجع الأسباب على غزو بجاية وإخضاعها لسلطتهم.	الإنفصال	915-1510م
---	----------	-----------

د-أسباب تراجع الحكم الحفصي ببجاية :

من بين هذه الأسباب نجد : اقحام العنصر الأندلسي في الحكم بدلا من إستمرارية العنصر الهنتاتي ، هذه النخبة الأندلسية كان لها تأثير قوي لدى الحفصيين ، فمنهم الحجاب ببجاية كأبي عبد الله محمد بن سيد الناس (721هـ-727هـ-1321-1327م) والوزير المستنصر "أبو عثمان سيد بن أبي عثمان الذي اتهم بالثراء غير الشرعي¹، بعد اختلاسه للأموال. هؤلاء وغيرهم إستغلوا جاههم ومكانتهم السياسية ، للحصول على أموال ونهب أملاك الدولة وهذا ما أثر على الوضع الاقتصادي لبجاية، كما شجع سكانها على التمردات والثورات الداخلية.

كانت ثورة الدعي بمثابة ضربة قوية على الكيان الحفصي في جميع حواضره هذه الثورة أزهدت المجتمعات الحفصية وبجاية واحدة من هذه التركيبية فقد مسها الذعر واللا نظام والبطش و الاستغلال، كما تعود سكان بجاية على الإنتفاضة مثلما فعلوا "بادريس الغافقي الأندلسي" حين قتله دون استشارة أو رجوع إلى الدولة ، فهذا الأمر بحد ذاته إنسلاخ غير مباشر من السلطة ناهيك عن كثرة التصادمات والاختلافات السياسية بين آل بني حفص

¹-salah baizig, « l'élite andalouse à Tunis et à bougie et le pouvoir hafside, » Mélanges de l'école française de Rome moyen âge » tome 115-2003-1- Roma, p534.

على العرش واعتمادهم في هذا الصراع على القبائل كقبيلة الدواودة وبني رياح وزناتة وغيرهم ، ماجعل الشرخ بينهم يكبر ويتسع أكثر.

أضف إلى الهجمات المتكررة لبني زيان وبني مرين على بجاية ، والقرصنة البحرية المسيحية من جهة أخرى أدت إلى إضعاف وتراجع القوى الحفصية ببجاية التي ستعرض للغزو المسيحي الكافر الإسباني سنة 915هـ-1510م.

و-الغزو الإسباني لبجاية (5 جانفي 1510م-915هـ):

الحروب الناشئة بين دول المغرب الإسلامي (المرينية ، الزيانية ، الحفصية) وسقوط غرناطة آخر معاقل الأندلس 1492م ، وانتصار الأسبان¹، على القوى المسلمة بها ، وكثرت الفتن والثورات الداخلية بين الأعراش والقبائل ورؤساء الطوائف والجماعات ، والتوافد الكبير للهجرات الأندلسية على شمال المغرب الإسلامي، والنزاع المسامر بين أبناء بني حفص على السلطة ، وكذا تأمر أعراب بني عامر² مع الأسبان في احتلال وهران إذ كان معظم جند الأسبان منهم ، بالإضافة إلى التقسيمات والفوضى والضعف العسكري للمسلمين كان بمثابة نقطة قوية بالنسبة للإسبان ، وهكذا انفلت زمام الأمر في تسيير شؤون الدول الإسلامية المغربية لدى الكثير من الحكام ، أضف التضخم السكاني الذي أفرزته الهجرة الأندلسية على مدن المغرب الإسلامي حيث خلق نوعا من الفوضى والإرتباكات كل هذه العوامل والدوافع حفزت

¹-الإسبان فرقة من الروم (الرومان) وهم البرنطيون في القديم ، وليس من الفرنج الذين هم من قبيلة جرمانية، إستوطنوا فرنسا ، وسميوا بالإسبانيين نسبة لإسبانيا بقطع الهمزة المكسورة ، ينظر : عبد القادر المشرفي الجزائري ، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر، تحقيق ، محمد بن عبد الكريم ، ص 09

²-بني عامر نسبة لجدهم الأول عامر بن صعصعة ، وهم من القبائل العربية وهي أحد بطون هوازن بن منصور بن عكرمة بن زبيد بن حفص بن قيس ابن غيلان ، وفي عهد الفاطميين قدموا إلى المغرب الأوسط (الجزائر)، ينظر : عبد القادر المشرفي الجزائري، بهجة الناظر ، ص 8-9

الإسبان في التعجيل من الغزو واحتلال الساحل الإفريقي، وهذا من أجل تحقيق رغبتها المتمثلة في:

1-إعادة أمجاد المسيحيين في شَن حرب صليبية من أجل تمسيح شمال إفريقيا ، خاصة أن القس (سان فرانسيسكو) قبل مائة سنة كان حلمه تمسيح شمال المغرب الاسلامي ، فالراهب (Ximéns) " خمينث " أخذ على عاتقه تحقيق حلمه القس ، وبالتالي تتوسع حدود المسيحية.

2-الحرب ضد المسلمين هي كفاح ديني حسب قول الملك فردينان أنه يكافح من أجل وفي سبيل الرب، وهذا للحفاظ على الدين المسيحي¹.

3- اعمار مدن سواحل المغرب الإسلامي كمدينة وهران وبجاية وتونس وطرابلس بصبغة معمارية مسيحية، وجعلها مؤسسات تابعة للأسبان².

4-استغلال الطاقات البشرية ، والثروات الطبيعية لصالح المملكة الإسبانية لاسيما مدينة بجاية تحوي على آليات طبيعية قوية، فضلا عن مرساها المشهور تجاريا.

5-الرغبة في السيطرة على حوض البحر الأبيض المتوسط ومنافسة العثمانيين.

6-هذا الغزو يحررهم من دفع الجزية التي كان يفرضها عليهم ملوك بني حفص فبدأت الاستعدادات الإسبانية لشن حملة واسعة النطاق، وبعد مباركة البابوية لهذه الحملة ، استعد الكاردينال " خمينث"(Ximéns) الذي تولى مقعد الأساقفة، للتحرك ضد المسلمين ، علما أنه المحرض القوي لهذه الحملة وقبلها جمع الأموال ونظم الأساطيل الحربية وجهاز التجهيزات، بعد مادعا كل الكنائس

¹ -Fernand Braudel, les espagnols et la bérubérie de 1492 a 1577, Beleslettres, Algérie, 2011- p22.

² -Don francixo zavala, Bandera espanola Argelia 1500 à 1791, imprenta de Gojossoy G'Galeria de la esposicion, 1885- Argel, p38-39.

أن تمده وتدعمه ماديا ، فتم بيع بعض الكنائس الصغيرة والأواني فضية لدعم حملته.

في سبتمبر سنة 1505 خرج من "ملقا" أسطول متكون من ستة ربان وعدد من سفن النقل ، التي أرسلها الملك "فرنادو" "Fernadou" إلى السواحل الإفريقية تحت أوامر القائد "ريمندوا كردوم" هذه الحمولات والتجهيزات كانت متوجهة نحو مرسى الكبير و بعد حصار دام 50 يوما ، مات على إثره حاكمه بقذيفة مدفعية، ما سهل دخول الأسبان المدينة ، وبعدها زحف الأسبان إلى أسوار وهران ، وعند تصادم العرب والأسبان وقعت مذبحة كبيرة فر المحافظ .. إلى إسبانيا يطلب التعزيزات.

وفي 16 ماي 1509 توجه الكاردينال "فرنسيسكو" Francisco إلى وهران لإتمام غزوها ، فهو من بين المتأثرين بأقوال الملكة إزابيل الكاثوليكية الداعية إلى ضرورة الغزو الفوري لشمال المغرب الإسلامي ، والكفاح من أجل الديانة المسيحية ضد الخونة.

خرج الأسطول مكونا من 33 سفينة و06 سفن شراعية حربية ، وصل إلى مرسى الكبير في الغد ثم زحفوا نحو وهران، أين استطاعوا أن يستولوا على النقاط العليا التي كان يدافع عنها العرب، ثم أنزل الأسطول كل بحرية وبدأت نار المدافع تضرب ضد المدينة ثم ثبتت الأسلحة كسلام على الأسوار للدخول المدينة وفتحت أبوابها فدخل الجيش وتم الإستلاء عليها ، وأطلق سراح 300 أسير مسيحي¹.

وعلى إثر هذا النصر الإسباني وزعت الغنائم على الجند ، ونقلت الهدايا القيمة إلى الملك "فرنادو" Fernando بغرناطة ، أما الكاردينال فاكتفى بأخذ الكتب، وبعد الاستيلاء على وهران ، حاول الكاردينال خمينث xiemenxe

¹ -Don francisco zavala, Bandera espanola, pp44-54.

بإقناع أعضاء المجلس بضرورة متابعة الغزو الذي يعود عليهم بمكاسب كبيرة¹ وهذه المرة الوجهة نحو بجاية.

بجاية أسندت مهمة الولاية ، بتعاقب أمراء بني حفص ، تولى الأمير " عبد الله " حكم الدولة الحفصية لكنه خلع من طرف عمه الأمير عبد الرحمن وزج به في السجن ، أما ابنه عبد العزيز كان واليا على بجاية²، واستمر في الحكم إلى غاية زوال القوى الإسبانية بها.

يقول جان ليون : عن أهل بجاية في الفترة التي سبقت غزو الأاسبان لبلادهم أنهم: "... على قدر كبير من الغنى، فكانوا يسلحون المراكب والسفن الحربية ، ويرسلونها لغزو سواحل إسبانيا ، وهذا ما أدى إلى سقوطها ، وحفز "الكونت" بيدرو نفارو" ، على غزوها واحتلالها..." ويقول أيضا: "... وأهل بجاية رجال لطيفو المعشر ميالون إلى المرح والرقص والموسيقى ، ولا سيما الأمراء الذين لم يقووا على محاربة المخلوق، ولقد تجلى خورهم عندما جاء الكونت "نفارو" ومع بعض السفن من سفن النقل (سفينة كانت تنقل 8000 رجل)، فقد لاذ حينئذ جميع السكان والملك على رأسهم ، بفرار إلى الجبل حاملين معهم كل ما يملكون بدون أن يمتشقوا حساما فاحتل الكونت "نفارو" المدينة ونهبها .."³ وعليه القرصنة البحرية التي كان يتعاطاها البجائيون من بين أسباب الاحتلال الإسباني لبجاية ، وكما ذكرنا سلفا الموقع الاستراتيجي الهام الذي تتربع عليه بجاية من ضمن محفزات السطو عليها فغزو بجاية كان

¹ -Mouloud gaid, Histoire de bejaia et de sa region depuis l'antiquite jusqu'à 1954, (Algerie : SNED 1976,p115.

² ينظر :

-El infante donfernando de bugia vasallo del emperado, valeriano sanchez Romos, 2008-p344, Beatriz alonso Acero, sultanes de berberia en tierras de la cristiandad exilio musulmán, conversion yasimilacio, en la monarquia hispanica (siglos xvii-xviii), alboranbellaterra, edicions bellaterra, 2006 barcelona, espanap 133.

³-جان ليون ، قصة الحضارة في افريقيا جغرافية وتاريخ تلمسان وبجاية وتونس ونوميديا والشمال الإفريقي، ترجمة نور الدين قورصو، دار الكتاب الحديث القاهرة ، الكويت، الجزائر 2011-ص 422-423.

مخططاً له مسبقاً من طرف الملك "فردينال"، الذي أرسل إشعاراً رسمياً لقواده بأنه ستتم عملية حربية لغزو بجاية، أرسلت يوم 18 نوفمبر 1509¹، وبموجب هذا الإشعار السري، بدأ "بيدرو نفارو" يتأهب لحملة جديدة بعد حملة مرسى الكبير ووهران، التي خلفا بها أبشع الجرائم وأفضعها، وهذه المرة سيعد في كتمان شديد، ليتمكن من شن هجمة على غرة لسكان بجاية حيث يكون الدخول سهلاً في غياب الاستعدادات البجائية، التي لم تتسرب لديهم أنباء الاستعدادات الهجوم. عليهم

وفي 30 نوفمبر 1509م خرج بأسطوله من مرسى الكبير مدعياً العودة إلى إسبانيا، لكن وجهته كانت إلى جزر البليار، أي أرسى بسفنه ينتظر الفرصة المناسبة للإقلاع نحو بجاية، مر شهر ديسمبر، وبمجرد إنتهائه جاءته الإمدادات والتعزيزات من إسبانيا²، للانطلاق بحملته المشؤومة، التي ستفرز نتائج وخيمة على مدينة العلم و الفن والإبداع وتاريخ بجاية.

بينما كان الأمير الحفصي "عبد العزيز" ومعظم جيوشه في قسنطينة، حطت بميناء بجاية عشرون سفينة وعشرة آلاف جندي من المشاة ومدفعية ضخمة وعتاد وسلاح متنوع³، بقيادة بيدرو نفارو في 05 جانفي (يناير) 1510⁴، عند طلوع الشمس، فنبلت المدينة من قبل البحرية، وبدأت المشاة

¹ -Miguel José deya Bauza, Entre la toma de Oran y los pactos con Argel : las Baleares y la conquista de Bugia in Oran Historia de la corte chica (Madrid : Ediciones Polifemo 2011- p61.

² -أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792 وثائق ودراسات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 120.

³ -ينظر : أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، ص 120،

أما يذكر 15 سفينة و 14 ألف جندي، Mouloud Gaid, Histoire de Bejaia, p 115

وعشرون سفينة و 4000 جندي يذكرها El infante don fernande de bugia vasallo del emperador, p344

⁴ -ينظر إلى تاريخ احتلال بجاية:

-Beatriz Alonso Acero, Sultanes de Berberia en tierras de la cristiandad exilio musulman, conversion..., pp125-133,134.

بالإنزال عند ضريح سيدي عيسى السبوكي على مشارف واد القردة، هذا الأخير كان سكينه الأندلسيين المهاجرين من مدينتهم الأندلسية غرناطة عند سقوطها سنة 1492م فالأمير الحفصي "عبد العزيز" قام بإنزالهم في هذا المكان ، لعدم وجود فراغ داخل مدينة بجاية¹.

فاستعد سكان بجاية للدفاع عن مدينتهم ، خاصة أنهم سمعوا بنكبة وهران وما لحقها من خراب ودمار على يد هؤلاء الكفرة مدينة بجاية تكثر فيها الجبال الخصبة ، التي اتخذها سكانها أماكن يحتمون فيها من الأسباب من جهة ، ويواصلون الجهاد والدفاع عن مدينتهم من أعالي مرتفعات الجبال ، كجبال "قورايا" التي تسلقت إليها فرقة تتكون من عشرة آلاف رجل² لكي تمنع القوات الإسبانية من التوغل أكثر إلى البر. تبادل البجائيين والأسبان طلقات النار ضربات المدافع ، وبعد معركتين مع الأمير عبد الرحمن ، بجاية باتت تحت سيطرة الإسبان الذين تمكنوا من مد أخشابهم المهيأة للنزول بين السفن والساحل بعدما أصدر "بيدرو نافارو" آخر إنذار للأمير عبد الرحمن" للتخلي عن المدينة وإن خالف هذا يستمر "نافارو" بإطلاق النار³.

وبالرغم من تهديدات "نافارو" إستمر البجائيون في الدفاع وقاموا بإرسال الصبية والنسوة إلى مدينة جيجل التي كانت أكثر أمنا من بجاية ، أما

-sir Gadfrey fisher, le gende de barbaresque guerren commerce et piraterie en A1frique du Nord de 1415 a 1830, traduit et Annoté, par farida hellal, office des publications universitaires, Alger, P69.

-Mahfoud Kaddache, l'algerie medievale, p 183.

-Gilbert meynier, l'algerie cœur du maghreb classique de l'ouverture islamo-arabe au repli (698-1518), le découverte, paris, p 305.

¹ -Mouloud gaid, histoire de bejaia, p115.

² -أحمد توفيق المدني ، حرب الثلاثمائة سنة ، ص 120

³ -ينظر ، نفسه ، ص 121.

-Mouloud Gaid, Histoire de bejaia, p 115.

"نافارو" قسم جيشه إلى أربعة فرق توزعت نواحي قورايا والبعض منها داخل المدينة العتيقة¹.

لم يكتف "نافارو" بالتكتيك العسكري ، بل اتصل بالأمير المخلوع عبد الله" (الأمير الشرعي للبلاد)، وتحالف معه ضد الأمير عبد الرحمن²، من أجل إخضاعه والقضاء على وجوده الذي يغرز أكثر في استمرارية سكان بجاية في الدفاع عن مدينتهم الأمير" عبد الله " بدأ يخضع ويحرض سكان بجاية على التمرد ضد عمه عبد الرحمن ، أما الأمير "عبد الرحمن" راح يبرم اتفاقيات مع قبائل الجبال من أجل مقاومة الأسبان وابن أخيه (الأمير عبد الله)، وبالفعل استمرت الضربات فعجزت القوى من التقدم أكثر، امام هذا التعصب ، قام "نافارو" بإيقاف الهجوم وبعد رجوعه إلى بجاية ، أخذ الكاردينال "أوليفتوا" شخصيا إدارة الصراع ضد الأمير "عبد الرحمن"، حيث غزاه ب500 جندي ليلا في أعالي الجبال المجاورة أين كان يقبع الأمير "عبد الرحمن"³، طال مدة 21 ويوما إلى أن وصل الأمير أبو فارس نجل الأمير عبد العزيز، ومعه إمدادات بقيادة أخيه عبد الله أبو أحمد بن اسماعيل وقواد آخرون، قام الإخوة بتوجيه قوتهم نحو موقع تواجد العدو (سيدي عيسى)، لكن هذه المحاولة في الإنقاذ وإسعاف المدينة باءت بالفشل، حيث سقط 4555 جندي من صفوفهم بما فيهم الأمير أبو فارس وأخوه عبد الله...بين ببابي، باب السادات وباب أميسون في مارس 1510⁴.

¹-أحمد توفيق المدني ، حرب الثلاثمائة سنة ، ص 121

²-El infante don fernando de bugia vasallo del emperador, p 344.

³-Valeriano Sanchez Ramos, el infante don fernando de bugia vasallo deemperador, p345

- 520 جندي هو العدد الذي ذكره : Mouloud Gaid, Histoire de bejaia,

⁴-Mouloud Gaid, histoire de bejaia, p116.

وبعد معارك طويلة خاضها سكان بجاية ضد الأاسبان لمنعهم أكثر من التوغل بالمدينة ، لم تستمر هذه القيادة والعزيمة طويلا ، كانت نهايتها الانسحاب وعلى رأسهم الأمير " عبد الرحمن " بعدما كبدوا الأاسبان خسائر فادحة ماديا و بشريا ، قام الكاردينال "نافاروا" بإرسال الأمير "عبد الله" ليتفاوض مع الأمير "عبد الرحمن" على مجموعة من التوصيات والشروط الآتية:

- 1-التوقيع على معاهدة الصلح مع "الأمير عبد الرحمن" بدون إعلانه ملك على بجاية بل على أماكن أخرى تابعة للأاسبان.
 - 2-إجبار "الأمير عبد الرحمن" بتسديد غرامة مالية، لتأكيد حالة التبعية.
 - 3-الإخلاء الكامل للمدينة مثله كل المدن الساحلية (وهران) ومن بعد تونس طرابلس.
 - 4-إجبار المقاطعة على أن تمول من مواردها الخاصة وأن يكون التمويل في الفائض الإنتاج موجهة للعاصمة¹.
- وبهذه الشروط سقطت بجاية سقوطا كاملا، وبذلك تحققت رغبة الأاسبان في الإستلاء على أهم وأكبر حواضر المغرب الإسلامي ، التي خطط لها الأاسبان منذ القرن (7-13م) في تمسيحيها والقضاء على معالمها الإسلامية، وتعميرها بالمسيحيين حسب ماجاء في رسالة "الملك فردينال" التي أرسلها إلى قائده "بيدرو نفارو" ، بعد أن طلب نافرو" المواد الغذائية و 300 عامل و 1000 رجل لحواسه بجاية ، لكن في دورة المجلس المنعقدة في 21 فيفري 1510 رفض إرسال 1000 رجل لبجاية وإكتفوا ببعث 300 حرفي، إلا أن

¹-Mouloud Gaid, Histoire de Bejaia, p117

"نافرو" ألح في رسالة ثالثة أن يرسل إليه الإمدادات اللازمة لأن المؤونة في نقصان مستمر¹.

وفي شهر ماي 1510م أرسل الملك "فيرناند الكاتوليكي" رسالة إلى "بيدرو نافرو" جاء فيها:

"...بيدرو نافرو (*Pedro navarro*) نقبنا العام ومستشارنا في حوزتنا رسائلكم الثلاثة المؤرخ في شهر ماي ، وفي يوم 13 أصدرتم عن طريق (فلوسينا) وفي الخامس من نفس الشهر أصدرتم مراسلة من طرف "*Miguyl vollree*" خادم لدى الدائرة الملكية.

لقد أعطينا الأمر إلى "*Atonso sanchez*" بشحن من (فلوسينا) ألف (1000) كيس من القمح وإرساله إلى بجاية ، وتتلقون في نفس الوقت فطيرات وكعك مصنوعة من القمح ، تعطي لـ 15 يوم على الأقل وإطعام 8000 فرد كما أرسلنا أيضا إلى (ملقا) حيث طلب بإلحاح من المحاسب "... بتزودينا بكل المؤمن ... أما نائب الملك (بصقلية) أرسل إلينا قائلا أن كل شيء جاهز.

أما فيما يخص الميثاق المبرم مع الأمير (مولاي عبد الله) وددنا أن يكون نهائيا ومحترما من قبل الطرفين.

كنا نؤمن بأنه إذا أردنا الإستقرار في إفريقيا ، يجب علينا احتلال وهران وبجاية وطرابلس ، وأن يكون شعبها مسيحيا ، ويكون المسلمون أصحاب الحق فيما تبقى من المدن ، لأنه إذ ترك المسلمون في المدن الساحلية لا يكون في مقدورنا التحكم بما قد غزونا ، فبهذا الشكل المدن الثلاثة يجب أن تكون محمية وملك للمسيحيين فقط ولن يقبل بعد ذلك أي مسلم، وعليه لن يكون

¹ -Miguel José de Utrera, entre la toma de Oran y los pactos con Argel : las baleares y la conquista de bugaya pp, 64-68-69

"الأمير عبد الله" ملكا على بجاية وله الحق أن يكون ملكا لأي مدينة سواها في الأراضي التي تناسبه.

مدينة بجاية مع كل أحوازها لابد لها أن تكون تابعة للملكة ، وعلى الأمير "عبد الله" دفع كل عام ضريبة من أجل تعويض الخسائر التي لحقتنا في احتلالنا لبجاية.

السؤال الآن عن التموين، لابد من استمرار وجودنا بإفريقيا طويلا ، وهذا من أجل إنتفاع ثروات البلد... بات الآن مهم بأن يكون كل شيء منظما ، ويمكننا من الغزو دون أن نكون ملزمين بتمويننا من الخارج كما فعلناه حتى الآن ، من الآن سيكون التموين داخليا ، إلا إذا كان ملحا بأن نمون سوى جيوشنا وسفننا ...سيكون من واجبنا القيام ببعض التعديلات للميثاق ، وسنرسلها مع الرسالة، والتي سوف نفهمكم الطريقة السهلة في التنفيذ... وعلى كل المسلمين (los Moros) الساكنين في القرى الساحلية ، بأن يخضعوا إلى طاعة "الأمير عبد الله" يمكنهم الإستفادة من مساعداتنا كما أنهم يحصون بإحتراماتنا وحسن الإستقبال في جميع المناطق لكن عليهم مناصرتنا في حالة نشوب أي حرب ضدنا...

ونأمل أن بهذه الكيفية يكون "الملك مولاي عبد الله" سيد كل المناطق، إلا المناطق الساحلية ، ويبقى صديقنا الوفي ، اما مدينة بجاية تكون بعيدة عن الخطر ومحفوظة... لقد تكلمنا مع "Miguel calburo" "خادم لدى الدائرة الملكية" ، والذي سيشرح لك تفاصيل أخرى...يمكنك الإعتماد عليه"¹.

¹-ينظر إلى :

-Don fanciscozavala, bandera espanola en argelia, pp37,38,39,40

-Rafael gutiérrez cruz, cartografia, fuentes y documentacion : las fortificaciones y su historia en el Ambito mediterraneo las fortificaciones de bujaia (1510-1527) ; « El vigia de tierra, num 6-7- Melilla (espana), 1999-2000, p71-72, fernand braudel, les espagnols et la berbérie...p54.

"أنا الملك فيرنندو"

"le Roi Fernando "

ه-نتائج الاحتلال الإسباني على بجاية :

بعد احتلال بجاية (915هـ-1510م)، غادر سكانها المسلمون وأخلوا المكان بعدما نهبت الجيوش الإسبانية خزائن ونخائر مدينة بجاية ونقلت في ثلاثين سفن إلى إسبانيا لكن أمواج البحر الهائجة منعتها من الوصول وأغرقت معظمها، كما انتهت الأسباب الأعراض ، وعبثوا بالحرمات ، وسرقت مدخرات السكان¹، حطموا كل المعالم الأثرية من قصور ومنتزهات وخرّبوا كل ما هو حضاري بها ، وحولوا المساجد إلى كنائس كاتوليكية².

ثم عملوا فوراً لبناء قلعة عسكرية قرب البحر في ساحل الطيب³.

كما لم يبق أثر لوجود قصر الجوهرة والمسجد الأعظم والمؤسسات الدينية يطمس المعالم الدينية ، من أجل نشر سياسة التمسّيح ، وفي هذه النكبة العظيمة التي ألّمت بسكان بجاية ذهب ضحيتها أربعة آلاف ومائة مسلم أما إسبانيا وبعد الفوز دقت أجراس الكنائس ، وأعلنت الأعياد العامة وتوارد الناس على الكنائس يقدمون الشكر⁴، بينما هم في بهجة والفرح يعم ديارهم ، بجاية الأسى والحزن قد احتوى سكانها.

¹-الرصاع ، فهرست الرصاع ، ص 54-55.

²-Don francisco zavalá, bandera española en argeia, p 55

³-جان ليون ، قصة الحضارة في إفريقيا ، ص 423

⁴-أحمد توفيق المدني ، حرب الثلاثمائة سنة ص 126.

وبعد الاحتلال الإسباني بمدة ، إنتشر مرض الطاعون ببجاية بسبب كثرة الثورات وسوء التغذية ، فتدهورت أحوالهم وإنتشر فيهم الوباء¹ وفي بداية شهر ماي 1510، قام الإسبان بمنع السفن الآتية من بجاية لكي لا ينتشر المرض فيهم ، كما تضررت الكثير من المدن من تراجع التبادل التجاري بينها وبين بجاية التي أصبحت مقاطعة تابعة للملكة الإسبانية.

¹ -Miguel José de Ybañeta, entre la toma de Orán y los pactos con...,p71

**الفصل الثالث : نظم الحكم الإدارية و المالية ببجاية من
الفترة الحمادة الى نهاية القرن (9هـ/15م)**

أ- نظم الحكم الإدارية ببجاية

ب- الضرائب في العهد الحمادي

ج- القرصنة البجائية دعم لبيت المال

د- السكة

و- المكاييل و الموازين

شهد نظام الحكم ببيجاية وظائف عديدة في هيكله النظام الإداري و المالي ،تنوع حسب الظروف السياسية التي مرت علي المدينة فظهرت نظم مستحدثة لسيما في عهدها بالفترة الموحدية و الحفصية.

أ- نظام الحكم ببيجاية ما بين القرن (5-9/11م-15م):

بعد إنفصال بني حماد عن أبناء عموميتهم الزيريين، تلقبوا الأمراء، وكان النظام السائد بالدولة الحمادية ، نظاما وراثيا ينتقل من أبناء حماد بن بلكين، فمدينة بجاية تعاقب عليها نحو أربعة أمراء، الأمير الناصر بن عناس، والمنصور بن الناصر بن عناس وعبد العزيز المنصور ويحي بن العزيز، الذي سقطت الدولة في عهده وآلت إلى الحكم الموحدية بداية القرن(6-12م)، فيحيى بن العزيز من ضمن الأمراء الضعاف الذين لم يستطيعوا إدارة شؤون البلاد، ولولا النظام الوراثي القائم بالدولة لما وصل إلى زمام الحكم، فكان محبا للترف وميالا للكسل، مهملا بذلك رعيته.

أخذ أمراء بني حماد راية للبلاد من الحرير الخالص ووشوها بالذهب أستمر وجودها إلى غاية دخول الموحدية الذين ساهموا في تغير الوضع السياسي لمدينة بجاية، بعدما كانت عاصمة لدولة، أضحت ضمن أعمال الدولة الموحدية، فالخليفة عبد المؤمن بن علي عين أبناءه على الحواضر التي كانت تابعة لحكمه، وكان يرسل معهم كبار أشياخ الموحدية والفقهاء والقضاة والمستشارين هؤلاء يساعدون الأمير في ولايته¹. لم تكن الولاية منحصرة في الأمراء فقط، بل شملت أيضا المخلصين من أشياخ الموحدية للأسرة الحاكمة، فبيجاية تعدد عليها أكثر من والي من أشياخ الموحدية، لكن معظمهم فشل في القضاء على غزو بني غانية لها، كما أهتم بعضهم في شؤونهم وأهملوا شؤون رعيته، فمثلا أبو الحسن علي عمر ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن ولي بجاية مدة ثم عزل عنها لإهماله لأمرها².

وعليه كان الخليفة يضطر تغيير الولاية حسب قدراتهم السياسية كما شهدت الدول الموحدية في عهد الخليفة الناصر، إنفصال بعض من الخليفة الموحدية³ عن الحكم المركزي، فبعد ما عين عبد الواحد بن حفص الهنتاتي على أمور إفريقية، أستبد أبناءه من بعده بحكم الولاية ، مستغلين الوضع الشيء الذي آلت إليه الدولة القرن (6/12م). نستطيع القول أن ولاية الدولة عندما كانوا منحصرين لدى الأسرة الحاكمة، فشهدت الدولة إستقرار وأمن، لأن المجتمعات المغربية، كانت تنظر لولاية أبناء عبد المؤمن بن علي بإحترام ويعتبرونها رمز الطاعة، لكن بعد ما شاركت عناصر أخرى أبناء الخليفة حكم الولايات، بدأت الفوضى والتمرد يدبان في كيان المصامدة وما زادهم تشجيعا على ذلك هو إنهزام القوى الموحدية في معركة العقاب بالأندلس فسرع هذا الأمر تصدع كيانها وبالتالي إلى تقسيمها إلى ثلاث دويلات، بني مرين وبني زيان وإستقلال الهنتاتيون بولاية إفريقية وتأسيسهم الدولة الحفصية.

¹ - عبد الواحد المراكشي ، المعجب، ص206، 207، 224.

² - أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، فضح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تج. يوسف الشيخ محمد الباقي، ج3، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1419هـ-1998، ص370.

³ - عز الدين عمر موسى، الموحدية في المغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، ط1، دار المغرب الإسلامي، لبنان، 1411هـ-1991م، ص187.

انتقلت بجاية من حاضرة موحدية الى ولاية حفصيته، لقد حافظ الحفصيون على النظام الإداري الموحد، فالأمير الحفصي أبي زكرياء عين ابنة يحيى على ولاية بجاية¹ وعين معه مشيخة من الأسرة الهنتاتية في سنة (633هـ-1235-1236م). فشهدت بجاية وضعاً مستقراً أثناء ولايته إستمر في عهد أخيه المستنصر بالله لكن بعد وفاته ساءت أوضاع بجاية، بل وصل الأمر إلى التمرد والإنفصال في سنة 720هـ/1322م وهذا ما وضحناه في الجدول السابق، وبهذا مجال تغيرات تارة الإنفصال وتارة أخرى العودة إلى النظام المركزي، حيث أن كل والي كان يبذل جهوداً لسيطرة على أوسع مجال بالمدينة².

مهام الولاية:

من بين مهام الوالي حفظ الأمن الداخلي، بالقضاء على التمردات³ كما يمد المساعدة المالية وحتى العسكرية للولايات المجاورة في حالة تعرضها للغزو الخارجي، فكثيراً ما كان ولاية بجاية يخصصون مساعدات لأهالي قسنطينة، بالإضافة إلى إشرافهم على الحركة العمرانية بالمدينة، كبناء الحصون والقلاع والمساجد والأسواق وغيرها، كما لهم الحق في إبرام عدة اتفاقيات وعقود تجارية وجمع الجباية. كان الولاية يخضعون للمراقبة والمحاسبة الدقيقة من قبل الحكام⁴، كما يجب على كل والي أن يضع تقريراً شاملاً حول أحداث ولايته، ويبلغ به مركز سلطة الحكم، ولا بد أن يستشير الحاكم في كل أمور ولايته، وفي حالة مخالفتها للأوامر، يعاقب إما ينقل من ولايته أو يعزل لأن الحاكم هو الذي كان يعين الوالي مباشرة، لا يخضع لتوصية به أو إنتخاب⁵، ويعبر الوالي عن طاعته وولائه بذكر إسم الحاكم في خطبه وينقش إسمه على وجه العملة⁶.

وكما ذكرنا آنفاً أن معظم ولاية بجاية كانوا من الأسرة الموحدية والحفصية، إما أبناء الخلفاء أو أخوتهم، أو أحفادهم أو أبناء عمومته وأعمامهم⁷، لكن لم يستمر الأسرة الحاكمة الحاكمة في تسير ولايتهم، بل أقحمت عناصر دخيلة كالعنصر الأندلسي وحتى من عامة الناس كالدعي، ما أدى إلى شرخ في نظام الحكم.

- الوزارة:

وهي أم الخطط السلطانية والرتب الملوكية فالوزير في اللغة "هو من الوزر وهو النقل لأنه يحمل عن الملك أثقاله وأيضاً مشتق من الأزر وهو الظهر الملك يقوى بوزيره كقوة

¹ - عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص597.

² - صالح بعيزيق، بجاية في العهد الحفصي، ص90.

³ - سكن ولاية بجاية خلال عهدي الموحدين والحفصي القصبة كان بها دار الحكم وهي تشرف مباشرة على الميناء والبحر.

⁴ - عز الدين عمر موسى، الموحدين في المغرب الإسلامي، ص185

⁵ - صالح بعيزيق، بجاية في العهد الحفصي، ص91

⁶ - عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص756.

⁷ - صالح بعيزيق، المرجع السابق، ص94، 95.

بظهره، وأنه مشتق من الوزر وهو الملجأ...¹ وزير لا بد أن تتوفر فيه شروط الوزارة فهو يشمل المناصب الثاني في الدولة وهو واسطة بين الحاكم وبين الرعية، يذكر لنا **الماوردي** أربعة شروط في الوزارة " تنفيذ، دفاع، وإقدام، وحذر"² ، وهو تنفيذ أوامر الملك والدفاع عنه وعن دولته ورعيته، والإقدام من مزايا الوزير الوزير وصفاته، والأقدام على جلب النافع وعلى دفع المضار، أما الحذر فمن الله عز جلاله ومن الحاكم ومن ثقلب الدهر وإختلال التوازن³.

إستعان أمراء الدولة الحمادية بالوزراء، لما شيدت بجاية في عهد الأمير **الناصر بن عنناس** مكان بجاية عاصمة جديدة لدولته، لكنه قتل، فإستوزر مكانه الوزير **خلف بن أبي حيدرة** الذي كان من قبل وزير الأمير **بلكين بن محمد**، لكنه لم يستمر في وزارته لأنه قتل، ثم خلفه الوزير **أبي بكر بن الفتوح** ، وبدوره قتل هو الآخر، فألت الوزارة إلى **بني حمدن** و إلى غاية سقوط الدولة الحمادية، ولما جاءت الدولة الموحدية وعين الخليفة ولاة على أكوار دولته، جعل لكل والي مستشارين من شيوخ الموحدين كوزراء له.

أما الحفصين فأنتقل إليهم منصب أصله من الأندلس، ألا وهو منصب **الحاجبة**⁴، قائل حاجب كان ببجاية في فترة إنفصالها الأول عن مركز الحكم سنة (684هـ-709هـ/1285م-1309م

فأعطيت **الحاجبة لأبي الحسين بن سيد الناس ابن أبي جي، ابن غمر**، إستمرت **الحاجبة ببجاية إلى تاريخ الاحتلال المريني لها**⁵.

كانت مدينة بجاية في كل مرة بتغير وضعها السياسي والمركزي، إلا وتشهد معه تطورات في نظام الحكم المركزي.

-الجيش:

الجيش يقتل مصدر قوة وحمايتها من الخطر الخارجي، فهو أحد النظامين، النظام الداخلي يعتمد على الشرطة، والنظام الخارجي يقتضي وجود جيش الذي يستقر أما بالقلعة أو بالقبصة أو بالمدينة، حسب إختلاف النظام، ويكون الجيش مزودا بالعدة والعتاد ومدربا ومستعدا لأي هجوم ويرافق الجيش في حاميته كل من الحدادون والصناع، ناهيك عن المخبرين الذين ينتقلون أخبار الدول المجاورة، كما يجب أن تكون المدن مزودة بحصون وقلاع لتحصينها أكثر، حيث بنيت الخنادق حول مدن عديدة، لمنع تقدم المشاة، وكانت تملأ بالماء أحيانا لتعيق مسار العدو.

إهتم الحمادين بدورهم بتجهيز جيش، لحماية الدولة من المد الخارجي، شارك الجيش الحمادي في كثير من الحروب والمعارك، قصد إبعاد الخطر أو بغية التوسع لضم أكوار جديدة للدولة⁶، ويتألف الجيش من **صنهاجة** ووزارة ومن قبيلة **زناتة** وعبيد والأسرى،

11- أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، أدب الوزير للماوردي، المعروف بقوانين الوزارة وسياسة الملك، صححه حسن الهادي حسن الهادي ، ط 1، 1929م، ط 2، 1994م، مكتبة الخانجي، ص 09 .

2 - المرجع نفسه ، ص10.

3- المرجع نفسه ، ص 11، 22.

الحاجبة لغة تعني النعوا الإستتار " أي بحجب السلطات عن العامة ويغلق بابه دونهم او يفته لهم على قدره في مواقفته.."⁴ بنظر: عبد - - الرحمن بن خلدون، المقدمة، ج 1، ص 298 .

5 - صالح بعيزيق ، بجاية في العهد الحفصي، ص 97، 98 .

6- ينظر إلى الفصل الأول من الباب الأول من دراستنا .

فمنهم المشاة والفرسان بعنادهم الحربي المتكون من الرماح والسيوف والدبابيس والحرية¹ والخييل.

بعدما توحد المغرب الإسلامي تحت راية الموحدين، حرص المصامدة على تثبيت وتمتين قواعدهم في كل أعمالهم بالمغرب، فمدينة بجاية كغيرها من الحواضر الموحدية كان بها جيش ثابت متركز على حدودها، دوره يشارك صاحب بجاية السيد أبو زكرياء مع قبيلة كومتة² هذا حال كل جيش من أعمال الدولة.

أما وحدات وفرق الجيش الموحدية تتكون من : المشاة في الصفوف الأولى ويحملون الحراب الطويلة، ثم يليهم حملة السيوف والدرع³ وتأتي حملة النبال والأقواس، أما الفرسان يتوسطون وسط من المربع الجيش ويصف لنا **ابن صاحب الصلاة** لريات الموحدة بأنها "...والروايات ملونات بالخلدي الأحمر، الأصفر والأبيض

...."⁴، بالإضافة إلى تبرك الخليفة الموحدية بمصحف سيدنا **عثمان رضي الله عنه**⁵ عند خروجه إلى الحرب، وتكون الطبول والروايات في مقدمة الجيش، والضرب على الطبول علامة بدئ بالحرب، والضرب على الطبل الأكبر دليل على نهاية الحرب⁶.

أعتمد الموحدين في حروبهم على وضع الكمان والخدع، ليسهل الإيقاع بالعدو، وهذا يدل على الخبرة العسكرية الواسعة لدى قواد الجيش، ومن التدريب المستمر لعناصره، يتشكل هذا الأخير من الجنود من مختلف القبائل والجنسيات حسب ما جاء عند **ابن صاحب الصلاة**: "...صفوفا وتميزوا أجناسا وصنوفا، وتميزوا بكل قبيل من طوائف الموحدين الصابرين الصادقين أهل هرغة وأهل تينمل، وهنتاة، وقد مي وهو جفيسة وجمع القبائل على مراتبهم، ومن قبائل العرب الهالين والرياحيين والجشميين والزغريين وجميع العبيد للأمر العالي المرتسمين"⁷ وكان الموحدين يتميزون جنودهم حسب إنتماءتهم القبلية والعرقية، لسيما في توزيع الرواتب والغنائم.

الجيش الموحدية بكل مكوناته المختلفة إستطاعا لسنوات أن يكون مصدر خوف للعدو وخاصة **الفرنجة** والناقمين على الوجود الموحدية بالمنطقة لكن الوشايات المزروعة في أواسط المجتمعات، إستطاعت أن تكسر هذا الحاجز القوي، وهذا يظهر في تاريخ، دخول **بنو غانية** إلى بجاية بعدما خلت من جيشها الذي رافق الأمير الموحدية **صاحب بجاية** إلى الحضرة مراكش، فإستغل **بني غانية** هذا الوضع، وتمكنوا من التمرد والسيطرة على المدينة على أثر هذا الوضع دخل الجيش الموحدية لسنوات عديدة في حرب مع **بني غانية**، ما أدى إلى إنها كقوى الجيش الذي سيسقط في معركة العقاب الأندلس سنة (609هـ-1211م).

¹ - محمد الطمار، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ص 187.

² - ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص 404، 405.

- محمود السيد، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، الناشر مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2008، ص 120،³ 121.

⁴ - ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص 355.

⁵ - ينظر نفسه، ص 356.

⁶ - ابن السماك العامري، الحلل الموشية، ص 152.

¹ - ابن صاحب الصلاة، المصدر، السابق، ص 19.

إنتقال الجنود الصنهاجين البجائين إلى صفوف الجيش الحفصي، وشاركوا إلى جانبه في العديد من الثورات والحملات، فكان لكل مدينة حفصية جيش بجاية كان والدها مدعوما بجيش ثري وبحري، هذا أن الجيشان كأنهما عناصر من الجند من مختلف الإنتماءات، على شاكلة الجيش الموحدى، لكن الجيش الحفصي عرف عناصر جديدة كالعلوج والمليشيا المسيحية وعدد كبير من المماليك الأتراك دخلوا في خدمة الدولة الحفصية عسكرياً¹.

كما قسم الأمير الحفصي أبي زكريا جيشه حسب أهمية كل عنصر جاء في المرتبة الأولى، الجند من أبناء الموحدين أي كل القبائل المغربية، ويليهم الجند من الأندلس الوافدين على الدولة كانوا يمثلون الرماة، ثم الجند من مماليك الترك وبعدهم قبائل العرب وأخيرا العبيد² والخدام من بينهم العلوج من النصارى³، هذه التصنيفات لم تلمس الرتب العسكرية فقط، بل كان لها تأثير حتى على الجانب المادي أي مثل توزيع الأموال، مثلما فعل الموحدين بعناصر جيشهم.

أما القواد الجيش فكان تعيينهم من السلطان مباشرة، قصد الحفاظ على الولاء والطاعة له⁴. أهتم كل من الحماديين والموحدين والحفصيين بالأسطول البحري، لسيما أن موقع مدينة بجاية من بين العوامل المساعدة على تطويره وتوفيره حيث تملك ثروة معدنية، وخشبية في دعم ركائز صناعة الأسطول بنوعه الحربي والتجاري⁵.

تفوق الأسطول الحمادي ومن بعده الموحدين في حماية سواحل بجاية، كان على رأس كل سفينة قائد يدعى ب أمير البحر أو صاحب البحر، وجاء الأسطول الحفصي، وتمكن لسنوات في ردع أي محاولة غزو أو إستلاء على سواحل الدولة، فالفرنجة والقوط لم يتوانوا في إستمرارهم بتعاطيهم للقرصنة وشن هجمات من حيث لآخر على المدن الساحلية الحفصية فالبجائيون كانوا من أقوى قواد البحر، بسبب الخبرة الطويلة في ركوب البحر، وتصدي للهجمات، الأسلحة⁶ التي عرفها الجيش البجائي من القرن (5هـ-9هـ/11م-19م).

1 - إبتسام مرعي، المرجع السابق، ص 212.

2 - كانوا حاملي الرماح ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، ج 6، ص 597، 598.

3 - المرجع نفسه، ص 213.

4 - صالح بعيزيق، بجاية في العهد الحفصي، ص 96.

5 - ينظر: الباب الثالث، الفصل الثاني من دراستنا.

29 - ينظر: ابن الشماخ، الأدلة البيئية التورانية، ص 77، ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص 407، محمود سيد،

تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، ص 120، 121.

العهد الحمادي (5-11م)	العهد الموحيدي (6-12م)	العهد الحفصي (7-9م/13-15م)
<ul style="list-style-type: none"> - الرماح - السيوف - الدبوس - الحربة - النبال - الخيول - والخوذ المنبوعة 	<ul style="list-style-type: none"> خزانات كبيرة من المياه لإغراق وعرقلة العدو قاذفات من الحديد الدروع المستديرة الأبراج الخشبية النيبال والأقواس الرماح السيوف الخوذ الجراب الكمائن الحجارة الخيول المنجنيق 	<ul style="list-style-type: none"> السيوف المحلاة القاذفات النارية القسى الدمشقية الدرق أللطية الرماح المنجنيق الدروع الخوذ الجواشن الخيول البغال الإبل

أ-القضاء :

هو الحكم ومعناه في اللغة (القاطع للأمر المحكم لها)¹، وأول قاض في الإسلام هو نبينا محمد عليه الصلاة و السلام ، تولى الفصل في الخصومات ، التي تحدث بين المسلمين ، وقضاؤه عليه الصلاة و السلام تحكيم من رب العالمين ، لقوله تعالى : " فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا"².

وبعد الفتوحات الإسلامية ، توسعت رقعة الجهاز القضائي ، الذي يعتبر من أرفع الوظائف في السلطة والحكم ، ليشمل عدة فروع ، لا تقتصر فقط في فك النزاعات ، بل له وظائف عديدة سنذكرها لاحقاً.

¹-ابن منظور، لسان العرب ، ج4، ص 408

²-سورة النساء -الآية 65

لابد من توفر شروط ومقاييس في القاضي ، أن يكون عارفا بأربعة مصادر (القرآن الكريم، والسنة النبوية ، والإجماع ، والقياس)، لأنها قواعد يرجع إليها . في تحكيمه ، والتشريع . للوصول إلى أحكام عادلة¹. فهي تشكل أسس القضاء لقول رسولنا الكريم عليه الصلاة و السلام: " القضاء ثلاثة : قاضيان في النار ، وقاض في الجنة ، فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق ففضى به ، فهو في الجنة ، ورجل عرف الحق فلم يقضه ، ورجل في الحكم فهو في النار، ورجل لم يعرف الحق فيقضي بين الناس على الجهل فهو في النار" ، ونقله أيضا: " لا يقضي القاضي بين إثنيين وهو غضبان"².

أما قاضي الأنكحة ، مختص في مسائل الزواج و الطلاق ، والميراث ، الوصية ، وكل ماله علاقة بالأحوال الشخصية و الأسرية ، وهو بمثابة نائب لقاضي الجماعة ، يقول البرزلي في هذا الصدد، يعتبر قاضي الأنكحة " شبه عامل من عماله"³، فهو يحتل المرتبة الثالثة في سلم السلطة (السلطان ثم قاضي الجماعة ثم قاضي الأنكحة...).

بعدما آلت بجاية للحكم الموحد القرن (6-12م) والحكم الحفصي القرن (7-13م) ، تغير وضعها السياسي ، فأصبحت مدينة تابعة لهاذين الحكيمين ، وعليه كل دولة من هذه الدول قسمت تقسيما إداريا إلى مقاطعات ومدن ، وعين بكل حاضرة قاض وبجاية واحدة بها قاض، وبدوره يعين من طرف قاضي الجماعة والسلطة السياسية ، وكان الأمراء و الخلفاء يتدخلون أحيانا في تعيين القضاة مباشرة ، وعزلهم ، وحتى في تسير مهماتهم⁴، وصل عدد قضاة بجاية في العهد الحفصي إلى ثلاثين قاضيا من مختلف المواطنين من المشرق ، الأندلس ، المغرب...⁵.

¹-أنور عبد الحميد الموسى -المعالم الحضارية ... و الادبية في عصر صدر الإسلام ط1، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، 2013م، ص222، 223.

²-نفسه ، ص 229، 230.

³-البرزلي، جامع مسالك الأحكام ، ج2، ص 1181.

⁴-محمد حسن ، المدينة والبادية ، ج2، ص 723

⁵-صالح بعيزيق، بجاية في العهد الحفصي، ص 426

كانت مراسلات بين قضاة المدن ، كمدينة بجاية مع قاضي الجماعة أو ما يسمى أيضا (بقاضي العاصمة)، يبعثون إليه بما إستشكل لديهم من مسائل وقضايا¹، وبدوره يتصل قاضي الجماعة بمجلس الفقهاء، ثم ينتهي بالقضية إلى السلطان صاحب الرأي الأخير في الفصل في القضايا.

وعليه ، وظيفة القضاء، وظيفة حساسة وصعبة في الوقت نفسه لا بد على القاضي أن يكون صاحب عقل فطن ، راجح صاحب وعي وصبر و حلم ، وحضور قوي في الأحكام التشريعية ، و الإنصاف بين كل الأفراد الإجتماعية، (الغني و الفقير، والفرد البسيط و الحاكم) يقول عزوجل : " وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل...".

أما القضاء بالمغرب الإسلامي في العصر الوسيط عامة ، وبجاية خاصة فهو قضاء مبني على المذهب المالكي، وكل من القاضي و المحتسب وصاحب الشرطة يعايش قضايا الشارع والسوق و الأسرة²، إلى جانب دور القضاة في حل النزاعات في إطار الحياة الإجتماعية، كانوا يشرفون على التعليم و التوعية الدينية ، ويرقبون كل انحرافات عقائدية ، التي تشكل خطرا على الدولة ، في نشر أفكار ومذاهب معادية للإسلام ، وبذلك تخلق تمردا وانتفاضات تزعزع كيان الدولة.

وكانت بجاية في العهد الحمادي بها من يسير الخطط الدينية من قاضي الجماعة وقاضي الأنكحة أما الأول ، فهو أعلى منصبا بالجهاز القضائي له كل الصلاحيات في اختيار قضاة المناطق و النواحي ويساعده في ذلك أعوان كالعُدول و الشهود، وبعد موافقة الأمير أو السلطان يتم له تعيين هيكله القضائي من نواب يعودون إليه في قضايا سياسية و أحوال المجتمع³.

للقضاة مساعدون و أعوان ، كالموثقين و العُدول (الشهود)، وهذا لتوثيق مختلف المعاملات القضائية (كالقسمة ، والدين ، و عقود الزواج و الطلاق، و الأحباس(الوقف)،

¹-محمد حسن ، المرجع السابق ، ج2، ص 730.

²-ابراهيم حركات ، المجتمع الإسلامي والسلطة في العصر الوسيط ، افريقيا الشرق المغرب، 1998-ص 241

³-محمد حسن ، المدينة و البادية بإفريقيا في العهد الحفصي ، ج2، جامعة تونس الاولى ، 1999، ص 727.

والبيع و الشراء...)، هذا من جهة، ومن جهة أخرى ، دور العدول في إثبات ما سبق ، كي لا تتعرض الوثائق إلى التزوير.

وإبتداء من القرن الثامن للهجرة 14م أصبحت خطة الشهادة رسمية وتابعة لجهاز الدولة¹.

لم ينحصر دور القضاة في المجال القضائي فقط ، بل استطاع الكثير منهم أن يسير شؤون الولايات في غياب واليها ، مثلا كالقاضي " أبي العباس بن الغمار الأنصاري " ، الذي أدار بجاية و أحسن إدارتها في غياب صاحبها. يقول الغبريني أنه " لما انفصل جيش بجاية مع جيش افريقية لحصار مليانة وبقيت البلاد شاغرة عاث المفسدون في الخارج، وأفسدوا وامتدت الأيادي ، ووقع هرج عظيم ، فقام (القاضي أبو العباس بن الغمار الأنصاري) بأمر الناس ووقف خير موقف ، وحفر الحفير على البلاد ..."²، ودور الغبريني كان " كبيرا ببجاية هو صاحب شوارها"³. يتبين لنا أن القضاة كانت لهم تدخلات سياسية ، وهذا سبب الاحتكاك المباشر مع السلطان أو الوالي وغيره من رجال السلطة المركزية ، حتى أنهم بعثوا كسفراء إلى دول المشرق الإسلامي والمغرب الأقصى و الأندلس⁴ ، وأيضا وسطاء صلح ، كما فعل القاضي " أبو العباس الغبريني" في عهد "الأمير أبو البقاء" ، صاحب بجاية ، عندما اختاره أن يكون وسيطا للصلح بينه وبين الأمير الحفصي صاحب تونس "أبو عصيدة"⁵، وبما أن القاضي عامل لدى الدولة ، فبدوره يتقاضى مرتبا ، غير أنه لم يكن يتمشى مع

¹-محمد حسين ، المدينة والبادية ، ج2، ص 732، كما عرف المغاربة هيكل آخر من القضاة ، كقاضي الركب الذي يرافق القوافل التجارية ، من أجل النزاعات بين التجار و أيضا وجد قاضي الجيش لفض الخلافات بين الجنود ، ينظر : ربما محمد درنيقة ، الفتح العربي للمغرب والحضارة المغربية ، ط1، المؤسسة الحديثة للكتاب ، لبنان ، 2012، ص 185

²-الغبريني ، عنوان الرواية ، ص 129

³-عبد الرحمن ابن خلدون ، العير ، ج6، ص 719.

⁴-صالح بعيزيق، بجاية في العهد الحفصي، ص 422

⁵-مفتاح خلفات ، قبلية زواوة ، ص 93

مكانته الإجتماعية وحاجياته، لذا كان بعض قضاة بجاية يعتمدون على موارد أخرى، كالعقارات من أراضي فلاحية، وتجارة وغيرها¹.

كما اعتمدت السلطة السياسية ، على المغنيين في إصدار الفتاوى في بعض المسائل ، لكن هذه الحالة كانت نادرة بين الأنظمة السياسية.

لقد تعرض الكثير من القضاة ببجاية وغيرها من الحواضر إلى العزل و القتل بسبب الدسائس والمؤامرات و الوشائيات ، و تضارب المبادئ ووجهات النظر بين القضاة والسلطة الحاكمة ، ففي عهد الأمير "أبي البقاء" قام نفر من رجال البلاط بالإيقاع بينه وبين قاضيه "الغبريني" ، إذ اتهموه باتهامات باطلة، كانت نهايته القتل بأمر من الأمير صاحب بجاية سنة (704هـ-1304م). إذا السلطة القضائية مكلمة للسلطة السياسية ، وهذا التكامل يخلق إتزاناً في المنظومة الإجتماعية.

ب-الكتاب:

يقول سبحانه وتعالى في محكمة تنزيله : " ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١) " ²، أقسم الله بالقلم لما فيه من البيان وهذا واقع على كل قلم يكتب به وما يكتبه الناس بالبراع من العلوم تشير الآية القرآنية إلى الكتاب ، وبالتالي قد حث الدين الإسلامي على القرآن و الكتابة ، فالعلم نور ينير درب الإنسان ، ونبينا الكريم عليه الصلاة والسلام . أعطى الطريقة المثلى للكتابة ومنهجيتها ، وخص بذلك الكتاب ، في كيفية إرسال الكتب من المرسل إلى المرسل إليه³، وكان من الصحابة ممن يجيدون الكتابة و القراءة، يكتبون لرسول الله عليه الصلاة و السلام. ثم تطورت الكتابة لتشغل منصبا ثابتا في الحكم ، كما أنشئت الدواوين كديوان الرسائل، وكان الكاتب يحتل المكان المرموق ،

¹-صالح بعيزيق، المرجع السابق ، ص 423

²-سورة القلم ، الآية 01

³-عدي سالم عبد الله حمد الجبوري ، دراسات في تاريخ صدر الإسلام ، ط1، دار الحامد للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن ، 2014م ص32.

فهو الذي يكتب الكتب والرسائل ويحررها ويختتمها بختم الخليفة ، كما يقوم بمراجعة الرسائل الرسمية¹.

وبما أن الكاتب له حضوة ومكانة مهمة في الحياة السياسية ، فقد إنقسم اختصاصه إلى عدة أنواع منها : كاتب الخراج، كاتب الأحكام ، كاتب الجيش، كاتب الرسائل ، كاتب بيت المال و الخزائن، كاتب ديوان البريد ، كاتب ديوان البحر وكاتب الخط وكاتب المظالم ، كاتب الشرطة ، كاتب القاضي ، كاتب العمل ، كاتب المجلس ، كاتب العقد ، وكاتب اللفظ²، وكاتب التدبير وهو يدعى بوزير الدولة³.

كانت الإدارة المركزية ببجاية في العهد الحمادي ، تشمل ديوان الإنشاء الذي كان يترأسه الكاتب وديوان البريد، فأول كاتب هو كاتب الأمير الحمادي "الناصر بن عنناس"، وقد قتل في معركة "سببية"، ثم اعتمد فيما بعد امراء بني حماد على كتاب تفرقت مهامهم حسب مختلف الدواوين ، أما ديوان البريد ، فقد استعمل الحماديون الحمام الزاجل مثل أبناء عمومتهم الزيريين و الإشارات بالمرايا ، حيث وجد بأحد أبراج بجاية وهو برج شوف الرياض في قمته مرايا أستعملت للمراسلة مع البروج المماثلة، واستعملوا أيضا العلامات النارية على قمم الجبال⁴، ثم تطورت المراسلات في عهد الموحدين حيث ظهرت حرفة الرقاصة وهو الشخص يقوم بالبريد⁵، وكانوا يتخيرون لرسائلهم أهل المقدره في إرسالها⁶.

كان في لحظة الكتابة مساعدون لتسهيل عملية الكتابة في شتى المجالات فظهرت مهنة الترجمة ببجاية ، فتزايد النشاط التجاري المتمثل في المبادلات التجارية ، بين مدينة بجاية والمدن الأوروبية ، خاصة الجمهوريات الإيطالية ، فكان لابد من تسهيل عملية

¹-ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج5، ص 228، القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص 90

²-غازي جاسم مهدي الشمري، دراسات في النظم الإسلامية ، ص 1 مكتبة الرشد للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر 2002م، ص 120-124،125

³-غازي جاسم مهدي الشمري ، المرجع السابق ، ص 34.

⁴-رشيد بوربية ، الدولة الحمادية ...، ص 122، 123

⁵-ينظر إلى الباب الثالث ، الفصل الثاني المهن والصنائع

⁶-ابن القطان ، نظم الجمان ، ص 151، 162، صاحب الصلاة ، المن بالإمامة ، ص 78.

التبادل ، بوجود الترجمان كطرف في هذه العملية ، حيث كان يربط بين الباعة و المتشردين ، وفي عقد الصفقات التجارية، في المراكز التجارية، الواقعة على ميناء بجاية ، والموانئ الأوروبية ومن بين الأسماء اللامعة في هذا المجال "أحمد بن تميم"¹ .
ومن بين كتابها التي تتوفر فيهم شروط الكاتب ، من نسب رفيع وسعة العلم وعمق الثقافة وقوة الحضور والشخصية ، ويتمتع بالذكاء والفتنة ، ورجاحة العقل ، والبلاغة القوية²، نذكر كلا من:

"الفقيه أبي الزهر بن ربيع البجائي" كاتب لأحد ولاة الموحدين ببجاية نهاية القرن (6-12م)³، وأيضا "أبي بكر مروان بن عمار بن يحيى بجائي" من كتاب القرن (7-13م)⁴، وكاتبنا آخر لأحد شيوخ الموحدين ببجاية "أبي عبد الله ياسين الهنتاتي" ، وكان في عهد الخليفة الموحي "المستنصر" (647هـ-675هـ/1247م-1277م)، الفقيه "أبو القاسم أحمد بن الشيخ سعيد" ولبراعته وتمكنه إستطاع أن يرتقي إلى منصب كتابه السلطان⁵، فأصبح مختصا في كتابة الرسائل السلطانية.

أما العهد الحفصي وفي عهد صاحب بجاية "الأمير أبو البقاء" الكاتب الفقيه "عبد الواحد بن القاضي أبي العباس أحمد الغماري" الذي تولى خطة حكومية عالية ، تتمثل في ولاية الأشغال⁶.

هذه بعض الأمثلة عن كتاب بجاية في مختلف عهودها ، و الكثير منهم من ارتقى في مناصب عالية أخرى كالقضاء، و مجلس الشورى وهذا لتمكنه وبراعته في وظيفته الإدارية، على أساسها يتغير منصبه ليرتقي أكثر.

ج-الحسبة و المحتسب:

¹ينظر: أحمد عزاوي، العلاقات بين العاملين، ج3، ص ص 12-13-31، مزارى توفيق ، المرجع السابق ، ص 296، 297.

²عدي سالم عبد الله حمد الجبوري، المرجع السابق ، ص 33

³-الغبريني، عنوان الداربية ، ص 58-59، ينظر أيضا: ابن قنفذ القسنطيني، انس الفقير ، ص 101

⁴-الغبريني ، عنوان الداربية ، ص 269

⁵-ابن قنفذ القسنطيني ، الفارسية ، ص 147

⁶-صالح بعيزيق، بجاية في العهد الحفصي ، ص 427

الحسبة لغة أصلها من كلمة حسب، والمصدر احتسابك ، فالإحتساب طلب الاجر أما تعريفها اصطلاحا وردت في شأنها العديد من التعريفات ، يعرفها الماوردي على أنها: " أمر بالمعروف ، إذا ظهر تركه ونهي عن المنكر إذ ظهر فعله"¹، وهي تصب في مبدأ الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر²، يقول الله جل جلاله: " وَ لَنْ تَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (104)"³

وعليه الحسبة من بين الوظائف المهمة لمالها من مساس مباشر بشتى المجالات وأثر كبير عليهم، بوجود النشاطات التجارية و الحرفية ، فقد مورست هذه الوظيفة ، كدور لرقابة هذه الأنشطة ، وأول من أوجد هذا النظام هو نبينا محمد عليه الصلاة و السلام، إذ كان يراقب الأسواق ، ويخرج للباعة ، مستندا في ذلك على النص الشرعي الإلهي ، في توجيههم⁴، من اجل بناء مجتمع صالح بعيد عن كل ما هو باطل. وبعد وفاة رسولنا الكريم عليه الصلاة و السلام ، تولى من بعده الخلفاء الراشدون . ولما توسعت الفتوحات الإسلامية ، أصبحت ولاية من ولايات الإسلام ، ونظاما من أنظمة الحكم إتبعها الولاة والحكام وأقاموا دولهم على هذا الأساس ، كما وضعوا شروطا في من يتولى مهمة الحسبة ، على أن يكون عادلا حرا، صاحب إتزان ورأي سديد، وذا صرامة وحضور قوي، وعالما في أمور الدين للفصل في المظالم الخاصة بمهامه، وكانت له دار خاصة له⁵، ليتحقق الموازين و المكايل الباعة ، وإن كان بها خلل بطلب منهم إما الإصلاح أو التغييرها.

-مهام المحتسب:وكما نعلم أن الحسبة وليدة فقه المعاملات بالمذهب المالكي

بالمغرب الإسلامي⁶، كان لابد على المحتسب أو صاحب السوق أن يعمل على أساس هذا

¹-الماوردي : الأحكام السلطانية

²-عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة ، ج2، ص 536

³-سورة آل عمران ، الآية 104

⁴-عدي سالم عبد الله حمد الجبوري ، دراسات في تاريخ صدر الإسلام ، ص 39

⁵-حسين الحاج حسن، حضارة العرب في صدر الإسلام ، ط1، المؤسسة الجامعية للنشر و التوزيع ، 1982، لبنان ، ص 192، 193.

⁶-حسن بكريم، الحسبة تطورها قديما وحديثا ، ط1، 1990، ص 87

هذا المذهب، فالمحتسب يعتبر أحد الأعمدة والركائز الأساسية في تسيير شؤون الأكوار والأقاليم ، وهو أيضا مكمل لوظيفة القضاء والشرطة.

يشرف المحتسب إشرافا مباشرا على شؤون الأسواق ، لمراقبة الأسعار و المكابيل و الأوزان ، فله الحق في التدخل في ضبط الأسعار ، ومنع التجار من الإستغلال والغلو في رفع الأسعار، وهذا بعد تخزينهم للسلع وإحتكارها وإخلاء السوق منها ، من اجل تصنيف أحوال الناس و أيضا لشح المواد المفقودة في الأسواق تخلق بذلك رفع من ثمنها، فكان مصير المحتكر العقوبة بالسجن أو الضرب¹.

كما كان المحتسب أو أمين السوق ، يقوم بمراقبة نظافة الأسواق و البيوت والأزقة وطهارة قنوات المياه²، ومراقبة تزوير وتزييف العملة في بيوعات التجارة و خلط البضائع الجيدة مع الرديئة، كبيعها على أساس أنها جديدة مثلا :خلط اللبن مع الماء ، ولبن البقر مع لبن المغنم ، أو العسل بالسمن ولحم الماعز بلحم الغنم ، والقمح الجيد بالردية³.

كما انتشر بالمغرب الإسلامي عامة وبجاية خاصة ظاهرة الغش أو التطفيف في المكابيل و الأوزان فتنوعت الأساليب والطرق في التطفيف في الميزان كوضع في قاع المكيال ، قليل من الحصى لإثقاله ، و الآخر بالزفت⁴، وهذا من أجل الكسب الوفير غير المبارك. فالله تعالى يحث الناس على أن لا يخسروا في الميزان لقوله تعالى: " وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (6) وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (7) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (8) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (9)"⁵.

¹-العقباني التلمساني ، تحفة الناظر ، ص 156.

²-ينظر بوبة مجاني، النظم الإدارية في بلاد المغرب خلال العصر الفاطمي 226-362/909-973م (الجزائر ، ليبيا، تونس ، المغرب)، ط1، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع الجزائر ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، الأردن ، 2010، ص 254

³-الونشريسي ، المعيار ، ج 4 ص 210

⁴-الحسين بولقطيب، حفريات في تاريخ المغرب الوسيط، دراسة تاريخية ، ط1، جذور النشر ، الرباط ، 2004، ص 37-36

⁵-سورة الرحمن ، الآية 06-07-08-09

لم يكن التجار والحرفيون والصناع من يتم مراقبتهم من طرف المحتسب فقط ، بل الأطباء و الصيادلة والصلحاء و الوعاظ والأئمة.. كانوا تحت مراقبته¹، و كانت السفن التجارية لأیضا تخضع إلى المراقبة ، حتى لا تكون مبالغة في الحمولة فتصاب بالغرق وكذا تمنع من الخروج في أوقات العاصفة، وإذا كانت تحمل الرجال والنساء فتوضع بينهما حاجبا أو حائل²، لإبعاد الإختلاط غير الشرعي.

ومن مهامه أيضا الأمر بأداء الصلاة في مواقيتها والذي يمتنع عن أدائها يعاقب ، إما بالحبس أو الضرب، حرصا على النهي عن المنكر والأمر بالمعروف، وله الحق في التدخل لصالح المستأجر إذا رفع المالك الأجرة بغير حق³، وغيرها من الأمور التي تضر وتضايق أحوال الناس ، فالمحتسب مفوض ومخول على تنظيم النظام العام، وحماية الناس ، ومراقبة كل شارد ووارد على نطاق واسع، للوصول إلى بناء مجتمع منضبط بعيد عن الفوضى التي تضر بالدولة ، وتشجيع العدو الخارجي على الزحف إليها.

د-الضرائب⁴ أو المكوس أو الجبایة:

الضرائب جهاز مالي أساسي في الدولة ، فهي دعم قوي لبيت المال (الخزينة) تنقسم الضرائب إلى نوعين ، النوع الأول ضرائب شرعية ، يتم تطبيقها بموجب الشريعة الإسلامية، فهي تشمل النظم الشرعية المتعارف عليها منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، كالخراج⁵ و الجزية⁶، الزكاة⁷ ، الفیء والعشور¹ وخمس الغنائم²، اما النوع الثاني

¹-ريما محمد درنيقة، الفتح العربي للمغرب والحضارة المغربية ، ص 186

²توفيق المزارى، المرجع السابق، ص 232، ريما محمد درنيقة، المرجع السابق ص 186.

³-حسين الحاج حسن ، حضارة العرب في صدر الإسلام ، ص 193.

⁴-الضرائب جمع ضريبة فهي فعلية بمعنى مفعولة ، وهي ما يوضع على الأرضين والرؤوس كالجزية والخراج ، فهي مجموعة من الفرائض المالية التي تجبها الدولة من سكانها وعلى الأجانب الماكثين بها ينظر: ابن منظور ، لسان العرب ، ج3، ص 522، بولعسل أحسن، الضرائب في المغرب الإسلامي منذ عهد الولاة حتى سقوط الموحدين 96-1269/715-668م تقديم العزيز فيلالي ط1، دار بهاء الدين للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2013، ص 45.

⁵-الخراج ضريبة تفرض على الأرض التي صالح عليها المشركون بمقدار معين من حاصلاتهم الفلاحية أو من أموالهم ، وهذا المقدار رسمي خراجا ينظر حسين الحاج حسن ، المرجع السابق ، ص 221.

⁶-الجزية هي مبلغ معين من المال يوضع على رؤوس أهل الذمة ، ينظر : حسين الحاج ، المرجع السابق ، ص 222.

⁷-الزكاة أول ضريبة فرضت في الإسلام ، وهي مورد شرعي يقول سبحانه وتعالى: "والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم " سورة المعارج الآية 24-25.

الثاني يتمثل في الضرائب الإضافية أو المستحدثة ، التي ظهرت بظهور أنظمة جديدة وأسس جديدة ومن بين هذه الضرائب نجد:

ضريبة الأرض والمحاصيل الفلاحية³، وضريبة التجار (البرية و البحرية) وعلى السلع سميت "برسوم الجمركية" ، ينتشر هذا النوع من الضرائب في الأسواق والدكاكين والمدن المحصنة بأسوار منيعة والذي يسهر على جمع مكوسها أو المكس يسمى ب:"المكاس" ، وهناك ضريبة الإجازة، هي عبارة عن حراسة الأراضي ، كان سكان المغرب الأوسط يدفعون مبالغ مالية للقبائل العربية من أجل مرورهم بمحاذاة هذه الأراضي التي كانت ملكا لهم ، وضريبة أخرى هي ضريبة التعتيب و التعطيب ويقصد بها ، ترميم الأسوار والحصون وقلاع المدينة، ضريبة المعونة أو الإعانة ، ضريبة خمس الإمام وضريبة خمس الغنيمة ضريبة القبالات⁴ وضريبة الرحاب ، وضريبة المكري ، وضرائب تفرض على دواب النقل وعلى أضحيات العيد ، كما ظهر نوع آخر من الضريبة تسمى بضريبة الحرب وهي نتيجة إنتاج حربي أو عسكري، أو ما يسمى أيضا بالإقتصاد المغازي جاء الطلب عليه . نتيجة فراغ بيت المال بسبب إسراف الحاكم في الكماليات وحياة الترف واللهو ، فيحتاج بذلك إلى نفقات إضافية لتحقيق من جهة أخرى فائض لبيت المال حتى تتمكن الدولة من إنجاز مشاريعها لاسيما العسكرية⁵، لأن الحرب والجهاد يتطلب سيولة ضخمة ، لذلك كان الإستغلال الجبائي يتصدر قائمة المداخل الذي يعتمد عليها الانتاج الحربي أو إقتصاد الحرب.

¹- الفيء والعشور ، الفيء هو المال الذي يتحصل عليه المسلمين من المشركين من غير قتال ، وهو كالغنيمة من حيث القسمة يقسم إلى خمسة أخماس، العشور هي فريضة تفرض على الاموال التجارية ينظر عدي سالم عبد الله حمد جبوري ، المرجع السابق ، ص 45.

²-الغنيمة هي أموال وأملاك يتحصل عليها المسلمين من الكفار بعد القتال

³-بولعسل أحسن ، المرجع السابق ، ص ص 57-59-60-61.

⁴-القبالات جمع القبالة : وهي ضريبة يؤديها أهل الحرف أو بائعو السلع، تدفع لبيت المال وهي من بين الضرائب الغير شرعية : ينظر : الوثنريسي، المعيار ، ج03، ص 276، 277، ابن القطان نظم الجمان، ص 156.

⁵-بوتشيش ابراهيم قادري، المرجع السابق ، ص 30-31، ظهر اقتصاد المغازي في العهد المرابطي ، منذ العقد الثاني من القرن السادس الهجري ، الثاني عشر ميلادي إذ شهدت الدولة تراجعاً كبيراً في مواردها من غنائم وخراج وجزية، ولم تعد أيضا حروبها مربحة كما كانت من قبل، وتخوفها منها أن تصل إلى أي عجز أو إفلاس الخزينة ، توصلت لإيجاد سياسة جبائية أخرى تتمثل في الجبايات المرتبطة بعمليات الغزو والحرب.

وعليه كل هذه الضرائب الشرعية منها وغير الشرعية، كانت من ضمن موارد بيت المال الذي هو عبارة عن مؤسسة تشرف على ما يرد من أموال وما يخرج منها من مختلف النفقات التي توجه في شتى المجالات الاقتصادية والسياسية والفكرية والاجتماعية ، وبيت المال حق من حقوق المسلمين.

كما يوجد مورد آخر لبيت المال ظهر في القرن 6هـ-12م ببجاية وهو "القرصنة" أو ما يسمى بجهاد البحري.

الضرائب ببجاية في العهد الوسيط (5هـ، 6هـ، 7هـ، 8هـ، 9هـ/11-12-13-14-15م):

عرف سكان بجاية في الفترة الحمادية ، أنواعا مختلفة من الضرائب بالإضافة إلى تميز هذه الفترة بكثرة حروبها وانتصاراتها المتكررة التي زودت الدولة بالغنائم والأموال ، كما كان الخراج من بين موارد الشرعية فبعد تأسيس بجاية على يد الأمير الحمادي "الناصر بن عناس" أسقط الخراج عن رعيته وكان هدفه من وراء ذلك تعمير مدينته الجديدة بطاقة بشرية متنوعة من تجار وفلاحيين وصناع وغيرهم.

أما الجزية التي جبينها أهل الذمة ببجاية من نصارى ويهود ، فكانت تدفع لبيت المال ، والجزية تسقط عليهم في حالة إسلامهم.

وأیضا عرف تجار بجاية الحمادية ، الضريبة الجمركية ، إذ يذكر ابن حوقل أنه " كان لملك المغرب عمال عهد إليهم بمراقبة صيد المرجان ، وموظف سياسي وهو مشرف مالي يجبي الرسوم المضروبة على الغلال . وللتاجر المستغلين بهذه الحرفة أموال طائلة صادرة من بلاد شتى ، ويتعاملون مع خبراء في شراء المرجان وبيعه"¹، فقد كان صيادو ميناء "مرسى خرز"² يفرض عليهم جباية رسوم على هذا المعدن النفيس³، الذي كان من بين صادرات بجاية.

¹-ابن حوقل ، صورة الأرض، ص 77

²-مرسى خرز، من أهم موانئ بجاية ، اشتهر صيادوه بإستخراج المرجان ، تم تواصل صيته في العهدي الموحد والحفصي.

³-بولعسل أحسن، المرجع السابق ، ص 146.

كما فرضت رسوم جمركية على أصحاب التجارة البرية والبحرية قد فرضت أيضا على المسافرين ، الذين يبيتون بالفنادق¹ أو الأقباء، كانوا يستريحون بها رفقة دوابهم ، فكانت تدفع مايسمى بضريبة الفنادق، خاصة في ظروف قاهرة كتقلب المناخ ، مما يؤدي إلى الصعوبة في التنقل ، فيضطر المسافر البقاء حتى يتحسن الجو ، مقابل رسم ضريبي في هذه الأمانة² والملاحظ هنا أن بجاية في العهد الحمادي كثرت بها الضرائب المستحدثة ، خاصة المفروضة على البضائع.

أما المكوس في العهد الموحيدي ، فكان عبارة عن حق العبور والعمارة والأموالك والمعادن والصنائع³، لم يتساهل الموحدون في قضية الجزية مع أهل الذمة ، بل عملوا على تمييزهم في اللباس والهيئة والركوب عن المسلمين لكي يتسنى لهم معرفتهم حتى ولو اختلطوا مع جموع المسلمين، بل وصل الأمر إلى القتل في حالة عدم دخولهم في الإسلام لاسيما في عهد الخليفة "عبد المؤمن بن علي"⁴، فالخلفاء الأوائل لدى الدولة الموحدية ، غيبوا في نظمهم ما يسمى الجزية ، بل كان أهل الذمة مخيرين بين الدخول في الإسلام أو مغادرة الحواضر الموحدية⁵، إلا أن الوضع تغير في أواخر العهد الموحيدي ، فقد سمح للخلفاء الموحدون لليهود والنصارى بالإقامة في أراضيهم⁶.

بعدما آلت بجاية للحكم الموحيدي ، بدورها خضع ساكنيها إلى السياسة الجبائية ، كالخراج الذي حدد نسبته الخليفة "عبد المؤمن بن علي" لكل قبيلة⁷، وكانت الضرائب لا تفرض بصفة عشوائية بل كانت منتظمة وبصفة عادلة بين الناس، وشهد عهد ابنه "يوسف بن عبد المؤمن" إنضباطا وحسن تسيير في هذا الجهاز الإداري المالي في نفس

¹-ينظر : الباب الثاني ، الفصل الثاني (العمران بجاية)

²-بولعسل أحسن، المرجع السابق ، ص 146.

³-عبد الواحد المراكشي، المعجب ، ص 255 ويسمى بماكوس الرتبة

⁴-إبتسام مرعي خلف الله ، المرجع السابق، ص 259.

⁵-عبد الواحد المراكشي ، المعجب، ص 434

⁶-بولعسل أحسن ، المرجع السابق ، ص 185

⁷-السلوي، الإستقصاء، ج2، ص 139.

الوقت، لكن ضريبة الخراج إرتفعت في عهد خليفة "المنصور" حيث وصل إلى حوالي مائة وخمسين بغلا كل سنة تخص كل من مدينة بجاية وتلمسان والمغرب والأندلس¹.
والدولة الموحدية كغيرها من الدول شهدت تراجعاً قوياً في أواخر عهدها بسبب ضعف أمرائها إنقلاب زمام الأمور منهم ، فساد الحكام والولاة والإداريين هؤلاء الذين نهبوا خزائن مدن الموحدية ، فأمام هذا الفراغ الإقتصادي كان من المفروض فرض جبايات جديدة أو إضافية ، فظهرت في عهد الموحي ضرائب أخرى جبايتها أهل حواضر الموحدية ، وبجاية واحدة منها ، ومن بين هذه الضرائب الإضافية ، ضريبة البناءات والأبواب، مكوس الرتبة .فضريبة الوارد تخص التجارة الخارجية ، وسميت أيضاً بضربيتي (الوارد والصادر) حيث فرضت السلطة الموحدية على جمهوريات الإيطالية ضريبة الوارد تقدر بنسبة 10% لبجاية أما المدن الأخرى بـ8% عن السلع المنقولة².

كما عرفت الصناعات والحرف في عهد الموحيين بجاية ، ففي عهد الخليفة الموحي "المنصور" فرضت ضرائب على أصحاب المهن والصنائع كل حسب تخصصه وعمله³.

إن جمع الضرائب المختلفة ، كان لها أمين يتولى هذا المجال وبدوره يسلمها إلى المشرق (صاحب أعمال)، الذي يقوم بالإحصاء ، والجرد لتجنب الإحتيال والإختلاس، كما وجدت ضريبة المعادن المستخرجة من باطن الأرض، يفرض عليها خمس المحصول، وإذا امتنع أصحابها عن دفع ما هو ملزم عليهم ، يتعرضون إلى العقاب⁴.
ضريبة القبالة أيضاً فرضت على سكان حواضر الدولة الموحدية⁵، وضريبة مغارم الأسواق وغيرها.

¹-بولعسل أحسن ، المرجع السابق ، ص 187،188

²-نفسه ، ص 190، وينظر أيضاً الباب الثالث، الفصل الثالث من دراستنا.

³-عبد الواحد المراكشي ، المعجب، ص 385.

⁴-بولعسل أحسن، المرجع السابق ، ص 193

⁵-صاحب الصلاة ، المن بالإمامة ، ص 77

كل هذه الجبايات جاءت على أساس تعويض النقص الموجود ببيت المال (خزينة الدولة)، فحاجيات الدولة كانت في تزايد مستمر ، لكن نهب بعض الولاة والمشرفين على إدارة الأكوار إستمر، وفي المقابل إستمر تدمير سكان الدولة الموحدية ، الذين أرهقوا جراء دفع مختلف الضرائب والمكوس.

وبعد تفكك الدولة المصمودية إلى دويلات بربرية ، المرينية ، الزيانية والحفصية ، كل واحدة منهم حاولت الحفاظ على الموروث الموحي الذي عهدوه أثناء حكمها ، وإدعت كل واحدة أنها الوريث الشرعي لها ، فالدولة الحفصية التي كانت ببيجاية ضمن أعمالها، أضافت العديد من الضرائب الجديدة على أكوارها وأحوازها ، كمكوس يسمى بمكس الباب ، حيث تجلس فئة عند أبواب المدن لביاية الضريبة¹، ومراقبة دخول السلع والبضائع إلى المدن، وكان المشرف هو المسؤول عن جمع هذه الأموال ، وعلى إستخلاص الضرائب من التجار في الميناء.

لقد حافظ الحفصيون على التنظيمات الموحدية من جزية وخراج وغيره من الضرائب الشرعية والإضافية.

و-القرصنة البجائية دعم لبيت المال:

تعود البجائيون على القرصنة منذ العهد الحمادي، فاعتمدوا عليه في الدفاع عن ساحلهم من أي هجمات مسيحية هذا من جهة ولتقوية نفوذهم الخارجي .ومازاد هذه الدوافع قوة ، هو امتلاك بجاية على المادة الخام من خشب وحديد وزفت في صيانة السفن والمراكب²، بالإضافة إلى موقعها الجغرافي الإستراتيجي.

ففي عهد "الناصر بن عناس" ، تم تحرير جميع الأسرى المسيحيين، عربونا للصدقة بين الأمير "الناصر بن عناس" والبابا غريغوار⁰⁷، فمن مردودات القرصنة نجد الغنائم والأسرى ، لكن لا بد من الإشارة إلا أن القرصنة ببيجاية عرفت رواجاً

¹-الونشريسي، المعيار ، ج6، ص 152.

²-ينظر : الإدريسي نزهة المشتاق ، ص 96 وإلى الباب الثالث من الفصل الثاني من الدراسة

وإنتشارا وشهرة في عهد الدولة الموحدية. هذه الأخيرة جعلت من مدينة بجاية ومينائها قاعدة لهذا النشاط ، يقول الغبريني في هذا الشأن : "أن بجاية كانت بلدة غزاة ، وكان غزاة قطعها يبخلون إلى دواخل الجزر الرومانية وغيرها ويسوقون السبي الكثير منها، وينزل الناس لشرائه بحومى المذبح من جهة ربطها، وهناك يخمس ويقع الفصل فيه، ولم يزل الحال على ذلك وبلغ الحال من كثرة سبي الآدميين أن يباع بيضاوان من الروم بسوداء من الوحش..."¹.

كما تواصلت قوة بجاية في هذا المجال إلى غاية العهد الحفصي ، حيث بلغت القرصنة اوج تألقها . يقول **عبد الرحمن بن خلدون**: "...فتنبهت عزائم كثير من المسلمين بسواحل إفريقية لغزو بلادهم ، وشرع في ذلك أهل بجاية منذ ثلاثين سنة فيجمع النفرء ، والطائفة من غزاة البحر، ويصنعون الأسطول ويتخيرون له الأبطال الرجال ، ثم يركبونه إلى سواحل الفرنجة وجزائرهم على حين غفلة فيتخطفون منها ماقدروا عليه ، ويصادمون مايلقون من أساطيل الكفرة فيظفرون بها غالبا ويعودون بالغنائم والسبي والأسرى ، حتى امتلأت سواحل الثغور الغربية من بجاية بأسراهم تضج طرق البلد بصخب السلاسل والأغلال..."²، فالقرصنة ببجاية حققت الكثير من الإمتيازات، منها كسر شوكة الفرنجة المسيحيين في حوض البحر الأبيض المتوسط ، وهذا راجع كما أسلفنا إلى قوة الأسطول، وقوة الراكبين عليه ، إذ كانوا يتخيرون له الأبطال³، وأيضا ميناءها وشهرته القديمة ، فكان للقرصنة الحق في رسو سفنهم عليه، وبالتالي كانوا بدورهم يؤدون جباية الرسوم للدولة ، خاصة أن الميناء كان له مسؤول يحرص على ادارته يدعى برئيس البحر وله معاونون، كالمشرف على جمع الأموال وغيرهم...

ساهمت القرصنة البجائية ، في الرفع من مستوى مردود خزينة الدولة ، فمثلا الدولة لم تدفع الأموال للعمال الذين يجهزون المراكب وإعداد الغزاة، لأنهم كانوا من

¹-العبريني ، عنوان الدراية ، ص 76.

²-عبد الرحمن بن خلدون ، العبر ، ج06، ص902-905.

³-نفسه ، ج6، ص 905

الأسرى الذين جلبهم القراصنة إلى بجاية ، فوفرت بالتالي نفقات إضافية يد الصناع موجودة و الكلفة غير موجودة¹ ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى دعم مساحة الأسطول ببجاية ، لأن القراصنة يغمون بالأسرى وبالمركب والسفن إذ يقتنصون السفن المحملة بالبضائع والأموال و بالركاب إذ يقول عبد الرحمن بن خلدون عنهم: " ويصادمون ما يبقون من أساطيل الكفرة فيظفرون بها غالبا ويعودون بالغنائم والسبي والأسرى"²، فهذه الغنائم زادت من منسوب الثراء لأهل بجاية حسب ما ذكره لنا حسن الوزان فيقول: " البجائيون أغنياء فهم يسلحون العديد من المراكب التي يرسلونها إلى سواحل إسبانيا"³. نستطيع القول أن القرصنة بقدر ما جلبته من منفعة لبجاية من أموال وغنائم متنوعة أيضا أدخلتها في عدااء مستمر مع الدول و الأقاليم المجاورة ، فبسببها يقول **عبد الرحمن بن خلدون** اجتمع الفرنجة لأخذ الثأر منها"⁴ لسنة 1509م-915هـ ، و أكبر دليل على الثأر هو غزو إسبانيا لساحل بجاية .

هـ-السكة:

يعرفها **عبد الرحمن بن خلدون** على أنها: " النظر في النقود المتعامل بها بين الناس وحفظها مما يداخلها من الغش أو النقص ...ثم في وضع علامة السلطان على تلك النقود بالإستجادة والخلوص برسم تلك العلامة فيها من خاتم حديد اتخذ لذلك، ونقش فيه نقوش خاصة به، فيوضع على الدينار بعد أن يقدر ويضرب عليه بالمطرقة حتى ترسم فيه تلك النقوش"⁵. ويمكن القول أن السكة أو النقود أو العملة هي من أهم الوثائق المادية الهامة التي تمدنا بالمعلومات التي توصلنا إلى حقائق تاريخية لحقبة ما من حيث ، نوعها ومادتها ووزنها ونوع كتاباتها ونقشها ومكان ضربها⁶.

¹-صالح بعيزيق، بجاية في العهد الحفصي، ص ص 297-298-299

²-عبد الرحمن بن خلدون ، العبر ، ج6، ص 903-904

³-حسن الوزان ، وصف افريقيا ، ج 2 ص 210

⁴-عبد الرحمن بن خلدون ، العبر ، ج6، ص 905.

⁵-عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة ، ج1، ص 281

⁶-غازي الشمري، دراسات في النظم الإسلامية ، ص 145.

أما فيما يخص السكة بالمغرب الإسلامي ، فبعد الفتوحات الإسلامية عهد "عمر بن العاص" ، أبقى الخلفاء والولاة اهالي البلاد المفتوحة ، بأن يتداولوا المسكوكات المحلية ذات الكتابات اللاتينية والشعارات المسيحية وأسماء ملوكهم وأباطرتهم ، تم تطورت السكة وأصبحت مزدوجة اللغة بين اللاتينية والعربية . أما العملة المغربية الإسلامية ظهرت في عهد الفاتح " موسى بن نصير" ، ثم سك بعض الولاة نقودا على الطراز المحلي وبدأت السكة المغربية تستقل شيئاً فشيئاً، حتى سكت بالدولة الفاطمية بالمغرب والدولة المرابطية سكة خاصة بهم¹ ، ويذكر الونشريسي أنواع العملات النقدية التي كانت شائعة في المغرب الإسلامي ، كالدينار الذهبي التميمي، ودينار المرابطي ودينار الحمادي ، والدرهم التونسي في العهد الحفصي ، وكان التعامل يتم به في حواضر وبلدان افريقية خلال القرن 13/هـ².

السكة الحمادية:

لم تكن للدولة الحمادية نقود مستقلة تحمل نقوشا وطابع أمرائها³ كان الدينار المغربي العملة⁴ الرسمية و المنشرة في الدولة ، والواقع أن امراء بني حماد ضربوا السكة السكة بأسماء بني عبيد (الفاطميين) لإعلان تبعيتهم السياسية للدولة الفاطمية ، اضافة إلى العملة الفاطمية ، تداولوا أيضا السكة المرابطية.

أدرك الحماديون بعد إنتقالهم إلى عاصمتهم الثانية، وفي عهد الأمير يحيى بن العزيز" أهمية السكة بالنسبة لنظام حكمهم ، ففرض الأمير "يحيى" هذه التبعية التي استمرت طويلا في التعامل بسكة الفاطمية والمرابطية⁵، فاستحدثت السكة ولم يبادر أحد من الأمراء الحماديين من قبله في إستقلال الدولة الحمادية بعملتها الخاصة بها⁶.

¹-ريما محمد درنيقة ، الفتح العربي للمغرب والحضارة المغربية ، ص 196 ، 197

²-الونشريسي ، المعيار ، ج3، ص 294 ، 295 ، 315 ، وج4، ص 8 ، وج10، ص 412.

³-صالح يوسف (بن قربة)، المسكوكات المغربية منذ الفتح إلى سقوط بني حماد ، ص 507

⁴-عبد الحليم عويس ، المرجع السابق ، ص 213.

⁵-صالح يوسف (بن قربة) تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد، ص 247

⁶-عبد الرحمن بن خلدون ، العبر ، ج6، ص 235

ضربت السكة الحمادية على الطراز العباسي شكلا وحجما فالإختلاف كان في الشعار الديني الجديد الذي وجد في دائرة الوجه الواحد¹، وهو "وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ^ط ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ"²، ومن خصائص دينار الأمير الحمادي "يحيى بن العزيز" ذكر إسمه ولقبه في مركز الوجه³، ولطن أبرز خاصية هي ذكر مكان وتاريخ الضرب، حيث ضربت ببجاية سنة 543هـ⁴، وكانت بذلك اول دار لضرب السكة ببجاية ، وبالتالي أول عملة حمادية مستقلة.

وعليه تعتبر السكة التي ضربت بالناصرية قي عهد الأمير الحمادي يحيى بن العزيز العملة الوحيدة التي وجدت بعد حفريات سنة 1908م ، وجاء محتواه على الشكل الآتي:

الوجه:

الهامش الدائري: " واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون " ⁵.

المركز:

لا إله إلا الله

محمد رسول الله

يعتصم بحبل الله يحيى

بن العزيز بالله الأمير

المنصور

الظهر:

الهامش الدائري: بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا الدينر بالناصرية علم ثلث وأربعون وخمسماية

المركز:

الإمام أبو الله

المفتي لإمر الله

أمير المؤمنين العباسي

الملاحظ في هذه السكة أنه، برغم من أنها ضربت بالناصرية(بجاية) وتمركز إسم الأمير الحمادي في مركز العملة، إلا أنه نلمس التبعية السياسية التي يوليها الأمير يحيى بن العزيز للخلافة العباسية، فهو نقش إسم الخليفة العباسي على سكوته⁶.

السكة الموحدية:

¹نفسه

²سورة البقرة ، الآية 281.

³صالح يوسف (بن قربة)، المسكوكات... ص 513

⁴عبد الرحمن بن خلدون، العبر ، ج6، ص 235

⁵سورة البقرة، الآية ص 281.

⁶صالح بن قربة، المسكوكات المغربية، ص 512، 513.

بعد قيام الدولة الموحدية (524هـ-668هـ/1229م-1269م)، أمر الخليفة عبد المؤمن بن علي، أن تضرب سكة موحدية متميزة عن باقي العملات التي عرفها المغرب الإسلامي، فكانت مختلفة في شكلها ومضمونها ووزنها فاستبدلت العملة المرابطية والزييرية والحمادية بعملة الموحديين، حيث غير الخليفة شكل الدرهم والقطع الفضية والدنانير إلى مربعة الشكل أو المربعة¹ وليست مدورة كما هو عهدنا الناس. كما شهد "الدينار المؤمني"² تطورا، إلى جانب أنه كان مربع الشكل، عرف أيضا تغييرا في الحجم والوزن حيث كانت هناك العملة "اليوسفية"، نسبة للخليفة يوسف بن عبدالمؤمن ثم تضاعف وزنها في عهد ابنه أبو يعقوب الذي نقش اسمه على الدنانير، وأصبح يعرف "بالدينار اليعقوبي" أو بالدوبلا (DOBLA) بأوربا³ وهذه واحدة من السكة اليعقوبية التي ضربت بمدينة بجاية والتي كانت واحدة من المدن بها دار الضرب السكة.

الهامش: الأمير الأجل- أبو يعقوب يوسف أمير المؤمنين

في وسط المربع: (الجهة الأمامية)

القايم بأمر الله

الخليفة أبو محمد

عبد المؤمن بن علي

أمير المؤمنين

في وسط المربع: (الجهة الخلفية)

بسم الله الرحمن الرحيم

لا إله إلا الله

محمد رسول الله

المهدي أمام الأمة

بجاية

وهناك عملة أخرى ضربت ببجاية في العهد الموحد، لكن إسم الخليفة مفقود، مرتبة

على النحو التالي:

الجهة الأمامية:

لا إله إلا الله

الأمر كله لله

لا قوة إلا بالله

بجاية.....

الجهة الخلفية:

الله ربنا

محمد رسولنا

المهدي إمامنا

المركز:

¹ - الحسين بولقطيب، المرجع السابق، ص 420، 410.

⁴-ينظر: صالح بعيزيق بجاية في العهد الحفصي، ص 258، دنانير عبد المؤمن بن علي وابنه يوسف الي ضربت

ببجاية من سنة(547هـ-563هـ/1152م-1168م)

⁵- كان وزن إثنين وأربعين حبة شعير، أي ما يعادل 4.47 غراما ضعف وزن دينار عبد المؤمن بن علي الذي وصل

وزنه 2.29 غراما.

قوة ربنا رسولنا أمامنا¹

من بين خصائص السكة الموحدية والتي كان يتداولها سكان بجاية خلال القرن (6هـ-12م)، هو تميزها بكتابتين مركزيتين²، بالإضافة أنها مكتوبة بالخط اللين الشخي، والقليل ما نجده مكتوب بالخط الكوفي كما يظهر عليها تنوع في الأشكال ورسم بعض الحروف ضمن النص الواحد.

لم تكن الدنانير الذهبية والدرهم الفضية، العملة الوحيدة المتداولة في المجتمع الموحد، بل وجدت النقود النحاسية، وفي نهاية تاريخ الدولة ظهرت ما يسمى بالقراطيط صغيرة الحجم، وهو من بين مؤشرات السقوط الدولة.

السكة الحفصية:

أحصى لنا المؤرخ التونسي **صالح بعيزيق** عدد العملة المضروبة في بجاية خلال العهد الحفصي ب 18 قطعة، وقطعتين من نصف الدينار مضروبتين ببجاية، فالدينار الحفصي هو وريث الدينار الموحد، كما أنه ينقسم إلى ثلاثة أجزاء: نصف الدينار، ربع الدينار، ثمن الدينار.

عرف الدينار الحفصي إستقرار في الوزن والحجم، فمعياره كان 4.70 غرام من الذهب كما تعرض لطاهرة الغش والتزوير، أما حجمه تراوح قطره بصفة خاصة الدينار المضروب ببجاية بين 25 و30 مم وأحيانا 20 مم و18 مم³، رسمه المربع مثل الدينار الموحد وفيما يخص نص الدينار، جاء فيه السلطان أو الأمير⁴ وأسم المكان التي ضربت وأحيانا لا تذكر.

كما حافظت أيضا الدرهم الفضية الحفصية التي ضربت ببجاية على نفس الخصائص وقد أمدنا الأستاذ **صالح بعيزيق** بعددها وهو 12 قطعة .

تداول المجتمع البجائي في العهد الحفصي كغيره من مجتمعات الدولة الهنتانية درهم القديم خلال القرن 7هـ-13م، ثم إنتقلوا إلى درهم جديد بوزن 1.50 غرام من الفضة، لكن لم يمنع الناس من تداولهم للدرهم القديم المخلوط بالنحاس، وللفضل بين الدرهم الجديد والدرهم القديم خضعا إلى المعادلة في قيمتها وقوتها في السوق⁵.

كما تعرض الدرهم الجديد في منتصف القرن (9هـ-15م) إلى الغش والتزوير، فأستحدث في عهد السلطان **أبو عمرو وعثمان** درهم الناصري والذي يساوي ثلاثة مرات الدرهم الجديد⁶.

1- نص لعملة ضربت ببجاية فترة إنفصالها عهد الأمير الحفصي **أبو زكريا بن أبي إسحاق** (684هـ-700هـ / 1284م-1295):
الوجه:

M.HERI LAVOIX .catalogue des monnaies musulmanes de la bibliothèque nationale. Espagne et AFRIQUE. Imprimerie nationale .paris. 1891.pp .300. 310. ¹

⁷- د.محمد شوشوش، تطور شكل السكة الموحدية من خلال أربعة نماذج غير منشورة للدرهم المستدير، كان التاريخية، العدد 17، سبتمبر 2012، ص 33.

³ - صالح بعيزيق، بجاية في العهد الحفصي، ص 259، 266.

⁹ - كان يعوض إسم السلطان بأسم الأمير عند إنفصال بجاية عن السلطة المركزية، لكن بدون التصرف في نص العملة ينظر: صالح بعيزيق، المرجع السابق، ص 266، 267.

⁵ - صالح بعيزيق، بجاية في العهد الحفصي، ص 270، 271.

⁶ - المرجع نفسه، ص 273.

الهامش: الأمير المنتخب لإحياء دين الله أبو زكريا ابن الأمراء الراشدين

المركز:

الشكر لله

والمنة لله

والحول والقوة بالله

بجاية

الظهر:

الهامش: لبسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد- والحكم إله واحد- لا إله إلا

هو- الرحمن الرحيم

المركز:

الواحد الله

محمد رسول الله

المهدي خليفة الله¹

2- العملة ضربت ببجاية في عهد أبو يحيى أبوبكر:

الوجه:

الهامش: الأمير الأجل- المتوكل على الله- المؤيد بنصر الله

المركز:

أبو يحيى أبوبكر

بن الأمراء

الراشدين

بجاية

الظهر:

الهامش: لبسم الله الرحمن الرحيم- صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

تسليما

المركز:

الواحد الله

محمد رسول الله

المهدي خليفة الله²

3- عملة ضربت ببجاية عهد الأمير أبو الحسن علي بن أبي فارس:

الوجه:

الهامش: لبسم الله الرحمن الرحيم- صلى الله على سيدنا محمد لا إله إلا الله- محمد رسول

الله

المركز:

الشكر لله

والحول والقوة بالله

المهدي خليفة الله

¹ - صالح بعيزيق، بجاية في العهد الحفصي، ص 267.

² - نفسه.

الظهر:

الهامش: المتوكل على الله- المؤيد بنصر الله- أمير المؤمنين

المركز:

أبو الحسن علي ابن

أمير المؤمنين أبو

فارس عبد العزيز

بجاية¹

المكاييل والموازين:

تعرضت لتزيف والغش ما ألزما على الدولة الإسلامية إيجاد نظام يحد من هذه الظاهرة، التي تقشت، بسبب أطماع الناس، والرغبة السريعة في الثراء، ولتمييز العملة السلمية من العملة المغشوشة، كان يتم تحميتها فإن كانت مزيفة يتغير لونها حتى يظهر معدنها الأصلي²، يذكر الونشريسي أن ولاية الحسبة إهتموا بمراقبة العملة ومعاينة كل من غش فيها³، فأجمع الفقهاء كل العملة يخلد في السجن، بالإضافة إلى مراقبة الأوزان والمكاييل في الأسواق.

اعتمدت المجتمعات الإسلامية على أشكال مختلفة من الموازين والمكاييل، فكانت الأوزان الرئيسية بمدينة بجاية كغيرها من المدن المغربية، هي المثقال كان يعادل وزن الدينار الذي تتراوح نسبته بين 4.21 و4.25، والدرهم المستعمل للوزن 10/7 من وزن المثقال، وموازين الزجاج أو ما يعرف "بالصنوج" مفردا "صنجة" جعلت لمراقبة العملة ووزن الأشياء الثمينة، كما تعير الوزن المضبوط للدينار والدرهم والرطل حيث كان في العهد الحمادي رطل يختلف عن رطل بقية الأشياء⁴، فكان رطل اللحم 67 أوقية، أما رطل للأشياء الأخرى 22 أوقية، ووزن قيراطهم ثلث درهم⁵، أستعملت نفس الموازين الرئيسية وتبعتها الدولة الحفصية في ذلك.

أما المكاييل نجد كل من المد ولسيما المد النبوي الذي كان يساوي مدا وثمان مد قروي أو مغربي، هذا الأخير كان سائدا بالمغرب الإسلامي⁶، وكانت تؤدي الزكاة والصدقات بالمد النبوي كان يزن ست عشرة أوقية في بلاد المغرب الإسلامي⁷، إستعمل الموحدون المد كمكيال للمواد الغذائية في تنقل الجيش في الحرب يقول ابن صاحب الصلاة عن الجيش الموحد وهو متوجها المحاربة النصارى بالأندلس، أن الدقيق الرابع الواحد منها بدرهمين والشعير خمسة عشرة مدا⁸.

أيضا أستعملت "الويبة" هو مكيال مصري إستعمله بنو حماد في أكابيلهم ويعادل 16 قدحان و"الصحفة" وهي ما تعادل 12 مدا، و"القادوس" يساوي 3 أمداد و" الققيز" و

¹ - صالح بعيزيق، بجاية في العهد الحفصي، ص 268.

² - الحسن بولقطيب، المرجع السابق، ص 45.

³ - الونشريسي، المعيار، ج6، ص 407.

⁴ - الأصطوانات الزجاجية الإسلامية في مجموعة متحف سيرتا(قسنطينة)، دراسات وبحوث لابي بول أرمند،

المؤسسة الوطنية المطبعية التجارية، وزارة الثقافة، الجزائر، 1983، ص 136.

⁵ - عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 215، 216.

⁶ - الونشريسي، المعيار، ج2، ص 83، ج4، ص39،

⁷ - نفسه ج 1، ص 399.

⁸ - ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص 352.

الصاع" يساوي أربعة أمداد نبوية، و " الوسق" يعادل ستين صاعا) صاع النبي عليه الصلاة والسلام)¹، وأيضا وظف الحب إما حب الشعير أو القمح في المكايل، "فالدينار اليعقوبي" كان يساوي 42 حبة شعير، هذه المكايل والأوزان تداولت بمدينة بجاية، فأصبحت نظاما محليا لكن كان من الضروري أن يقوم التجار بإجراء تحويلات للعملة خاصة، مع تجار أوروبا لأن وحدة الحساب في الغرب هي " الليرة "، التي تنقسم إلى 20 فلسا وكل فلس يساوي 12 درهما²، فشهدت هذه الحركة صعوبات في التعاملات التجارية، لكنها سرعان ما وجدا الطرفين طرق لتسهيل عمليات الحساب والوزن.

¹- الونشريسي، المعيار، ج5، ص90.

²³- جميل عسياني، ودومنيك فالريان، العلاقات بين مدينتي بيز وبجاية في العصور الوسطى مساهمة حاسمة في بناء

الانتماء للمتوسط، ص 45.

الباب الثاني : المجتمع و التعمير بجاية من القرن

(15هـ-9هـ/11م-15م)

الفصل الأول : التركيبة السكانية في بجاية من القرن (5هـ-9هـ/11م-15م)

أ- البربر .

ب- العرب .

ج- الأندلسيين .

د- أهل الدمة .

و- الطبقات و الفئات الاجتماعية .

هـ- الهجاء التوغرافي ببجاية .

بعدها شهدت بجاية خلال القرن (5هـ/11م)، شهدت حركة ، لمختلف شرائح المجتمع، حيث تكون نسيجها الاجتماعي، من عدة عناصر مختلفة، من سكان أصليين ومن الوافدين إلى جانب عناصر أخرى من أهل الذمة هود ونصارى، وحتى من فئات إجتماعية تطورت حسب تغير وضعها السياسي من القرن (5هـ-9هـ/11م-15م).

وعليه فيما تمثلت البنية الاجتماعية لمدينة بجاية خلال عهدها صنهاجية والمصمودية والهنثائية؟ وإلى أي مدى ساهمت هذه الشرائح والعناصر في التأثير على النمط المعيشي للمجتمع البجائي؟ وهل تغيرت ملامح بجاية الصنهاجية بعد توافد عناصر إجتماعية أخرى كفتة الأندلسيين؟.

-البربر¹:

شكل البربر أهم عناصر السكان ببجاية وأغلبها، وهم ينقسمون إلى عدة قبائل.

1-القبائل الصنهاجية: تنتمي إلى البرانس، وهي أشهر قبائلها وتنفرد بإنتشارها الواسع، فعبد الرحمن بن خلدون يذكر أنهم يمثلون ثلث مجموع سكان المغرب فيقول: " لايكاد قطر من لأقطاره يخلو من بطن من بطونهم في جبل أو بسيط حتى لقد زعم كثير أنهم الثلث من أهم البربر"².

وينقسم صنهاجة إلى بطنين وهما صنهاجة الشمال المقيمين في المناطق الشمالية ويسكنون بيوت مبنية، وصنهاجة الجنوب لهم خيام وهم ملثمون ومنهم المرابطون، أما البطن الأول ينتمي إليه بجاية³، ومنها قبيلة تلكاثة هذه الأخيرة نقلت كغيرها من القبائل البربرية إلى بجاية، عندما اتخذها الناصر بن

¹- "إنهم من بقايا ولد حام بن نوح عليه السلام، وادعت طوائف منهم إلى اليمن إلى حمير" وينقسم البربر إلى فرعين، فرع البرانس نسبة إلى برنس بن مازيغ، وفرع البتر إلى ماذغيس بن بر بن مازيغ، ويلقب ماذغيس بالأبتر، وكانت مواطن البربر فلسطين وملكها جالوت "فلما قتله سيدنا داود عليه السلام جلت البربر إلى المغرب حتى انتهوا إلى لوبية ومراقية فتفرقت هناك..." كل قبيلة نزلت بموضع، وبسبب جور الروم أخذ البربر الجبال والصحارى موطناً لهم، ينظر: ابن حزم الأندلسي، أنساب العرب، ص 404، أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله -ابن خرداذبة- المسالك والممالك - تقدم محمد مخزوم، ط1، دار إحياء التراث العربي، 1408هـ-1988م-بيروت-لبنان-ص83-84، أما فيما يخص تسميتهم بالبربر، يذكر عبد الرحمن بن خلدون أن "إفريقيش بن قيس بن صيفي" أطلق عليهم إسم البربر بسبب عدم فهمه لكلامهم، العبر، ج6، ص 117.

²-عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص 152

³-نفسه

علناس الأمير الحمادي عاصمة له بعد القلعة، ونقل إليها الناس¹، وأسقط الخراج، ليكون تحفيزاً قصد تعمير بجاية من كل الجهات والأماكن وقبيلة صنهاجة ينحدر منها مؤسس الدولة الحمادية، حماد بن بلكين الصنهاجي.

2- قبيلة كتامة²:

تنسب إلى البرانس، موطنها بجبال بجاية، وتشتهر ببطونها العديدة منها قبيلة زواوة³ التي فضلت بجاية موطناً لها لما تحمله من مزايا متنوعة فهي مكان حصين متفتح على التيارات الداخلية والخارجية، يمثل مركزاً اقتصادياً هاماً، فكان توافد سكان قبائل زواوة عليها بشكل مستمر، بدأ أول تدفق في عهدي الأمير الحمادي "الناصر بن علناس" وابنه الأمير المنصور، اللذان شجعا الهجرة السكانية المحيطة بمدينة بجاية لاسيما سكان البادية كقبيلة بني سدويكش وزواوة على الاستقرار بالمدينة وهذا أمام إمتيازات قدمها الأمير بن خلال عهديهما، فالأمير الناصر بن علناس وكما ذكرنا سابقاً أنه أسقط الخراج⁴ لإستمالة الحركة الديمغرافية إلى مدينته "الناصرية" -بجاية- أما الأمير المنصور الذي واصل أب إبيه بالإضافة إلى تشجيعه على العمران، هذا المجال كان عاملاً في استقطاب السكان إلى بجاية.

كما واصلت قبائل زواوة نزوحها إلى مدينة بجاية خلال عهدي الموحد والعهدي الحفصي الذي تفاقم وجودهم أكثر حتى صارت بجاية داراً لزواوة⁵، حيث أصبح زواوة من العناصر الأساسية للمجتمع

¹-عبدالرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص357.

²-كتامة من ولد كتام بن برنس، ينسبونهم العرب إلى حمير، وأن أول ملوكهم افريقيش بن قيس بن صيفي، إنتشر الكتاميون في بلاد المغرب وتفرعت بطونهم ومنها قبيلة زواوة التي سكنت بجاية منذ بناءها خلال القرن 5هـ-11م، ينظر عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص 174-

175

³-زواوة موطنهم ومسكنهم بشمال افريقية ويسموا بزواوة لكثرة مجموعهم إذ معنى زوى الشيء جمعه فهو زوا وأزوى، لهذا لا نجد في الزواوة يهودياً ولا نصرانياً ولا مذهب غير مذهب المالك ولاقراءة غير قراءة ورش" ينظر أبو يعلى الزواوي، تاريخ الزواوة مراجعة وتعليق سهيل الخالدي، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2005، ص 90-109

⁴-عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص 206

⁵-نفسه، ج6، ص 120

البجائي، لاسيما أنهم كانوا من بين من دافع عن مدينتهم بجاية عندما زحف الموحدون إلى بجاية، فقد ثاروا وشنوا العديد من الغارات على الموحدين¹

تولى العديد من أبناء قبيلة زاوارة أمور بجاية كالقضاء مثل قاضي القضاة الذي ينتمي إلى فرع بني غبرين الزواوية، احمد الغبريني (ت704هـ/1304م)²، كما كان لبادية قبائل زاوارة فضلا كبيرا في دعم اقتصاد بجاية، فكانوا يزودون حوانيتها وأسواقها بمنتجاتهم المتنوعة، والمرأة الزواوية كغيرها من النساء البادية ساهمت في هذا المجال، لما تنتجه من أواني فخارية ومنسوجات وملابس وأطعمة كالتين المجفف وقطف محصول الزيتون وصناعة الخبز وغيرها.

وعليه يمكننا القول أن قبائل زاوارة هي من بين العناصر السكانية التي ساهمت في تعمير بجاية منذ تأسيسها، كما أنها قوى فعالة ساهمت في حماية المدينة عسكريا ودعمتها اقتصاديا وإداريا وحتى علميا بتوافد علماءها على بجاية عاصمة العلم والعلماء.

3- قبيلة زناتة:

رغم الصراع الذي كان قائما بين القبائل الزناتية والصنهاجية إلا أنه لم يمنع من وجود مصاهرات وإرتباطات ولدت علاقات بين المجتمعين فوجدت نسبة معتبرة من القبائل الزناتية تسكن حواضر الحمادية وبجاية واحدة منها سكنت بها قبيلة تواتة³، لم ينقطع الوجود الزناتي ببجاية منذ القرن 5هـ/11م ثم تشهد تراجعاً في العهد الموحد، ليعود بقوة بداية القرن 7هـ/13م بظهور دولة بني مرين.

4- القبائل المصمودية : ضمن فروع بربر البرانس، ينحصر وجودهم فقط ببلاد المغرب الأقصى

من جهته الغربية، أن الزراعة مصدر عيشهم، تتواجد مواطن قبائل المصمودية في شمال المغرب من حدود بلاد الريف من جهة الشرق إلى المحيط الأطلسي، من جهة الغرب، وتمتد إلى غاية الساحل إلى جنوب

¹-مفتاح خلفات قبيلة زاوارة، المرجع السابق، ص 88-89.

²-ينظر : عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص 405، ابن قنفذ، الفارسية، ص 267، مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص 92-93.

³-صالح يوسف بن قرية، تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد، ص 230.

شمال سهول¹، تتفرع منها عدة فروع منها قبيلة هرغة وهناتة وتينمل وكدميوة وكنفيسة ووريكة وركراكة وهزميرة ودكاته وحاجة وهيلانة، وتامسنا وبرغواطة².

وبعدما تم تأسيس دولة الموحدين على أنقاض دولة المرابطين بالمغرب الأقصى، كان من بين القبائل التي كانت لها عونا ومناصرا قبيلة هرغة وقبيلة كومية وتنمیل وهناتة، جنسيقة، جد ميوة، وهسكورة³، هذه الدولة التي قامت بمساعدة هاته القبائل، لم تكتفي بالبقاء بالمغرب الأقصى، بل استطاعت أن تسيطر على كامل المغرب الإسلامي في القرن 6هـ-12م، فتمكن المصامدة من الاستقرار واستيطان مدن وحواضر المغرب الإسلامي.

كما سكنت قبائل بادية هسكورة مدن المغربية، اما قبيلة كومية وهي قبيلة الخليفة الموحد عبد المومن بن علي"، سكنت المغرب الأقصى والجهة الشرقية للمغرب الأوسط⁴، لقد تمكن المصامدة الموحدين، من تشجيع هجرة القبائل المصمودية إلى أغلب المدن المغربية، بعدما آلت إلى حكمهم ومدينة بجاية كانت من ضمن الرقعة الجغرافية المصمودية والتي بدورها تلقت جموع هذه القبائل، بل إستوطنتها، فكانت من بين العناصر السكانية بالمجتمع البجائي، أما قبيلة هنتاتة والتي تنبثق منها تسعة بطون، سكنت بدورها مدينة بجاية عهد الموحد وألفيا توطدّ إستطانهم أكثر لما صارت بجاية إحدى حواضر الدولة الحفصية التي إستقل جدهم أبي حفص بن عمر بن يحيى - عن الدولة الموحدية، فالهنتاتيون كانوا يحتلون الرتبة الثانية بعد قبيلتي هرغة وتينمل، لأنهم من القبائل الاولى التي سارعت في نصرّة دعوة المهدي بن تومرت.

وفي نهاية القرن 9هـ-15م عرف المجتمع البجائي دخول عنصرا دخيلا متمثلا في الإسبان (القوطيون)، وهذا بعد غزوهم لبجاية سنة 915هـ-1510م، فإستوطن العديد منهم المدينة وبنوا فيها عماراتهم خاصة أن البابوية شجعت هذا الغزو من أجل تسيح البلاد.

¹-جمال طه، الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى في عصر الإسلامي (عصري المرابطين والموحدين)، ط1، دار الوفاء لنديا للطباعة والنشر،

2004، الإسكندرية، ص 49-50

²-عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص 264.

³-عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 423، 424

⁴-ينظر: ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 62-71، عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 157-423.

- العرب :

يعد الفتح العربي إلى بلاد المغرب، من بين عوامل الهجرة العربية إلى هذه المنطقة، وإستمر تدفق القبائل العربية من كل حذب وصوب على المدن المغربية خاصة في عهد الولاة بالمغرب الإسلامي، فكانوا بذلك من بين العناصر المدعمة لحركة النمو الديمغرافي بمدينة بجاية كغيرها من المدن المغرب الإسلامي، لاسيما في منتصف القرن الخامس للهجرة 11م، عندما شهدت البلاد الغزوة الهلالية، التي حملت معها العديد من القبائل العربية (بني هلال وبني سليم) تتفرع منهم بطونها كالأثيج والزغبة والمعقل ورياح وجثم وعدي وغيرهم كثير أصبح هؤلاء بعد مدة زمنية من وصولهم إلى المغرب الإسلامي منتصف القرن 5هـ-11م مكانة خاصة عند أمراء بني حماد وخلفاء الموحدين وملوك بني حفص، حيث استخدموا في الجيوش لحماية الحدود والدول.

-القبائل الهلالية¹: من أشهر وأعظم قبائلهم، قبيلة الأثيج، كانوا أكثر عدد وأكثر بطونا منهم، الضحاك، وعياض، ومقدم والعاصم والطيف، ودريد وكرفه²، وبعد إنتشارهم بالمغرب إنظم الأثيج وقبيلة عدي مع الحماديين، فالأمير الحمادي المنصور صالحهم على أن يجعل لهم نصف غلة البلاد من حبوب وتمور، وغيره، فإستمر إحتكاك هذه القبائل مع المجتمع البجائي إلى غاية دخول الموحدين، فقد قام الخليفة عبد المؤمن بن علي بإزالة كل الإقطاع الذين ملكوه من الحماديين، حيث تذكر المصادر أنه "صيرهم خبذاله، وأقطع رؤسائهم، بعض تلك البلاد"³، إستطاع الموحدون من التحكم بهذه الفئة

¹-عرب بني هلال وبني سليم من مصر كانوا على طور البداوة، إستقر بنو سليم بالحجاز، وبني هلال في جبل غزوان عند الطائف، ثم أنزلوا إلى مصر بالصعيد في العدة الشرقية من نهر النيل، وبعد مصر إنتقلوا إلى المغرب واقتسموا سنة 446هـ، فكل بطن من بطونهم إتخذ ناحية، فكان لرغبة طرابلس وقابس ومرادس بن رياح باجة والقيروان، وعقد لحسن بن سرحان الدردي من كرفة على قسنطينة، فكان لهلال الجهة الغربية للبلاد أما سليم الجهة الشرقية، ينظر : سعدون نصر الله، تاريخ العرب السياسي في المغرب من الفتح العربي حتى سقوط غرناطة (20-798هـ/640-1492م)، ط1، دار النهضة العربية، لبنان 2003-ص 232، محمد حسن، المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي، ج1، ص 39، والمزيد من معرفة أنساب الأعراب ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، ج6، ص 30-33-35-41-42

-Gillert meynier, l'algérie cœur du maghreb classique de l'ouverture islamo-arabe au repli (698-1518), la découverte, paris, 2010,p52,53,54,55

²-جمال طه، الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى في العصر الإسلامي، ص 62

³-عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 328، عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص 362

السكانية، فالأعراب الهلالية بعدما آلت بجاية إلى الحكم الموحد، إنتفضت ضد المدّ الموحد، فشهد الطرفان مواجهة نواحي سطيف سنة 547هـ-1153م، إنهمز على إثرها الأعراب. دخلت كل من قبيلة الأثيج وزغبة وبعض من بطون رياح مثل بني محمد¹، في طاعة الموحدين كما كانوا من ضمن العناصر الأساسية بالجيش الموحد، بذلك إنتقل الأعراب من مجال لآخر في العهد الموحد، كما إستطاعوا أن يتقلدوا عدة مهام مالية كجمع الضرائب حيث توالى قبيلة بنو يزيد الهلالية جمع ضرائب على سكان مدينة بجاية²، لكن سنة 576هـ-1180م شهدت زحف لقبائل بني سليم، خاصة أن الوضع يسمح لهم بتسرب إلى المغرب الإسلامي، ليحلوا مكان بني هلال الذين صيروا جندا في صفوف الجيش الموحد.

ففي العهد الحفصي، وبعدهما انفصل الأمير الحفصي " أبو زكريا لولايته عن الدولة الموحدية، بدأ يشجع أكثر هجرة بني سليم إلى افريقية³، فكانت قبيلة بني دباب واحدة من أهم القبائل التي تمركزت بهذه المنطقة وبهذا يعود عنصر الأعراب ليتوغل أكثر في جهات المغرب، وبالاحتكاك بمجتمعاته، فإنتشر بنور رياح في الجهة الغربية ملكوا ضواحي قسنطينة وبجاية، وغيرها⁴، كما استرجعوا الإقطاعات الزراعية التي إنتزعتها منهم الموحدون في العهد الحفصي أفرزت هذه الهجرات العربية إلى بلاد المغرب الإسلامي بصفة عامة وبجاية بصفة خاصة نتائج عديدة منها:

-أصبحت اللغة العربية ذات سيادة على جميع بلاد المغرب الإسلامي.

-اختلاط العرب بأهالي البربر عن طريق المصاهرات والزواج ما نتج عنه التبادل الثقافي

الاجتماعي في العادات والتقاليد والأعراف.

-ساهم الهلاليون وبني سليم في الحفاظ على الإسلام وهذا بالدفاع على إقليم المغرب الإسلامي

والمغرب الأوسط بصفة خاصة، اذ كانوا يمثلون الذرع الواقى للدولة الحمادية.

1- محمد حسن، المدينة والبادية، ج1، ص 43

2- قبيلة بنو يزيد بطن من بطون قبيلة زغبة، أقطعهم الموحدون أراضي وولوهم جمع ضرائب القبائل البربرية من صنهاجة نواحي بجاية وزواوة، ينظر : محمد حسن، المرجع السابق، ص 103.

3- رسائل موحدية، ص 146-157، محمد حسن المدينة والبادية، ج1، ص 44

4- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص 71-146.

اما العهد الموحدى فساهموا في بناء الوحدة السياسية بالمنطقة، وفي نهاية العهد الحفصي، عرف الأعراب بمقاومتهم لتحريشات الإسبانية¹.

يمكن أن نخلص أن الأعراب الهلالية لاسيما الأثيح وزغبة وبني رياح وبنو يزيد كانوا من ضمن الفئات الإجتماعية التي عرفها المجتمع البجائي من العهد الحمادي إلى غاية نهاية العهد الحفصي، فهي قبائل فعالة تركت بصماتها بالمجتمع.

- الأندلسيين: وفدت جاليات أندلسية على مدينة بجاية منذ السادس للهجرة بالهجرة إلى بلاد المغرب الإسلامي، وهذا بسبب عدة عوامل منها اضطراب أحوال المدن الأندلسية، إذ يذكر عبد الواحد المراكشي: " أنه لما اضطرب أمر قرطبة باختلاف بني أمية بعد موت محمد ابن عامر وابنه رجل منها من كان فيها من العلماء والفضلاء من كل طبقة فرارا من الفتنة"².

وبجاية من المدن التي إستقبلت هذه الوفود من أصحاب الفكر والعلم والمهن والحرف، وتضاعف وجود الأندلسيون بعد سقوط قواعد عربية بالأندلس كسقوط طليطلة (Toledo) عام 478هـ- 1085م، ثم سرقسطة (Taragoza) عام 512هـ-1118م وقرطبة (cordoba)، وإشبيلية (sevilla) سنة 633هـ/1236م و 647هـ/1248م بالإضافة إلى عديد من النواحي والمناطق المجاورة سقطت بدورها بيد الإسبان³.

كما يعدّ القرن 6هـ-12م الفترة الأكثر إستقطاب لأندلسيون ببجاية لاسيما بداياته الاولى، إذ يذكر لنا الغبريني أنه رجل إلى بجاية عدد كبير من العلماء الأندلسيون كالفقيه "عبد الحق الإشبيلي" والآبلي وإبن الأبار وعلي بن أحمد بن خيرة، ويوسف بن محمد البلوي و يوسف بن عبد العزيز الخزرجي، وأحمد بن عبد الجليل بن عبد الله⁴ وغيرهم ممن تعلم على يدهم الكثير من البجائيين.

¹-عبد الحميد خالدي، الوجود الهلالي السليمي في الجزائر، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 234-235.

²-عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 443

³-عبد الواحد دنون طه، حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة، دار المدار الإسلامي، ط1، 2004، بيروت - لبنان-ص07

⁴-ينظر أحمد الغبريني، عنوان الدارية، ص 73-134-135-217-219-222-223، إبن الأبار التكملة لكتاب الصلة، ج1، ص 60، 61.

لكن سرعان ما تقلصت حركة الهجرة الأندلسية نحو بجاية خلال النصف الاخير من القرن، في فترة الموحدين، بسبب كثيرة الحروب والتمردات التي شهدتها الدولة خاصة ثورة بني غانية، هذه الأخيرة عطلت تواجد الأندلسي ببجاية.

أما الفترة الممتدة ما بين (7هـ-9هـ/13م-15م) وهي الفترة الأطول في تاريخ بجاية الحفصية، والتي شهدت توافد 63 أندلسيا، ودافع هذا التوافد تشجيع السلاطين الحفصيين هجرة الأندلسيون نحو مدن الحفصية، وهذا من اجل الإستفادة من خبراتهم العلمية والإدارية، لهذا الكثير من الأندلسيون تقلدوا مناصب إدارية عالية في بجاية كوظيفة الحجابة والقضاء والإمامة والتدريس والخطابة¹، وحتى الولاية، كولاية آل غافقي ببجاية، كما تولى آخرون خطة الإنشاء والكتابة ببلاط البجائي، كإبراهيم بن الحاج النميري²، وعائلات اخرى أندلسية أشتهرت ببجاية، وكان لها اثر كبير في المجتمع البجائي هي: عائلة ابن سيد الناس، ابن أبي جبي وإبن غمر، خاصة أبو الحسن بن سيد الناس كان مخلصا للبلاط الحفصي، تولى شؤون بجاية³، وتولى والده أبي بكر سيد الناس إمامة صلاحي الفريضة والخطبة بالجامع الأعظم بالمدينة⁴، فكانت هذه العائلة واحدة من بين العائلات التي فرضت نفسها في كل المجالات خاصة ميدان الحكم والسلطة كما برهن الأندلسيون عن مهاراتهم في عدة ميادين، فمثلا محمد بن سيد الناس ويعقوب ابن غمر اللذان كان حاجبين ببجاية إستطاعا، أن يقودا مقاومة ضد بني عبد الواد (الزيانيين) سنة (715هـ-718هـ/1315م-1318م) وليس فقط القيادة كانت من مهامهم بل حتى التدخل في شؤون البلاط حيث يذكر كل من الرحالة ابن بطوطة وعبد الرحمن بن خلدون وأن "محمد بن سيد الناس، تمكن من بسط نفوذه ببجاية كان يملك التفويض المطلق في تسيير شؤون بجاية، حتى أنه كانت له مراسلات خاصة به إلى الأمراء والحكام، عليها ختمه وإسمه، بل وصل الوضع إلى أن الردود تضمنت

¹-الغبريني عنوان الدارية، ص 101-129-172-209-224-228-246-251-259 وما بعدها.

²-ابن الخطيب، الاحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ص 342

³-Baizig slash, l'élit andalouse à tunis et à bougie et le pouvoire hafside, Mélanges de l'école fornaise de rome moyen âge, megrm tome 115-2003, p523-542

⁴-بغيرق صالح، بجاية في العهد الحفصي، ص 404.

الدعاء إليه وتمجيده، هذا الأمر جعل من محمد سيد الناس يملك ثروة طائلة، عن طريق نفوذه وجوده واغتصابه لأموال التجار، لكن نهايته كانت مفجعة¹، يقول الزركشي: " أنه قتل وصلب واحرق بالنار" سمح سلاطين بجاية للعنصر الأندلسي، بأن تكون له الريادة والسلطة في مجالات مختلفة كعائلة ابن سيد الناس وعائلة ابن أبي جبي²، وعائلة ابن غمر وعائلة ابن فرحون³، وعائلة ابن أبي مهدي التي إستبدت وسيطرت سياسيا وإداريا وإقتصاديا، وحتى على رئاسة البحر⁴ وبالرغم من الهيمنة الأندلسية على الحياة الإجتماعية ببجاية إلا انه كانت تتعرض هذه العناصر كغيرها إلى التعذيب والسجن في حالات الإختلاس والسرقه، مثلما حل بمحمد سيد الناس.

بعد سقوط غرناطة⁵ إزدادت الهجرة الأندلسية بالمدن والحوضر المغربية لأن المد الصليبي بات يهدد وجود الأندلسيون بالمنطقة، فإستقبلت بجاية المزيد من الأندلسيون الذين سكنوا الجبال والمرتفعات. لكن القرن 9هـ-15م شهد تراجعاً كبيراً في الهجرة الأندلسية نحو بجاية، خاصة أن مدينة كانت تعيش إضطرابات سياسية داخلية وحتى خارجية، مانح عنها العدوان الإسباني على سواحلها واحتلالها نهائياً سنة 915هـ-1510م، فهذا الوضع لم يشجع الأندلسيون لتوافد نحو بجاية، فضلوا تكثيف هجراتهم نحو المغرب الأقصى.

هذه التركيبة، بالرغم من هجرتها المتفاوتة من فترة لأخرى، أفرزت آثاراً مختلفة على جميع الأصعدة في حياة النسيج الاجتماعي البجائي ومن بين التغيرات التي عرفها المجتمع الصنهاجي هي:

النخبة الأندلسية التي توافدت على بجاية، لم تكن من العلماء، وأهل الفكر فقط، بل حوت على عدد كبير من الحرفيين والصناع والبنائين، فعرفت بجاية صنائع جديدة كدباغة الجلود، وصناعة الخزف، وإدخال نمط جديد من التزييق والفسيفساء والأشكال هندسية أخرى، كما ساهموا في ميدان

¹- ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص 768، ابن بطوطة، تحفة النظار، ص 19 بعيزق صالح، بجاية في العهد الحفصي، ص 534-407-406

²- ينظر بعيزق صالح، بجاية في العهد الحفصي، ص 410-411

³- نفسه، ص 411-416

⁴- نفسه، ص 416-417

⁵- ينظر عبد الواحد ذنون طه، حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة، ص 8-17، وللتعرف على المدينة وأخبارها، ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة.

البناء والعمارة، فأستقدم مهندسين قاموا ببناء القنوات للمياه ودعمت قصور بجاية بنوافير زينت أحواض ومناياها كما عرفت المدن المغربية نوعا جديدا من عمارة اقتصادية، تمثلت في الحمامات هذه الأخيرة من ضمن الثقافة الأندلسية، التي انتشرت بجواضر المغرب الإسلامي وبجاية بدورها أضيف إلى عمائرهما، هذا النوع من العمارة التي ساهمت في توفير مناصب عمل جديدة إلى جانب هذا كله تعمير وتمصير مدينة بجاية وعليه لا يمكننا أن نهمّل ونهمش فكرة أن الجليات الأندلسية التي توافدت على بجاية كان لها مد حضاري وتأثير قوي على جميع مجالاتها وأصعدتها دعما بالتالي المجتمع الحضري بالمدينة.

- أهل الذمة:

*اليهود¹: كان لليهود في العهد الحمادي ببجاية، حرية ممارسة طقوسهم وشعائهم الدينية بسبب التسامح العقائدي الذي وفره أمراءها، كما امتنهنوا وظائفهم خاصة التجارة والطب، والصباغة والديباغة و الصياغة وحتى الجباية وكانت لهم أحياء خاصة بهم بالمدينة.

عرف يهود بجاية بالتجارة، حيث عملوا في القوافل الصحراوية حتى بلاد السودان كما أحكموا قبضتهم على المراكز الكبرى لتجارة الذهب من المغرب حتى السودان²، لكن بعد الهجرة الهلالية نحو المغرب، أدت إلى تعطيل تجارتهم البرية هذا الوضع أجبرهم على تغيير مسارهم التجاري، وتحويله إلى تجارة بحرية عن طريق مسالك بحرية، ركوب السفن والتعامل الجمركي بالموانئ وغيرها، فإستطاع اليهود في نهاية

¹- الوجود اليهودي شمال إفريقيا، ليس وليدا لعصور الوسطى، بل هو أقدم حيث توافد اليهود على المنطقة منذ أن قدم الفينيقيون للممارسة التجارة كما كان اليهود أيضا يمارسون التجارة، حيث تاجروا في كل شيء حتى البشر أي تجارة الرقيق، وبالتالي توضحت وضعية إستقرار اليهود شمال إفريقيا، ولما حل البيزنطيون بالمنطقة تغير وضع اليهود حيث أجبروا على اعتناق المسيحية، أما علاقاتهم بأمازيغ شمال إفريقيا، كانت علاقة سلم، فبعد اضطهادهم تم طرف البيزنطين، توغلو في المناطق الداخلية فسكنوا بونة، سكيكدة، بجاية، جيحل، دلس، تنس، سيرتا وغيرها من المناطق البربرية، وعندما دخل الفاتحين إلى شمال أفريقيا صار اليهود جزءا من المجتمع الإسلامي وسموا "بالتوشايم" معناها بالعبرية "الأهالي"، ينظر : كما بن صحراوي الدور الديبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر عهد الدييات، ط1، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، 2009، الجزائر، ص ص 20-21-22-25-27.

²- جمال أحمد طه، دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي، ط1 دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر، 2008م، الإسكندرية، ص 80.

القرن 5هـ-11م أن يبرزوا وجودهم كتجار بحريين تمتع اليهود في ظل الدولة الحمادية بكامل حقوقهم إلى غاية أن آلت بجاية للحكم الموحدى خلال القرن 6هـ-12م.

قد منع الموحدون اليهود بأن يختلطوا بالمسلمين، بل خصوا باللباس خاص بهم، ثياب كحلية وأكمام مفرطة السعة تصل إلى أقدامهم وكلونات بدل العمائم على صورة شنيعة كأنها البراديع إلى تحت آذانهم، فإنتشر زيبهم في جميع أوساط المجتمعات المغربية، وإستمر الزي إلى غاية خلافة ابنه أبي عبد الله¹. بالإضافة إلى أنهم لم يسمح لهم بالإختلاط بالمسلمين، حسب ما ذكره لنا عبد الواحد المراكشي حين قال أن الخليفة كان يقول فيهم أنه "لوصح إسلامهم لتركتمهم يختلطون بالمسلمين في أن أنكحتهم وسائر أمورهم، ولو صح عندي كفرهم لقتلت رجالهم وسبيت ذراريهم وجعلت أموالهم فيئا للمسلمين ولكني متردد في أمرهم"²، فمنذ أن تولى الخليفة الموحدى عبد المؤمن بن علي الحكم عرض الإسلام على يهود المغرب كله فمن أسلم سلم ومن امتنع قتل³، فكثير منهم إنصهر بالتدريج في جموع المسلمين بل تخلوا عن ممارساتهم ولغتهم العبرية كما انطوا في أحيائهم⁴ خوفا من السياسة الموحدية اتجاههم.

لكن الوضع سيتغير جذريا في العهد الحفصي، فقد عرف اليهود في هذه الفترة الإستقرار، فلم يتعرضوا لمضايقات، بل شهدت بجاية وغيرها من الحواضر الحفصية توافد مزيد من الجماعات اليهودية من إسبانيا أو الأندلس، وهذا بسبب تعرضهم لويلات القتل والمطاردة بأسبانيا والمذابح التي تعرضوا لها سنة 793هـ/1391م⁵.

وبعد سقوط غرناطة زاد عددهم، فكانت لهم حارات خاصة بهم في بجاية التي إستقبلتهم فرادى أو مع عائلتهم حتى كونوا بها طوائفهم⁶، وهذه الجماعة اليهودية سميت بيهود الميغورشيم¹.

¹-سعدون نصر الله، تاريخ العرب السياسي في المغرب من الفتح العربي حتى سقوط غرناطة ص 311

²-عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 383

³-التيجاني، الرحلة، ص 347

⁴-عنوف عيسى، يهود الجزائر 2000 سنة من الوجود، دار المعرفة، الجزائر، ص 40

⁵-زينب عبد الله أحمد كير، أهل الذمة في العهد الحفصي، أطروحة دكتوراه، جامعة الزقازيق، كلية الآداب، قسم التاريخ، 2005، ص 88-

⁶-زينب عبد الله أحمد كير، المرجع السابق، ص 90

انصرف اليهود بجاية كغيرهم من يهود المغرب الإسلامي إلى العمل في التجارة المتوسطة كما طوروا عن طريق تجارتهم علاقاتهم مع مدن الإيطالية وإسبانيا، كما تاجروا في جميع المواد، محتكرين مهنة الصباغة التي جلبوا لها النيرة والشب ومواد أخرى بالإضافة إلى مهنة الطب والتطبيب والتجليد الكتب وكصياقة وسماسة... إلخ²، عندما بدأت بوادر الضعف تظهر على الدولة الحفصية التي فقدت أهم حواضرها كمدينة بجاية والتي احتلها الإسبان 915هـ-1510م، وقف اليهود إلى جانب الإسبان ضد السلطة الحفصية التي احتضنتهم لسنوات عديدة.

-*النصاري³: ضمت مدينة بجاية عدد لا بأس به من النصاري، الذين كانوا من التجار والرقيق عاشت الجالية المسيحية ببجاية في العهد الحمادي في إستقرار وتسامح وأكبر دليل هي العلاقات الودية بين الناصر بن علناس أمير الدولة الحمادية والبابا غريغوا السابع.

كما تكثف وجودهم خاصة بعد إبرام العديد من الاتفاقيات والمعاهدات تجارية بين المدن المسيحية كجنوة وبيزة والبندقية ومرسيليا وصقلية وغيرهم، هذه الجماعات إستقرت في فنادق خاصة بكل جالية، حرصا منها على استمرارية العلاقة التجارية بينها وبين تجار بجاية إلى جانب هذا كانت لهم عمارتهم الدينية بالمدينة، المتمثلة في الكنائس وأسقف يسهر على شؤون رعاياه بالمدينة.

لم يكن التجار المسيحيين الصنف الوحيد المتواجد بالمدينة، بل وجد صنف ثان من النصاري وهم العلوج⁴، الذين أقحموا في صفوف الجيش، فكانوا من بين الجند المركزيين الذي اعتمد عليهم

¹- وهم من أصول إسبانيا وبرتغالية، هاجروا من شبه الجزيرة الإيبيرية، واستقروا ببلاد المغرب، بعدما طردهم الإسبان والبرتغال سنة 1391م-1492م-1496م، ينظر، بن صحراوي كمال، الدور الدبلوماسي لليهود الجزائر في اواخر عهد الدايات، ص 29-32، شنوف عيسى، يهود الجزائر 2000 سنة من الوجود، ص 42-43

²- ينظر: محمد حسن، المدينة والبادية، ج1، ص 156-157، شنوف عيسى، المرجع السابق، ص 41
-andré chouraqui, Histoire des juifs en afrique de nord, nouvelle édition, hachette littérature, 1997

³- عرفت بجاية قبل الفتح العربي تواجد العنصر المسيحي بها، خاصة بوجود الاحتلال الروماني اتخذ الامير الناصر بن علناس بجاية عاصمة ثانية له بعد القلعة، نقل إليها نسيج اجتماعي مختلف من قبائل بربرية ومن اهل الذمة (مسيحيين ويهود)

⁴- العلوج والأعلاج أو العليج من ضمن الرقيق البيض من الفرنجة أو النصاري الذين اعتنقوا الإسلام، وكانوا من الجنود المقربين من السلطات أو الامراء، ينظر : برنشفيك، تاريخ افريقية، ج1، ص 47، عبد الإله بنمليح، الرق في بلاد المغرب والأندلس، ط1، مؤسسة الإنتشار العربي، 2004، بيروت -لبنان-ص217، بعيزق، صالح، بجاية في العهد الحفصي، ص 451

الموحدون ومن قبلهم المرابطون، فإتخذهم المصامدة كحرس خاص حيث يقول عبد الواحد المراكشي " بأن المصامدة كان عندهم جند من سائر أصناف الناس كالعرب والغزو الأندلس والروم" ولقد تزايدت هذه المجموعات العسكرية النصرانية في عهد الخليفة المنتصر (610هـ-620م-1213م-1223م) وفي عهد الخليفة المأمون (627هـ-629هـ/1229م-1231م)، وعليه العنصر النصراني من الواضح أنه في العهد الموحي اعتمد عليه بشكل واسع الخلفاء الموحدون، وبهذا كان المسيحيون يعيشون في مجتمع واحد من المغاربة¹.

أما المسيحيون في العهد الحفصي لسيما بمدينة بجاية، وطّدوا علاقاتهم التجارية أكثر من المدينة كما مارسوا عقائدهم بكل حرية، وتمتعوا بحصانة سياسية بين السكان²

- الفئات الاجتماعية:

من بين مكونات المجتمع البجائي، ووجود فئات إجتماعية مختلفة تختلف إختلاف أحوالها ومقدرا عطائها من أهمها:

1- الطبقة الحاكمة:

منهم الأمراء والخلفاء والولاة، من بين حماد و المصامدة والكوميين والحفصيين والهنثاتيين، وشرخ الموحدين، وحتى ولاة من الأندلس الذين مروا على ولاية بجاية في القرن 8هـ -14م إبان الفترة الحفصية إلى جانب هؤلاء القضاة كانوا يتسلمون المناصب الكبرى في الدولة كقاضي الجماعة الجماعة أو قاضي العاصمة، الذي بدوره ينصب على أعمال الدولة قضاة تابعين له، كقاضي الأنكحة والكوار³.

2- العلماء والأدباء:

كانوا يتمتعون بنفوذ قوي داخل الدولة، لشهرتهم ومنزلتهم الشعبية، فسكان بجاية كانوا يتركون بالفقهاء والأدباء والأولياء الصالحين في حياتهم وحتى أمام قبورهم⁴، بالإضافة أن ولاة بجاية كانوا يجالونهم في مجالسهم ويتشاورون معهم⁵.

3- الجند:

لهم ديوانهم الخاص بهم، تدون فيه أعمالهم وأرزاقهم، ويتميزون بشارتهم ومراتبهم.

4- أصحاب الأملاك:

¹-جمال طه، الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى العصر الإسلامي، ص 82

²-زينب عبد الله أحمد كير، المرجع السابق، ص 97-98.

³- العيزيني، عنوان الدراية، ص92

⁴- نفسه

⁵- نفسه، ص187.

يقصد بهم كبار التجارة والصناع، الذين يساهمون في رفع مستوى إقتصاد البلاد، من تعاملات تجارية داخلية وخارجية، وفي جلب البضائع والسلع وفي التصنيع، فهم فئة تساهم في العطاء والتطوير، يتميزون بملابسهم وطرق معيشتهم.

5- الطبقة العامة

وهي طبقة بسيطة ، تمثل الأمة، منهم أهل الفلاحة(الفلاحين) والحمالين والوقادين والطاحنون والبنائين وغيرهم.

6- الخدم :

وغالبيتهم من الرقيق وهم العبيد¹، أعتبرت هذه الفئة من الطبقة الدنية في سلم الإجتماعي، إنتشار الفئة بالمغرب الإسلامي جاء نتيجة لعدة عوامل ومراحل:

التجارة هي أول بوابة لولوج الشريحة إلى بلاد المغرب الإسلامي لاسيما بمدينة بجاية التي شهدت حركة تعمير واسعة، خلقت وظائف عديدة، ما إستلزم على مسيرها البحث عن الأسواق خارجية لجلب الرقيق لخدمة الأسر الميسورة من جهة، ومن جهة أخرى لخدمة الأرض وجلب المواد الأولية كالحطب والزفت والحديد والحجارة وغيرها لتصنيع، البناء وصناعة المراكب والسفن² وأشغال الحدادة وغيرها.

ومن أهم الأسواق الخارجية لإستعباد الرقيق هي بلاد السودان الغربي كانت دول المغرب الإسلامي تربطه علاقة تجارية مع بلاد السودان الغربي، فتنوعت بينهما المبادلات التجارية³، فكان العبيد الأسود من ضمن السلع المحلوبة إلى المغرب وبجاية بصفة خاصة، حيث كان يستبدل بالخيول⁴.

ويذكر كل من عبد الرحمن بن خلدون والغريبي إنه إنتشرت ظاهرة الإسترقاق في المجتمع البجائي، كان العبيد يباعون على ميناء بجاية، بحومة المذبح أن تعج الأسواق بسلاسل الأسرى والعبيد، فالقرصنة التي تبادلها البجائيون والفرنجية أفرزت تفشي هذه الظاهرة، فلم تعرف أسواق بجاية العبد الأسود فقط بل جلب الخروب القائمة بين المسلمين والنصارى، الرقيق الأبيض.

وصلت إلى أسواق النحاسية بمدينة بجاية أعداد من الرقيق الأبيض وهذا عن طريق الأسر⁵ يقتدون من دولهم، تتم مفاداة الأسرى بعد إجراء مفاوضات رسمية حيث يكون الغرض من أحد الطرفين، وهذه رسالة تبين إقدام الأمير الحفصي أبي بكر أبي زكرياء يعرض على سلطان أغون خايم الثاني عملية تبادل الأسرى بينهما، حيث كان السلطان يحتفظ بأسرى من بجاية.

4- عرف نظام الرقمنذ القديم عند كل الشعوب، فالرومان كانوا يسترقون بكل قسوة وحشية، وكذلك اليونان والفرس، فجاء الإسلام رفع من قيمة هذه الشريحة الإجتماعية، ومن بين أسماء هذا النظام هو العبودية أي مشتقة من العبيد. ينظر حسين الحاج حسن، حضارة العرب في صدر الإسلام، ص279، خالد حسين محمود، الرقيق والحياة الإجتماعية ببلاد المغرب خلال القرون الأربعة الأولى للإسلام ط1، مصرالعربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2009.

2 - الغريبي، عنوان الدراية، ص 229.

3- ينظر: بوداوية مبخوت، رسالة دكتوراه،

4 - صالح بغيريق، رحلة ابن بطوطة والتاريخ الأقتصادي لبلاد المغرب وبلاد السودان، ص 69.

8- كان يطبق عليهم خلال القرن 6هـ-12م مصطلح العبيد الروم، وفي القرن 7 خ-13م حط بميناء بجاية الحفصية، عبيد بيض من الجزر الرومانية، ينظر: الغريبي، عنوان الدراية، ص 45.

هذا نص الرسالة المؤرخة 30 ذو القعدة 715هـ الموافق ل 25 فيفري 1316م:

Çarta de Abi bakr ibn ALI ZAKARIYYA de Tunez a Jaime II, en Que le pide la liberta de varios çautivos y le ofrece poner en libertad otros , çristianos, si el rey aragon le dise les nombres.

"من عبد الله الأمير أبي بن الأمير أبي زكرياء بن الأمراء الراشدين إلى السلطان الجليل المعظم الأصيل الأنجد الأجد المرفع الأسنى الأعز الأسمى الكامل جاييم (خاييم) سلطان ارغون وبلنسية وسردانية وقصلة وقت برشلونة وأمير البحر وصاحب عالم البابة أطلال الله بقاءه ووصل سموه على نظرايه وإرتقاء سلام عليكم، أما بعد حمد الله العظيم والصلاة الدائمة على سيدنا ومولانا محمد الكريم وعلى آله وأصحابه أولي السبق والتقديم مرضا عن الأمام المهدي وارث شرفه الصميم فإننا كتبنا إليكم كتب الله تعالى لكم ظهورا سنيا وإرتقاء- ميا من قسنطينة كلاها الله تعالى وحماها وبركات هذه الدعوة (العلية) الهادية المهدي تولى والجزيل وتهدي سبيل وتمد على أوليايها الظل الظليل والحمد لله كثيرا والى هذا الكتاب يصلكم فيما لكم الكتب به وهو حديث الأسرى الذين ببلاذكم من بجاية وعمالتها والتأكيد عليكم في أمرهم والتعجيل في تسريحهم ويصلكم طي هذا مكتوب منه أسماء من هنالك منكم قديما ومن إخذته القراصلة الذين من عندكم قريبا فيكون العمل على ما في مكتوب المذكور وما أكدنا عليكم في شأنهم إلا لما نعلموه من موافقتهم على طريق الحق في ذالك كما ولو كانت لكم أسرى هنا عندنا وتحديثم في شأنها كما تحديثنا لسرحت عملا على ما بيننا من التوفية والإنقياد في الحق على سبيل السوية بحول الله تعالى وهو سبحانه يديم بقاءكم ويصل سموكم على نظرايكم بتقاءكم والسلام عليكم بتاريخ الموفى ثلاثين لدى قعدة عام خمسة عشر وسبعماية¹."

عرف أيضا المجتمع البجائي طبقة أخرى تتكون من متسولين والعاطلين عن العمل والمشعوذين والسحرة واللصوص وقطاع الطرق والمساجين²، هذه الفئة الغير المنتجة والنافعة، كانت تشكل مصدر قلق، فغلاء المعيشة، والكوارث الطبيعية وفرض الجبايات التعجيزية كلها مصادر ظهور هذه الشريحة.

- المجال الإثنوغرافي ببجاية:

زار مدينة بجاية جغرافين³ من مختلف المدن والأكوار، وصفوا لنا طبائع أهلها وأسلوب حياتهم، من أنواع الطعام والملابس، والأواني، وبعض من عاداتهم وتقاليدهم المتعارف عليها، ومن خلال تسجيلهم لمشاهداتهم، إستطاع الباحث أن يتوصل إلى ناحية إجتماعية لها تأثيرها المحلي وحتى تأثير الخارجي، فمثل سكان بجاية كثير من أماط عيشهم تأثرت بها جنسيات أخرى سنتذكرها في العناصر اللاحقة:

1- الألبسة:

¹ Dicmentos ARABES diplomáticos del archivo de la çorona de ARAGON , P298.

² يذكر ابن الشماخ فئة الحرابة يغي عند الفقهاء المحارب الذي شهر السلاح وقطع الطريق قصد سلب الناس ينظر: الأدلة البيئية النورانية، ص 133.

³ - الأثنوغرافيا فرع من فروع علم الأثنوبولوجيا، وهو علم وصفي أسلوب الحياة والعيش ومجموعة العادات والتقاليد، لدى جماعة سكانية معينة في مكان معين، ينظر: حسين محمد حسن فهيم، أدب الرحلات، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989، ص 74، 75.

لبس أهل بجاية الملابس الصوفية والأكسية الملونة والكتان وملابس قطنية والحرير خاصة الطبقة الحاكمة، كما إهتموا بزخرفة وتزيين ملابسهم بل المغلاة في تطريزها، ففي أواخر العهد الحمادي زار المهدي بن تومرت بجاية عام 511 هـ - 1117م ، فإستذكروا وجدده في أهلها، من تشبه ملابس الرجال بملابس النساء، فنهي عن هذه الألبسة حسب ما ذكره لنا البيدق يقول عنه أنه " كان ينهي الناس عن الأفراق الزرارية ولباس الفتوحيات للرجال ويقول: لا تزينوا بزّي النساء لأنه حرام" ¹

كما كانوا يلبسون الجبة والسراويل القصيرة التي تنتهي إلى أسفل الركبة، ويضع عليها البرنس ² ذات اللون الأسود والشواشي والعمامة، فالبجائين أختصوا بصناعة العمائم المزينة والمنمقة، حيث لبس ملوك بجاية عمائم مذهبة غالية الأثمان كأنها تيجان حيث تصل العمامة الواحدة إلى 500 دينار 600 دينار ³ وأكثر وفي العهد الموحدى كان الأهتمام أوسع بلبس العمامة، وكان لخلفاء وولاة الدولة عمائم خاصة بهم، تميز ألفين سلاطين الحفصيين بعدهم بعمائمهم .

كما لبس أعيان المدينة الأكسية المصنوعة من القطن أو الكتان أو الحرير تسمى "السفساري" ولونها إما أبيض أو أحمر أو أخضر، ومن القماش يعرف "بالجزيري" ⁴، بالإضافة إلى أنواع الثياب الأندلسية "كالأشكرى" والملف الرفيع أو ما يسمى "إشكرلاط" ⁵.

أما لباس القدمين، جاء ذكرها عند البيدق حين ذكر الأقراق ابزرارية، إلى جانب النعال التي كانت منتشرة لدى المجتمع المغربي من العمامة والأعيان، تصنع من الجلد ويلف القدم بشرطين لشده ⁶، بالإضافة إلى هذا إنتعلوا البلغة وهي مصنوعة من الفلين والسباط ⁷

لبست أيضا المرأة البجائية أنواعا من الملابس القطنية والملف الرقيقة والشايات الصوفية، بحكم أن بجاية كان سوق الصوافين ⁸، وأيضا الحرير المطرز والأقمشة الملونة والإزار والملحفة.

2- الأظعمة:

الطعام ليس مجرد وسيلة للتغذية، والأبقاء على الحياة، بل إن الطعام وطرق طهيته وتقديمه وتناوله مرتبط بالبيئة و الاقتصاد والدين والعادات والتقاليد، ونادر ما أعقل الرحالة المسلمون أو غير المسلمون، الحدث عن هذا العنصر المهم في حياة الفرد .

1 - البيدق، كتاب أخبار المهدي، ص 36.

2 - من بين ما صدرت بجاية إلى الأقاليم المجاورة الأتواب والبرانس هذا الأخير وصلت قيمته أربعون ألف ، ينظر: les documentos Arabes diplomaticos p 2259.

3- مؤلف مجهول، الاستبصار ، ص 129.

4 -أبي يعبد الله محمد الأنصاري ، فهرست الرصاع، ص 48.

5- جمال طه، الحياة الاجتماعية بالمغرب الإسلامي...، ص 242، 243

6 - ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص 117.

7- ينظر: إلى الباب الثاني مادة الصناعة.

8 - الغريبي، عنوان الدراية، ص 195، 196.

أما فيما يخص المأكولات التي عرفها سكان بجاية، فهي كانت مقترنة بالمحصول الفلاحي لدى المدينة من جهة، ومن الوارداتها من جهة ثانية، فبجاية كثيرة الفواكه والثمار كالتين¹، والعنب والتمر المجلوب من بسكرة والزيتون والخضر كالكوسة واليقطينة.

أما الطباقي المحضرة فكان على رأسها الكسكسي مع اللحم والخضر أكلوا لحم الماعز ولحم الدجاج، والبسيصة أشهر المأكولات تصنع بالسמיד الشعير المحمص وقليل من الملح الزيت ثم الماء، وأيضا وجدت العصيدة كانت تطبخ بالقمح والماء زائد السمّن ثم تسقى بالعسل، والبيسار وهو الفول أو من البزلاء المطبوخ بالقمح واللبن والسمّن، والدشيش وهو حساء أو شربة تصنع من الشعير المدشش (تشيشة)، أما الخبز فهو سيد المائدة وهو أنواع منه خبز الدار أو خبز طبق وهو خبز يضاف إليه حبة الحلاوة والبسباس ويمتاز بلذّة الطعم ويطول مكثه، والنوع الثاني من الخبز هو خبز السوق الخالي من كل هذه النكهات، أما الثريد خبز مفتت في المرق .

كما لم تخلو مائدة سكان بجاية من الحلويات المشكّلة المحلية منها والإقليمية، من أنواع الحلويات² نجد:

- الكعك من العجين المخلوط بالسمّن.
- الإسفنج فطائر مغموسة في العسل وهي مقلية بزيت
- والقطائف أو الكنافة المعسلة
- والقرص يحشى باللوز وقصب السكر ثم يقطع وبعدها يمزج
- الفدوش الذي يسمى عند البجائيين بحمص، ومنه ما يعمل رقاق
- الزلابية

ومن العصائر ماء الورد وماء الزهر وكان في عهد الموحدين الرب وهو طبيخ خاثر من عصير العنب، لكن لم يستمر سكان مدن الموحدية بشربه لأنه مفعوله كمفعول الخمر المسكر³.

3- الأواني:

¹ ينظر: مؤلف مجهول، الإستبصار، ص 130، الإدريسي، نزهة المشتاق، م 1، ص 260.

- أبي عبد الله محمد الأنصاري، فهرست الرصاع، ص 46.

² ينظر: أحمد الحمروني، الهجرات الأندلسية إلى البلاد التونسية، ط 1، ميد ياكوم، تونس، 209، ص 143، جمال طه، المرجع السابق، ص 205.

³ - ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص 312.

أثناء الحفريات التي أقيمت بالقلعة وبجاية، عثر على قطع عديدة من الفخار والخزف بنوعيه، الخزف المعماري وخزف الأواني، تعود للفترة الحمادية (5هـ-11م)، فإن الحمادين كانوا يستعملون عدة مراحل في صنع الآنية، أولا إستخراج المادة الأولية المتمثلة في الطين ثم تشكيله باليد بعد عجنه ودعكه جيدا، ليتمكن صانع من تشكيله حسب رغبته، ثم يجفف لمدة تتراوح ما بين ثلاث أسابيع أو شهرين، وبعدها تؤخذ الأواني إلى الفرن، إن الأواني الفخارية تحرق مرة واحدة، وإذا كانت الأواني الفخارية تظلى بطلاءات خاصة ثم تحرق عدة مرات¹، وإذا كانت متمثلة في قلة، قدر، قصعة، جرة الوزير²، أما الخزفية كالصحون والأقداح وحفنيات، قصعات ومصاييح.

كما وجدت أيضا أواني زجاجية كالكؤوس والقارورات للماء وللعطر ومقابض وسيمن صانع الزجاج "بالزجاج" أو "القواريري" وأيضا خراط الزجاج. أستعمل الخشب أيضا كمادة أولية لصناعة الأواني، فصنعت منه الملاعق كما كانت تصنع منه الأبواب والنوافذ بالإضافة إلى مادة النحاس بدورها صنعت منها الأواني التي كانت تملكها الطبقة الغنية. والحديد إستغله في صناعة بعض الأواني كالقدور ذات الأحجام الكبيرة، التي تستعمل في المناسبات و الاحتفالات. لم يضطر سكان بجاية في إستيراد وجلب المواد الخام من المدن المجاورة، لصناعة أوانيهم، بل تزخر بجاية بكل هذه المواد الأولية، فتتنوع الصنائع بها والفنون والزخارف.

4- الفنون والزخارف:

تنوع التحف المعدنية والخفية والفخارية بمواضع الحمادية ومنها مدينة بجاية دليل على براعة وثقافة الصانع والفنان الحمادي، ولم ينقطع هذا الإسهام الفني بل إستمر وجوده في العهد الموحدوي والحفصي. وجدنا من خلال زيارتنا إلى متحف سيرتا وسطيف، قطع وآوني عليها كتابات هندسية ونباتية ملونة أو محفورة، وجرار محلاة بزخارف محزوزة، كما لاحظنا وجود زخارف آدامية

لقطع خزفية كالصحون، وأشكال لتزيين القصور كالتجان وغيرها، منها شكل أسد³ بالإضافة إلى عناصر ممارية من الفسيفساء خزفية للتزيين الخاصة بالنوافذ كالنجمة في الوسط، أما البلاطات لتبليط الجدران كانت عليها آيات قرآنية مكتوبة بالخط الكوفي وقطع أخرى من الفخار مزخرفة بزخارف ملونة، وما شد إنتباهنا هي تلك الألوان المستعملة، التي تزيد التحفة جمالا ورونقا وهي، اللون الأحمر واللون القرميدي وزخارف باللون الأبيض على شكل خطوط. يظهر جليا في الآليات الفنية التي وظفها الصناع والفنانون كانت محلية ومنها ما نقل إليهم من حضارات أخرى، فمثلا الخط الكوفي المستعمل على الجدران هو فن مشرقي بالإضافة إلى إستعمال الزليج في التبليط هو الأخر نقل إلى المدينة عن طريق الأندلسيين وبدورها الحضارة الصنهاجية أثرت على الحواضر التي إحتكت بها عبر عصورها التاريخية،

¹-193.194. GOLVIN (L) . Recherche Archèologique a la Qalaa des bini Hammad. Paris.1965.p

²- أنواع الجرر محفوظة بمتحف سيرتا بقسنطينة و متحف سطيف ، ينظر ملاحقا.

³ - لتعرف فأكثر على هذه التحف ينظر أيضا:

Geigrs marçais. ALGÈRIE médiévale monuments monuments et paysages histor lipues. Arts et métiers garpliques. Paris. 1957. Et DJAZAIR2003 une année de l'algerie en fance. Algerie : ceramique d'hier a aujoud'hi décors de céramique. MOHAMMED RAOURAOUA. Façoise allaire. P 22.

هذا التأثير والتأثر دليل قاطع على وجود تدفق سكاني هائل على المدن الحمادية لاسيما بجاية التي فتحت أبوابها لكل فنان وبارع ومنتج من كل أقطاب العلم، كيف لا وهي بغداد المغرب.

5- مواد البناء التي إستخدمها البجائيون:

إستعمل المعماريون في بناء أتم ماد مختلفة، كالمواد الطينية الغير محروقة مثل الطوب، والمحروقة مثل الطين، الذي كان يصنعونه في قوالب ثم يجففونه ثم يحرق أخيرا ليكون جاهزا لإستعمله، ومنه ما يستعمل كالقرميد في سقف البنايات فيوضع مائل بدرجة

بوضع هائل بدرجة محددة، كما وظفوا أيضا مواد طبيعية أخرى كالحجارة التي كانت تجلب من المحاجر والخشب من الغابات والمواد المعدنية كالحديد من المناجم.

كما إهتم البجائيون، بدهن مبانيهم بألوان مناسبة، وخاصة اللون الأبيض¹، أما القصور فرينت بالزليج ومختلف الزخارف الهندسية، حرص أيضا الموحدين على تطوير الفن المعماري، إتسم العهد الأول أي فترة حكم الخليفة الموحي عبد المؤمن بن علي بالبساطة والإبتعاد عن مظاهر الترف، لكن سرعان ما شهدت العهود وتاريخ حكم خلفاء موحدين محبين للبخ وإن لم نقل التبذير، نمط معماري بعيد عن البساطة، أما المهنتائين وكانوا مقبلين أكثر على التوسع في الحركة العمرانية ببجاية التي وصفها لسان الدين بن الخطيب: " بجاية العتيقة البناء السامية المينا الأنيقة البقعة... " ².

6- الحلي والزينة:

الحناء من بين المواد التجميلية التي كان رواجها لدى المجتمع البجائي خاصة المرأة أستعملت الحنة كصبغة الشعر وكنقش على اليدين والأرجل وكثيرا ما كانت تستعمل في الحفلات كالأعراس والمناسبات الدينية كعيد الفطر وعيد الأضحى، وحتى الأطفال من صبية وبنات يصغون الحنة في المناسبات، ومازال هذا الموروث الحضاري نعيشه إلى يومنا هذا، فالحنة طقس من طقوس المتعارف عليها عبرا أزمنة طويلة.

كانت تتوفر بمدينة بجاية ينابيع وعيون ماء كثيرة، فحافظ سكانها على نظافتهم من وضوء وإستحمام في بيوتهم، وبعد الاحتكاك بينهم وبين عناصر الأندلسية، كثرت بجاية الحمامات³ كما إنتشرت العطور بمختلف أصنافها المستخرجة من أزهار الرياحين والنرجس والياسمين، وبعضها مستورد من بلاد الهند ومن المشرق الإسلامي، والبخور كان لها نصيب في الحياة المجتمع البجائي من عنبر ومسك.

تزينت المرأة ببجاية بمختلف التصاميم وأشكال الحلي هذا الأخير الذي يعكس المستوى الحضاري والإنساني لأي مجتمع، فإنتاج الحلي والجواهرات علاف ديمومة وإستمرارية ببجاية، فأنواع الحلي يعطينا مادة تاريخية ن الوضع ومكانة المرأة بالمجتمع البجائي، وإنتماءاتها حسب كل طبقة بالهرم الإجتماعي هناك مجموعة من الحلي موجودة بمتحف سطيف و متحف سيرت بقسنطينة كالأقراط بعدها أربعة بمتحف سيرتا تتكون من خيط ذهبي، أما متحف سطيف

1 - رشيد مصطفى، بجاية في العهد الحمادي، مجلة الأصالة، العدد 19، ص 85

2 - لسان الدين بن الخطيب، كناسة الدكان بعد إنتقال السكان، ص 117.

3 - حسن الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ينظر: الباب الثاني، الفصل الثالث، مادة العمران من دراستنا

فيوجد إثنين، وهي من الفضة، الأسورة من ذهب ومنه ما صنع من نحاس الأصفر ومن الفضة، والخواتم توجد ثلاثة منها في متحف سطيف، وأيضا لبست المرأة الدبابيس والأبازيم والقلاد المحفوظة اليوم بمتحف سطيف. نستطيع القول أن المجوهرات لم تكن في متناول جميع الطبقات الاجتماعية فالطبقة الحاكمة كانت المرأة تتزين بالذهب والأحجار الكريمة، والعناقيد المذهبة أما المرأة البسيطة من الطبقة العامة، فلبست الفضة والنحاس وحتى البرونز لكن رغم الاختلاف في المستوى الاجتماعي، إلا أنه المرأة البجائية كانت تحافظ على جمالها وعلى ظهورها بشكل لائق أمام زوجها وفي أوساط الاجتماعية .

7- العادات والتقاليد:

سكان بجاية من المجتمعات التي لها عوائدها وتقاليدها الخاصة بهم، والمتعارف عليها، كالأعراس فالدين الإسلامي حث على الزواج لما فيه من نعمة، كان بالمجتمع المغربي بصفة عامة ومدينة بجاية بصفة خاصة وجود الخاطبة التي تقوم بربط علاقات بين الأسرة الخاطب وأسرة المخطوبة ليتم في الأخير عقد القران بعد دفع الصداق والهدايا¹، فالمهر حق شرعي للمرأة ويكون ملكها خالصا لها ولا يشاركها أحد فيه²، لقوله تعالى: "وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا"³، وبذلك كانت تقام الولائم ويدعى الناس لمشاركة الأسترين مناسبتهما جاءت في إحدى نوازل الونشريسي أن حفل العرس بالمغرب ينقسم إلى جزئين، الجزء الأول يقام بالنهار للرجال والجزء الثاني يكون بالليل للنساء أما الغناء والرقص كان جزءا مهما في الأعراس البجائية⁴ فحين رجع ابن تومرت من المشرق وقف في طريقه ببجاية، فرأى آلات الموسيقى والغناء في ساحاتها فأخذ ببعض الآتهم وكسرها. ومن بين العادات الاحتفال بالأعراس ذبح الذبائح وطهي الأطعمة، ويتهادون فيما بينهم إما نقدا بالدرهم والدنانير أو مختلف الأطعمة.

لم يكن الزواج فقط ما يحتفل به سكان بجاية، أيضا الأعياد كان لها نصيب أكبر من إحتفالاتهم من كالعيد الأضحى والفطر وشهر رمضان، أين كانت رؤية الهلال في بداية رمضان ونهايته من مسؤولية الجميع، بالإضافة إلى عاشوراء وإحتفال أيضا بالمولد النبوي الشريف وإحياء ليلة السابع والعشرون من شهر رمضان بالجامع الأعظم ببجاية وجامع القصبة⁵.

وحرص سكان على أداء الصلاة بالمساجد، بأوقاتها الخمسة، ببجاية عاصمة العلم والعلماء وتسعة وتسعون مفتي، فكان البجائيون يتبركون بهم وكثير منهم يحضر مجالس العلم والفكر، لتفقه في مختلف العلوم الدينية والدنيوية من بين عاداتهم أيضا كانوا لا يبيعون لأحد ولا تفتح حوانيتهم وقيسرتهم إلا بعد عشية يوم الجمعة، حيث وصفهم البجائي إلا بعد العصر عشية يوم الجمعة، حيث وصفهم الحاج عبد الله بن الصباح بأنهم "أقوام قانعة الأنفس"⁶.

¹ - الونشريسي، المعيار، ج 3، ص 100، 116

² - عدي سالم عبد الله حمد الجبوري، دراسات في تاريخ صدر الإسلام، ص88.

- سورة النساء الآية، 04

⁴ - الونشريسي، المعيار، ج3، ص 251.

¹ - كان والي بجاية ابا عبد الله بن مؤمن يحي ليلة القدر بالجامع الأعظم وجامع القصبة ينظر: الغريبي، عنوان الدراية، ص140.

¹ - الحاج عبد الله بن الصباح، أنساب الأخبار وتذكرة الأخبار رحلة المتجن الحاج عبد الله بن الصباح والنصف الثاني من القرن الثامن الهجري، ص 101.

لكن رغم هذه المظاهر الحسنة المتفشية بالمجتمع البجائي إلا أنه وجدت بعض العادات السلبية، كالسكر¹ والشعوذة والسحر²، وتقديس القبور لاسيما أضرحة الأولياء الصالحين³.

ونستنتج من حصيلة المعطيات السابقة أن المجتمع البجائي بكل عناصره المختلفة من بربر وعرب وأعراب ودميين و أندلسيين، ومن كل فئات الاجتماعية استطاعوا الإنصهار بمدينة منذ عهدها الأول، تركت مجال التلاحم البشري الذي أفرز لديها تميزت إنفردت بها في كل الأصعدة، فالمرأة البجائية لم تعرف التمييز عن أخيها الرجل بل عاشت في مجتمع متفتح على كل التيارات ما سمح لها أن تتكون لديها ثقافات مختلفة، تجلت في لباسها وحليها ومطبخها، أما المنظومة الأخلاقية والمتمثلة في العادات والتقاليد فهي قواعد سلوكية أجتبع عليها سكانها عبر أزمنتها التاريخية ومازالت بعض العوائد والتقاليد لم تندثر إلى يومنا هذا، بسبب قوة مورثوها الحضاري.

¹ - الغبريني عنوان الدراية، ص 152

3 - نفسه، ص 121

³ - المرجع نفس، ص 72

الفصل الثاني : الحياة العلمية و الفكرية بمدينة بجاية خلال القرن

(5هـ-9هـ/11م-15م)

أ- الحياة المذهبية ببجاية .

ب- التصوف .

ج- أصناف العلوم المنتشرة ببجاية .

د- علماء من بجاية و أحوازها .

و- العلماء الذين توافدو على بجاية .

اعتني أمراء الدولة الحمادية و خلفاء الدولة الموحدية و ملوك الدولة الحفصية ، بالحياة العلمية و الفكرية بمدينة بجاية ، التي شهدت ثراء علميا في شتي التخصصات .

الحياة المذهبية ببجاية:

في ظل بني حماد، عاش سكان بجاية حياة مذهبية كلها حرية وتعايش يعمها التصالح الديني والمذهبي، حيث كان المذهب الرسمي ببجاية هو المذهب المالكي ، حسب ما جاء عند القاضي عياض: "غلب مذهب مالك على الحجاز والبصرة ومصر وما والاها من بلاد افريقية والأندلس وصقلية والمغرب الأقصى إلى بلاد من أسلم من السودان"¹، وسبب ميول البربر لهذا المذهب، راجعا الى أن الإمام مالك بن أنس: "من علماء المدينة المنورة"، مدينة رسول الله عليه الصلاة والسلام فهي أحب المدن إلى نبينا عليه الصلاة والسلام هذا من جهة، ومن جهة أخرى، الوسطية وعدم التكليف في علم الشريعة والسنة، فكان أعلم علماء المدينة².

وكان موطأ الإمام مالك من أهم المصادر السننية التي درسها فقهاء وعلماء بجاية، احتل هذا المصدر الريادة في الحياة الدينية البجائية، لأن فيه كل المسائل الدينية من الحلال والحرام، يقول عنه الإمام الشافعي: "ما في الأرض كتاب من العلم أكثر صوابا من كتاب مالك"³.

ومنه عرف القرن الخامس للهجرة (11م) رواج المذهب المالكي ببجاية، واحتل فقهاء المالكية، مكانة مميزة لدى حكام الدولة الحمادية، بل تقلدوا وظائف داخل البلاد الحمادي، كمنصب القضاء⁴.

¹ القاضي عياض بن موسى اليحصبي، "ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك"، م 1 ، ضبطه وصححه محمد سالم هاشم، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2012م، ص 31.

² نفسه ، ص 34.

³ نفسه، ص 100، 101.

⁴ علاوة عمار، "دراسات في التاريخ الوسيط في الجزائر والمغرب الإسلامي"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008م، ص 132، 133.

لم يكن المذهب المالكي، المذهب الوحيد الموجود في العهد الحمادي، فقد استمر في كتابة المذهب الشيعي بالرغم من رفض المجتمع لهذا المذهب، إلا أنه ترك لهم حرية ممارسته، لكنه لم يستمر طويلاً بالمنطقة وتخلّى عنه سكانها¹.

كما عرف البجائيون تعايشهم مع الإباضيين، فبرغم من زوال الدولة الرستمية²، إلا أنهم حافظوا على ممارسة مذهبهم بحرية.

فالإباضية تنتسب إلى عبد الله بن إياض التميمي (ت- 80هـ)، وبعد إرساء قواعدها، ظهر دعاة يدعون لمذهبهم³، فانتشر باليمن والحجاز وعمان، وجبل نفوسة وتونس وبالمغرب الأوسط لكن انتشاره لم يكن بحجم المذهب السني المالكي بالمغرب الإسلامي.

استمر التعايش المذهبي ببجاية، إلى أن جاءت دولة الموحدين هذه الدولة المتشعبة من أفكار مؤسسها "محمد بن تومرت"، الذي زار المشرق وألم بجميع الثقافات المذهبية، وعند عودته إلى المغرب قام باختصار الموطأ للإمام مالك⁴ ومن هذا المنطلق، بدأت علاقة الموحدين بالمذهب المالكي يسودها الاختلال، يذكر عبد الواحد المراكشي أنه شهد في عهد الدولة حرق عدد كبير من كتب الفروع المالكية وكان ذلك في عهد الخليفة الموحد

¹ عثمان سعدي، "الجزائر في التاريخ"، ص 285.

² الدولة الرستمية نسبة لمؤسسها عبد الرحمن بن رستم الفارسي، استمر حكم الدولة من سنة 160 هـ إلى سنة 294 هـ وعاصمتها تيهرت، ينظر: ابن الصغير المالكي، "أخبار الأئمة الرستميين"، تح، محمد ناصر وإبراهيم مجاز، المطبوعات الجميلة، الجزائر، 1986.

³ بكير بن سعيد أعوش، "الإباضية في مرآة علماء الإسلام قديماً وحديثاً"، الطبعة الأولى، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، 2013م، ص 92 - 93، مسعود مزهودي، الإباضية في المغرب الأوسط منذ سقوط الدولة الرستمية إلى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب (296 - 442 هـ / 909 - 1058م)، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 1996.

⁴ محمد بن الطيب القادري، "نشر المثنائي لأهل القرن الحادي عشر والثاني"، تح، محمد حجي، أحمد التوفيق، ح1، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977م، ص 374.

"يعقوب المنصور"¹، هذا العداء الواضح ضد المذهب المالكي، كان هدفه هو نشر المذهب الظاهري وإعلاء شأنه بالمغرب الإسلامي، وانتصاره على المالكية.

وبالرغم من هذه المواجهة التي شنّها الموحدون ضد المالكية، إلا أنّهم حافظوا على خططهم ومنهم من حافظ حتى على منصبه بالقضاء في ظل دولة الموحدين.

قام الشيخ الإمام "أبو مدين" بتدريس الحديث والتصوف وأصول الفقه، وكانت رسالة القشيري من ضمن المؤلفات التي شرحها لطلبته² بالمسجد الأعظم ببجاية.

عرف مصير التصوف والمتصوفة ببجاية بعد وفاة الخليفة "المنصور"، مواجه سياسيتين السياسة الأولى تمثلت في الإطاحة بالتيارات الصوفية لما لها تأثير على المجتمعات المغربية والسياسة الثانية إقحام وتعيين بعض أشياخ في مناصب حكومية، لإضعاف سلطتهم الصوفية.

وعليه عرف التصوف ببجاية كغيرها من المدن المغرب الإسلامي في العهد الموحي عدة مراحل، اتسمت المرحلة الأولى بالتشدد والمواجهة، أما المرحلة الثانية بالانفراج والتطور والانتشار الواسع، وجاءت المرحلة الأخيرة وهي مرحلة الانحلال الموحي شهد تذبذب واضطرابا في وضعيته لكن مدينة سكان بجاية لم يتراجعوا في التحريب بالوفود الصوفية إليهم، فقد شكلت بجاية قطبا هاما في جذب الصوفية إليها من الأندلس، العنصر الأندلسي الذي تدفق عليها أكثر خلال القرن السابع للهجرة ومن بين الصوفية المرينيين الأندلسيين ابن عربي الحاتمي الطائي³.

¹ عبد الواحد المراكشي، "المعجب"، ص 400 - 401.

² الغبريني، "عنوان الدراية"، ص 26.

³ الغبريني، عنوان الدراية، ص 158.

و"أبو الحسن الحرالي"¹ و"ابن سبعين الصوفي الأندلسي"²، والشيخ "الغريبي أبو الحسن عبيد الله بن أحمد الأزدي من أهل رندة"³، وأيضا الشيخ "أبو الحسن عبيد الله بن محمد النفزي الشاطبي" توفي ببجاية⁴.

كما توافد على بجاية صوفية المشرق، يذكر لنا الغريبي إثنين منهما أصلهما من العراق وبالضبط من مدينة الموصل، الشيخ "تقي الدين الموصللي" الذي تزامن دخوله فترة إقامة الشيخ "أبي الحسن الحوالي"⁵، والشيخ "أبي زكرياء المرجاني الموصللي"، الذي التف حوله الصلحاء والأولياء بمسجد المرجاني⁶.

ومن المغرب الأقصى توافد المريديون على بجاية، نذكر الشيخ "أبا عبد الله محمد السلحماسي" من طائفة "أبي محمد صالح الذي لقيه بالمغرب⁷ وتكون على يده.

يمكن القول أن الثقافة الصوفية انتعشت أكثر ببجاية في العهد الحفصي، بفضل تيارات خارجية لسيما تأثير التيار الأندلسي خاصة مدرسة "الشيخ ابن سبعين" وأتباعه⁸، ومن المصادر الصوفية الأندلسية التي عرفها سكان بجاية خلال الفترة الحفصية في أواخر (القرن الثامن للهجرة / 14م)، كتاب روضة التعريف بالحب الشريف للعلامة "لسان الدين ابن الخطيب"⁹، ومدرسة الفقيه "أبو زيد عبد الرحمن الوغليسي" (الفقيه الصالح المفتي) وأحمد بن إدريس البجائي (ت بعد 760 هـ / 1358م)، نقل عنه ابن عرفة وسماه الفقيه الصالح¹⁰.

1 نفسه، ص 145 - 157.

2 نفسه، ص 209.

3 نفسه، ص 121.

4 نفسه، ص 176 - 177.

5 الغريبي، ص 166.

6 نفسه، ص 165.

7 نللي سلامة العامري، "التصوف بافريقية في العصر الوسيط"، ص 108 - 109.

8 ابن قنفذ القسنطيني، "أنس الحقيير وعز الغفير"، ص 46.

9 نللي سلامة العامري، المرجع السابق، ص 117.

10 نفسه، ص 149.

كما كانت تتلقى المؤسسة الصوفية كالزوايا إعانات مادية من طرف السلطة الحفصية، كمؤسسة تعليمية التي أسسها "أبو عبد الله محمد المرجاني" الذي فوض له السلطان سلطات واسعة على البلاد الحفصية¹، فالاهتمام الذي أولاه بنو حفص بهذه الطائفة نتج عنه حقل خصيب من أهل الزهد والورع الديني، فالخريطة الصوفية البجائية، نجحت في استقطاب العديد من التجارب الصوفية، فكانت مسرحا ومقرا للحياة الروحية، ساهم في حيويته النخبة الأندلسية التي فضلت الإستيطان بعاصمة العلم والثقافة ومركز الإشعاع الحضاري بجاية، التي حافظت على وتيرتها العلمية إلى غاية سقوطها بيد الإسبان الذين قضوا على الحياة الفكرية بها.

التصوف ببجاية :

التصوف هو علم من العلوم المحدثه في الدين الإسلامي، ظهر كفرقة إسلامية في القرن الثاني للهجرة - الثامن ميلادي في عهد العباسيين، وأصل هذا العلم هو الاعتكاف على العبادة والانقطاع إلى الله والابتعاد عن ملذات وزينة الحياة الدنيا، وسبب تسميته بالتصوف هو لجوء كل زاهد إلى لبس الصوف مخالفة للناس في لبس فاخر الثياب².

فظاهرة التصوف تعددت التعاريف فيها، وكثر الجدل حولها، لكن المتعارف عليه هو علم الأخلاق والتخلق وحسن المعاملة.

عرف المغرب الإسلامي التصوف في القرن 3هـ و 4هـ (9م - 10م)، لكنه لم ينتشر بسبب إنكار وتكفير العلماء له³، وابتداء من القرن الخامس هجري انتشرت الرباطات والزوايا، حيث اتخذها الناس أماكن

¹ إبراهيم أنور، "نقل المعرفة في المغرب المريني وإفريقية الحفصية (إلى منتصف القرن 8هـ / 14م)"، مطبعة دار المناهل، 2011، ص 90.

² عبد الرحمن بن خلدون، "المقدمة"، ج2، ص 584.

³ مبارك بن محمد الملي، "تاريخ الجزائر في القديم والحديث"، الجزء الثاني، ص 347.

للعباداة وإيواء الواردين، كما شهد أيضا القرن ظهور عدد من مؤلفات المشرق، التي لقيت نوعا من الإقبال عليها ومنها "رسالة القشيري"، ومؤلف قوت القلوب لـ "أبي طالب مكّي البغدادي" وغيرها من المؤلفات¹.

وكان أول شخصيات الفكر الصوفي بالمغرب الإسلامي، هو المتصوف، "أبو الفضل يوسف بن محمد المعروف بابن النحوي من قلعة بني حماد"²، حيث تجول في أنحاء المغرب الأقصى في عهد المرابطين، ومنع أن يحرق كتاب إحياء علوم الدين للإمام "أبي حامد الغزالي" لكن المرابطين لم يمتنعوا من حرقه، ومع ذلك لم يتوقف انتشاره، بل احتلت مؤلفات الغزالي ولاسيما (الإحياء) مقاما عاليا ومكانة خاصة لدى صوفية المغرب³، ابتداءً من القرن السادس للهجرة.

كثر التبادل المعرفي بين حواضر المشرق والأندلس مع حواضر المغرب الإسلامي ما أفرز توافد جمهرة كبيرة من العلماء والأولياء والمتصوفة عليه، فبجاية استقبلت كغيرها من المدن المغربية هته النخب، الذين وقع اختيارهم عليها، لعدة عوامل منها موقعها الجغرافي المطل على واجهة بحرية يمتد منها طريق بحري الرابط بين مدن شرق الأندلس والمشرق الإسلامي، بالإضافة إلى امتلاكها ثروات اقتصادية كبيرة ما يُتبع لهم حياة مريحة بها وبهذا تغلغت هذه الفئة من النساك والمريدين في أواسط المجتمع البجائي منذ بداية القرن السادس للهجرة، ومن أعلام التصوف هذا القرن، والذي ثبت ركائز التصوف ببجاية العلامة وشيخ المشايخ "أبي مدين شعيب"⁴، الذي نقل

¹ إبراهيم حرّكات، "مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 15/9م"، ج3 التصوف، الطبعة الأولى، دار الرشاد الحديثة، دار البيضاء، المغرب، 2000م، ص 15.

² إبراهيم القادري بوتشيش، "أضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي"، الطبعة الأولى، دار الطبيعة للطباعة والنشر، بيروت، 2002، هذا الصوفي له وصية نصها موجود في المرجع السابق، ص 56-57.

³ ينظر: بوداود عبّيد، "ظاهرة التصوف بالمغرب الأوسط ما بين القرنين (7-9 هـ / 13-15 م)"، دراسة في تاريخ السوسيوثقافي، دار الغرب للنشر والتوزيع، ص 40 - 42، إبراهيم حرّكات، "مدخل إلى تاريخ العلوم"، ص 15.

⁴ ستأتي ترجمته في العناصر اللاحقة.

الطريقة القادرية إلى المغرب الإسلامي، فقد التقى "عبد القادر الجيلاني" مؤسس هذه الطريقة ببغداد بعد أداء كل منهما فريضة الحج، فأخذ عنه أسسها، فحل ببجاية حوالي سنة (581هـ/1185م)¹.

تزامن وجود الشيخ "أبي مدين شعيب" ببجاية بفترة الحكم الموحدية بمنطقة المغرب الإسلامي لاسيما عهد الخليفة الموحد "أبي يوسف يعقوب المنصور" (580 - 595هـ / 1184 - 1199م)، وبالرغم من سياسة الانفتاح التي اتبعتها مع أولياء الأئمة أنه لم يغفل عن مراقبة نشاط الصوفي بالمغرب، فالمنصور إذن انتهج سياسة الحذر عكس والده الخليفة "أبو يعقوب يوسف" وجدده الخليفة "عبد المؤمن بن علي" اللذان وظفا طريق العنف والمواجهة المباشرة ضد الصوفيين عاش الشيخ "أبو مدين شعيب الغوثي" ما يقرب أربعين سنة ببجاية، لأنه كان يفضلها على الكثير من المدن ويقول "أنها معنية على طلب الحلال"²، كما كان سكانها لا يتذمرون من ورود الغرباء عليهم، بل وصفهم الكثيرون، أنهم يعطفون على الفقراء ويعظمون العلماء والأولياء³.

يبدو أن الموحدون بما أنهم سمحوا لبعض من المالكية من مواصلتهم في وظائفهم بالدولة هو الدليل على عدم إبعاد المذهب المالكي بشكل نهائي بالمغرب الإسلامي بل الأسلوب الذي اتبعه الموحدون من أجل الترويج لظاهرية⁴، ولم يكن المذهب الظاهري وحده متربعا على هرم الحياة المذهبية الموحدية، بل وجد المذهب الشافعي طريقه إلى المجتمع الموحد⁵.

¹ نللي سلامة العامري، "التصوف بإفريقية في العصر الوسيط من القرن 3هـ / 9م إلى نهاية القرن 9هـ / 15م"، دار كونتراست للنشر، سوسة، تونس، 2009، ص 103.

² أرسل إلى والده رسالة بحثه فيها على رعاية المتصوفة وتقريبهم إليه، لما يتمتعون به من وزن سياسي في الدولة، ينظر: إبراهيم قادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 53.

³ بوداود عبيد، "ظاهرة التصوف بالمغرب الأوسط" ص 81.

⁴ نسبة لداود الظاهري، يعود المذهب الظاهري إلى عدد من فقهاء القرن (3هـ) أشهرهم الإمام داود الأصفهاني، الذي اعتمد في منهجه على الالتزام بحرفية النصوص الشرعية، ينظر: حسن حافظي علوي، "الصراع المذهبي ببلاد المغرب في العصر الوسيط"، الطبعة الأولى، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بالرباط، 2008، ص 194، فاروق حمادة، أبحاث مالكية مغربية، الطبعة الأولى، دار القلم، دمشق، 2009م، ص 127.

⁵ فاروق حمادة، "أبحاث مالكية مغربية"، ص 121.

كما كان للمذهب الحنفي حضورا في العهد الموحد، ولكتبهم مجال واسع في الحركة الفقهية الموحدية¹.

وعليه شهدت الحركة المذهبية ببجاية بصفة خاصة والمغرب الإسلامي عامة في عهد الدولة الموحدية ازدهارا تشريعيا، وتجديدا فقهيا واستمر على هذا النحو إلى غاية القرون التي جاءت فيما بعد.

بعد سقوط الدولة المؤمّنية وانقسامها إلا ثلاث دويلات بربرية، زيانية، مرينية، وحفصية، وهذه الأخيرة عاد في عهد خلفائها من جديد المذهب المالكي وانتصر بعد غياب طويل في أوساط المجتمع المغربي الموحد، الذي تبنى في ظل الدولة الموحدية المذهب التومرتي الذي تبنى بدوره مبادئ الظاهرية، لكن بعد زوال الدولة الموحدية زال معها مذهبها، وعاد المجتمع إلى سابق عهده، واهتم الخلف، الحفصيين بالفقه المالكية، وقربوهم إليهم، وكعادتهم حضو بمناصب عالية في بلاط الحكم الهناتقي.

- أصناف العلوم المنتشرة ببجاية:

تمتعت بجاية في ظل الحماديين والموحديين والحفصيين، شهرة علمية واسعة مصدرها، النشاط الفكري لمؤسساتها الثقافية العلمية المتعددة، حيث عرف طلابها من علوم متنوعة، منها العلوم النقلية والعلوم العقلية، ومن بين أهم المصنفات العلمية في مجال العلوم النقلية، علوم القرآن من القراءات والتفسير.

فعلم القراءات² لم يشهد خلال القرن الخامس الهجري ببجاية وغيرها من المدن المغربية تطورا بل انحصر في قراءة القرآن الكريم وحفظه ثم عرضه، لم يزيدوا في فن القراءة وانعدام التنوع في طرق النطق، رغم وجود نخبة كبيرة

¹ نفسه، ص 124.

² القراءات جمع قراءة وهي مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء، مخالفنا به غيره في النطق بالقرآن مع إتفاق الروايات والطرق عليه، سواء كانت هذه المخالفة في نطق الحروف أو في نطق هيأتها، وعلم القراءات له أكثر من قراءة، ولكن المتفق عليه سبع قراءات، وفي المغرب الأوسط والأقصى رواية ورش عن نافع هي الأشهر.

ينظر: محمد الباجي بن مامي، "مدارس مدينة تونس من العهد الحفصي إلى العهد الحسيني القرن السابع إلى القرن الثالث عشر هجري"، المعهد الوطني للتراث، تونس، 2006، ص 58.

من علماء القراءات ومصادر¹، كما كان مصدر "الشاطبية الكبرى"² من أهم المصادر التي عني الناس بحفظها وتلقيها للصبيتهم.

ومن القرن السادس للهجرة إلى الثامن للهجرة (12م - 14م)، أخذ علم القراءات يعرف تطورا، بل حضى بمكانة عالية ومميزة ببجاية وحواضر المغرب الإسلامي، فازداد عدد القراء والمهتمين بهذا العلم داخل بجاية، ومن برع في القراءات نجد الشيخ أبي زكريا يحيى الزواوي³، وأحمد أبي العباس الغبريني⁴، وأبو موسى عمران المشدالي⁵، وأبي القاسم الغبريني الزواوي، وناصر الدين المشدالي، وعبد المؤمن بن خلف الدمياطي⁶ وغيرهم، وكان معظمهم يدرس بالجامع الأعظم ببجاية، مركز إشعاع العلم وقطب ديني تداول عليه جمهور من العلماء، ولقنوا الطلاب هذا الفن والعلم الكبير.

أما التفسير مشتق من كلمة فسر معناه الكشف وبيان مراد من كلام الله سبحانه وتعالى حسب طاقة البشرية، كما نالت التفاسير القرآنية أيضا اهتمام وعناية من طرف الشيوخ والطلبة حيث كثرت خلال القرن الخامس للهجرة مصادر التفاسير منها تفسير ابن عطية⁷، يذكره ابن خلدون أنه "لخص التفاسير كلها، وتحرى ما هو أقرب إلى الصحة منها ووضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب والأندلس"⁸.

¹ مفتاح خلفات، "قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط"، ص 268.

² الشاطبية الكبرى هي قصيدة متكونة من 173 بيتا وعمل الشاطبي في هذه القصيدة على تحذيب ما دونه أبو عمرو الداني، والشاطبية نسبة إلى الشيخ أبي محمد بن القاسم بن نيرة بن خلف بن أحمد الرعييني الأندلسي الشاطبي، ولد بشاطبة (ت - 538 هـ / 1144م - 590 هـ / 1194م)، ينظر: ابن فرحون، الديباج، ص 224.

³ الغبريني، "عنوان الدراية"، ص 135.

⁴ نفسه، ص 140 - 265.

⁵ ابن مريم، "السبان"، ص ص 156 - 292 - 294.

⁶ مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص 273.

⁷ هو عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن تمام بن عطية المحاربي الغرناطي المالكي، ولي القضاء بمدينة المرية (481هـ / 1088م) / 541 هـ - 1147م)، ينظر: محمد الباجي بن مامي، المرجع السابق، ص 61.

⁸ عبد الرحمن بن خلدون، "المقدمة"، ج 1، ص 294.

كما انتشر كتاب آخر بعد من الأهمية وهو "الكشاف عن حقائق التنزيل" للزمخشري¹، واعتمد أيضا المدرسون على تفسير الفخرارازي²، له كتاب "مفاتيح الغيب"، فوجود هذا التنوع في ميدان التفسير القرآني جاء نتيجة لاحتياج المسلمين إلى فهم آيات القرآن فهما معمقا.

الرحلات العملية إلى المشرق والأندلس التي قام بها علماء المغرب الإسلامي وبجاية خاصة نتج عنها نقل العديد من المعارف في علم التفسير فمن الكتب التي دخلت بجاية وكانت معتمدة في التدريس، كتاب "الكشاف والبيان" لابن اسحاق أحمد بن محمد الثعالبي، وأحكام القرآن لأبي الحسن علي بن محمد الطبري، كتاب التحصيل لفوائد كتاب التفصيل، الجامع لعلوم التنزيل لأبي العباس أحمد بن عمار المهداوي³، كما لم يمنع من بروز نوابغ في ميدان التفسير كالشيخ أبي زكريا يحيى الزواوي الذي كان يجمع الناس في حلقات دينية بالجامع الأعظم ببجاية، خاصة في شهر رمضان⁴، والتي ساهم الشيخ الناصر الدين المشدالي في عقد دروس لطلبته ببجاية في تفسير القرآن⁵.

وعليه لم يقتصر علم التفسير ببجاية على مصادر مشرقية وأندلسية، بل كان لعلماء بجاية، دوارا فعلا في تنشيط وإسهام في حقل التفسير، والعينات من العلماء التي جاء ذكرها أكبر دليل على الحركة العلمية في علم التفاسير.

¹ أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (476 هـ - 1075م / 538 هـ - 1144م)، ينظر: ابن خلكان أحمد بن محمد، وفيات الأعيان ج 2، القاهرة - 1881م، ص 107.

² محمد بن عمر بن الحسن بن علي التميمي البكري الطبرستاني الرازي المعروف بالفخر الرازي وبابن خطيب الربيع، وهو على المذهب الشافعي (543 هـ - 1149م / 606 هـ - 1210م)، ينظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج 1، ص 600.

³ الغبريني، "عنوان الدراية"، ص 25.

⁴ نفسه، ص 137.

⁵ الغبريني، "عنوان الدراية"، ص 201.

أيضا علم الحديث كان له نصيب وافر من الدراسة، وتدرسه في منابر العلم ببجاية، فإقبال الطلبة عليه كان واضحا وجليا، فالحديث هو كل ما يروي عن الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم، من أفعال وأقوال، وهو أيضا علم ينقسم إلى العلم برواية الحديث وكيفية اتصال بأحاديث النبي عليه الصلاة والسلام، أما القسم الثاني فهو دراية الحديث ويبحث عن المعنى والمفهوم من ألفاظه والمراد منها وموضوعه أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام¹.

من أهم المصادر في علم الحديث التي اعتمد عليها البحاثيون وسكان المغرب "الموطأ" فهو من أمهات الحديث²، والجامع مع الصحيح للإمام البخاري المشهور بـ "صحيح البخاري" عرف إقبالا كبيرا من طرف المغاربة، وصحيح مسلم، وكتاب المسند لأبي داود السجستاني وجامع أبي عيسى الترميذي، والجامع لأبي عبد الرحمن النسائي³، ولعلماء بجاية مساهمة في التأليف في علوم الحديث فمصنفات أبي محمد عبد الحق الإشبيلي منها الجمع بين الصحيحين، الجمع بين الستة، وكتاب المرشد⁴.

اعتنى الموحدون بهذا العلم خلال القرن السادس للهجرة (12م)، فيعتبر هذا العهد في دراسة الحديث، مرحلة الازدهار والنهضة، واستمر الإشعاع ونشط أكثر بالاهتمام به أكثر في العهد الحفصي، فقد عرف نموا ملحوظا في القرن 7هـ و 8هـ⁵ (13 - 14م).

¹ ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، "المقدمة ج1"، ص 396، محمد الباجي بن مامي، المرجع السابق، ص 63.

² عبد الرحمن بن خلدون، "العبر"، ج7، ص 622.

³ ينظر: الغبريني، "عنوان الدراية"، ص 25، محمد الباجي بن مامي، المرجع السابق، ص 63، مفتاح خلفات، "قبيلة زاوارة"، ص 278 - 279.

⁴ خلفات مفتاح، المرجع السابق، ص 279.

⁵ ابراهيم حركات، "مدخل إلى تاريخ العلوم ج1"، ص 60.

وفي القرن التاسع الهجري (15م)، تراجعت الدراسات في الحديث، سبب تقلصها الأزمت السياسية منها الحروب والتمردات التي خلقت عدم الاستقرار، وسوء إدارة الأوقاف¹، فبجاية تعرضها ساحلها لهجمة شرسة شنها القوطيون عليها، نتج عنها جمود في مجال الحديث.

ومن العلوم الدينية التي اهتم بجائون بدراستها، الفقه² وفروعه، فانتشر الفقه المالكي في العهد الحمادي ثم تراجع في العهد الموحي بسبب ما آلا إليه المذهب المالكي، لأن المذهب الظاهري احتل قمة الهرم المذهبي بالدولة، لكن الغبريني يذكر أنه رغم محاربة الدولة الموحدية فروع المذهب المالكي وأسانيده، إلا أنه استمرت دراسة الفقه المالكي بمساجد بجاية، "فأبو زكريا يحيى الزواوي" أحد العلماء الذين درسوا الموطأ بمجالس العلم ببجاية³، إلى جانبه أيضا "أبي يوسف يعقوب المنقلاتي (ت 690 هـ / 1291م) كان بدوره يقيم مجالس تعليمية يركز فيها على كتاب التهذيب، وهو كتاب مذهبي كان أكثر الكتب انتشارا للبجاية⁴، أما الفترة الحفصية كما درسناها سابقا كان عهد الإنفتاح والرجوع إلى الإصلاح المالكي ومصنفات الفقه المالكي.

ومن بين المصادر الفقهية التي تناولها ولها الطلبة، مصدر "إحياء علوم الدين"، و"المستصفي⁵، للغزالي"، وأكد "الموطأ المالكي"، ومدونة سحنون بن سعيد التنوخي (ت 240 هـ / 854م) والأسدية لأسد بن فرات (213 هـ / 828م)، ومختصر أبي زيد القيرواني (ت 326 هـ / 996م)⁶، وأصول الفقه النيسبوري¹.

¹ إبراهيم حركات، "مدخل إلى تاريخ العلوم"، ج 2، ص 76.

² الفقه هو استنباط الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة بقواعد تضبط هذا الاستنباط ويحكمه ويعرفه عبد الرحمن بن خلدون في المقدمة، ج 1، ص 353، أنه "هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والجهر والندب والكرهة والإباحة، وهي ملتقاة من الكتاب والسنن، وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة فإذا استخرجنا الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه".

³ الغبريني، "عنوان الدراية"، ص 136 - 151.

⁴ الغبريني، ص 226.

⁵ محمد الباجي بن مامي، المرجع السابق، ص 73.

⁶ مفتاح خلفات، "قبلة زواوة"، ص 283.

ومن العلماء بجاية الذين كانوا سادة الفقه، الفقيه "أبي العباس أحمد الغبريني (ت704 هـ / 1304م) والعلامة ناصر الدين المشدالي، فكان عهده يعج بالتدريس بمجالس العلم ببجاية وحلقات المنظرات والبحث الديني، وأيضا برز ببجاية فقيه لعب دوراً كبيراً في اسهاماته الدينية وهو العالم "عبد الرحمن الوغليمي (ت 784 هـ / 1386م) وغيرهم.

إلى جانب هذا الرصيد العلمي ببجاية، وجد علم آخر من مصنفات العلوم الدينية وهو علم الكلام، ويسمى أيضا التوحيد، لأنه يقوم على القول بالتوحيد الخالص لله ونفي الصفات عنه، ويطلق عليه أيضا اسم أصول الدين، لأنه يبحث في أصل العقائد²، وأول من بحث في هذه المسائل هم المعتزلة³.

تفوق علم الكلام خلال القرنين السادس والسابع بالمغرب الأوسط والأقصى⁴، لكن في القرن الثامن للهجرة (14م)، تراجعت شهرته بسبب انتشار المذهب المالكي وعودة سكان المغرب الإسلامي إليه، يقول عبد الرحمن بن خلدون عن علم الكلام في زمانه، أنه غير ضروري، بينما المشاركة اهتموا بهذا الفن أكثر، وهذا بسبب تعدد المذاهب لديهم⁵.

ومن العلماء الذين برعوا في علم الكلام بالمغرب الإسلامي، وأخذ عنهم سكان المدن المغربية ومنها مدينة بجاية، العالم السنوسي⁶، له مؤلفات عديدة في عقيدة التوحيد، أهمها "كبرى السنوسي"، "الصغرى في العقائد"،

¹ الإمام أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجوني النيسابوري الشافعي الأشعري المعروف بإمام الحرمين (419 هـ / 1028م - 478 هـ / 1083م)، ينظر: ابن خلكان، "الوفيات"، ج 1، ص 361.

² محمد الباجي بن مامي، المرجع السابق، ص 75.

³ المعتزلة نسبة لواصل بن عطاء، الذي اعتزل مجلس شيخه الحسن البصري فعرفت جماعته بالمعتزلة، وكذلك عرفوا في الفترة العباسية بالمتكلمين، ينظر: أبي حامد الغزالي، إحياء علوم الدين

⁴ إبراهيم حركات، المرجع السابق، مدخل إلى التاريخ، ص 393.

⁵ محمد الباجي بن مامي، المرجع السابق، ص 75.

⁶ أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي التلمساني (832 هـ / 1428م - 895 هـ / 1490م)، ينظر: ابن مريم، البستان، ص 248 - 237.

كلها تصب في شرح عقيدة أهل التوحيد¹، وبرغم من هذا لم يبلغ علم الكلام الأهمية التي وصلت إليها علوم القرآن والحديث والفقهاء لأن المذهب المالكي استطاع أن يسيطر على الوضع والحياة الدينية بالمغرب الإسلامي عامة وبجاية خاصة.

علم النحو أيضا من العلوم التي انتشرت ببجاية، واهتم لها ساكنيها، لما لها من أهمية كبرى في ضبط المعاني وقياس الكلام ونوعه، فالنحو هو الأساس للغة، شهد انتشارا أكثر من خلال المصادر والمصنفات اللغوية التي كانت موزعة وتدرس بمدن المغرب الإسلامي، لاسيما مدينة بجاية التي أقبل معلميها وطلابها على مدرسة النحو خاصة في العهد الحفصي، أين كان يدرس كتاب "الفصل" للزمخشري وكتاب سيبويه²، ومما درس أيضا "حواشي على المرادي"³، وقصيدة "أم الفرج لابن النحوي"⁴، تدعى "بالمفرجة"، ومؤلفات النحوية للجاردي⁵، وألفية ابن مالك في النحو.

عرف القرن السادس للهجرة (12م)، حركة نشطة لعلماء بجاية في علم النحو، فقد أولوا اهتمام بدراسة سيبويه، بعد إتقانهم خصائص اللغة والنحو على يد كبار النحاة من المشرق والقيروان والأندلس، فبجاية استقبلت بدورها علماء العربية والمختصين في تدريس سيبويه، كالنحوي "عبد الله ابن محمد الأغماتي" قام بتدريس بها⁶، و"مروان بن عمار البجائي"⁷، وابن عصفور⁸، ابن فتوح النفزي عبيد الله بن محمد (ت 642هـ) ببجاية¹.

¹ محمد الباجي بن مامي، المرجع السابق، ص 76.

² أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بسيبويه لحيه شم التفاح (ت 180هـ/796م)، ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، "المقدمة"، ج 1، ص

³ شمس الدين حسن بن القاسم المرادي المعروف بابن أم قاسم النحوي (ت 749هـ / 1348م)، ينظر محمد باجي بن مامي، المرجع السابق، ص 79.

⁴ أبو الفاضل يوسف بن محمد بن يوسف التوزري المعروف بابن النحوي (ت 513هـ/1119م)، ينظر محمد باجي، المرجع السابق، ص 79.

⁵ فخر الدين أحمد بن الحسن بن يوسف الجريدي (ت 646هـ/1248م)، ينظر: نفسه، ص 79.

⁶ إبراهيم حركات، "مدخل إلى تاريخ العلوم"، ج 2، ص 157.

⁷ نفسه.

⁸ نفسه، ص 160.

الأدب العربي دراسته سلكت طريقها هي الأخرى إلى المدن المغربية، فانتشر ببجاية وغيرها الشعر، فالبلاط الحمادي كان يعج بالشعراء الذين يتغنون بالأمرء وخصالهم وأنجزاتهم، ومن شعراء القرن السابع للهجرة "محمد بن إبراهيم الوغليسي"، وعبد الله بن علوان من رفقاء الغبرني الذي تميز شعره في الالتقاء والطريقة بالظفاة والرقعة²، الذي نظم قصيدة يصف فيها مدينة بجاية، فاكساح أدباء بجاية هذا المجال وبراعتهم فيه جاء جراء رحلاتهم العلمية على المشرق ودراستهم لأمهات المصادر الأدبية، واحتوائهم علماء الأدب الوافدين على بجاية.

كما كان لعلم التاريخ أهمية بالغة في دراسته، فهو فن ومذهب قائم بذته مرت الكتابة التاريخية بعدة مراحل، اتسمت بالضعف في حقل المؤلفات الخاصة بالعهد الحمادي خلال القرن الخامس للهجرة (11م)، بعض ما ورد في هذا القرن نجد مصدر البكري الذي فيه بعض من المعلومات تخص دولة بني حماد بصفة عامة ومدينة بجاية بصفة خاصة، وقد ألف أيضا "أبو الصلت أمية بن عبد العزيز ذيبلا على كتاب الرقيق غطى ما يناهز خمس وسبعين سنة من تاريخ العصر الزيري والحمادي الصنهاجي لكنه فقد وما تبقى إلا ما نقله عبد الرحمن بن خلدون والتجاني³.

أما القرن السادس للهجرة (12م)، شهدت الكتابة التاريخية قفزة نوعية، في تنوع أقلام المؤرخين المغاربة الذين اهتموا بتدوين كل أحداث الحقبة التاريخية الموحدية، وبما أن بجاية كانت من ضمن أقاليم الدولة الموحدية، عنيا مؤرخوا الدولة بكتابة بعض من أحداث السياسية والحضارية التي عرفت في عهد الحكم الموحدية، ومن الكتب التي أولتها إهتمام، كتاب البيذق "أخبار ابن تومرت"، وكتاب "المعجب" لعبد الواحد المراكشي وكتاب "الحلل الموشية في أخبار المراكشية" لابن السماك العامري، وكتاب "المن بالامامة" لابن صاحب الصلاة.

¹ نفسه ، ص 171.

² الغبرني ، "عنوان الدراية"، ص 282 - 314.

³ إبراهيم حركات، "مدخل إلى تاريخ العلوم، ج1"، ص 253.

تواصلت الأعمال التاريخية، وظهر في القرن السابع للهجرة (13م) مؤرخ صنهاجي من بجاية ألف مصدرا مهما في التاريخ السياسي سماه "بالنبذة المحتاجة في أخبار صنهاجة"، هذا المصدر لمحمد بن حماد الصنهاجي، هو اليوم مفقود، يذكر فيه تاريخ بني الزيري وأبناء عمومتهم بني حماد، وهناك مصدر آخر مهم للقاضي أبي العباس أحمد الغبريني "كتابه عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية"، أحصى فيه حوالي مئة وإحدى عشر عالما من أبناء بجاية والوافدين عليها، ولم يكن محصورا في ترجمة هذه الأعلام فقط بل أعطانا مادة أخرى تخص مدينة بجاية، مثلا كعمارها الدينية والاقتصادية وفترات القحط والجفاف التي عرفتها ومعلومات أخرى، فبجاية بعد سقوط الدولة الموحدية، آلت إلى الحكم الحفصي، هذا الأخير الذي عرف بدوره أحداث تاريخية متنوعة كانت معظمها صراعات مع جيرانه بنو عبد الواد بتلمسان، وبنو مرين بفاس، ناهيك عن صراعه مع الدول المسيحية، وأكبر خطر واجهته الدولة ومدنها التابعة إليها ومنها مدينة بجاية مسألة "القرصنة" أو "الغزو البحري"، فهذه الفترة المملوءة بالخianات والدسائس لم تحض بكتابات تاريخية معمقة، بل اكتفى مؤرخوا بالاشارة إلى بغض من محطاتها، ثم افتقرت في القرن التاسع للهجرة (15م) بسبب تعرض منطقة شمال المغرب الإسلامي للغزو الإسباني والبرتغالي، فجمدت الكتابة، ومن المصادر الشحيحة التي أمدتها بعض من تاريخ مدينة بجاية في نهاية العهد الحفصي ابن الشماخ "الأدلة البينة" والزركشي "تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية" ومصدر "العبر" لعبد الرحمن بن خلدون.

أما المصادر الجغرافية التي تناولت بعض من مجالات الاجتماعية والاقتصادية لبجاية البكري أو جغرافي ذكر موقع وحدود المدينة، والإدريسي كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، رصد لنا موجز هام لمجالات الحياة بمدينة بجاية، في الفلاحة والمصانع والتجارة والتركيبات السكانية، فهو من أهم المصنفات الجغرافية في القرن السادس للهجرة، وأيضا مصدر "الاستبصار" صاحبه مجهول لا يقل أهمية عن مصدر الإدريسي فبدوره أمدنا بمعلومات قيمة، ومصدر حسن الوزان "وصف إفريقيا".

وكتب الطبقات والتراجم التي ساهمت بقسط وفير في بناء المادة العلمية ببجاية حيث يعمد المؤلف إلى ترتيب كل طبقة ضمن حقبة زمنية، أو حسب توجهها العلمي، ومن أهم هذه المصادر كما ذكرناه أنفا كتاب عنوان الدراية للغبريني، وكتاب التكملة والحلة السيرة لابن الأبار الأندلسي، وقد تضمن تراجم للعلماء المغاربة، ومصدر "التشوف إلى رجال التصوف" لابن الزيات يوسف بن يحي التادلي.

وعليه بلغت مؤلفات في العلوم الاجتماعية شهرة واسعة، وكانت من ضمن المنضومة الدراسية في برامج الطلاب ببجاية وغيرها من المدن المغربية.

إلى جانب العلوم الدينية والعلوم الاجتماعية، انتشرت العلوم العقلية بدورها ببجاية، وهي العلوم التي يهتدي الإنسان إليها بفكره لم تدرس إلا نادرا بالمدارس وهي تشمل علم المنطق والعلوم العددية (الرياضيات) والطب والهندسة والفلك.

علم المنطق، درس في الكثير من مدن المغرب الإسلامي، وبالرغم من موقف بعض العلماء منه فقد إهتم به العديد من الطلبة، و سندرج لاحقا أسماء العلماء بجاية في علم المنطق، و أيضا في علم الفلسفة هذا العلم الذي لم يجد تشجيعا واسعا خاصة في العهد الموحد، فكل من كان يتعاطى الفلسفة خاصة في العهد الخليفة المنصور الموحد، يتعرض للإضطهاد، و العلامة محمد ابن ابراهيم المهري البجائي أكبر دليل على محنة الفلاسفة في هذا العهد، حيث ذبح ببجاية سنة (612هـ-1213م)¹

¹الغبريني، عنوان الدراية، ص 208

لكن شهد القرن السابع للهجرة ، الثالث عشر ميلادي ، قفزة نوعية في مجال علم الفلسفة ، حيث تحولت بجاية إلى مركز لدراسة العلوم العقلية ¹ ، لقد توافد عليها نخبة من العلماء من خارج المشرق و الأندلس و المغرب الأقصى.

و خلال القرن الثامن الهجري تراجع مركز بجاية الذي كان يتصدر السلم العلمي و حل مكانها كل من تلمسان و فاس في اشاعة العلوم العقلية بما فيها المنطق و الفلسفة ² ، أما في القرن التاسع للهجرة فقد عرف المنطق إشاعا أكثر من الفلسفة هذه الأخيرة كادت أن تختفي ، لأنها شهدت تهميشا و إهمالا من طرف العلماء و إزدادات عنايتهم أكثر بعلم المنطق.

الطب ببجاية لم يكن محظوظ كغيره من العلوم ، يذكره الغبريني " >>...أشد الصنائع ضياعا<< ³ رغم إحاطة بجاية بجملة من النباتات الطبية في أكناف الجبال ⁴ إلا أن سكانها إهتموا " بالعلاج الشعبي " ، و في بداية القرن الثامن للهجرة ، الرابع عشر ميلادي بدأ يشهد مجال الطب إنتعاشا و إهتمام به أكثر ، حيث قدم إلى بجاية نخبة من علماء الطب من الأندلس ، وكان ابت اندراس أحمد بن محمد الأموي يدرس الطب و صناعة الأدوية ببجاية

خلال القرن السابع للهجرة الثالث ميلادي ، كما إستقدم الموحدون من بجاية المعالج "أبا إسحاق إبراهيم الداني " لإدارة مارستان بمراكش ⁵ ومن بين الأسماء التي برعت في علم الطب " أبي العباس أحمد الغبريني" (ت 704 هـ -

¹ إبراهيم حركات ، مدخل إلى تاريخ العلوم ، ص 394

² نفسه ص 397

³ الغبريني ، عنوان الدراية ، ص 104

⁴ الإدريسي -نزهة المشتاق - ج ص 259.

⁵ إبراهيم حركات ، مدخل إلى تاريخ العلوم ، ج 1 ، ص 408.

1304 م) له مساهمة في مجال الطب و صناعة الأدوية¹ والعالم "أبي عبد الله محمد بن يحيى بن عبد السلام" قال عنه الغبريني: وكان له حظ في علم الطب علمية و عملية و كان مزاولا و معالجا² و العالم "أبو الفضل المشدالي" كان له تدخل في التطبيب أيضا³.

تدل ضخامة المنشآت العمرانية ببجاية ، على وجود مهندسين أكفاء عارفين بعلم الحساب و خاصة بتطبيقاتها العملية ، فيمكن من خلال هذا أن نستنتج وجود نشاط تكوين لهؤلاء المهندسين في علم الرياضيات ، إنتشر هذا العلم أكثر من بعض العلوم العقلية الأخرى ، و ذلك نظر لحاجة الناس إليه في العديد من مسائل حياتهم اليومية ، كالتجارة و القضاء و الميراث و غيرها ، و أيضا لإحتياج بعض العلوم في دراستها لعلم الرياضيات كعلم الفلك و علم التنجيم و الطب و علم التوقيت...إلخ.

فعلم الرياضيات يتفرغ منه علم الحساب و الجبر ، العلوم العددية و الهندسة و الفرائض فمثلا الفقهاء لم يهتموا به بصفة مباشرة ، ولكن عند وقوفهم في مسألة الفرائض لابد من إستحضار بعض الإشارات الرياضية لحل القضايا المتعلقة بهذا المجال .

عرفت بجاية عداد كبيرا من الرياضيين من أبناء المدينة الوافدين عليها ، ساهموا في تطوير الإنتاج الرياضي بها ، فيبرز العالم "يوسف بن ابراهيم الحسناوي الزواوي⁴ و أبو القاسم القرشي الإشبيلي نزيل بجاية (ت.580هـ/1184م) ، و أبو عثمان العقباني التلمساني كان قاضيا بها توفي سنة (811هـ/1408) ⁵ و أبو سرحان الزواوي (ت 803هـ/1402م)

¹الغبريني ، عنوان الدراية ، ص 101.

²نفسه ، ص 294

³مفتاح خلفات -قبيلة زواوة-ص 354

⁴نفسه ، ص 350.

⁵Association gehimab centre universtairebejaia, colloque international

له نشاط في هذا الميدان¹ و أيضا أبي الفضل المشندالي ، و البجائي عبد الحق بن ربيع الأنصاري ومحمد بن محمد القلعي² فوجود هذه النخبة من العلماء في علم الرياضيات جعلت من بجاية مركز و قطب إستقطب إليها طلاب من مختلف الجهات حيث لعبت بجاية دورا بارزا في قيام النهضة الأوربية ، فأروبا التي أطلقت إسم بوجي (Bougie) وهي الشمعة ، مصدر الضياء و النور على بجاية هو أول إتصال حضاري بين الضفتين ، ناهيك عن تلقين طلاب أوربا و علماءها الدراسات العربية الإسلامية ، فيكفي أن نذكر الفيلسوف الكتالوني الشهير "ريمون ليل"³ أولول (Ramon lull) الذي قام بعدة رحلات إلى بجاية ، لتعمق أكثر في العلوم العربية و في المنطق و كان له غاية ثانية من زيارته المتكررة لبجاية ، و هي التنصير و التبشير

ومن الأوربيين الذين إستفادوا من أصناف العلوم المنتشرة ببجاية ، لاسيما ميدان العلوم الرياضية و الهندسة ، هو "ليوناردو فيبوناتشي" (leonardopibonacci)

البيزي ، ولد بمدينة بيشة (pise) سنة (576هـ/1180م) رحل مع والده إلى بجاية أين درس اللغة العربية بمراكزها التعليمية ، وكان من المعروف أن أبناء أوروبا في العصور الوسطى يتلقون دروسا في أديرة القساوسة ، لكن والد "ليوناردو فيبوناتشي" الذي كانت رئيس البعثة التجارية البيزية، أصر أن يلحق ابنه العلوم من مدينة إسلامية عربية .

Bejaia et sa regiona travers les ages Histoire, société , Sciences, ciltureunesco, Résumés des communications, Bejaia, Algeria, P 62

¹حلفات مفتاح -قبيلة زواوة-ص 355.

²ابراهيم حركات مدخل الى تاريخ -ج1 ص 431

³أقام ليل في بجاية من سنة 1307م إلى 1311م) ، و في طريقه للعودة ، غرقت به باخرة جنوية كان على متنها ، فأتلقت كل مخطوطاته ينظر : جميل عيساني ودومنيك فالريان ، العلاقات بين مدينتي بير و بجاية في العصور الوسطى مساهمته حاسمة في بناء الانتماء للمتوسط أعمال المركز بجاية مركز إشعاع للمعرفة ، وزارة الثقافة ، تحت الإشراف العلمي ، سليمان حاشي و جميل عيساني ، CNRPAH ، الجزائر ، 2008 ، ص 41.

وبالفعل أخذ "ليوناردو البيشي" القواعد و اللغة ، الرياضيات و الهندسة بالأرقام العربية و بالكسور و الصفر¹ الذي لم يكن معروفا عند الأوربيين ، كما تعلم الأرقام الغبارية ففي ذلك الوقت كان الأوربيون يعتمدون في حساباتهم على الأرقام الرومانية التي كان يصعب عن طريقها ، إجراء عمليات الضرب و القسمة و لم يعرفوا الصفر الإداري في مسائلهم الحسابية و أيضا الكسور و عليه أزال الأوربيون كل الأنظمة العددية الرومانية ، و استعملوا مكانه نظام الترقيم بل أكثر هذا استطاعوا أن يصنفوا أرقام الأحاد و العشرات و المئات و الآلاف في خانات عديدة .

و يرجع الفضل للنهضة بأوربا بالتلميذ بجاية "ليوناردو فيبوناتشي" ، الذي حرص على إطلاع على كل العلوم و بالأخص مادة الحساب التي نبغ فيها أكثر بعدما أخذ قواعدها من معلمي المدنية و من تجارها أيضا ، خلال تربصه لدى إدارة الديوانية في ميناء بجاية أين كانت مختلف المعاملات التجارية تنعقد بالإضافة إلى وزن السلع و حسابها وكان لا بد عليه من معرفة القياسات الجمركية المتداولة في الميناء كما إهتم بموضوع النقل البحري للسلع ، أي كيف توزع الحمولات بكيفية جيدة على البواخر و بالتالي حساب أوزان كل أنواع السلع.²

و بهذا عاش "ليوناردو فيبوناتشي" إنفتاحا في عالم الرياضيات ببجاية ، نقلها إلى إيطاليا للتزود بدورها بالمعارف و العلوم من أجل تطويرها في كل المجالات التي تستدعي وجود علم الرياضيات بمختلف فروعها ، و بالفعل بجاية أزاحت كل الجهل و الظلمات التي كانت أوربا تتخبط في دهاليزه وانتشرت مؤلفات " فيبوناتشي " بأوربا ، وأخذ عنه العديد من طلابها لسيما مؤلفه المشهور ب"سلسلة فيبوناتشي"

¹مولود قاسم نابت بلقاسم ، "بجاية الإسلام بقيت أوربية الرياضيات بلغ العروبة" ، ج ملتقى الفكر الإسلامي التاسع عشر كتاب الأصالة ، بجاية 1985 ، ص 44 .

²جميل عسياني ، دومنيك فالريان ، العلاقات بين مدينتي بيزو بجاية ، ص 44 .

امتدت النهضة في علوم الرياضيات ببجاية (غاية العهد الحفصي) ، أين ظهر كل من العالم " أبي محمد عبد الحق الأنصاري تميز هؤلاء بإنتاج رياضي ، كما إنتشرت مصادر أخرى تتداولها طلاب بجاية خلال العهد الحفصي ككتاب ابن البناء ، وكتاب الفرائض للحوفي و كتاب الحصار و أرجوزة الياسمين في الجبر و المقابلة¹ و طرق قسمة الفرائض لإبن عرفة و مؤلفات ابن قنفذ القسنطيني .

وعرف أيضا " القلصادي "² كأهم علماء الحساب في القرن (9هـ-15م) و له العديد من المؤلفات في علم الحساب إعتمدت بالمدن المغربية في مناهج التدريس ، أهمها " كشف الأستار عن علم الحروف الغبار " ، و هو تلخيص لكتابه " كشف الجلباب " ، فيه عدة شروحات حسابية كإستخراج المجهول و فيه ثمانية أبواب³ و فيه شرح لعلوم أخرى كعلم التوقيت و الفلك ، و علوم النجوم ، و في تحديد القبلة للصلاة و تعريف الإسطرلاب و غيره....⁴

إذا من خلال تتبعنا لتاريخ علم الرياضيات بمدينة بجاية نستطيع أن نجزم أنها حقاً لقتت أوروبا هذا العلم لأنها كانت العاصمة الحقيقية و القطب الفعال لهذه المادة التي غيرت مجريات الحياة بأوروبا من القاع إلى قمة الهرم العلمي .

الفلك و علم النجوم (التنجيم) من العلوم التي إشتهرت ببجاية و عرف رواجاً أكثر في عهد الموحدين ، حيث كان الخليفة "يعقوب المنصور" و هو حفيد عبد المؤمن بن علي يشتغل بالتنجيم حيث وضع أبراجاً فلكية

¹نسبة لأبو محمد عبد الله بن حجاج المعروف بابن الياسمين ، مات قتيلاً سنة (600هـ-1204 م) ينظر محمد الباجي بن مامي ، المرجع السابق ، ص 84.

²أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن علي القرشي السبطي الأندلسي المالكي الشهير بالقلصادي (815 هـ/891م) (1412م-1486م)

³علي بن محمد بن علي القلصادي ، "كشف الأسرار عن علم حروف الغبار " ورقة رقم 15 مخطوط موجود بالمكتبة الوطنية بالرباط تحت رقم 1411 .

⁴نفسه : رقم الورقة 48.

عن كسوف الشمس ، كما أمر بإقامة برج بمدينة إشبيلية بالأندلس و بضبط بجامعها الأعظم للأذان و لرصد النجوم ، فكان أول مرصد أقيم في أوروبا.

علم التنجيم يعرفه ابن الرصاع >> علم يعرف به الظغست دلال على حوادث علم الكون و الفساد بالتشكيلات الفلكية ، و هي أوضاع الأفلاك و الكواكب كالمقارنة و المقابلة و التثليث و التدريس و التريبع ، و ينقسم إلى حسابيات و هي يقينية في علمها ، و طبيعيات كالإستدلال بانتقال الشمس في البروج على تغيير الفصول <<¹

و قد قسم على النجوم إلى أربعة أقسام : 1- معرفة الاسطرلاب حسبما هو متركب

2- معرفة المدخل إلى عالم النجوم و معرفة الكواكب و البروج و مزاجتها .

3- معرفة حساب أعمال النجوم و عمل الزيج و التقوي

4- معرفة الهيئة و البراهين الهندسة على صحة أعمال النجوم :

ومن المصادر التي كانت تدرس بالمغرب الإسلامي ، الوجيز في علم الهيئة لأمية بن أبي الصلت الأندلسي ، وكتاب الهيئة لأبي محمد جابر بن أفلح الإشبيلي (535هـ-545هـ/1140م-1150م) وكتاب الأمطار و الأسعار للإمام أبو عبد الله محمد البكار ، هذا الكتاب فيه معرفة الاستدلال على أحوال السنين من الكواكب جزئه الأول عنوانه «: العلوية على مذهب قداما : أهل المغرب و الأندلس و افريقية..» ، و الجزء الثاني في البروج و مصدر ابن قنفذ القسنطيني بعنوان "تسهيل المطالب في تعديل الكواكب .

¹ ابن الرصاع ، فهرست الرصاع ، ص 145.

أما علم المواقيت أو التوقيت أو الميقات فهو علم صلة بالفلك و التحجيم ، به يعرف عدد السنين و الحساب ، ويعرف أيضا وقت الصلاة التي هي عماد الدين ، كما يعرف من خلاله وجهة القبلة لأن الصلاة لاتصح إلا بتعيينها بقوله تعالى ويعرف به أيضا سير البر و البحر قال تعالو كذلك يعرف به الشهور

وكان مصدر القلصادي " كشف الأسرار عن علم حروف الغبار " من المؤلفات التي أبحرت في هذا العلم ، فيوضح فيه تحرك المجرات و معرفة درجة الشمس و كيفية إستخراج جهة القبلة في كل بلد خاصة ليلا¹ و جاء أيضا فيه عن الأسطرلاب² هذه الآلة المهمة في الحياة اليومية للمجتمع إذ يقول بعض من الشعراء مادحا الأسطرلابي الممسكي مذهبي الا تباشر في الأيد فليسوف أو يدامكك : ففك أشكالي التي إن إنكشفت إليك عاينت نور الشمس في الحكك : و اقرأ رسومي نسلم حذق صانعها : و انظر الى هيتي تنظر إلى الفلك.³

وعليه نخلص من خلال إسترسالنا لكل هته العلوم و المعارف التي إنتشرت بمدينة بجاية و المغرب الإسلامي ، هي من الضروريات التي يستوجب تعلمها ودراستها لتوعية من جهة و لتسهيل مقتضيات الحياة في مجالاتها و أنشطتها اليومية من جهة أخرى لسيما في الجانب الديني كدراسة القرآن الكريم و تفسيره و الأحاديث الدينية و معرفة الشهور الدينية كشهر رمضان و الأعياد الدينية و مواسم الحج ، و معرفة وجهة القبلة لتكون صلاة الفرد صحيحة و جانب إقتصادي خاصة في التعاملات التجارية ، و معرفة الحساب و وقت خروج السفن كسير البحر ، و المناخ و رصد النجوم و غيرها من المستلزمات ، فهذا التوقف العلمي الذي عرفته بجاية جعل منها قطب ديني و ثقافي عبر عصورها التاريخية الوسطية.

—علماء من بجاية و أحوازها .

¹مخطوط كشف الأسرار عن علم حروف الغبار للقلصدي ، الورقة 48، 60، 133، 134، 135 ، 136

²الاسطرلاب عبارة عن صفيحة فلكية ، أولية التقويم الزمن و الوجهة و الإتجاه

³نفس المخطوط الورقة 48.

أنجبت مدينة بجاية نخبة كبيرة من فلك العلماء متضلعين في مختلف العلوم منهم من استمرت حياته بها ومنهم من انتقل منها إلى المشرق الإسلامي أو إلى المغربين الأدنى و الأقصى و إلى أوروبا أيضا وبالضبط إلى الأندلس ، فمن أعلاها

أ- العلوم الدينية

1- في علم القراءات : نبغ العالم الزواوي عمر بن مخلوف القدلسي توفي سنة (626هـ/1226م) استوطن مدينة بلنسية الأندلسية تتلمذ على يد العديد من علمائها أمثال ، أبي عبد الله بن نوح ، و العالم أبي علي الزلال ، والعالم عبد الحق الزهري ، ثم رجع القدلسي إلى بجاية أين دّرس بجامعها الأعظم¹

*-أبي العباس أحمد بن محمد الزواوي ، كانت وافته سنة (750هـ/1350م) ، رحل إلى مدينة فاس أين تتلمذ بها و سكن فيها ، و لبراعته في مجال القراءات ، إصطفاه السلطان المريني إلى مجلسه²

*-العالم المقرئ أبي القاسم الغبريني الزواوي ، تعلم على يد علماء بجاية و علماء مصر ، تميز بنشاطه في هذا الحقل العلمي ، حيث صنف احد أكبر المقرئين المغرب الإسلامي خلال القرن الثامن للهجرة³

-والعلامة ناصر الدين المشتالي ، توفي عام (731هـ/1331م) ، نشط في هذا المجال وكان له دخل كبير في علوم القراءات ، حيث كان يعقد حلقات الدرس بالجامع الأعظم ببجاية⁴

2- التفسير : منى علمائه نذكر منهم :

¹مفتاح خلفات-قبيلة زواوة-ص 271.

²نفسه

³عبد الوهاب بين المنصور ، أعلام من المغرب العربي ، ج2، المطبعة الملكية، الرباط، المملكة المغربية ، 1979 ، ص 130

⁴الونشريسي ، المعيار، ج 12 ، ص 154

-العالم أبي زكريا يحيى الزواوي ، الذي توفي سنة (611هـ/1211م) ، درس مسجد الأعظم ببجاية ، وكان حريصا

في تبيان المراد من آيات القرآن الكريم في حلقات تدريسه¹

وقاضي بجاية أبي العباس الغبريني (704 هـ/1304م) له مساهمة كبيرة في تفسير القرآن الذي كان يستعين فيها

على علم الحديث في توضيح بعض المسائل و الأحكام².

ناصر الدين المشدالي (731هـ/1331م) إلى جانب نبوغه في علم القراءات كانت له مساهمات مجال التفسير

أيضا.

أبي مهدي عيسى الغبريني المتوفي سنة (815هـ/1415م) كان قاضيا ولم يمنعه مجاله من دخول عالم التفسير

القرآني³

*-محمد بن أحمد بن أبي القاسم الزواوي ، توفي عام (865هـ/1465م) ، أيضا ممن تكون و كون في علم

التفسير القرآني⁴.

*-أبي اسحاق ابراهيم بن فائد الزواوي ، ولد سنة (796هـ/1393م) ببجاية ، كان حافظ القرآن الكريم ،

تعلم على يد علماء المنطقة و علماء تونس له عدة مؤلفات في التفسير توفي سنة (857هـ/1458م)⁵

3- علم الحديث : من محدثي مدينة بجاية و ضواحيها خلال عهدها الوسطى نجد :

¹الغبريني ، عنوان الدراية ، ص 137

²مفتاح خلفات ، المرجع السابق ، ص 276

³ينظر الغبريني ، عنوان الدراية ، ص 147، 148 ، الرصاع ، فهرست ابن الرصاع ، ص 112

⁴السخاوي ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ج ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص 180

⁵مفتاح خلفات -قبيلة زواوة ، ص 277

-*أبو زكرياء يحيى الزواوي (ت.611هـ/1211م) فإلى جانب بتنوعه في علم القراءات كان أيضا محدث فقيها صوفيا¹

-محمد بن اسماعيل المتيشي من ناحية بجاية ، سمع الحديث بالأندلس عن ابن شكوال وابن خير توفي سنة (625هـ/1227م)²

-*ابن أبي نصر البحائي علي بن فتح بن عبد الله توفي سنة (656هـ/1258م درس بالأندلس وبيت المقدس و دمشق و الاسكندرية وصفه الغبريني بعلو سنده في الحديث³

-*عيسى بن مسعود الزواوي (664هـ-743هـ/1266م-1342م) درس ببجاية ثم الاسكندرية ، ألف مؤلفه عنوانه "إكمال الإكمال في شرح صحيح مسلم في 12 مجلدا كما ألف في التاريخ و الفقه و علم المساحة

4

-*عبد الله بن محمد القلعي : من قلعة بني حماد ، توفي سنة (669هـ/1270 م) درس ببجاية بين الفقه و الحديث ، وكان الغبريني من تلامذته⁵

أبي موسى عمران المشدالي توفي سنة (745هـ/1347م) درس علم الحديث.

أحمد المشتالي ، أخو أبي موسى عمران ، توفي سنة (770هـ/1370م) ، ساهم في إزدهار علم الحديث حفظا ورواية¹.

¹الغبريني ، المصدر السابق ، ص 127

²ابن الأبار ، التكملة ، ج 2 ، ص 622

³الغبريني ، المصدر السابق ، ص 137

⁴الديباج ، ج 2 ، ص 72.

⁵الغبريني ، المصدر السابق ، ص 65

*-محمد بن عبد الله بن يلبخت الزواوي توفي سنة (781هـ/1381م) من كبار المحدثين ²

*-علي بن عبد الرحمن الزواوي، توفي عام (828هـ/1430م) من علماء علم الحديث ، تعلم على يده

الكثير من البجائيين ، له مؤلف عنوانه "عقود الأثر في علوم الأثر". ³

4- الفقه :

* الملقب بأبي حامد الصغير ، فقيه مالكي حافظ و متكلم و قاضي ، جمع بين علمي الظاهر و الباطن ، نشأ

ببجاية و توفي بها سنة (570هـ/ 1174 م) ، وكان من أصحاب ابي مدين شعيب ، مؤلفاته : " التذكرة في

أصول علوم الدين و النبراس في الرد على منكر القياس". ⁴

*- مروان بن عمار بن يحيى أبو الحكم البجائي: فقيه له مشاركة في علوم اللغة و الأدب أيضا هو من بجاية ،

و بها أخذ عن عبد الحق الإشبيلي ، دخل الأندلس و أخذ عن علمائها و كذلك بفاس و لي قضاء المرية ،

توفي سنة (610هـ/1209م) ⁵

* فقيه من فقهاء الماكية و لكثرة صلواته سميا بفارس السجاد ، أخذ عنه العالم أحمد بن زاغوو العالم محمد بن

بلقاسم المشتالي و عبد الرحمن الوغليسي ، توفي ادريس البجائي سنة (760هـ/1359م) ⁶

¹ يحيى بن خلدون ، بغية الرواد . ص 131

²مفتاح خلفات قبيلة زواوة ، ص 280.

³نفسه

⁴ ينظر أحمد الغبريني عنوان الدراية ، ص 66-72 ، بابا التنبكي ، من الابتهاج ، ص 104 -107 . ابن القنفذ القسنطيني ، أنس الفقير وعز الحقيير ، نشره و صححه ، محمد الفاسي و أدولف فور ، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي ، جامعة محمد الخامس كلية الآداب ، الرباط ، ص 34 ، 35.

⁵عادل نويهض ، المرجع السابق ، ص 192

⁶ التنبكي ، نيل الابتهاج ، ص 71

*- أبو علي منصور بن أحمد بن عبد الحق المشتالي : الشيخ الناصر الدين من فقهاء و أعلام القرن السابع للهجرة ، الثالث عشر ميلادي ، ولد سنة (631هـ / 1233 م) بملاة قرب بجاية عارف وعالم بأصول الفقه و علم المنطق و اللغة و يعتبر أول من نقل مختصر ابن الحاجب الفرعي في الفقه إلى المغرب بعد رحلته إلى المشرق ، وكان يعتمد على الشرح أكثر من النقل توفي الفقيه الصوفي سنة (731هـ / 1330 م)¹

الشيخ القاضي الحسيب (هكذا جاء في المخطوط)² أبو محمد عبد الله بن القاضي أبي العباس أبي القاسم التميمي ابن الخطيب فقيه مالكي ، و قاضي من أهل بجاية ، سمع لعبد الحق الإشبيلي و أخذ القرارات من عبد الرحمن بن يحيى القرشي ، وأجاز له طاهر السلفي ولي القضاء مدينتي سبتة و بالنسبة ، توفي بتونس³.

- *الشيخ عبد الرحمن بن أحمد الوغليسي توفي عام (786هـ/1381م) ، من منطقة آث و غليس - سيدي عيش الواقعة جنوب بجاية ، يكنى أبو زيد فقيه ، تلقى تعليمه على بكار، مدينة بجاية أمثال الشيخ أحمد بن ادريس البجائي ، و أحمد بن عيسى بن سلامة الذي أستغل خطيبا بالجامع الأعظم بالمدينة ، الشيخ عبد الرحمن الوغليسي أسس مدرسة الفقه الذي تخرج منها العديد من العلماء(كالمشدلي، ونزيل وهران الشيخ الهواري ...) ، من بين كتب الفقه المعروفة في تلك الفترة ، كان مختصر ابن حاجب ، الذي كان حسب ابن خلدون قد أحضر من مصر إلى بجاية ، من طرف أكبر الشيوخ نصر الدين الزواوي (ت عام 743هـ/1343م) كما ألف الشيخ الوغليسي بدوره العديد من الكتب منها : "المقدمة الوغليسية" وهي عبارة عن أحكام فقهية ، فلقد علق وشرح هذا الكتاب الكثير من

¹ الغبريني ، عنوان الدراية ، ص 200-201، بابا التنبكي ، نيل الابتهاج ، ص 344 ، 345 أبو القاسم محمد الحفناوي ، تعريف الخلف برجال السيف ، تقديم : محمد رؤوف القاسمي الحسني ، ج2 1991 ، 445 ، 446.

² مخطوط "فهرسة" أبو الحسن علي بن محمد بن علي ألريني ، الورقة رقم 38 ، موجودة نسخة بمكتبة قصر الأسكوريال تحت رقم 1728 .

³ نفسه

العلماء مثل (عبد الكريم الزواوي ، احمد زروق البرنوسي ، و أبو عبد الله السنوسي) و اختصر على يد

عبد الرحمن الصباغ بطلب من الشيخ العيدلي¹

- *الشيخ عمران المشدالي (توفي عام 745هـ/1345م) ، بدوره له إسهامات فقهية ، بعد أخذ العلوم

على يد شيخه و صهره ناصر الدين المشدالي ، كالفقه و علوم الحديث ، و علم الفرائض وغيرها ،

درس بالجامع الاعظم ببجاية ، لكنه لم يستمر وجوده ببجاية بسبب الحصار و الاوضاع السيئة التي

كانت تعيشها²

الشيخ أبو القاسم المشدالي : هو محمد بن أبي القاسم بن محمد بن عبد الصمد المشدالي ساهم في ازدهار

الدراسات الفقهية ببجاية ، كان حافظ المذهب المالكي ، حيث كان له وزن علمي مثل العلامة الفقيه البرزلي توفي

سنة(866هـ/1460م)³

5- العلوم اللسانية (اللغة و الأدب):

*-يوسف بن محمد بن يوسف أبو الفضل (ابن النحوي) ، بالإضافة إلى تصوفه و درايته الكبيرة بالدين ،

كان له ميول أدبي لهذا سمي بإبن النحوي ، لتضلعه في النحو و الأدب و اللغة هو من قلعة بني حماد ، أصله

توزر المغرب الأقصى ، تعلم على يد الكثير من المشايخ كأبي الحسين اللّحمي ، و أبي الفضل ابو عبد الله (ابن

¹ ينظر : بابا التنبكتي ، نيل الابتهاج ، ص 71 ، محمد الحفناوي ، ج 2 ، ص 277-279 ، أبو زيد عبد الرحمن الوغليسي ، مخطوط "المقدمة الوغليسية" ، موجود ، نسخة منها بالمكتبة الوطنية بالحامة الجزائر العاصمة تحت رقم 590 ، ملتقى الفقيه عبد الرحمن الوغليسي (783هـ/1381م) أعماله مدرسته وتأثيره، "بجاية من 05-07 أكتوبر 2004.

² التنبكتي ، نيل الابتهاج ص 300-301 مفتاح خلفات قبيلة زواوة - ص 292

³ مفتاح خلفات -قبيلة زواوة - ص 295.

رمامة) ، وغيرهم من أهل العلم ، و بعد رحلته العلمية عاد إلى القلعة ، التي توفي بها سنة (513هـ/1119م) عن عمر يناهز الثمانين سنة¹

*-أبو الطاهر عمارة بن يحيى بن عمارة الشريف الحسنى ، أديب و عالم في اللغة إستقر في بعض نواحي بجاية ، له عدة تآليف في الادب و الشعر و الموشحات ، و في علم الفرائض ، و شعره كان يضرب الناس المثل ، و يذكر أن شعره جمع في ديوان² أنجب أبو الطاهر عمارة إنه كان لها وزن في هذا المجال.

*-عائشة بنت الشريف : هي عائشة بنت ابي الطاهر عمارة بن يحيى بن عمارة الشريف الحسنى ، أديبة الفصيحة (ليبية) ، صاحبة الخط الحسن وشاعرة أيضا كان والدها عندما ينتهي من كل قطعة شعر تخصصها هي بخطها الجميل ، عاشت في القرن السادس للهجرة ، و قد نسخت كتاب أبو منصور الثعالبي (ت 429هـ)³ ومن شعرها نجد هته الابيات

-صدني عن حلاوة التشبيع اجتنائي مرارة التوديع

لم يقم خير ذا بوحشة هذا فرأيت الصواب ترك الجميع

عذ يرى من عاشق أصلع قبيح الاشارة و المنزع

يروم الزواج بها لواتي يروم به الصفع لم يصنع

¹ أبي يعقوب يوسف بن يحيى التادلي ، عرف بابن الزيات ، 617 هـ، النشوف إلى رجال التصوف و أخبار أبي العباس السبتي ، تح أحمد التوفيق ،

ط1 ، منشورات كلية الآداب و العلوم الانسانية ، الرباط ، 1984 ص 95-98

² أحمد الغبريني ، عنوان الدراية ، ص 76.

³ نفسه ص 80

براس حويج إلى كية ووجه فقير إلى برقع¹

*أبو عبيد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد الأدريسي المعروف بالجزائري : فقيه و كاتب أديب برع في نظم الشعر و النشر ، كما كان كثير التجنيس ، و هو نوع من أنواع البديع ، أنتج موسوعة متنوعة من كل فن أدبي².

*-أبو الحسن الزواوي : يكنى بزبن الدين ولد سنة (564هـ/1169م) ببجاية ، رحل إلى المشرق ، درّس بالجامع الايوبي بمر له عدة مؤلفات في النحو و العروض و الشعر و الأدب ، توفي سنة(628هـ/1221م).

*-محمد بن ميمون القلعي أبو عبد الله ، كان بارعا في العلوم اللسانية له تأليف عديدة كمؤلفه: "نشر الخفي في مشكلات ابي علي الفارسي " توفي عام (673هـ/1275م)³

*-عبد الحق بن ربيع البجائي (توفي عام 675هـ/1275م) ، له صبغة أدبية إنفرد بها⁴

*-أحمد أبو عصيدة البجائي ، توفي سنة(865هـ/1460م) ، له عدة قصائد ، كماله رسالة أدبية موسومة بـ"رسالة الغريب إلى الحبيب"⁵ فيها قصيدة يشيد فيها لشيخه "أبي الفضل المشدالي".

6- العلوم الاجتماعية (التاريخ و السير و التراجم) :

1

-Revue Afriquaine , "Aicha poète de bougie au VII Siecle de l'Heigier Volume 04 , Année 1859 -60, Alger , constantine, paris , p 34,35

² أحمد الغبريني ، عنوان الدراية ، ص 287.

³ نفسه ، ص 94 ، 95-99.

⁴ نفسه ص 85-90.

⁵ أحمد البجائي أبو عصيدة رسالة الغريب إلى الحبيب ، تعريف و تعليق أبو القاسم سعد الله ، ط1 دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1993 ، ص

18-21.

-* أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي القلعي: مؤرخ أصله من قرية حمرة من أحواز قلعة بني حماد ، قرأ ببجاية حيث التقى فيها بأبي مدين شعيب سنة (581هـ/1186م) ، و قرأ عنه عاصر بن حماد الصنهاجي الدولة الموحدية ، ألف كتابا في التاريخ عنوانه " ملوك بني عبيد وسيرتهم " توفي ما بين سنتين (628هـ-640هـ/1221م-1234م)¹

-* أحمد بن أحمد الغبريني أبو العباس ولد سنة (644هـ/1236م) بمنطقة بغبرين انتقل إلى بجاية أين تتلمذ بها ثم اعتلى وظائف عديدة بها منها التعليم بمسجدها الأعظم و القضاء ، قتل بعد و شايو مغرضة ضده سنة(644هـ/1304م) له مؤلف في السير و التراجم يعد من أقوى و أضخم مصادر التي ألقت بالمغرب الإسلامي ، وهو كتاب "عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية."²

7-الفلسفة و علم الكلام :

-*منصور الزواوي ، توفي سنة (770هـ/1369م) ، وهو منصور بن علي بن عبد الله الزواوي يكنى بأبي علي ولد ببجاية سنة (710هـ/1311م) ، تعلم بها ، و أخذ العلم عن والده منصور المشدالي ابن المسفر ، رحل إلى تلمسان أين درس بها ، تلقن على يده أبرز العلماء المنطقة (كالشاطبي و أبي القاسم بن عبد الرحمن المشدالي) ، و يحيى بن خلدون ، و لسان الدين بن الخطيب و المقري الجُد³

¹ ينظر: أحمد الغبريني ، عنوان الدراية ، ص 192، ابن قنفذ القسنطيني ، أنس الفقير و عز الحقيير - ص 92.

² ينظر: أحمد الغبريني ، المصدر السابق ، ص 13،12، ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ، ص 130، 131.

³ أبي عبد الله محمد بن محمد ابن أحمد الملقب بابن مريم الشريف الملبتي المديوني التلمساني ، البستان في ذكر الأولياء و العلماء تلمسان ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ص 192.

*- محمد بن ابراهيم القهري البجائي ، المشهور بالأصولي ، من أهل بجاية ، رحل إلى الشرق لقيما العلم خلال رحلته ، ولي القضاء بالأندلس ، كما ولي أيضا القضاء ببجاية¹.

*- عبد الوهاب بن يوسف بن عبد القادر أبو محمد البجائي : وهو منطقي و أصولي تعلم ببجاية رحل إلى المشرق و أخذ من علماء وقته ، كان بارعا في علم المنطق و الجدل²

-ب- العلماء الذين توافدوا على بجاية:

منذ القرن الخامس للهجرة إلى غاية القرن التاسع للهجرة (11م-15م) ، و بجاية أحد أكبر المرفئ و المدن التي كانت تستقبل الرحالة ، و قد بقي يتردد عليها مختلف أقطاب العلم من مشيخة و علماء إلى غاية سقوطها تحت الغزو الإسباني خلال القرن التاسع الهجري (15م)

و عليه لا نستطيع إحصاء كل الأسماء التي توافدت على مدينة بجاية ، ستكون لنا وقفة مع بع من الأعلام خلال العصر الوسيط ، و من العلماء الذين إستوطنوا ببجاية شيخ المشايخ ، العلامة الجليل و القدرة " الشيخ أبو مدين شعيب الإشبيلي المغربي الغوتي أصله من حصن قطنيانة من عمل إشبيلية ، عرف الشيخ بورعه الشديد و الزهد الكبير ، لقد ساهم هذا الصوفي في نشر التصرف بالمغرب الإسلامي خلال القرن (6هـ/12م)

ولد حوالي (520 هـ/1126م-1127 م) دخل بجاية أين نال حب ساكنيتها ، وكان ببجاية معاصر لهذا الشيخ ، العالم أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي الاشبيلي مؤلف " العاقبة"¹ و غيرهم من العلماء و الأولياء الصالحون .

¹ أحمد الغبريني ، عنوان الدراية ، ص 208.

²² الحفناوي ، تعريف الخلف برجال السلف ، ج 2 ، ص 256.

أبو مدين شعيب دعا صيته ليس فقط ببلاد المغرب الإسلامي ، بل وصلت شهرته إلى بلاد المشرق حيث يقول عنه الشيخ " محي الدين عبد القادر الجيلاني : " و أشتهر ذكره شرقا و غربا وهو أحد من جمع الله له بين علمي الشريعة و الحقيقة و أفتى ببلاد الغرب على مذهب الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه ، و قصده طلبه العلم وأخذوا عنه و انتفعوا بكلامه ، و تخرج بصحبته غير واحد من مشايخ المغرب مثل الشيخ عبد الرحمن بن جحون المغربي و الشيخ محمد بن أحمد القرشي و الشيخ عبد الله القشتاني الفاسي و الشيخ القدوة صالح الزكالي و غيرهم² توفي الشيخ أبو مدين شعيب بقرية قرب تلمسان يقال لها العباد سنة (594هـ- 595هـ/1197م-1198م)، أحبه سكان بجاية هذا الأمر أزعج كبار الدولة الموحدية ، الذين وشوا به إلى الخليفة يعقوب الذي أمر بإحضاره إلى مراکش ، و في طريقه إلى الحضرة إشتد به المرض ، فكانت وافته في موطن لم يحسب له حساب و هو الذي قال لأصحابه عندما عظم فراقه عليهم ، "هونوا عليكم فإني رجل كبير السن ، ضعيف البدن ووفاتي قدرت في غير هذا البلد ، وأنا عاجز عن الوصول إلى موضع الوفاة... و أولئك القوم لا أراهم ولا يروني"³

و الشيخ الفقيه أبي محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين الأزدي الإشبيلي أمام زاهد و قاضي ، ولد سنة (510هـ/ 1116 م) إستر ببجاية سنة (550هـ/ 1155 م) ، التي ولي القضاء بها كما ولي خطبة صلاة الجمعة ، جامعها الاعظم ، ودرس فيه و هو تعبير أحد المقربين للشيخ أبي مدين شعيب ، الذي كان

¹ ينظر باب التنكي ، نيل الإبتهاج ص 303 ، أحمد الغبريني ، عنوان الدراية ، ص 55-61 ، ابن مريم ، البستان في ذكر الأولياء و العلماء تلمسان ، ص 108-114 ، يحي بن خلدون بغية الرواد ، ج 1 ص 125 ، 126 ، ابن قنفذ القسنطيني ، أنس الفقير و عز الحقير ، ص 11 ، 12 ، ابن قنفذ القسنطيني ، الوفيات ، تح عادل نويهض الثقافية . بيروت ، 1982 ، ص 297 ، 298 ، رحلة العياشي من خزانة الشيخ سيدي عبد الله البلبالي بكوسام ، أدرار ، ص 54 ،

Revue Afrigaine , "Mausolée du cheiki El -Ouali Sidi boumedin"

Volume 04 , Année 1859-60 , Alger , constantine, paris , p 01 -17

² محمد بن يحي التاد في الحنبلي فلائد الجواهر في مناقب تاج الأولياء و معدن الأصفياء و سلطان الأولياء ، ط 1 ، المكتبة الأزهرية للتراث ، مصر - 2008 ، ص 231.

³ رحلة العياشي ، ص 55.

يشهد له بالورع و أنه زين العلماء و عماد الرقاة رأس المحدثين له عدة تأليف فهو صاحب الأحكام الكبرى و الصغرى في الحديث و العاقية في التذكير وكتاب التهجد ، وكتاب الجمع بين الصحيحين ، توفي الشيخ الإمام ببجاية سنة (582هـ/ 1186 م) ، قبره موجود خارج باب المرسى¹

*-أبو المطرف أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن عميرة المخزومي ، عالم جليل أعلم العلماء زمانه وتاج أدبائه ، استوطن بجاية تزود من علمائها ، كما درّس فيها له معرفة بالفقه و أصوله و الحديث ، لكنه أوسع معرفة بالأدب له عدة مؤلفات في هذا المجال حيث كان الناس ينتقون كتبه أكثر من غيره لبراعته الادبية ، توفي الفقيه سنة (658هـ/ 1259م)²

*-أبو عبد الله محمد بن علي الطائي محي الدين بن عربي ، فقيه حافظ متصرف و المعروف بابن سراقه ، و يلقب بمحي الدين ، ويعرف بابن العربي ، له تأليف في التصرف خاصة التصرف الفلسفي أصله من مرسية ، ولد سنة (560هـ/ 1164 م) ، أخذ عن الكثير عن المشايخ ، من بينهم "أبو محمد عبد الحق الإشبيلي الأزدي ، قام برحلة علمية في المشرق و المغرب مرّ إيجابية .

خلف وراءه تركة علمية ضخمة منها : كتاب الإسراء إلى المقام الأسري " ، و كتاب مواقع النجوم ، وكتاب الفتوحات الملكية توفي الفقيه الصوفي الفيلسوف بدمشق سنة (640هـ/ 1242 م)³

*-الفقيه ابو الحسن علي بن أحمد بن الحسن بن ابراهيم الحدالي التيجيبي ، عالم في أصول الدين و الفقه و في المعقولات و علم الطبيعيات و الأهلبيات ، ولد بمراكش ، تعلم على يد الكثير من علماء المغرب و المشرق

¹ ينظر أحمد الغبريني ، عنوان الدراية ، ص 73-75 ، برهان الدين ابراهيم بن علي بم محمد بن فرحون اليعمري المدني المالكي ، الديباج المذهب في معرفة أعيان علما ، المذهب ط1 ، مصر ، 1351 هـ ، ص 175 ، 176 ، ابن قنفذ القسنطيني ، انس الفقير و عز الحقيير ، ص 34 ، ابن قنفذ القسنطيني ، الوفيات ، ص 293 ، 294 .

² أحمد الغبريني ، عنوان الدراية ، ص 250-253 .

³ نفسه ، ص 158-160 .

خلال رحلة للحج ، كان أعلم الناس بالمنطق و علم الكلام الذي صنفه في كتاب سماه "بالمقولات الأول " ،
بالإضافة إلى كتب دينية ككتاب -مفتاح الباب المقفل على فهم القرآن المنزل -توفي ببلاد الشام سنة (637هـ/

1239 م)¹

*أبو العباس أحمد بن خالد من أهل مالقة ،قرأ بالأندلس ، ثم انتقل إلى مراكش كان فقيها وله مساهمته في
الطب و الحكمة و في الطبيعيات و الالهيات ، لكنه برع أكثر في المنطقة استوطن بجاية ، التي جلس يقرأ بها ،
توفي عام (660هـ / 1261 م) ببجاية دفن بجومة باب أمسيون²

*أبو محمد عبد الحق بن ابراهيم بن محمد بن سبعين المرسي ، ولد في بلدة من عمل مرسية تسملا
"قوطة" ، من أسرة عريقة عربية ، ولد سنة (614هـ / 1217م) و توفي عام (669هـ / 1270 م) له معرفة
واسعة في الحكمة و البلاغة و الفصاحة ، له مساهمة في العلوم العقلية و النقلية نزل بجاية فيها درس ، له عدة
مؤلفات منها "بد العارف" " البادسي" ، المسائل الصقلية³ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكر بن
عبد الله بن عبد الرحمن بن احمد بن أبي بكر القضاعي الشهير بابن الآبار ، ولد الفقيه المحدث المقرئ ، النحوي ،
الأديب المؤرخ سنة (575هـ / 1179 م) أصله من بلنسية ، درس بالأندلس ، كان قدومه منها إلى إفريقية بصفة
رسول والي بلنسية الذي استنجد بالأمر الحفصي أبي زكريا " ، ليخلصه من العدو الإسباني ، استقر ابن الآبار
ببجاية مدة وخلال تواجده بها درس و ألف العديد من الكتب ، في الحديث و الأدب و التاريخ و أهمها "
الحلة السيرة" و " التكملة لكتاب الصلة أو بعض تأليف الشعرية، توفي بتونس سنة (658هـ / 1162 م)⁴

¹ ينظر أحمد الغبريني ، عنوان الدراية ص 145-156 ، بابا التنبكتي نيل الابتهاج ص 201.

² نفسه، ص 100، 101.

³ اسماعيل الخطيب ، "ابن سبعين الفيلسوف الصوفي بين بلنسية و سبتة"، ملتقى الدراسات المغربية الأندلسية تيارات الفكر في المغرب و الأندلس ،
جامعة الملك السعدي ، تطوان ، 26 ، 27 ، 28 ، أفريل ، 1993 ص 536، 537.

⁴ أحمد الغبريني ، عنوان الدراية، ص 257.

*أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن محمد بن محمد ابن سيد الناس اليعمرى الإشبيلي ، فقيه محدث و حافظ أديب ، و مؤرخ أصله من الأندلس ، ولد ببلدة أبدو سنة (600هـ / 1203 م) ، درس بإشبيلية ، استوطن بجاية التي ولي الخطبة بجامعها الأعظم كغيره ممن سبقوه ، توفي سنة (659هـ / 1202 م).¹

*محمد بن ابراهيم بن أحمد العبدري التلمساني عرف بالآبلي ، أصله من الأندلس من أهل آبله ، إنتقلت عائلته إلى تلمسان ، ولد سنة (681هـ / 1282 م) بتلمسان ، برع في العلوم العقلية و هو صغير السن ،² يقول عنه يحيى بن خلدون "المعلم الأصغر من بيت بناه في الجند"³ تلقى الآبلي على عدد من العلماء في رحلاته العلمية و منها رحلته إلى بجاية الذي أخذ عن شيخها أبي موسى عمران موسى المشدالي (670هـ/775هـ)⁴

*ابن خضر الصدفي أحمد بن محمد الشاطبي توفي سنة (674هـ / 1275 م) عالم قراءات و الحديث ، وذكر الغبريني أنه روى عنه بعض كتب الحديث ببجاية⁵

* أحمد بن حسن بن علي الشهير بابن الخطيب القسنطيني المعروف بابن قنفذ ، فقيه خطيب أخذ عن أبي العباس القباب بفاس ، وعن أبي زيد اللجائي ، لابن قنفذ عدة مؤلفات منها : "تقريب الدلالة في شرح

¹ نفسه ، ص 246.

² على رحومه سحبون ، الآبلي نابغة المغرب الكبير و أستاذ ابن خلدون (681-757هـ)، ط1 دار أبي رقرق للطباعة و النشر ، الرباط ، 209 ، ص 35 ، 36.

³ يحيى بن خلدون ، بغية الرواد ، ص 57.

⁴ على رحومه سحبون ، المرجع السابق ، ص 36.

⁵ الغبريني ، عنوان الدراية ، ص 85.

الرسالة " و " اللباب في اختصار الجلاب " و " معرفة الرائض في مبادئ الفرائض " و " أنس الفقير و عز الحقير " و " الوفيات " و غيرها كثير ، زار العديد من المدن منها بجاية ، توفي سنة (810هـ / 1407 م)¹.

*عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن عبد الرحمن ، قاضي القضاة ولي الدين أبو زيد الحضرمي الإشبيلي ، المعروف بابن خلدون ولد سنة (732هـ / 1331م) بمدينة تونس ، تعلم علم القراءات و علوم الحديث و النحو و اللغة و الشعر و التاريخ ، إستوطن بجاية وولي القضاء و الحجابة بها و درس بجامعة الأعظم و مسجد القصبية ، رحل إلى مصر بعد وفاة والديه جراء طاعون ، ولي القضاء عدة مرات بمصر إلى غاية وفاته سنة (808هـ / 1405 م) دفن بمقابر الصوفية خارج باب النصر و له من العمر 26 سنة² خلفا ثروة علمية ضخمة من المؤلفات أشهرها كتاب المقدمة".

*الشيخ محمد بن عمر الهواري ، ولد بجوار في أحواز شرق مدينة مستغانم عام(751هـ/1350م) حفظ القرآن الكريم ، ثم توجه إلى كلميتو بلدة من عمل مستغانم ، ثم رحل منها إلى مدينة بجاية فيها اعتكف أكثر على الدراسة ، و تتلمذ على مشايخها كالشيخ " أحمد بن باديس " ، و الشيخ عبد الرحمن الوغليسي " و شيخه " عبد الرحمن بن خلدون " و أخيه يحيى بن خلدون الشيخ الهواري طاب له المقام ببجاية و بها ألف كتاب المسمى " بالسهو و التنبيه في أحكام الطهارة و الصلاة " و من بجاية عاد إلى مسقط رأسه ، ثم قصد مدينة فاس للدراسة ، جلس إلى كثير من علمائها ، ثم رحل إلى تونس ثم ليبيا ثم المشرق في كل مرة ينهل من العلوم على يد معلميه

¹ أبي العباس أحمد بن محمد المكتاسي الشهير بابن القاصي، درة الحجال في أسماء الرجال ، تح محمد الأحمدي أبو النور ، ج1 ، الناشر دار التراث القاهرة ، 1972 م ، المكتبة العتيقة تونس ، ص 123.

² ينظر :

-Meriem mohmoudi, Quand Qu'alaat béni Salama.

Raconte ibn khaldoun , Thala editions , Alger , 2014, C,Brocklmann geschichte der arabischen litteratur ,leipzig C.F amelangs verlag 1909 , p 211, 212 .

، ثم رحل إلى المدينة المنورة و فلسطين ثم غزة و القدس ثم إتجه إلى دمشق ، و بعد رحلة طويلة من العلم إستقر بمدينة وهران التي توفي بها سنة (843هـ / 1439م)¹

*عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي أبو زيد ، ينتمي إلى قرية بناحية يسر ، ولد سنة (780هـ/1385م) ، انتقل من مسقط رأسه بيسر إلى مدينة بجاية مركز العلم و العلماء سنة (802هـ/1400م) ، انكب الثعالبي على الدراسة لمدة سبع سنوات على يد علماء أجلاء كالشيخ "أبو الحسن علي بن محمد الليلتي ، و الشيخ أبو القاسم المشدالي ، و الشيخ أبو مهدي عيسى الليلتي ، و الشيخ أبو العباس القاوسي و غيرهم ، ثم رحل إلى تونس و المشرق لينهل مزيد من العلم توفي سنة (851هـ/1445م) ، ضريحه موجود بالعاصمة.

و عليه احتضنت و أنجبت مدينة بجاية نخبة كبيرة من الأولياء و العلماء الأجلاء الذين ساهموا في تطوير العلم بها، و نشطوا الحركة الثقافية ، و الفكرية لسنوات طويلا، فأضحت قطبا و مركزا علميا مهما عبر عصورها الوسيطة و نختتم هذا الفصل بإلياذة "مفدي زكرياء".

سل ابن علناس عن ذكرنا *** و قلعة حماد عن مجدنا

يجيبك ابن حمد يس فب الخالدين *** و يصنع قوافيه من وحيننا

و تنبعك عائشة كيف كانت *** ترق و تقسو على بعضنا

1 ينظر: محمد ابن سعد الأنصاري التلمساني ، روضة النسرین في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين تح يحي بوعزيز ، ط1 ، الناشر منشورات ANEP، 2002 ، ص 15 ، 16 ، 17 ، 19 ، المهدي بن شهرة ، تاريخ وبرهان بمن حل بمدينة وهران ، ط1 ، دار الريحانة للكتاب ، الجزائر ، 2007-ص 78، 79، 80.

2 ينظر : عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ، غنيمة الوافد و بغية الطالب الماجد ، تح محمد شايب شريف ، ط1 ، دار بن حزم ، 2005 ص 107 ، 108.

و تذكر بجاية أحلافنا *** و أسطولنا الضخم يغزو الدنيا

و في القصر تحتال بلارة *** تشيع الضياء و تشفي السنا

تصاهر فيها الدها والجمال *** فضم انصهارهما شملنا

وأعلت بجاية هام هام الجزائر *** علما و شادت صروح الهنا

و بارى ابن سبعين فيها النصارى *** فأفحم من لاحقوا ظلنا

و أرقامنا العربية ما *** لت أوربا العجوز لها طوعنا

وكان أبو مدين و الثعا *** لبي هنا يرفعان البنا

شغلنا الورى و ملأنا الدنا

بشعر نرنله كالصلاة

تساييحه من حنايا الجزائر .

الفصل الثالث : العمران ببجاية خلال القرن (5هـ-9هـ/11م-15م)

أ- تشييد مدينة بجاية

ب- العمارة الدينية و الثقافية

ج- العمارة الإقتصادية

د- العمارة الأميرية

و- العمارة العسكرية (الحربية)

هـ- الوقف مصدر مالي للعمارة البجائية

يقول عبد الرحمن بن خلدون: "إن الإنسان مدني بالطبع"¹، أي اجتماعي بفطرته ، والاجتماع لا يحصل إلا إذا اجتمع مع أبناء جنسه فيولد التعاون الجماعي، كصد الأخطار المحيطة بهم مثل هجمات الحيوانات المفترسة والكوارث الطبيعية ، كالعواصف والفيضانات والحر الشديد، وبسبب هذه الظروف القاسية ، كان لابد من إيجاد وسيلة دفاعية فوجد العمران الذي مثل الحصانة للفرد من جهة والاستقرار من جهة أخرى وعليه حصل عمران العالم.

ولجوء الإنسان إلى العمارة هو نتيجة لحتميات فرضتها الطبيعة ، إذا العمارة هي احد العوامل التي يقضي بها الإنسان حاجياته ومتطلباته² ، حيث تنوع العمران واختلافه من مكان لآخر. فمثلا عمارة الرومان ليست كعمارة الفرس وليس كعمارة الفراعنة والمغول وغيرهم ، أيضا جاءت العمارة الإسلامية واختلفت عن جميع العمارات ، فبعدها فتح المسلمون مناطق عديدة ، صبغت هذه المدن بصبغة إسلامية تتماشى مع طبيعتهم الجغرافية.

فنشأت بذلك مدن إسلامية على أسس وركائز أساسها الدعوة الإسلامية محاربة لألوان التفريق الاجتماعي كالنزعة العصبية القبلية.

وأول من اهتم ومنح هندسة لهذه القواعد والأسس هو سيدنا محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام، فبعد هجرته إلى يثرب أسس مدينة إسلامية قوامها الدين الحنيف ، كما أقر مبدأ الاستخلاف على المدن والأقاليم في حالة خروجه للغزوات ، فجعل لكل إقليم واليا عليها³، وبهذا كانت "المدينة المنورة" أول نموذج للمدينة الإسلامية والمغرب القديم من بين الأقاليم التي وصلت إليه يد المسلمين، هؤلاء الذين غيروا من ملامحه وضبط بينته وإسعافها.

¹-عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة ، ج1، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتابة ، الجزائر 1948 ، ص 77.

²-بالحاج معروف، العمارة الإسلامية مساجد مزاب ومصلياته الجنائزية ، ط1، دار قرطبة للنشر والتوزيع ، الجزائر 207، ص 16.

³-محمد عبد الستار عثمان "المدينة المنورة الإسلامية" المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، العدد 162.

-تشبيد مدينة بجاية: "إن لكل أمة نمطا معيناً بالبناء طورته أجيالها عبر الزمن وبدأت فيه وغيّرت حسب مقتضيات الأحوال ، فهذا النمط أو ذلك يعبر عن ملامح شخصية الأمة التي تعرف من خلاله بين الأمم وعبر التاريخ وهو بالتالي جزء من حياتها وطبيعتها وتاريخها ذلك بالرغم من أن كثيرا ما نقلت الشعوب عن بعضها البعض أنماط البناء و أساليبه، ولكنها حافظت في الوقت ذاته على ملامح شخصيتها في بنائها وعمارتها...¹"، وبناءا على هذا القول فإنه لكل مكان مقوماته وخصائصه التي ينفرد بها ، فبجاية من المدن التي تم تشييدها حسب آلياتها الجغرافية وأفرادها، فبعد أن مرت عليها حضارات كثيرة (الفينيقيون ، الرومان ، الوندال، البزنطيون، الفتح الإسلامي)، غاب ذكرها مدة زمنية طويلة. بدأ ظهورها مرة أخرى بعدما بنائها الأمير كمادي "الناصر بن علناس". فما سبب الغموض الذي اكتنف بروز بجاية المتأخر؟ هل هو راجع إلى الخراب الذي لحقها من طرف الوندال؟ أم البربر المسلمين اتخذوا عواصم ومدن بعيدة عن الساحل بعدما هددوا من طرف بني هلال التجاؤوا إلى تجديد وإحياء المدن الساحلية التي كانت قائمة من قبل.

وبعد كل هذه الفرضيات ، نصل إلى أنه لو لا الهجمات الهلالية على القلعة لما اضطر الحماديون بتجديد عاصمة لهم واتخاذ بجاية كبديل ومركز لدولتهم وبهذا ظهرت ، بغايث، صلدة، صلدي، بكاية ، بجاية من جديد في تاريخ المغرب الإسلامي هذا الأخير الذي عرف في منتصف القرن الخامس للهجرة هجمة شنّها عليهم أعراب بني هلال وسليم ، فاضطر الأمير "الناصر بن علناس" إلى إيجاد عاصمة أخرى عوضا من القلعة ، فكانت بجاية العاصمة السياسية الثانية له، لكن بمرور الوقت لم تنحصر مكانة بجاية فقط سياسيا ، بل توسع نطاقها لتصبح من الحواضر المغربية، فتميزت اقتصاديا وتنوعت سكانيا ونشطت الحركة الثقافية والفكرية بها، حتى أضحت قبلة لزوار وقطبا في كل المجالات ، فتزايدت تركيبتها السكانية ما أدى إلى التوسع العمراني. يقول عنها الزيات: "وهي مدينة حسنة كثيرة الخير...".

1-صالح يوسف بن قربة ، علم الآثار والهوية المغربية ، دار الهدى للطباعة و النشر والتوزيع الجزائر ، 2012 ص 25.

وجدت بها العمارة الدينية والاقتصادية والملكية والمدنية والحرية ، بهذا التنوع ناسبت حواضر المشرق الإسلامي (بغداد ، القاهرة ، الشام ، وغيرها...)، فبجاية بلدة تعنى بها الشعراء، كالشاعر ابن فكون الشنطيني فله وصفٌ جميلٌ في قدر ومكانة بجاية فيقول:

دع العراق وبغداد وشامهما *** فالناصرية ما إن مثلها بلد¹

-البحر البسيط-

وفي قصيدة أخرى يقول :

وجئت بجاية فجلت بدورا *** يضيق بوصفها حرف الروى²

-البحر الوافر-

تمثلت معالمها وتفوقها العمراني في العديد من المنشآت والبناءات ، فهي "العتيقة البناء، السامية الميناء، الأنيقة البقعة والخصيلة الرفعة"³ فحصنت بأبواب وأسوار، وزينت بقصور ومنايا ومنتزهات ، وتألفت بعماراتها الدينية ، بمساجدها وزواياها وأربطتها. يذكرها العبدري على أن: "...مدينة بجاية مبدأ الإلتقان والنهاية، وهي مدينة كبيرة حصينة منيعة شهيرة برية ، بحرية سنوية سرية وثيقة البنيان عجيبة الإلتقان رفيعة المباني غريبة المعاني"⁴.

كلما كثر العمران كانت الحضارة أكمل حسب قول عبد الرحمن بن خلدون⁵ "والدولة والمملك للعمران بمنزلة لصورة للمادة وهو الشكل الحافظ لنوعه بوجوده، وانفكاك أحدهما عن الآخر غير ممكن على

¹-رشيد مصطفىوي، "بجاية في عهد الحماديين" ، مجلة الأصالة، السنة الأولى ، العدد 01، 1971، ص 84

²-العباس بن إبراهيم ، الإعلام بمن حل مراكز وأغمات من الإعلام ، ص 111

³-لسان الدين بن الخطيب ، كناسة الدكان بعد انتقال السكان ، ط1، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 2003، ص 117.

⁴-العبدري، المصدر السابق ، ص 23.

⁵-عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة ، ج 2 ، ص 123

تقرر في الحكمة. فالدولة للعمارة لتتصور والعمارة دونها متعذرة ، وحينئذ فاختلال احدهما مستلزم لاختلال الآخر كما أن عدمه مؤثر في عدمه"¹.

وعليه إن تتبعنا كل ما جاء به الجغرافيون الرحالة حول عمارة بجاية ، نجد أنهم اتفقوا على أنها حضيت بحضارة واسعة منذ تأسيسها الحمادي ، إلى نهاية الحفصي، وهذا راجع إلى موقعها الجغرافي المطل على واجهة بحرية. عملت هذه الأخيرة على ترويح شهرتها أكثر، وازدانت البنية التحتية لكن تشاء الأقدار أن يكون نهاية هذا البنيان رفيع المقام ، تدميرا وتخريبا من طرف الإنسان الذي أتلّف كل معالمها الحضارية ، خاصة مساجدها وقصورها وخزائن كتبها ، فزيارة الرحالة الجغرافي "علي بن محمد التمقروني" يؤكد الخراب الذي لحق بمعلم بجاية فيقول: " لم يبق بها إلا ديار قلائل على طرف البحر وقلعة صغيرة تسمى باللؤلؤة"²، ويضيف جورج مارسي عن دمار بجاية قائلا: " إن إسبانيا جردت في عهد احتلالها لبجاية جميع المعالم والآثار التي امتازت بها بجاية طيلة قرون وصارت تعرف بعاصمة العلم والفن والحضارة"³.

وقد جمع الإسبان من آثار بجاية حمولة 30 سفينة ، لكن كان مصيرها الغرق قبل أن تصل إلى ملكهم"⁴.

تعدد عمران بجاية وزاد تطورا لاسيما في الثلث الأخير من العهد الوسيط فمدينة بجاية ضمن المدن التي كانت محضوة بتنوع العمارة واختلاف أنماط وفنونها كفن الصنهاجي الحمادي ، والفن المصمودي الموحدي والفن الهنتاتي الحفصي، غد يذكر لنا ابن قنفذ القسنطيني أنه " في سنة خمسين وستمائة تحرك الأمير

¹- أبي عبد الله بن الأزرق بدائع السلك في طبائع الملك ، تحقيق آز علي سامي النشار ، ج1، ط1، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، القاهرة ، 2008، ص 193.

²- علي بن محمد التمقروني، النفحة المسكنية في السفارة التركية ، تقدم وتحقيق عبد اللطيف الشاذلي ، المطبعة الملكية، الرباط 2000م، ص 32.

³- عبد الرحمن وديب، تاريخ المدن ، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع ، الجزائر 2013، ص 512

⁴- نفسه ، ص 512-513.

المنتصر إلى بجاية ودخلها وشاهد معالمها، ورأى آثار أخيه زكريا¹ فكانت مزدانة بقصورها ومساجدها وحصونها وغيره فستتطرق بالتفصيل لكل معالمها عبر عصورها الثلاثة ، وأول عمارة نستهل بها هي العمارة الدينية.

أ- العمارة الدينية والثقافية: حث الدين الإسلامي على طلب العلم لقوله تعالى : " اقرأ باسم ربك الذي خلق"²، وقال جل جلاله : " يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات"³، وعليه ارتبط العلم بالتدريس فكان على المجتمعات الإسلامية إيجاد مواضع خاصة بنشاطات التعليمية كالكتاتيب والمساجد والزوايا والأربطة والمدارس. هذه المنشآت الدينية تنوعت وظائفها حسب حاجيات المجتمع الدينية والتعليمية ، فالمجتمع البجائي كغيره من المجتمعات ، عرف تنوعا كبيرا في هذه العماثر، كيف لا وبجاية كانت تمثل أهم قطب ديني ومركزا فكري للعلماء والطلاب ، فأول مؤسسة دينية انتهل منها صببة بجاية العلوم ، الكتاب أو الكتاب أو الكتاتيب⁴.

1- الكتاب: يعد من أقدم العمارات بالمغرب الإسلامي ، وجوده كان بعد الفتح الإسلامي بالمنطقة فاتصف بالبساطة في بادئ الأمر ، واقتصر مهامه على تعليم القرآن والكتاب⁵.
حرص سكان بجاية على إدخال أبنائهم الكتاب ، لتعلم القرآن الكريم ، ورواياته وقراءاته⁶ وبما أن الكتاب هو موضع تلقين كتاب الله ، زاد اهتمام البجائيين ببنائه من جهة ، ومن جهة أخرى ليحافظ على نظافة المساجد من أوساخ الصبية وضوضائهم¹.

1- ابن قنفذ القسنطيني ، الفارسية ، ص 117.

2- سورة العلق، الآية (رواية ورش)

3- سورة المجادلة الآية 11 (رواية ورش)

4- الكاتب جمعة كتاتيب ، وهو موضع يتعلم فيه الصبيان القرآن الكريم، يرجع تاريخ ظهوره إلى منتصف القرن الأول، أي فترة الفتوحات الإسلامية ، الهدف من إنشائه ، هو تكوين صببة ونشأهم نشأة دينية وعلمية ملمين أيضا بقواعد اللغة العربية وآدابها ، ينظر : عبد الحق زريوح، "المدرسة والكتاب وأصولها اللغوية والتاريخية" ، مجلة التراث العربي، العدد 1981، 95، ص 110.

5- مفتح خلفات ، المرجع السابق ، ص 160.

6- نفسه ص 163

جاءت الكتابيب عبارة عن حجرة أو حجرتين ، تكون إما مجاورة للمسجد أو بعيدة عنه في مكان خاص ويجوي على أبسط الأثاث والفرش، متكون من حصير وألواح خشبية يدون عليها الصببة آيات قرآنية وأقلام من القصب للكتاب تغمس في دواة من الصنع، ويجوي أيضا على رفوف بها مصاحف ، وبعض الكتب في السيرة والنحو والآداب²، أما أوقات الدراسة فجاءت على النحو التالي:

الفترة الصباحية يكون الدماغ نشطا أكثر، وعليه الصبي سيتقبل قسطا كبيرا من المعلومات وتفتح له ملكات الحفظ، ثم يستريح ليسترجع قواه ويستأنف من العاشرة إلى غاية الظهر ، هذه الفترة تكون خاصة بتلقيين الكتابة والخط.

أما القسم الأخير من وقت التدريس، يكون بعد العصر بعدما أخذ الصببة قسطا من الراحة مع تناول الغذاء ، فيتعلمون العلوم واللغة وآدابها وعلم الحساب³.

فالكاتب كان بمثابة مؤسسة للتعليم الابتدائي ، فصبية بجاية بعد تعلمهم العلوم الأولية بالكتابة ، ينتقلون إلى المرحلة الثانية من التعليم في المساجد ، وقد بلغوا من العمر ثلاث عشرة سنة.

2- المساجد: هي النواة الأساسية في العمارة الإسلامية ، لا يتم تخطيط المدن بدون تشييدها أولا

، اقتداء برسول الله عليه الصلاة والسلام ، فبعد هجرته إلى يثرب، أول شيء اختطته كان المسجد ، فبقي هذا الموروث الإسلامي ، متوارث عند السلف الصالح والتابعين وهذا ما فعله الصحابي "عقبة بن نافع الفهري

" عند فتحه لشمال إفريقيا ، قام ببناء أول مسجد بالقيروان اقتداء برسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام.

فالمساجد لم تكن مكانا لتعبد فقط ، بل كانت تلقن القراءة والكتابة فيها ، غذ يذكر لنا "أبو حامد

الغزالي" في كتاب إحياء علوم الدين ، أن صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، كانوا يعلمون الناس

¹- يحي بوعزة ، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب ، ج1، دار الهدى ، الجزائر 2004 ، ص 199

²-محمد نسيب ، زوايا العلم والقرآن بالجزائر ، دار الفكر ، الجزائر ، (د.ت)، ص 19.

³محمد الأمين بلعيت، مدينة بجاية الناصرية ، ص 106.

في مسجد قباء¹ ليس هذا فقط بل استقبل رسول الله عليه الصلاة والسلام السفراء ورسلك الملوك في المسجد وفيه كان يفصل بين الخصوم والخلافات.

أما عهد الخلافة الراشدة ، فكانوا يعلنون في المساجد عن الفتوحات الإسلامية وإرشادات تخص تحركات الجيوش².

وعليه المسجد كان في العصر الإسلامي الأول بمثابة مؤسسة تعليمية دينية وقضائية.

تمتعت مدينة بجاية خلال حقباتها الإسلامية ، بأعظم المساجد. يذكرها حسن الوزان أن بها : " جوامع كافية ومدارس يكثر فيها الطلبة وأساتذة الفقه والعلوم بالإضافة إلى زوايا صوفية"³، إذ كان في كل حي وحومة مسجدا ، فقد احتوت بجاية على 21 حيا ، كما وصل عدد مساجدها إلى 73 مسجدا ، هذه البنية تبين الاهتمام الكبير الذي أولاه البجائيون في تشييد وبناء المساجد ، والاعتناء برونقها وجمالها لأنه مكان مقدس، ودخوله يوجب الطهارة الكاملة لقول رسول الكريم عليه الصلاة والسلام: " من تطهر في بيته ثم مضى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله كانت خطواته أحدها تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة"⁴.

انقسمت مساجد بجاية كغيرها من الحواضر الإسلامية إلى قسمين منها:

المساجد المشيدة في إحياء المدينة ، وهي تابعة للدولة ، أقامها أغنياء وأثرياء المنطقة كان أبناء بجاية يتابعون دراستهم فيه.

¹- أبو حامد الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج1، المطبعة الميمنية ، القاهرة ، 1312هـ، ص 07

²- محمد عبد الستار عثمان ، المرجع السابق ، ص 234.

³- حسن الوزان، المصدر السابق ، ج2، ص 50.

⁴- النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين (ت.ح.) عبد الله أحمد أبوزيد المكتبة العصرية ، بيروت (د.ت)، ص 331.

أما القسم الثاني فهي المساجد الجامعة ، يختص في بنائها السلاطين والأمراء والحكام ويشرف على شؤونها القاضي لأن المسجد الجامع مرتبط بالقصر أو بدار الإمارة¹، وبالتالي كان رجال البلاط يصلون في الصفوف الأولى. والمساجد تختلف هندستها عن باقي العمارات الدينية الخاصة بأهل الذمة كالكنايس والمعابد ، فهي أكثر إنارة بسبب إضاءة صحن المسجد ، وأكثر استماع²، وفيه طمأنينة وهدوء، تتجلى في روحانيات الآيات القرآنية ، وفيه زخارف متنوعة من أشكال هندسية ونباتية ، وليست حيوانية وصور آدمية ، مثل ما هو الحال في الكنائس، التي تغلب عليها الإنارة الخافتة ، كما أن المسجد يأتي بخطيطه عرضا وليس طولاً ، كالكنيسة أو تربيعةا كالمعبد وهذا ليتسنى تسوية صفوفهم ما يخلق بينهم المساواة وتقضي بذلك على الطبيعة المنتشرة في الكنائس والمعابد³

واضرب سكان بجاية على الصلاة ، وإقامة شعائرهم الدينية والمناسبة بمساجدهم ومن بين المساجد التي كانت منتشرة بالمدينة نجد:

1- المسجد الأعظم: أو مسجد المنصورة ، تم تشييده على يد الأمير الحمادي السادس "المنصور

بن الناصر بن علناس" ، الذي كان مولعا بالبناء وهو الذي حضر ملك بني حماد وتأنق في اختطاط المباني⁴، وتذكر المصادر أنه أنفق ثروة ضخمة تقدر بستة وثمانين ألف مثقال من الذهب لإتمام بناء المسجد الأعظم⁵، الذي بناه بمحاذاة قصر اللؤلؤة ، يصفه "فيرو" أنه رائع في هندسته ، به منارة طولها ستون ذراعاً ، عرضها حوالي عشرون ذراعاً ، وله باب رئيسي مزخرف بكتابات ونقوش بالإضافة إلى الرخام الذي زاده رونقا وجمالا ، كما كان صحنه يمتد على مائتين وثمانين ذراعاً وعرضه مائة وخمسين ذراعاً وبه اثنان وثلاثون عموداً⁶ رخامياً

¹-ينظر : محمد الامين لبغيت، مدينة بجاية الناصرية ، ص 108-109، محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق ، ص 240.

²-صالح بن قرية ، علم الآثار والهوية المغربية ، ص 62.

³-نفسه

⁴-عبد الرحمن بن خلدون ، العبر ، ج6، ص 358

⁵-رشيد بوروية ، الدولة الحمادية، ص 209.

⁶-محمد طمار في كتاب (المغرب الأوسط في ظل صنهاجة) يذكر 412 عموداً رخامياً ، ص 222.

وأربعة عشرة بلاطة ، واثنى وعشرون بابا ، ومكتبة وغرف يقيم فيها مدرسو¹ ، لأنه كان بمثابة معهد إسلامي تلقن فيه مختلف العلوم.

هذا القطب الديني يعتبر من أعظم المباني الدينية التي شيدت في العهد الحمادي² فاستقطب الكثير من العلماء والطلبة ، هؤلاء كانوا يتخرجون بإجازات ، بعدما تكونوا في العلوم الدينية واللغوية والأدبية والعقلية³ ، "تواصلت شهرته إلى غاية الحقبة الموحدية والحفصية ، فقد أعطاه العبدري في القرن 7هـ-13م وصفا جميلا حين مر ببجاية ، فيقول : " وضارب لها جامع عجيب منفرد في حسنة غريب من الجوامع المشهورة الموصوفة المذكورة وهو مشرف على برها وبحرها موضوع بين سحر بحرهما فهو غاية في الفرجة والأنس ، ينشرح الصدر لرؤيته وترتاح له النفس . وأهلها يواظبون على الصلاة فيه مواظبة رعاية"⁴.

لكنه اندثر إبان الغزو الاسباني الذي قضى على 10 مساجد من 73 مسجدا معظمها حول كنائس وثكنات عسكرية.

2-مسجد القصبة: من بين المساجد الجامعة التي مازالت آثاره قائمة إلى يومنا هذا، لكنه يحتاج إلى ترميم وصيانة واسعة النطاق ، لأنه معلم أثري مهم كان شاهدا على استضافة أعظم علماء العالم الإسلامي الذي درسوا به كالعلامة عبد الرحمن بن خلدون وفيه قال: " ود من السلطان (أبي عبد الله الحفصي) للخطاب والتدريس بجامع القصبة لا أنفك عن ذلك"⁵، ناهيك عن علماء آخرين خطبوا فيه وألقوا دروسا⁶، يقع جامع القصبة وسط المدينة، يتربع على مساحة تقدر حوالي بثلاثة عشر ومائة متر مربع ، شكله مستطيل أربع واجهات ، يتكون من بيت واحد للصلاة ، ليس به أروقة ولا صحن كما هو معروف في مساجد

¹-محمد الأمين بلغيت، مدينة بجاية الناصرية ، ص 110، محمد طمار ، المرجع السابق ، ص 222.

²-الغبريني، عنوان الدارية ، ص 241

³-عثمان الكعك، موجز التاريخ العالم للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي ، ط1 دار المغرب الإسلامي ، بيروت ، 2003، ص 207.

⁴-العبدري ، المصدر السابق ، ص 49.

⁵-عبد الرحمن بن خلدون العبر ، ج6، ص 896.

⁶-الغبريني ، عنوان الدارية ، ص 241.

الجامعة¹، وكانت تقام احتفالات دينية في شهر رمضان بجوامع بجاية. إذ يذكر الغبريني أن والي بجاية الأمير "أبا عبد الله بن مؤمن" كان يحضر بالجامع الأعظم وجامع القصبة لإحياء ليلة السابع والعشرين²، وهذا يبين المكانة العالية التي احتلتها المساجد الجامعة ببجاية.

3-مسجد المرجاني: كان بحومة اللؤلؤة³، درس فيه نخبة من العلماء كالعالم "أبي زكريا يحيى الزواوي"⁴، هذا الأخير يذكر الغبريني أن مسجدا يحمل اسمه⁵، وهناك من يقول أن المسجد الموجود بملاة لم يبق منه سوى آثار محرابه كان يسمى بمسجد سيدي يحيى ، وربما يكون الفقيه "يحيى أبي زكرياء الزواوي"⁶

4-مسجد الريحانة: بني في العهد الحمادي ، حيث نزل به "محمد بن تومرت"⁷ عندما حل ببجاية ، وهناك "مسجد النطاعين"⁸.

5-مسجد سيدي عبد الحق الأزدي الأشبيلي: هذا الفقيه من فقهاء القرن 6هـ-12م دفن ببجاية ، كان يجلس برفقة الفقيه أبي علي المسيلي، والفقيه أبي عبد الله القرشي، بحانوت بجارة المقدس ويتقاسمون الحديث في شتى جوانب العلوم⁹، هذا المسجد هو عبارة عن قاعة مربعة الشكل بها محراب، ولا يحوي على مئذنة ، تؤدي به الصلاة وتدرّس الطلاب، كما وجدت مساجد أخرى ، كمسجد عين الجزيري¹⁰ (عين البربر)، ومسجد الإمام المهدي¹¹، تعد المساجد المحطة الثانية، ينتقل إليها الطلبة فيلتحقون بحلقات التدريس

¹-محمد الامين بلغيت ، مدينة بجاية الناصرية ، ص 111

²-الغبريني ، عنوان الداربية ، ص 140

³-نفسه ، ص 165.

⁴-نفسه ، ص 24-135-169-200-226

⁵-نفسه ص 151

⁶-عبد الكريم عزوق، المعالم الأثرية الإسلامية ببجاية ونواحيها (دراسة أثرية)، رسالة دكتوراه 2007-2008، ص 29-35.

⁷-البندق، المصدر نفسه ، ص 36.

⁸-الغبريني عنوان الداربية ، ص 161.

⁹-نفسه ص 69.

¹⁰-الغبريني ، عنوان داربية ، ص 91.

¹¹-نفسه ، ص 151.

أوسع وأعمق كما للطالب حرية في اختيار الشيخ، الذي سيلازمه في مجالسه العلمية ، أو ينتقل إلى حلقة شيخ آخر¹، ويمكن له أن يتخصص في أي تخصص يرغب فيه ، وما لاحظناه خلال تصفحنا لمصدر الغبريني "عنوان الدارية" أن معظم علماء بجاية تضلعوا في دراسة العلوم النقلية بالدرجة الأولى كتفسير القرآن والعقيدة ، والفقهاء المالكي ، والميول إلى الوظائف الدينية و المدنية تتطلب أن يكون أصحابها ذوي كفاءات وخبرجي دراسات فقهية ، لمزاولة وظيفة القضاء والكتابة الديوان ، وزير ومفتي وخطيب في المساجد².

- طرق التدريس: تولى نخبة كبيرة من شيوخ وعلماء بجاية التدريس بمساجدها كالفقيه "أبا زكريا يحيى الزواوي" وشيخ المشايخ "أبا مدين شعيب" والفقيه "أبي العباس أحمد بن خالد" ، وغيرهم قدموا العديد من الحلقات الدرس ومحاسن الوعظ والإرشاد³، كما نقل الشيخ المشدالي إلى بجاية طريقة العالم الجليل "الفخر الدين الرازي" تستند هذه الطريقة على الحوار والمناظرة و التمحيص أكثر في المسائل الدينية والاستنباط في أصول الفقه ، وعلى إثرها ارتفع مستوى التعليم في بجاية ، فأصبح يعتمد على قواعد ودراسات فقهية منطقية⁴، وعلى تخريج المسائل⁵.

3- الخزانات (المكتبات): كثرت التأليف ببجاية في شتى العلوم ، وهذا لوجود لفييف من العلماء المتصنعين ، فتنوعت الكتب من فقهية وتاريخية وأدبية وعلمية فخصصت لهذه الثروة العلمية خزانات في المساجد ، ليتسنى للطلاب الإطلاع والبحث . يذكر الغبريني أنه وجدت ببجاية خزانات سلطانية.

¹-محمد الباجي المامي، مدارس مدينة تونس في المعهد الحفصي إلى العهد الحسيني القرن السابع إلى القرن الثالث عشر هجري، المعهد الوطني

للتراث ، تونس ، 2006، ص 21

²-مفتاح خلفات ، المرجع السابق ، ص 166-167.

³-الغبريني ، عنوان الدارية ، ص 137.

⁴-مفتاح خلفات ، المرجع السابق ، ص 168.

⁵-الغبريني المصدر السابق ، ص 29

4-الأرطة: جمع رباط وهي كلمة مشتقة من فعل ثلاثي مجرد ومعناه ربط الشيء وشده أي (الإقامة المستمرة) وملازمة المكان¹، والربط مصدرها رباط يربط و أول من أسس الرباط بالمغرب الإسلامي هو "هرثمة بن أعيف" في القرن الأول الهجري بتونس²، ولا تكون هذه الملازمة إلا بتجهيزات يتزود بها المرابط كالعتاد والعدة والخيول وغيرها ، لقوله تعالى : " وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة و من رباط الخيل ترهبون به، عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون"³ ، ، والرباط دار حصينة ، أوجدها المسلمون لأغراض حربية ودينية ، وهي تقام على الحدود لحماية وحراسة حواضرهم من أي هجمات ، اما أثناء السلم واستقرار الأوضاع السياسية ، فيصبح الربط مكان مخصص فقط للعبادة والتعبد⁴، جاء في قوله تعالى: " يا أيها الذين آمنوا إصبروا وصابروا وربطوا وإتقوا الله لعلكم تفلحون"⁵.

في نهاية القرن (5هـ-11م) انتشرت الرباطات التي عرفها البجائيون اكسر من الزوايا فبجاية كانت مركز مرابطة ، وجد خارج سورها حي يسمى حومة رابطة المتمني وحصن الناظور⁶، وأيضا رابطة "أبي محمد عبد الكريم بن عبد الملك (ابن بيكي)" داخل باب أمسيون ، ورابطة "علي بن أبي نصر فتح عبد الله البجائي (ت-652هـ-1254م)⁷.

1-ناجي جلول ، الرباطات البحرية بإفريقيا في العصر الوسيط ، السلسلة التاريخية عدد 09 تونس-1999، ص15.

2-محمد الامين بلغيث، مدينة بجاية الناصرية ، ص 116.

3-سورة الأنفال ، الآية 60 (رواية ورش).

4-مصطفى عبد الكريم الخطيب، مهجم المصطلحات والألقاب التاريخية ، ط1، المؤسسة الرسالة 1996، ص 205.

5-سورة آل عمران ، الآية 200.

6-ناجي جلول ، المرجع السابق ، ص 62.

7-الغريبي ، عنوان الداربية ، ص 176.

فالرباطات ببجاية لعبت أدوارا كبيرة في توعية الناس دينية ، فهي من أهم المراكز الثقافية التي عرفها البجائيون ، استمر وجود الربط إلى نهاية النصف الأول من القرن التاسع الهجري ، وجاء مكانه نوع آخر من البنية الدينية وهي الزوايا.

5- الزوايا¹: كان لها دور فعال في المجال الثقافي والفكري، وهي عبارة عن بناء صغير ذات غرفة للصلاة وغرفة لتلاوة القرآن وأخرى خاصة بالطلبة ومكان آخر لإيواء الواردين وعابري السبيل و المحتاجين ، فقد جمعت بين التعليم وإيواء الطلبة وغيرهم ، فمنهم من أعطاها إسم "دار الكرامة" أو " دار الضيوف" ، هندستها جمعت بين المسجد والمنزل فيها حيطان قصيرة منخفضة القباب وهي قليلة النوافذ²، والمئذنة والمنبر انعدمت فيها.

انتشرت الزوايا ببجاية منذ القرن (7هـ-13م) بعد تراجع الأربطة وهي في الأصل جاءت منبثقة من الرباط ، يذكر محمد حسن أنه أقام سكان المغرب الإسلامي زوايا على السواحل لحراستها من جهة ، والتعلم من جهة أخرى، وبهذا تكون بداية وجودها مقترنة بوظيفة الأربطة³.

انقسمت الزوايا ببجاية إلى ثلاثة أقسام: منها الزاوية ذات بناء بسيط تحوي على مجموعة من الأبنية المتلازمة ، وبها عدة غرف ومكتبة ومسجد⁴، ويتم تمويلها عن طريق تبرعات المحسنين من أصحاب الأراضي والعقارات والأعطيات ، أو عن طريق الاحباس.

¹- جمع زاوية ، لفظة مشتقة من فعل (زوى) الشيء يزونه (زيا)، وتزوي وإنزوى أي صار فيها ومنه زوا الشيء أي جمعه أو اختاره زوى الكلام هيا في نفسه ، وإنزوى القوم إلى بعضهم البعض أي تضامنوا ، اما زيا فهي الاعتزال والانفراد وصار في زاوية ، ينظر : محمد بن بكر الرازي ، مختار الصحاح دار الفكر بيروت ، 2001، ص 124، الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، ط7، لبنان ، 2003، ص 1292، عبد الكريم عزوق المرجع السابق ، ص 87.

²- عبد القادر عثمان، " الزوايا والتعليم القرآني والدين بها" ، مجلة الدراسات الإسلامية ، العدد 02، شوال 1423هـ-ديسمبر 2002، الجزائر ، ص 80.

³-محمد حسن ، المدينة والبادية ، ج2، ص

⁴-محمد الأمين بلغيث، مدينة بجاية الناصرية ، ص 117.

أما النوع الثاني من الزوايا ، يضم ضريحاً يكون خاصاً بمؤسسة أو أحد الأولياء الصالحين وكان سكان بجاية يتبركون في حياتهم وحتى عند أضرحتهم حسب ما جاء بها الغبريني¹.

والصنف الثالث خاص بالمتصوفة ، وهذا بعد انتشار التصوف بالمغرب الإسلامي اتخذ هؤلاء الزوايا مكاناً لهم للتعبد ، بل أصبحت كل زاوية تعني طريقة صوفية مع القرن (9هـ-15م)².

وجدت ببجاية زاوية "أبي الفضل قاسم بن محمد القرطبي" (ت662هـ-1263م) والتي كان يخدم فيها معاوية الزواوي³، كما يشير الغبريني عند تعرضه لترجمة الفقيه "أبي زكريا الزواوي" (ت611هـ-1212م)، فيقول: "ثم دخل أبو زكريا زوايته دون أن يختم مجلسه بالدعاء المعهود منه"⁴ ، ويضيف قائلاً في الفقيه "أبي الفضل قاسم محمد القرشي" (ت622هـ-1263م) "وقفت عند باب الزاوية فأصابتني هيبة وسمعت كلاماً بداخلها"⁵، بالإضافة إلى زوايا متفرقة في قرى ومدامر بجاية ، كزاوية سيدي موسى أو يحيى بدائرة سيدي عيش ، تأسست ما بين القرنين 6 و7 هجريين ، وزاوية سيدي الحاج حساين بنفس الدائرة ، تأسست عام (770م)⁶، إلى جانب هذا زاوية الشيخ يحيى العبيدي بتمقرة ضواحي بجاية⁷، أشهر زوايا القرن (9هـ-15م) وزاوية الشيخ السعيد أحسين بصدوق.

شغلت الزوايا حيزاً مهماً لدى المجتمع البجائي ، فهي تتوسط ما بين الكتاب و المدرسة أي بمثابة ثانوية اليوم، كما اتسمت أدوارها في تحفيظ القرآن الكريم ونشر اللغة العربية ، فصل النزاعات والخلافات

1-الغبريني ، عنوان الداربية ، ص 72.

2-بوداود عبيد ، ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين 7 و9 هجريين (13-15م) الدراسة في التاريخ السوسيو الثقافي ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، ص 81.

3-الغبريني، عنوان الداربية ، ص 163.

4-نفسه ، ص 135-136

5-نفسه ، ص 163

6-محمد نسيب ، زوايا العلم ...، ص 219-218

7-نفسه ، ص 220

الداخلية¹، على يد كبار المشايخ والقضاء على الطبقة بالإضافة إلى أنها أقحمت في الجهاد إلى حراسة السواحل ، وحث الناس في مجالس العلماء على جهاد.

6-المدارس: المدرسة² منشأ ديني آخر ، أولى مدارس بنيت في نيسابور بخراسان في النصف الأول من القرن (4هـ-10م)، والشافعية أول من اهتم ببنائها. و من العراق انتقلت المدرسة إلى بلاد الشام، ومنه إلى مصر ومنها إلى افريقية في العهد الحفصي.

تأخر ظهورها ببلاد المغرب الإسلامي إلى النصف الثاني من القرن (7هـ-13م) فانتشرت بتونس ، المدرسة الشماعية أولى مدارس بالمغرب الإسلامي ساهمت في نشر المذهب الموحد، ثم المدرسة التوفيقية ، والمعربية وغيرها³ فالحفصيين اهتموا ببناء هذه العمارة الثقافية والفكرية ، لما لها من أهمية كبرى في ترسيخ الدين وأصوله، فالمدرسة في الأصل نابعة من المسجد الجامع ، فقد تعددت وظائفها من وظيفة التعليم ، وتوفير السكن للأساتذة والطلبة ، وهي مكان للتعبد والصلاة⁴.

اما طرق التدريس بها فكان يعتمد على السند، كما تنوعت مواد التدريس من علوم القرآن كالتقراءات وتفسير القرآن وعلوم الحديث ، فروع الفقه ، أصوله ، اللغة العربية ، وآدابها.

لم يكتف الفقهاء والعلماء باستنباط الأحكام الشرعية، من الكتاب والسنة ، بل اجتهدوا ووضعوا قواعد وقوانين ، لاستنباط فسمي بعلم أصول الفقه ، ودرس أيضا علم الكلام ، علم النحو، والصرف وعلم الجدل، علم الفرائض، الأدب التاريخ ، البلاغة العلوم العقلية (المنطق، الطب ، علم الحساب ...) ⁵

¹-نفسه.

²ورد في لسان العرب لابن منظور ، أن كلمة مدرسة من درست الكتاب أو أدرسه أي ذلته بكثرة القراءة ، حتى خف حفظه وأن المدرسة الموضع الذي يدرس فيه ، ينظر :ابن منظور لسان العرب ص 969.

³-محمد الباجي بن المامي، المرجع السابق ، ص 30.

⁴-نفسه ، ص 34.

⁵-نفسه ، ص 37-57-85.

عرف القرن (7هـ-13م) ، انتشارا للمدارس بالمغرب الإسلامي ، فإلى جانب تونس اشتهرت تلمسان بمدارسها ، كالمدرسة اليعقوبية (767هـ-791هـ)، و التاشفينية (718هـ-738هـ)، أما المغرب الأقصى فبدوره تمتع بأشهر المدارس، كالمدرسة العنانية نسبة لسلطان أبي عنان (750هـ)، وبجاية من بين الحواضر التي حل بها الطلبة لإتمام دراستهم في مدارسها، حيث عني الحفصيون بإنشائها¹، فحسن الوزان يذكر وجودها في قوله: "وبجاية بها جوامع كافية ومدارس يكثر فيها الطلبة والأساتذة في شتى العلوم"². وهذا ما أكده لنا أيضا الغبريني حيث ترجم للعالم "أبا عبد الله شعيب": "إن العالم الزاهد أبا عبد الله شعيب قد ولي بالمدارس ، فزاعها بنظره وجملها بحميد أثره"³ لكن رغم وجود هذه المدارس ببجاية والتي ذكرتها المصادر ، للأسف لم تتوصل في معرفة أسمائها ويبقى البحث قائما حتى نتوصل في المستقبل إلى موقعها ومعطيات أخرى.

7-بيوت العلماء: التعليم في البيوت ليس بالأمر الجديد على المسلمين ، وقد اتخذ رسول الله صلى

الله عليه وسلم، دار الأرقم بن أبي الأرقم مركزا لدعوته، وعليه لم يكن التعليم مقتصرًا فقط في المساجد، بل انتشر في بيوتات العلماء، ومن بين علماء بجاية الذين اتخذوا ديارهم مراكز للتدريس، تجد كلا من الشيخ العلامة "أبي مدين شعيب الغوتي" الذي أخذ عنه الكثير من العلماء كفقيه "أبي عبد الله محمد بن حماد الصنهاجي" كان يحل بدار الشيخ أبي مدين ببجاية سنة 581هـ، حيث كان يقرأ عليه "المقتصر الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى"⁴، وأخذ عنه ألقيا الشيخ عبد الحق الإشبيلي ومجلس "ناصر الدين المشدالي"⁵، كان يحف بالطلاب ، والفقير "أبو الحسن علي بن أبي فتح بن عبد الله" أقبّل على داره العديد من العلماء

¹-برنشفيك ، تاريخ افريقية في العهد الحفصي، ج2، ص 376.

²-حسن الوزان ، المصدر السابق، ج2، ص

³-الغبريني ، عنوان الداربية ، ص 173.

⁴-ينظر: ابن قنفذ القسنطيني، عز الحقيّر وأنس الفقير، ص 92، والغبريني ، عنوان الداربية ، ص 20-23.

⁵-مفتاح خلفات ، المرجع السابق ، ص 184.

كالفقيه أبو يوسف الزواوي¹، ودار "أبي عبد الله محمد بن صمغان القلعي"²، والشيخ "أبي حسن بن علي بن محمد التيورغي"³، ولم تكن بيوتات العلماء المراكز الوحيدة ، التي يتلقى فيها الطلبة والمشايخ العلوم ، بل حتى الدكاكين والحوانيت، اتخذها العلماء مواطن أخرى للدرس، إذ يذكر الغبريني الفقيه أبا علي حسن المسيلي (أبا حامد الصغير)، كان يجتمع مع الشيخ محمد بن عبد الحق والفقيه أبا عبد الله القرشي، في أحد حوانيت بجاية ، وبالضبط بحارة المقدس ، فيعج المكان بالمناظرات والعلوم ، بل يتحول إلى مجلس علمي، فسمي بمدينة العلم لكثرة وجود هذه المقامات العلمية الثلاثة⁴.

7-العمارة الجنائزية: خصص البجائيون مساحات خاصة لدفن موتاهم اقتداء بسنة نبي الله صلة

الله عليه وسلم: " لقوله " إكرام الميت دفنه"⁵، وكانت المدافن تكون غما خارج أبواب المدينة أو داخل حومتها. وقد أفادنا مصدر الغبريني بمجموعة منها جاءت كالآتي:

1-مقبرة أبي محمد عبد الله أبي حجاج تقابل من الخارج باب أمسيون⁶.

2-مقبرة زاد رخص نسبة لشجرة كبيرة لا توجد سواها إلا ببجاية ، كان معظم علماء بجاية يدفنون

فيها ، توجد داخل باب أمسيون⁷

3-مقبرة باب الجديد⁸.

4-مقبرة معروفة بإبن سمية أحد تيجان بجاية ، موجود خارج باب البنود.

1-الغبريني، عنوان الدارية ، ص 142.

2-نفسه، ص 189

3-نفسه ، ص 134

4-نفسه ، ص 110

5-الغبريني، عنوان الدارية ، ص 69.

6-نفسه ص 101

7-نفسه ص 122

8-نفسه ص 182

5- حومة بئر مسفرة بباب البنود بما مقبرة¹ بالإضافة إلى مقابر باب الدباغين ، أما الأضرحة² يعرف عن المجتمع البجائي تبركهم بالأولياء الصالحين والفقهاء في حياتهم وأمام أضرحتهم³، هذه الأخيرة انتشرت ببجاية انتشارا واسعا، كيف لا و مدينة بجاية قطب ديني جلب إليه العديد من الفقهاء والعلماء ، حتى لقبت "بمكة الصغيرة" إذ كان بها 99 مفتيا⁴.

بني البجائيون أضرحتهم خارج المدينة على مواقع مرتفعة كالربوات والتلال و الهضبات ، ومن بين الأضرحة التي كانت قائمة نذكر:

- ضريح "سيدي التواتي"، يمثل جزءا من الزاوية التي كانت قائمة في العهد الحمادي خلال القرن (5-11م)، فقد وجد بمتحف بجاية ناقشة كتابية تعود للضريح مضمونها آيتين من سورة آل عمران.

- ضريح سيدي أحمد المراكشي (6-12هـم)، وضريح سيدي أبي علي المسيلي (6-12هـم)، وضريح أبي زكرياء (6-12هـم)، وضريح سيدي عبد الحق الاشبيلي الموجود داخل الجامع الذي يحمل اسمه⁵، وضريح سيدي أبي علي الموجود خارج باب امسيون ويذكر الورثلاني أنه عاش في أواخر القرن (6-12هـم)، وأيضا ضريح سيدي عيسى يقع في مرتفع خارج بجاية⁶، وضريح سيدي عبد الرحمن الصباغ، الذي شرح الوغليسية للشيخ عبد الرحمن الوغليسي، و "الصباغ" من فقهاء القرن (9-15م)⁷.

8- عمارة أهل الذمة: تنوعت الأماكن الدينية المقدسة الخاصة بأهل الذمة فالكنايس والمعابد، هي أحد أيقونات التنوع العمراني ببجاية في العصر الوسيط ، وبسبب التعايش الديني وحرية إقامة الشعائر الدينية

1- نفسه

2- الضريح جمع أضرحة، كلمة مشتقة من فعل (ضرح) وهو بمعنى القبر الحفرة ، خاصة بالمت أي للميت حفرة له ضريح، ينظر ابن منظور، لسان العرب ، ج11، ص 526.

3- الغبريني ، عنوان الداربية ، ص 72.

4- نفسه ، ص 72

5- عبد الكريم عزوق، المعالم الأثرية الإسلامية ببجاية ، المرجع السابق ، ص 54.

6- عبد الكريم عزوق، "الأضرحة ببجاية ، دراسة نموذجية" دراسات تراثية، مجلة الدراسات والأبحاث في التاريخ والآثار والفنون ، العدد 01، السنة 2007، الجزائر، ص 147.

7- الورثلاني ، رحلته، ص 8-27.

المختلفة ، توسعت هذه البنية التحتية، فكل عمارة ذمية مميزات خاصة بها ، فمثلا المعابد اليهودية كانت تتوسط الأحياء عكس الكنائس المسيحية التي شيدت على الساحل قرب الموانئ.

لم تذكر لنا المصادر مواقع وأسماء المعابد اليهودية التي كانت موجودة ببجاية ، بل اكتفت بذكر وجود هذه الطائفة والتي امتهنت التجارة ومختلف الصنائع كالصياغة وبيع القماش و مواد الصياغة وغيرها، هذه التركيبة الإثنية من بين التركيبات القديمة الوجود والاستيطان ببجاية ، فمن الضروري أن تكون لها أماكنها المقدسة للعبادة فالمعبد اليهودي أو ما يسمى ألقيا "بيت هكنيست" كانت شعائهم تقام فيه طبقا للثورة والتلموذ¹.

بعدها حاصر بن الهلال القلعة، وبعد تشييد مدينة بجاية كعاصمة ثانية لبني حماد، نقل الأمير الحمادي "الناصر بن علناس" إليها كل المدخرات وسكان القلعة، وكان الناصري من الفئات التي انتقلت معه، حيث كانت لهم كنائسهم بالقلعة وهذا إن دل على شيء إنما يدل على قدم التصالح الديني الذي كان قائما بين بني حماد والمسيحيين ، ومن بين كنائس المسيحيين التي وجدت بالقلعة، كنيسة العذراء مريم سنة (507هـ-1114م) التي كانت تقع في حي جراوة القريبة من قصر المنار²، وكان قسيسهم يومئذ يدعى "عزون" توفى بالقلعة³، أما بجاية فبدورها انتشرت بها الكنائس التي كان يرعى شؤونها قساوسة كالأسقف أسفوند⁴، وما زاد نطاق هذه العمارة هي المعاهدات والاتفاقيات التجارية وحتى السلمية بين بجاية والأوروبيين ، غدت كانت لكل جالية مسيحية كنيسة خاصة بها ، أبرمت اتفاقية بين الدولة الحفصية وفلورنسا ينص أحد بنودها "على

1- زنيب عبد الله أحمد كرير، أهل الذمة في العهد الحفصي، أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي جامعة الزقازيق، ص 250.

2- رشيد بورويبة ، الدولة الحمادية ، ص 164.

3- محمد طمار، الروابط الثقافية ، ص 143.

4- عبد الحليم كوسين، المرجع السابق، ص 187.

صاحب الديوان أن يمكنهم من الخبز وكنيسة لمعتبدهم ، ولا تسكن معهم أحد من غير جنسهم إلا برضاهم"¹.

ب- العمارة الاقتصادية: نعني بها المنشآت التي ترتبط بتطوير اقتصاد الدول ، بل هي من بين

العمارات الأساسية عند تخطيط أي مدينة.

1- المنشآت المائية: برع المهندس الحمادي منذ أن كانت القلعة عاصمة للدولة في إنشاء عمارة

مائية، تشمل على قنوات تكون موصولة بالمزارع والأراضي الفلاحية ، يتم من خلالها سقي وري المحصول، وأيضا بنيت الأحواض والمواجل والصهاريج²، والنافورات والبرك والصحون والآبار، كلها هيكل تدعيمية يرجع وجود هذا التنوع في أشكال المعمار المائي إلى الثروة المائية ومنابعها ببجاية. فصاحب الاستبصار يقول: "... بجاية جبل عظيم عال قد ذهب في الجوار وقد خرج في البحر وفيه مياه سائحة وعيون كثيرة وبساتين"³. ولم يقتصر دور العمارة المائية في ري الرياض والمزارع فقط ، بل عملت على تشغيل دواليب الأرحية⁴، بالإضافة إلى طهارة البدن والوضوء وتنظيف الدور والطهي فمنازل بجاية معظمها تحوي على مواجل وصهاريج ، وكان معروف في العصر الوسيط إنتشار نظام "المنابذة" في السقي والاستفادة من مياه السواقي⁵.

2- الحمامات: الإسلام دين طهارة ، فرسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام فنيا أسوة في النظافة ،

فحثنا على تطهير البدن واللباس والمكان الذي تقام فيه العبادات ، كما استوجب على المسلم الاستحمام والغسل مرة أو مرتين في الأسبوع ، وبهذا انتشرت الحمامات في الحواضر الإسلامية ، وبجاية واحدة من المدن التي كثرت فيها الحمامات حسب ما أشار إليه حسن الوزان⁶

¹- أحمد عزوي ، العلاقات بين العالمين، ج3، ص41.

²- ينظر إلى الباب الثالث ، الفصل الاول ، ص

³- مؤلف مجهول ، الاستبصار، ص 131.

⁴- قلعة بن حماد ، قيس من التاريخ ، وزارة الثقافة ، ص 49.

⁵- الوئشريسي، المعيار ، ج8، ص 40.

⁶- حسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ج2، ص 50

فالحمام "ينقي الجلد ويزيل الوسخ ويظهر البدن ويفتح مسامه ويحلل الأبخرة... و يربط الأبدان وينميها ويزيد في حرها الغزيري، ويفرج النفس ويذهب الحزن"¹

كما وجدت حمامات داخل البيوت والقصور ، للحرص الكبير على النظافة ، فاستعملت مختلف المواد ، كالصابون الذي كان رائجا ببجاية ، والغاسول المصنوع من الطين والمحاك والمشط الذي صنعها الأغنياء من الفضة والقب²، هذا الأخير انتشر بغابات بجاية، كما وظف الخشب كوقود لتسخين مياه الحمامات.

ساهمت هذه العمارة في تنشيط الحركة الصناعية ببجاية ، كالصناعة التجميلية من صابون و عطور ، ووفرت اليد العاملة ، كالحكاكين والوقادين ، وصناعة الأقران وهي عبارة عن نعال خاصة تلبس في الحمامات لتجنب الانزلاق.

3-الفنادق: تنوعت ما بين الملكية الخاصة والعامة ، فقد كانت للجاليات الأوروبية فنادق خاصة

بها³، اما النوع الثاني فهي لعامة الناس، وليست مقتصرة على طائفة أو تركيبة سكانية معينة. يذكر لنا الغبريني عن موجة مجاعة وجفاف اجتاحت بجاية فكان الفقيه "أبي زكريا يحي الزواوي" يدعو كل من المحتاجين والمساكين إلى الالتحاق بالفنادق⁴، فبعد خضوع بجاية للحكم الموحد تزايدت فنادقها ، ولم تكن مخصصة للمبيت فقط، بل عقدت فيها الاتفاقيات التجارية كما حوت على مخازن لحفظ وتخزين السلع⁵، والمواد النفيسة⁶ وأقيم في فنادق النصارى كنائس⁷، وملاهي وحانات حتى أصبحت بعض الفنادق في العهد الحفصي مركزا لبيع الخمر.

¹ -بوتشيش القادري إبراهيم ، سعيد بنحمادة "المعمار المائي بمدينة غرناطة النصرية" القرن 7هـ-8هـ/13م-14م، الندوة الدولية الثالثة، المكتبة الوطنية ، تونس ، ص 147.

² -بوتشيش القادري ابراهيم ، سعيد بنحمادة ، المرجع السابق ، ص 148.

³ -أحمد العزاوي ، العلاقات بين العالمين الإسلامي، والمسيحي ، ج3، ص 15.

⁴ -الغبريني ، عنوان الداربية ، ص 135.

⁵ -الونشريسي، المعيار، ج6، ص 426

⁶ -بوتشيش ابراهيم قادري ، اضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي ، ص 101.

⁷ -الونشريسي ، المعيار ، ج2، ص 215.

"الجنوبيين" من بين التجار الذين أوجدوا لأنفسهم وكالات تجارية على ميناء بجاية و بالتالي تزايدت فنادقهم¹، وعليه لعبت الفنادق أدوارا بارزة في تنشيط الحركة التجارية ببجاية ، كما ساهمت في استقطاب الزوار.

4-الدكاكين والأسواق: تنوع الحرف والصنائع ببجاية إفراس المزيد من الإنتاج ، و لتصريفه لابد من بيعه في الحوانيت والدكاكين التي توزعت في حومات وحرارات ببجاية² إلى جانب تعداد أسواقها ، التي شهدت في الفترة الموحدية تنظيما وإصلاحا وهذا بتعيين أمناء ومحتسبين لمراقبة الأسعار والقضاء على الغش ، ولقد شددت الدولة الموحدية على منع التجار من الجلوس أمام حوانيتهم³ لأن هذا الامر يخلق الفوضى ويعرقل مسار المارة ، بل فرضت الدولة العديد من القوانين على التجار وعقوبات في حالة الغش وتعطيل الانجاز والتلاعب بالأسعار ، وتخزين السلع واحتكارها من أجل رفع من أثمانها عندما تنعدم في الأسواق ، هذا يؤدي إلى عرقلة القدرة الشرائية للناس، وفي هذه الحالة يكون مصيرهم "الضرب والطواف بهم والسجن"⁴، وليكن سير الأسواق سيرا حسنا ، إذ يذكر صاحب الصلاة أن حواضر الموحدية عرفت أسواقها ازدهارا وانتعاشا لقوله: " عمرت الأسواق بالبيع والتجارة الراجحة ، ودرت على الناس الخيرات"⁵.

ويواصل هذا الانتعاش الاقتصادي ببجاية حتى العهد الحفصي ، بدورهم فالحفصيون نظموا أسواق حواضرهم وحرصوا على بث الأمن بها ، لكن هذا لا يمنع من وجود بعض التجاوزات كارتفاع الأسعار والغش في نوعية البضائع ، بل كانت هناك إنفلاتات تجارية خاصة في غياب المحتسبين والأمناء، وهذا راجع إلى

¹-بن ميلاد لطفي ، المرجع السابق ، ص 206.

²-الغبريني ، عنوان الدلائلية ص 69.

³-بوتشيش ابراهيم قادري، المرجع السابق ، ص 102.

⁴-ينظر نفسه ، ص 103، الحسين بولقظيب ، المرجع السابق ، ص 34.

⁵-صاحب الصلاة ، المدن بالإمامة ، ص 226.

انشغال الدولة وحواضرها بحركة القرصنة البحرية التي شنها المسيحيون على سواحل شمال إفريقيا فعادت المياه إلى مجاريها حيث رجعت الحياة الأمنية من جديد إلى الأسواق المغربية حيث وظفت كلاب لحراسته¹.

5-المعاصر: هذا النوع من العمارة انتشر في الحواضر المغربية ، بينما بجاية عرفت بمعاصرها لوفرة

أشجار الزيتون ، الذي يعصر ليستخلص منه الزيت للإستعمال في العديد من الحاجيات ، كالأكل والطهي والعلاج والتجميل ..

6-المستشفيات (مارستانات)²: يذكر الزركشي أن في عهد الأمير الحفصي "أبي فارس عبد العزيز ،

وجدت مارستانات³، وهي تسمية لدور الصحة أو المستشفيات و البيمارستان.

كلمة فارسية الأصل تعني "مكان المرضى" أو "دار المرضى" وكانت 823هـ-1421م سنة تشيد أول

مارستان حفصي.

وقد أفادنا حسن الوزان بذكر وجود هذا النوع من العمارة الصحية ببجاية قائلا: "وفيها جوامع كافية

ومدارس يكثُر فيها الطلبة وأساتذة الفقه والعلوم بالإضافة إلى زوايا المتصوفة وحمّامان وفنادق ومارستانات"⁴،

وعليه انتشر هذا القطاع أكثر في العهد الحفصي ، اما ببجاية الحمادية والموحدية ، فاكتفى ساكنيها بالتداوي

بالأعشاب وكان الأطباء يداون مرضاهم في بيوتهم لانعدام مكان محدد لمجال الطب والتطبيب.

7-دور الضرب السكة:

أول تأسيس لدار السكة ببجاية ، كان في عهد الأمير الحمادي "المنصور بن الناصر علناس" وبهذا

استطاع القضاء على التبعية المالية للدينار المرابطي والدينار الفاطمي ، اللذان كانا يسيطران على حركة

¹-ابن الزيات التادلي التشوف، ص 398

²-بيمارستان تنقسم إلى كلمين بيما تعني مريض وستان تعني مكان أو دار

³-الزركشي ، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، ص 52

⁴-حسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ج2، ص 50

المبادلات التجارية ببجاية ، فضربت السكة الحمادية، وأدرجت ضمن المعاملات التجارية المتوسطة ، واستمرت في العهدي الموحد والحفصي¹.

8- ميناء بجاية:

الميناء² مكان ترسو فيه السفن ، وبجاية موقع يطل على واجهة بحرية ، كانت في العهد الفينيقي عبارة عن ميناء تجاري ، ياقوت الحموي "كانت قديما ميناء فقط بنيت المدينة"³، أما العهد الحمادي فاحتل الميناء مكانة و حضوة كبيرة فأضحى مرفأ محميا تتوافد عليه السفن ، وهذا ما أكده صاحب الاستبصار : "...وهي مرسى عظيمة تحط فيه سفن الروم من الشام وغيرها من أقصى بلاد الروم وسفن المسلمين من الإسكندرية بطرف بلاد مصر وبلاد اليمن والهند و الصين وغيرها"⁴، واستمرت هذه الأهمية في العهد الموحد.

ولما آلت بجاية للحكم الحفصي في شعبان -رمضان 626هـ جويلية 1229م⁵، أصبح مينائها من ضمن الموانئ الحفصية بافريقية ، كان محطة رئيسة لتجارة الذهب بين صحراء افريقيا ودول جنوب أوروبا، كهمزة وصل بين التجارة من مختلف الجنسيات.

لم يقتصر دور ميناء بجاية على التبادل التجاري ، بل شهد حركة أخرى تمثلت في نقل المسافرين عن طريق وسطاء كسفن البنادقة والجنوبيين ، إذ يذكر ابن البار عن "مركب للروم قدم ببجاية قصد بعدها الإسكندرية"⁶. أما القرن 5هـ-15 عرف ميناء بجاية هيمنة الإسبان مما أدى إلى تراجعهم وتقهر الحركة به.

جهز ميناء بجاية كغيره من موانئ المغرب الإسلامي بمياكل إدارية ، لتتمكن من تسيير الحركة الاقتصادية به ، فكان به ديوان البحر الذي يشمل أعوانا ومسيرين إضافة إلى السلع و أيضا وجدوا المكتبة

¹-علاوة عمارة "التطور العمراني والتجاري لمدينة بجاية في العصر الإسلامي الوسيط" مجلة الأمير عبد القادر للعلوم الإنسانية ، العدد 26، رمضان 1429/سبتمبر 2008، ص 242.

²-ابن منظور يعرف الميناء على أنه "الموضع الذي ترقابه السفن أي تتجمع وتربط" لسان العرب ج13، ص 237

³-ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج1، ص 339.

⁴-مؤلف مجهول ، الاستبصار ، ص 130.

⁵-الزركشي المصدر السابق ، ص 56.

⁶-لطفي بن ميلاد، المرجع السابق ، ص 236.

المقيدين للكتب والوثائق الديوانية والترجمة ، وعدولا و الإشهاد كل هؤلاء يكملون بعضهم البعض في تنظيم الشؤون الداخلية للميناء.

أما الأسطول التجاري يمثل أحد الركائز المهمة للميناء ، فهو المحرك القوي للنشاط التجاري ، وكان يرسوا بالميناء الجديد المقابل لباب البحر¹.

ج- العمارة الملكية والمدنية:

استبحر أمراء وحكام مدينة بجاية في تعميمها بعمارة تليق بموقفها الاستراتيجي المتميز "فالناصر بن علناس" أول أمير حمادي شيد بها القصور وبني المنتزهات و المنايا ، وخلفه ابنه المنصور وواصل درب أبيه ، وأحسن ما يشير إليه صاحب الاستبصار ما خلفه ملوك صنهاجية من عمران فيقول: "...وفي بجاية موضع يعرف بالؤلؤة وهو أنف من الجبل فتخرج في البحر متصلا بالمدينة ، فيه قصور من بناء ملوك صنهاجية لم ير الرءون أحسن منها بناء، ولا أنزه موضعا"².

اتسمت العمارة الأميرية والمدنية ببجاية في العصر الموحد والحفصي ، بتوسع و إزدهار تمثلت في إقامة منشآت جديدة ، وإصلاح المدن العتيقة والطرق القديمة و تشييد أسوار وتحصينها أكثر. يقول العبدري في هذا الصدد: " هي مدينة كبيرة حصينة منيعة شهيرة برية بحرية سنية سرية ووثيقة البنيان عجيبة الإتقان رفيعة المباني غريبة المعاني"³.

1-المباني الملكية : يصف الرحالة "الحاج عبد الله بن الصباح" بجاية فيقول: " وهي مدينة

عظيمة... حسنة البناء"⁴، ويقول عنها "علي بن محمد التمكروني": "...وبجاية مدينة عظيمة"¹، اما أبو

¹-صالح بعيريق، بجاية في العهد الحفصي، ص 349

²-مؤلف مجهول ، الاستبصار ، ص 130.

³-العبدري رحلته ، ص 26.

⁴-الحاج عبد الله بن الصباح ، المصدر السابق ، ص 101-102

البقاء خالد البلوي": "بلدة قدرها خطير وذكرها في كل زمان يطير... يشيد فيها البناء وبعدها الصيت الممدود والثناء"².

هذه الوصلات الوصيفة للرحلة عن مدينة بجاية، هي تأكيد على جمالية الفن المعماري المزدهر ببجاية، ومن بين شواهدنا التي تبرز عظمتها، القصور أو دور الإمارة، إذ يذكر عبد الرحمن بن خلدون، أن "الناصر بن علناس" شيد "قصر اللؤلؤة وكان من أعجب قصور الدنيا"³، وبعد وفاته (ت 481هـ-1089م)، خلفه ابنه الأمير المنصور، المولع بالبناء والتشييد فقام بتوسيع قصر اللؤلؤة، وبني قصرا قصر أميمون⁴، وقصر الكوكب بالقصبة أو قصر الرفيع بالمنتزه⁵.

حيث أطنب الشعراء في وصف هذه القصور التي استمرت في عهدي الموحدية والحفصية فراح الشاعر "ابن حمديس الصقلي"⁶ يصف لنا قصر الكوكب فقال فيه:

أعليت بين النجم والديوان *** قصر ابناه من السعادة بان
فضح الخورنق والشدير بحسنة *** وشما بقمته على الإيوان
فإذا نظرت إلى مراتب ملكه *** وبدت إليك شواهد البرهان
وأوجبت للمنصور سابقة العلا *** وعدلت عن كسرى انوشروان
قصر بقصر وهو غير مقصر *** عن وصفه في الحسن والإحسان.

و "ابن حمديس الصقلي" يصف قصر أميمون قائلا:

أعمر بقصر الملك ناديك الذي *** أضحى بمجدك بيته معمورا

1-علي بن محمد التمقروني، المصدر السابق، ص 31.

2-أبو البقاء خالد البلوي، المصدر السابق، ص

3-عبد الرحمان بن خلدون العبر ج6، ص 357

4-نفسه، ص 358

5-عمارة علاوة التطور العمراني والتجاري لمدينة بجاية في العصر الإسلامي الوسط ص 240

6-هو أبو الفضل محمد عبد الجبار بن أبي بكر بن محمد بن حمديس الأزدي الصقلي ولد بمدينة سرقوسة من جزيرة سقلية، إنتجأ إلى بجاية وتوفي

قصر لو أنك كحلت بنوره *** أعمى لعاد إلى المقام بصيرا

واشتق من معنى الحياة نسيمه *** فيكاد يحدث للعظام نشورا

نسي الصبيح مع الفصيح بذكره *** وسما ففاق خورنقا وسديرا

ولو أن بالإيوان قويل حسنة *** ماكان شيئا عنده مذكورا

أعنت مصانعه على الفرس الأولى *** رفعلوا البناء و احكموا التدبيرا

ومضت على الروم الدهر ومابنوا *** لملوكهم شبيها له ونظيرا¹

قصر اميمون قصر بديع ، تألق بأجمل الفنون والهندسة وكان به بركة محاطة بأشجار من الذهب والفضة وعلى حافتها أسود م المرمر تخرج من أفواههم مياه بالإضافة إلى هذا أحيط بأروع الرياض والبساتين²، التي اهتم الأمير الحمادي المنصور أن يقيمها حول قصوره ، كبستان.

الرفيع عام (488هـ-1095)، الذي خصص لبنائه ، وكان به بركة رخامية وصفها لنا "بن حماديس الصقلي" وصفا جميلا يقول عنها :

والماء منه بسائك من فضة *** دابت على دولاب شادروان

وكأنها سيف هناك مشطب *** الفته يوم الروع كف جبان

كم شاخص فيه يطيل تعجبا *** من دوحة نبثت من العقيان.

-البحر الكامل-

أما القصب³ فورت في العهد الموحد¹ لتشمل على دار الإمارة ومنتزها ومسجد وزادت توسعا في العهد الحفصي، فهي مقر الحاكم إذ تعاقب في الإقامة عليها العديد من الولاة كوالي الموحد

¹المقري ، نفخ الطيب، ج1، ص 229 ومايلها

²-عبد الرحمن بن خلدون ، العبر ، ج6، ص 358.

³-ينظر

"أبي اسحاق" ، والأمير الحفصي "أبي بكر"² و الشيخ "أبا مدين شعيب" والعلامة "عبد الرحمن بن خلدون" والشيخ "عبد الرحمن الثعالبي" و الشيخ "محمد بن عمر الهواري" (نزىل وهران) وغيرهم كثير... قام الموحدون بإصلاح القصبة واضعين مستهم المصمودية على البناء الصنهاجي الأم، هذه الإضافة مازالت قائمة ليومنا هذا ، فالقصبة اليوم، مزيج بناء الموحدى ، وعمل الإسبان ، فمواد البناء التي تم تحليلها من طرف الخبراء أكدت ذلك³.

2-العمارة المدنية:

أ-المساكن: التداخل العمراني ، والشوارع الضيقة ، والحومات القليلة من مميزات التخطيط الإسلامي⁴، فسكان بجاية سكنوا دورا وبيوتا بسيطة بها سقيفة⁵ متلاصقة مع بعضها البعض ، وكل بيت تقريبا يملكه صهرج ، كما بنى البجائيون مطامير داخل بيوتهم ، وهي عبارة عن مستودعات مبنية تحت الأرض، تخزن فيها الحبوب والحنطة ، لأعوام وسنين ولا تفسد⁶. وإلى جانب هذا ، أنشأوا إسطبلات ، خلف بيوتهم ، أو في مواضع قريبة من منازلهم⁷ لتجنب الروائح الضارة الناتجة عن الحيوانات، عرف أيضا سكان بجاية بتربية الطيور والدواجن كغيرهم من المجتمعات المغربية ، فخصص لها أقفاصا كبيرة ، تصنع من القصب. ولا يمنع من أن بيوت البجائيين كانت بها حدائق وبساتين، وأغلقت أبوابهم بمزلاق انتشر أكثر في العقد الموحدى⁸.

2-الأحياء والحومات:

-ladwing Salvatore vonhabsburg-toskana, bougie, perle de l'Afrique du nord, traduit de l'allemand par ahcene Abdelfattah.

-nadjma abdelfattag- lalmi-CNRPAN, alger, 2005 pp67-69-71.

¹-الغبريني، عنوان الداربية ، ص 240-241.

²-علاوة عمارة ، التطور العمراني...المرجع السابق ، ص 239.

³-ينظر إلى ملاحظتنا

⁴-صالح بن قرية، علم الآثار والهوية المغربية، ص 37.

⁵-الغبريني ، عنوان الداربية ، ص 189

⁶-ينظر: لن رحقل ، المصدر السابق ، ص 77 ، الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ص 95.

⁷ -Kheladi mokhet- urbanisme et système sociaux la panification Urbanisme en Algérie, office des publication, universitaire, Alger, p 84.

⁸-صاحب الصلاة ، المن بالإمامة ، ص 121

تعددت حارات مدينة بجاية ، ذكر لنا الغبريني منها حارة المقدس¹ ، وحومة اللؤلؤة² ، حومة بئر مسفرة بباب البنود³ ، حومة باب البحر⁴ ، حومة المذبح⁵ ، وحومة باب باطنة⁶ ، حومة باب أميسون ، وحومة رابط المتنى ، حومة سباط الأموي.

ومع اتساع رقعة العمران ، امتدت في أرياض ، يذكر العمري أن الريض يقع خارج المدينة القديمة ، أشهر أرياض بجاية هي:

- 1-ريض باب البحر ، كان سكانه من النصارى ، بحكم تواجدهم على ميناء المدينة قصد التبادل التجاري.
- 2-ريض المذبح، يقول الغبريني : " إن الناس كانوا ينزلون حرمة المذبح من جهة ريضها لشراء الأسرى"⁷.
- 3-ريض المقدسي الذي كانت فيه اجتماعات لأشهر علماء بجاية.
- 4-ريض القصبة التي تمثل النواة الأساسية ، فهي إدارة ومقر الحكم.
- 5-ريض رابطة المتمني.

د-العمارة العسكرية (الحربية): يقصد بها الهياكل الدفاعية التي تقام في المدن لأجل تحصينها

وحمايتها ، يقول مولانا عز وجل: " لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة"⁸ ، وبجاية من المدن ، التي شيدت بها المنشآت العسكرية ، مند تأسيسها على يد الأمير الحمادي "الناصر بن علناس" سنة (460هـ-

¹-الغبريني ،عنوان الدارية ، ص 69.

²-نفسه ، ص 59

³-نفسه ، ص 182

⁴-نفسه ، ص 80

⁵-نفسه ، ص 76

⁶-نفسه ، ص 170

⁷-نفسه ، ص 77

⁸-سورة الحشر ، الآية 14 ، (رواية ورش).

1167م) خمسة قرون من تاريخ بجاية الإسلامية عرفت عمارتها الحربية تعديلات، وإضافات تركها بنو حماد الصنهاجيين ، واستمر وجودها في العهد الموحد المصامدة و من بعدهم الحفصيون الهنتاثيون وقضى عليها القوطيون الإسبان ، إصر غزوهم سنة (915هـ-1510م)

يذكر العبدري في رحلته أن بجاية كانت مدينة حصينة منيعة شهيرة¹، وهذا يدل على أنها حصنت بعمارة دفاعية قوية، كإحاطتها بأسوار وأبراج وقلاع وحصون و خنادق ن وهذا كله من اجل الضرورة الأمنية ، وما سهل بناء هذه الهياكل هو وجود المادة الخام لها، والمتمثلة في معدن الحديد والنحاس حسب قول الإدريسي: "الخشب في أوديتها (بجاية) كثير موجود ويجلب إليها من إقليمها الزفت البالغ الجودة والقطران وبها معادن الحديد..."².

1- أسوار المدينة: يشير صاحب الاستبصار ، لوجود سور ببجاية قائلا: "...مدينة بجاية وهي مدينة عظيمة على ضفة البحر، والبحر يضرب بها في سورها"³، أما العبدري وصف لنا امتداده " ...موضوعة في الأسفل سفح جبل وعر، مقطوعة بنهر وبحر مشرفة عليها إشراف الطليعة متحصنة بها منيعة ، فلا طمع لمحارب ولا متمتع بها لطاعن وضارب"⁴، بالإضافة إلى عامل الطبيعة المتمثل في الجبال و الغابات الذي منح بجاية حصانة طبيعية أخرى..

وضع بنو حماد صورا منيعا من الحجر والأجر ، يتراوح سمكه ما بين 1.70م و 2.50م⁵ أما ارتفاعه يقدر بتقريب ما بين 4م و 6م، يمتد على مسافة 5400م⁶، وارتفاع 660م عن سطح البحر⁷، وكما هو

¹-العبدري ، رحلته ، ص 26

²-الإدريسي ، المصدر السابق، ص65

³-مؤلف مجهول ، الاستبصار ، ص 130

⁴-العبدري، المصدر السابق، ص 26

⁵-رشيد بورية، الدولة الحمادية ، ص 152

⁶-عبد الكريم عزوق "التحصينات الدفاعية"

⁷ -De beylie, la kalla des beni hammad, une capitale berbère de l'Afrique du Nord au xle siele, p 104-105.

معروف زودت الأسوار بأبراج مراقبة و إنذار في حالة وجود خطر يهدد المدينة ، ومن بين التعديلات التي أجريت عليه ، ترميمه وأضيف إليه الخندق في العهد الحفصي¹ ، بقي من هذا السور إلا بعض أجزائه .

2-الحصون: تحصنت بجاية بحصونها التي شيدها بنو حمادة لمراقبة المدينة وحماتها من الأخطار

الخارجية ، ومن بين حصونها حصن سيدي عبد القادر أو حصن البحر" بناء حمادي (5هـ-11م)، كان برجاً لمراقبة الساحل المشرق على شاطئ سيدي يحيى ، استمرت وظيفته حتى نهاية العهد الحفصي (9هـ-15م) وأعيد بناؤه من طرف الإسبان²، ومازال قائماً ليومنا هذا على هضبة صخرية³

كم بنى الحماديون حصن القصبية المطل على البحر وهي موضوعة على هضبة مرتفعة من الجهة الجنوبية الغربية ، ولها بابان ، باب رئيسي و الآخر ثانوي⁴، صمدت قصبه بجاية أمام ضربات الإسبان ، فقد لعب هذا الحصن دوراً بارزاً في حماية المدينة في فترات المضطربة سياسياً.

بعد الغزو الإسباني على بجاية (915هـ-1510م)، بنى الإسبان "برج موسى" (la fort

impre rail) ، من أهم الحصون، شيد على أنقاض قصر النجمة الذي بناه الأمير الحمادي "المنصور بن الناصر بن علناس" يتكون من ثلاث طبقات ، وهو اليوم عبارة عن متحف ، مازال محافظاً على هندسته المعمارية⁵.

أما قلعة يما قورايا ، بمجرد زيارتك لبجاية تنجذب نحو أعلى قمة جبل أين تنام هذه المرأة التي مازالت

الأبحاث جارية حولها ، فسكان بجاية منذ العهود القديمة وليومنا هذا ، يتركون بهذه الولية الصالحة ويتغنون بخصالها وأدوارها فهل وجدت لالة قورايا في تاريخ بجاية الإسلامي؟.

¹-مفتاح خلفات ، المرجع السابق، ص 154-155.

²-عبد الكريم عزوق، التحصينات الدفاعية ، المرجع السابق ، ص 05

³-ينظر إلى ملاحظتنا

⁴-عبد الكريم عزوق ، التحصينات الدفاعية ، المرجع السابق ، ص 04

⁵-ينظر إلى ملاحظتنا

3- الأبواب: توزعت على كامل محيط مدينة بجاية ، والغرض من إقامتها هو الحفاظ على الأمن

الداخلي لها ، ذكرت المصادر والنصوص التاريخية أكثر من سبعة أبواب وجدت ببجاية منها:

*باب البحر: يعتبر من أقدم أبواب المدينة ، به سوق بني خلال العهد الأول الحمادي سنة

(463هـ-1070م)، دعم ببرجين مربعين لمراقبة حركة الوافدين والمغادرين به اتخذ النصارى خارجه فنادق

خاصة بهم¹.

*باب اميسون: يقع في السور الشرقي من رأس بريجة، تقابله من الخارج مقبرة "زاد رخص" دفن بها

معظم علماء بجاية².

*باب المرسي: يقع غرب المدينة ، ويسمى أيضا باب السادات ، يقع بالقرب منه مسجد "الشيخ

أبي زكريا الزواوي"³.

*باب البنود: أو باب الفوقة أو الفوكا، يقع في الجهة الشمالية الغربية للمدينة ، وهو من الأبواب

الرئيسة به أبراج ذات ثلاث أرباع دائرية ، وبقربه مقبرة "ابن علي رسمية"⁴.

*باب اللوز: يقع في الجهة الشمالية ، يؤدي إلى القصبة مقر دار الإمارة، وهو الباب الذي دخل منه

بنو غانية وبالتالي سيطروا على أحوار مدينة بجاية بع مقبرة⁵.

*باب المرقوم: باب البر أيضا، يقع فوق قبة سيدي محمد أمقران⁶.

*باب دار الصناعة: لم يعد موجودا بسبب الغزو الإسباني على بجاية ، ومن المرجح أن يكون هو

باب القصبة الذي أشار إليه الباحث "دوبيلي"¹.

¹- ينظر: الغبريني، عنوان الدار، ص 80-165، عبد الكريم عزوق "التحصينات الدفاعية"، المرجع السابق، ص 13.

²- الغبريني، المصدر السابق، ص 69.

³- نفسه، ص 82.

⁴- ينظر الغبريني، المصدر السابق، ص 182، عبد الكريم عزوق، المرجع السابق، ص 15.

⁵- الغبريني، المصدر السابق، ص 182.

⁶- عبد الكريم عزوق، المرجع السابق، ص 13.

*باب الدباغين: يقع بالقرب من أماكن الدباغة على الوادي الكبير².

*باب الجديد: ذكره الغبريني في مصدره وبدوره كانت بع مقبرة³.

*باب الباطنة⁴: باب إيلان وباب الرواح، باب تطونت ، ولم يبق من كل هذه الأبواب إلا بابان

ببجاية وهما باب البحر وباب البنود.

9- دور صناعة السفن (الأسطول):

يذكر صاحب الاستبصار أنه "كان ببجاية دار لصناعة المراكب والسفن⁵، و... بها دار صناعة لإنشاء... " الإدريسي يدعم قوله⁶، وعليه انتشرت فيقول هذه العمارة للصناعة نوعان من "الأساطيل والمراكب والسفن والحرايبي السفن ، النوع الأول خاص بالسفن التجارية والناقلة أيضا للمسافرين والحجاج ، والنوع الثاني سفن حربية أو "عمارة الأجناف" ، هذه الأخيرة عرفت توسعا أواخر العهد الحفصي إثر الحملات الإسبانية ، حيث عرف البحر الأبيض المتوسط أنواعا من المراكب الحربية "كالغراب"⁷.

ومنه تواجد دار صناعة المراكب الحربية ببجاية هو ضرورة حتمية ، اضطر إليها البحائيون ، لحماية ساحلهم من الغارات والهجمات الخارجية لاسيما تكثفت أواخر القرن (9هـ/15م)، من ضربات الأروغونية والقطلانبة، ناهيك عن القرصنة التي لم تتوقف منذ القرن (6هـ/12م) إلى غاية القرن (9هـ/15م) فكان البحائيون يجهزون قطع البحر للغزو⁸.

1- نفسه.

2- الغبريني ، المصدر السابق، ص 81

3- الغبريني ، عنوان الداربية ، ص 122

4- نفسه ، ص 170.

5- مؤلف مجهول ، الاستبصار ، ص 130.

6- الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ص 115.

7- لطفي بن ميلاد، المرجع السابق، ص 205

8- الغبريني، المصدر السابق، ص 229.

-الوقف¹ مصدر مالي للعمارة ببجاية: انتشر الوقف بالمغرب الإسلامي منذ العهود الإسلامية الأولى أي منذ الفتح الإسلامي ، فالفاتحون بنوا المواجهل والآبار² و المؤسسات التعليمية كالكتاتيب والزوايا والأربطة والمساجد ، وكانت مصادرها المالية من الأحباس العمومية التي أوقفها المسلمون لتأمين فوائد خيرية.

أما بجاية فجدور الوقف بها قديم³، ففي عهد الخليفة الموحد "عبد المؤمن بن علي" قام بوقف حوانيت بسوقة ناحية باب قاطنة ، تكريماً لأحد رجال بجاية ، هذا الأخير الذي أكرمه وأحسن إليه عندما كان برفقة صاحبه "ابن تومرت" حسب ما أدل به عبد الواحد المراكشي قائلاً: "أن عبد المؤمن مر في طريقه راجعاً من إفريقية ببجاية فدخل البلد متنزهاً فيه فمر بسوقة بناحية باب من أبوابها يدعى باب تاطنت، فوقف...وأمر بشراء جميع الدكاكين الموجودة بتلك السوقة وأوقفها عليهم"⁴.

ولم تكن المحلات التجارية المراكز الوحيدة التي توقف ، بل تنوعت الاحباس من أراضي زراعية وحقول والحمامات والمستشفيات والخزانات العلمية وغيرها، فالأحباس "سنتها أن تكون موقوفة على صاحبها عليه محبسها ولا ينبغي نقلها، ولا يجوز أن تصرف إلى غير ما حبست عليه مادام المحبس عليه محتاجاً إليه..."⁵.

انتشرت الأوقاف أكثر ببجاية خلال الثلث الأخير من العصر الإسلامي الوسيط و مست كل الطبقات والجهات ، فمثلاً الأمير أبو بكر الحفصي وزع العديد من الاحباس على جمده حين خرج لمقاومة الإسبان⁶.

¹-الأوقاف جمع وقف أو الأحباس جمع حبس والتحبس ، جعل الشيء موقوفاً على التأيد ، والحبس يعني المنع يقال هذا الحبس في سبيل الله ينظر، الأصفهاني ، معجم مفردات ألفاظ القرآن -تح- يوسف الشيخ محمد البقاعي دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت 210، ص 82.

²-عبيد بوداود، الوقف في المغرب الإسلامي مابين القرنين السابع والتاسع المحجرين (ق13م-15م) ودوره في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، ط1، مكتبة الرشد للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر 2011، ص 70.

³-الونشريسي، المعيار ، ج7، ص 92.

⁴-عبد الواحد المراكشي ، المعجب، ص 301

⁵-الونشريسي ، المعيار ، ج7، ص 69-70.

⁶-صالح بعزيق، المرجع السابق، ص 128-129.

كما عرف البجائيون قضية المعاوضة والبديل في الأحباس ، ذكر الونشريسي مسألة وقعت ببيجاية وهي أن رجلا أخذ تراب أرض حبس واستغلها حسب حاجته فأفتي له فقهاء المدينة أن يعوض ذلك الموضع بتراب مثله.

**الباب الثالث : الوضع الاقتصادي لبحاية
خلال القرن (5هـ-9هـ/11م-15م)**

الفصل الأول : النشاط الفلاحي ببجاية عبر تاريخها الوسيط

أ- الفلاحة ببجاية في العهد الحمادي

ب- الفلاحة الموحدية و مجالها ببجاية

ج- الفلاحة الحفصية ببجاية

د- عراقيل الفلاحة ببجاية

أ- الفلاحة ببجاية في العهد الحمادي:

كلمة الفلاحة لغة مأخوذة من الفلح ومعناه الشق والقطع، فلح الشيء يفلحه فلحا بمعنى شقّه، والفلح مصدره فلحت الأرض إذ شققته للزراعة وفلح الزراعة يفلحها فلحا، إذ معناه شقها للحرث، والفلاح إنما قيل له فلاح لأنه يفلح الأرض وحرفة الفلاحة معناها الحراثة.¹

عرف مصطلح الفلاحة عدة ألفاظ أخرى كانت تتداول بين الناس من بينها "الأكرة" أهل القرى وأهل الأرياف وأهل البدو، هذا التعريف الأخير جاء عند عبد الرحمان ابن خلدون حيث يخص الفلاحة بأهل البدو ويقول عنها أنها من أقدم الصناعات ومن فروع الطبيعيات كما أنها من معاش المستضعفين ولا يقوم عليها الحضار ولا يعرفونها.² وبالتالي نستنتج أن ابن خلدون ربط الفلاحة بالبدو دون الحضار وهذا راجع أن طابع البداوة يغلب على بلاد المغرب،³ إذا الفلاحة هي حرفة ونشاط اقتصادي نتيجته إنتاج فلاحي يعود بالفائدة على المزارع وعلى المجتمع بتوفير القوت ورفع الشأن وأيضا بما تكتسيه الفلاحة من الفضل والثواب، فالقرءان الكريم يحث المسلمين ويوجههم إلى العناية بهذا النشاط الحيوي لقوله تعالى: "أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرْزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعُمُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ" (27)⁴

فبجاية كغيرها من المدن الإسلامية اهتمت بهذا المجال المهم وهذا لإنعاش اقتصادها إذ نقل الجغرافيون لنا بعضا من جوانب الفلاحة ببجاية، فسكانها أهل زرع وضرع حسب قول اليعقوبي.⁵

¹ ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف للنشر والتوزيع، مصر، د.ت، ص 3458،3459.

² عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، ج2، ص 489،620.

³ بوزيان الدراجي، العصبية القبلية ظاهرة اجتماعية وتاريخية على ضوء الفكر الخلدوني، دار الكتاب العربي، الجزائر 2007، ص 146.

⁴ سورة السجدة، الآية 27 (رواية حفص)

⁵ اليعقوبي، كتب البلدان، ص 108.

ففي عهد بني حماد، أولى أمراء الدولة أهمية كبرى لهذا الجانب، فقد أقطعوا أراضي للمزارعين وشجعوا على استغلال السهول التي تميزت بارتفاع مردودها،¹ كما دعموهم بالأموال وسهلوا لهم عملية شراء الأشجار والبذور بسبب انخفاض في الأسعار، بالإضافة إلى جهود بني حماد في توفير الأمن فهو عامل مهم في حياة الفلاح حسب قول ابن خلدون أن ازدهار الإنتاج يتطلب الأمن لأنه ضرورة اجتماعية واقتصادية، بدونها تعم الفوضى ويسود الاضطراب.²

وليس وحده تشجيع أمراء الحماديين كان سبب في انتعاش هذه الحرفة بل أيضا الميول التقليدي للمجتمع البحائي لهذا النشاط الحيوي فهو مجتمع فلاحي أكثر منه صناعي هذا الميول سببه واضح يرجع إلى الآليات التي تزخر بها بجاية من كثرة المنيات والمنتزهات والحدائق والمزارع والجنان والأراضي التي كانت موزعة بها، إذ يذكر الإدريسي: "ومدينة بجاية في وقتنا هذا مدينة الغرب الأوسط وعين بلاد بني حماد...ولها بواد ومزارع...".³

بالإضافة إلى خصوبة التربة ونوعيتها الجيدة المساعدة على العرس بأنواعه كغرس الأشجار المثمرة وأشجار الزيتون والتين التي اشتهرت بها بجاية حتى أنها تصدر إنتاج الزيتون والتين المراب الأولى في صادرات بجاية إلى الدول المجاورة. ومن جملة الإمكانيات الطبيعية الأخرى التي توفرت ببجاية المناخ فمناخها كان يتسم بالاعتدال وسقوط الأمطار بكميات معتبرة قد تصل إلى حوالي 1000 مم سنويا بسهل المدينة وضواحيها، كما منّ الله عليها بانتظام فصولها وبالتالي اعتدال حرارتها التي تؤثر على الإنتاج الزراعي وتنوعه.⁴

1- أنواع ملكيات الأراضي:

¹ مختار حساني، موسوعة التاريخ وثقافة المدن الجزائرية، ج2، ص276.

² صلاح بسيوني رسلان، الإقتصاد السياسي عند ابن خلدون، مجلة الحضارة الإسلامية، ع1، المعهد الوطني للتعليم العالي والحضارة الإسلامية، وهران 1993، ص 212.

³ الإدريسي، نزهة المشتاق، ص54

⁴ أمين بلغيث، مدينة بجاية الناصرية، ص 50.

لم تكشف لنا النوازل الفقهية أنواع ملكيات الأرض التي كانت موزعة ببجاية في العهد الحمادي فما هو معروف أن أمراء بني حماد كانوا يملكون أراضي خاصة بهم.

ويأتي من بعدهم الطبقة الراقية من قضاة وكبار التجار وغيرهم امتلكوا بدورهم الأراضي بالدولة الحمادية، أما بقية الأراضي كانت موزعة على العامة التي كانت لمعظمهم مصدر قوتهم وعيشهم، بالإضافة إلى أنه كانت بعض الأراضي خاصة بني هلال إذ صالح الأمير الحمادي "المنصور" بني هلال على أن يجعل لهم نصف الغلة من أراضي الدولة (أراضي سهلية خصبة) كمواطن بلاد حمزة (البويرة حاليا) وفي عهد "بلكين بن محمد" صاحب القلعة ترك لهم الأرياف،¹ الطابع البدوي لبني هلال الذي يميل إلى العيش في المناطق الداخلية كان عاملا قويا في استبعادهم عن المناطق الساحلية ببجاية وعليه سلمت من وجودهم داخل المنطقة وحذبوا العيش خارج المنطقة.

انتشرت ببجاية أنواع الأراضي حسب نظام كل واحدة منها ك:

● **أراضي سقوية:** تسقى من مياه الأنهار والعيون والآبار ويتم جلب مياهها إلى الأراضي بواسطة قنوات ونواعير، وببجاية هذا النوع من الأراضي حسب ما جاء به صاحب الاستبصار فيقول: "...ولها نهر كبير...وعليه كثير من خباتهم وقد صنعت عليه نواعير تسقى من أنهر..."²

● **المغارسة أو الغرس أو الغراسية:** هي عمارة الأشجار أو الغرس فهي حرفة ذات أهمية كبرى حسب ما جاء في النوازل الفقهية وللمغارسة أنواع كالترقيد والغسل والتركيب أو التطعيم،³ ونظام المغارسة يتمثل في اتفاق بين مالك الأرض والعامل الذي سيقوم بغرسها بصنف من الشجر أو محصول آخر، وبعد أن تثمر هذه المغروسات ويكتمل نضجها يقتسمان الغلة إلى قسمين حسبما اتفقا عليه من قبل، إما يعطيه نصفها أو ثلثها أو ثلثين أو جزء مسمى

¹ محمد حسن، المدينة والبادية، ج1، ص4، رشيد بورويبة، الدولة الحمادية، ص119، عبد الحميد خالدي، الوجود الهلالي السليمي في الجزائر، ص ص 190، 191، 192

² مؤلف مجهول، الاستبصار، ص130.

³ محمد حسين، أصناف الإنتاج الزراعي بأفريقية من القرن 6هـ/12م إلى القرن 9هـ/15م، أشغال البحث بعنوان الفلاحة والتقنيات الفلاحية بالعالم الإسلامي في العصر الوسيط، تحت إشراف حسن حافظي علوي، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط 2011، ص 271

منها، لكن في بعض الأوقات كان الاتفاق غير مفعول بين الطرفين بسبب الكوارث الطبيعية كالفيضانات أو الجفاف والقحط أو الجراد، فتكون عائقاً قوياً يعطل العقد المبرم بين المالك والعامل.¹

والغراسة تختلف عن الزراعة حسب قول الراشدي: "أما الغراسة فهي أحق من الزراعة لما فيها من سلامة أهلها غالباً من الذل والإهانة، لكن لا بد فيها من العلم بما والعلم فيها".²

وعليه ساهم الغارسين في رفع من مستوى الإنتاج الفلاحي ببجاية كالفواكه مثل التين الذي كانت نسبة كبيرة منه تصدر خارج البلاد.

● **نظام المزارعة:** أو المشاركة كما جاء في المعيار عند الونشريسي، وهو أن يقوم مالك الأرض بتسليم أرضه وأنعامه كالبقرة والثيران والحمير للحرث والدرس، كذلك البذور لشخص يشاركه بمقابل أن يلتزم بالعمل والزرع والاهتمام بالمحصول، وفي نهاية المزارعة يكون له نصيب من الإنتاج المتفق عليه.³

● **طرق الفلاحة وتقنيات الغرس:** لتحقيق فلاحية وإنتاج وفير لا بد على الفلاح أن يلتزم بشروط تمكنه من استغلال أرضه على أكمل وجه في أن يزرع محصول في وقت واحد وفي ذات الأرض وبعدها تحرث وتعديل ليسوي جريان الماء عليها،⁴ فالماء عنصر أساسي فالتهيئة المائية توفر ما يسمى بالأمن المائي، وقلته تؤدي إلى الأزمات المائية كالجفاف والقحط، الذي يتلف المحاصيل من جهة ويضر بالفرد من جهة أخرى.

● **التدابير التقنية المائية المعتمدة في المجال الفلاحي ببجاية:**

يقول الله تعالى في محكم تنزيله: "وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ (18)"⁵ فسبحانه وتعالى وهب لنا الماء فهو ثروة طبيعية لا تقدر بثمن وهو منبع الحياة لا بد

¹ البرزلي، المصدر السابق، ج3، ص 383، بوتشيش إبراهيم القادري، إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان 2002، ص 39.

² محمد حسن، أصناف الإنتاج الزراعي بأفريقية... ص 267

³ الونشريسي، المعيار، ج8، ص 152، 153

⁴ عز الدين عمر موسى، النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، ص 189.

⁵ سورة المؤمنون، الآية 18

من توفير له الوسائل والآليات المناسبة لتوزيعه توزيعاً قانونياً يتماشى حسب حاجيات الفرد، وعليه ما هي الموارد المائية ومنشأتها التي اعتمدت ببجاية في العهد الحمادي؟

قبل أن نذكر المنشآت ووسائل الري لابد من التعرف أولاً على الشبكة المائية التي تزخر بها بجاية إذ جاءت في مصادر الجغرافيين نصوص تصف بجاية التي حظيت بزيارة الكثير من الرحالة الذين أجمعوا على أنها تتميز وتنفرد بموقع استراتيجي هام أهلها أن تكون عاصمة الجمال الطبيعي فهي محمية بجمال عظيمة وبشبكة مائية كبيرة متمثلة في بحر وأنهار ووديان وعيون وغيرها من المنابع، فالإدريسي يقول عن ثروتها المائية: "... وعلى بعد ميل منها نهر يأتيها من جهة الغرب من نحو جبال جرجرة وهو نهر عظيم يجاز عند فم البحر بالمراكب وكلما بعد عن البحر كان ماؤه قليلاً..."¹ أما البكري والذي سبق الإدريسي في وصف بجاية يقول عنها: "... ثم مرسى مدينة بجاية أزلية أهلة عامرة بأهل الأندلس بشرقيها نهر كبير تدخله السفن المحملة..."²

وجاء ذكر صاحب الاستبصار الذي بدوره أطنب في وصف البيئة المائية لبجاية إذ يقول: "هي مدينة عظيمة على ضفة البحر والبحر يضرب في سورها... وهي ... ما بين جبال شامخة قد أحاطت بها... ولها طريق إلى جهة المغرب يسمى بالمضيق على ضفة نهر المسمى بالوادي الكبير... وعلى فحوص قد أحاطت به جبال دوره نحو عشرة أميال تسقيه أنهار وعيون، وفيه أكثر بساتينهم ولها نهر كبير يقرب بنحو الميدين أو دونهما، وعليه كثير من جناحهم، وقد صنعت عليه نواعير تسقى من أنهر..."³

أما العمري فيقول عن منابع المياه ببجاية: "وبها عينان من الماء إحداهما كبيرة ومنها شرب أهلها، ولها نهر جار على نحو ميلين منها تحف به البساتين على ضفتيه ممتدة نحو اثني عشر ميلاً..."⁴ كما جاءت في رحلة العبدري ذكر لمدينة بجاية وما تملكه من طاقات طبيعية مختلفة: "... موضوعة في أسفل سفح جبل وعرو مقطوعة بنهر وبحر..."⁵

¹الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 97

²البكري، ص 112.

³مؤلف مجهول، الاستبصار، ص ص 128، 129، 130

⁴، البكري، ص 112

⁵أبي عبد الله محمد بن محمد العبدري، رحلة العبدري، ص 26.

وبالتالي نخلص من خلال هذا الوصف الذي أسهب الرحالة الجغرافيين فيه عن منابع المياه لبجاية أنه كانت لها موارد مائية ومتنوعة من أنهار ووديان وعيون وآبار ما شجّع حكامها على إنشاء وسائل تسهل عملية الري وسقي الأراضي، فقد قام الأمير الحمادي "الناصر بن علناس" ببناء قناطر لجلب المياه من جبال بجاية نحو المدينة وأراضيها المحاطة بها،¹ فبناء القناطر ليس بالشيء الجديد على أمراء الحماديين فقبل تشييد بجاية كانت بالقلعة وبني حماد آثار لقنطرة على وادها كانت تستعمل لأعمال الري كما وجدت ببجاية نواعير حسب قول صاحب الاستبصار: "...ولها نهر كبير يقرب منها بنحو الميلين أو دونهما وعليه أكثر من جناهم وقد صنعت عليه نواعير تسقى من أنهر"² والناعورة عجلة أو دولاب مثبت على قضيب يرتكز على قائمتين ويدار بواسطة الحيوانات أو تيار النهر وتحمل كيزانا لرفع الماء.³

كما وجدت منشآت الري وعمارة مائية أخرى كالصهاريج والمواجل والأحواض والآبار والسدود والقنوات وصحون بما تحويه من برك ونوافير كانت تتلقى بجاية كميات كبيرة من الأمطار، فالمواجل أول من استعملها هم الفينيقيون ومن بعدهم الرومان، فابن منظور عرضها على أنها مستنقع الماء،⁴ وبالإضافة إلى المواجل عرف سكان بجاية وسيلة أخرى وهي الصهرج يكون كالحياض يجتمع فيه الماء⁵ هذه الصهاريج استعملها البجائيون لحاجياتهم اليومية كالشرب والاعتسال والتنظيف وحتى سقي مزارعهم.

وبحكم أن مدينة بجاية كانت معروفة بقصورها البديعة التي زينت ساحتها بأحواض مائية فكان لابد من توفير قنوات المياه التي تسهل عملية وصول المياه إلى أحواض القصور استعملت مياهها لسقي الجنان والمتزهات، أما عملية الاستحمام كانت توصل بنوافير داخل القصر وهذا ما يدل على جمليات الفن المعماري الصنهاجي.

¹ محمد أمين بلغيث، مدينة بجاية الناصرية، ص 51.

² مؤلف مجهول، الاستبصار، ص 120

³ جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 63

⁴ ابن منظور، لسان العرب، ج 6، ص 19.

⁵ نفسه، ج 4، ص 82.

عرف سكان بجاية أيضا وجود الآبار المنتشرة في بيوتهم أو حول أراضيهم كما استعملوا السطل الجلدي أو ما يعرف بالدلو مرفوع بجبل ملفوف على بكرة عند شدّه يملأ الدلو من قاع البئر لشرب أو سقي الأراضي أحيانا.

توفر التقنيات ووسائل الري كان عاملا مهما في تنشيط مجال الفلاحة وتوسيع رقعتها وبالتالي تنوع المحاصيل الزراعية، يقول الله تعالى: " أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيحُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ (21)1، تبين هذه الآية بأن الماء هو مصدر الحياة يحيي الأرض بعد موتها فتهيج بالزرع والخضرة وتجعل في الأرض ألوانا وأنواعا من المحاصيل الزراعية بأمر الرحمان جلّ جلاله، فما هي أنواع المحاصيل الفلاحية التي عرفتها فلاحة بجاية؟

• المحاصيل الفلاحية:

يذكر الإدريسي أن بجاية لها بوادي ومزارع...² فوجود المساحات الزراعية واهتمام أمراء بني حماد بهذا المجال نتج عنه رفع من مستوى الإنتاج الفلاحي بل إلى الاكتفاء الذاتي بسبب الفائض في الإنتاج هذا ما أكده الإدريسي: "...وفلاحتهم إذا كثرت أغنت وإذا قلت كفت، فإنها أبد الدهر شباع وأحوالهم صالحة..."³.

ومن بين المحاصيل الفلاحية التي تصدرت الصدارة الأولى على سلم بقية الإنتاج الحبوب، ففلاحوا ببجاية أولوا لهذا المحصول اهتماما خاصا، بالإضافة إلى الفواكه المتنوعة والنباتات الطبية وحتى التجميلية التي بدورها وظفت في حرف وصنائع متنوعة.

1- المحاصيل الغذائية:

¹سورة الزمر، الآية 21

²الإدريسي، نزهة المشتاق، ص96

³نفسه، 99

أ- الحبوب: احتل هذا المحصول شهرة واسعة ببجاية وخارجها نظرا إلى قيمته الزراعية وتنوع مجالات استعماله الغذائية، وقد ذكر الإدريسي أن الحنطة والشعير كانتا موجودتان بكثرة ببجاية، وكانت الحنطة تخزن في مطامير تبقى عاما وعامين لا يدخلها الفساد ولا يعتريها تغيير.¹

ب- الزيتون: اشجار الزيتون كثرت غراستها ببجاية "بلاد زرع وخصب"² هذا المحصول شهد اكتفاء لدى سكان بجاية بل وظف في مجالات التصنيع كالتجميل.

ت- الفواكه: تبلغ أهمية هذا الإنتاج في وجود عدد كبير من البساتين وأيضا دور الغراسة في تنشيط عملية إنتاج الفواكه المثمرة التي كثرت ببجاية يقول صاحب الاستبصار: "...ومدينة بجاية كثيرة الفواكه والأثمار وجميع الخيرات"³ وأشجار التين عرفت انتشارا واسعا في حقول بجاية: "...والتين وسائر الفواكه بها ما يكفي لكثير من البلاد".⁴ بالإضافة إلى التين كان الجوز موجودا أيضا أما العنب والتومور والسفرجل واللوز والتفاح كانت تجلب من الأقاليم المجاورة، وبالتالي موائد البجائيين لم تعرف شحا في أنواع الفواكه بل أكلوا سائر الفواكه.

2- النباتات:

أ- النباتات النسيجية: تنوع هذا النوع من النباتات كالقطن وغيره، فتح أبواب التصنيع مثل صناعة الشواشي التي تميزت بها بجاية، بالإضافة إلى العمائم التي تفنن البجائيون في صناعتها،⁵ أما الحرير والكتان فصنعت منه الألبسة المفتوحة للرجال التي أوجدتهم عليها ابن تومرت حين زار بجاية.⁶

ب- النباتات التجميلية: لم نجد في المصادر يلي حاجتنا حول الإمام عن النباتات التجميلية المنتشرة ببجاية إلا قلة قليلة برغم من أهميتها في المجال الإقتصادي والإجتماعي وحتى الثقافي، ومن بين النباتات التي توصلنا إلى معرفة

¹ نفسه، ص 96

² نفسه

³ مؤلف مجهول، الاستبصار، ص 130.

⁴ الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 96

⁵ مؤلف مجهول، الاستبصار، ص 129.

⁶ البيدق الصنهاجي، أخبار المهدي بن تومرت، ص 36.

وجودها ببجاية الأزهار والرياحين والنرجس والياسمين استخلص منها البجائيون مختلف العطور،¹ ناهيك عن قصب السكر والكمون والزعفران هذا الأخير كان يجلب من بجاية، التي اشتهرت بإنتاج الزعفران التي تعددت استعمالاته في الطبخ وفي الحرف وفي صناعة العطور وفي التطيب أيضا، كما استعملت الحناء كصبغة للشعر وتزيين اليدين والرجلين كان يأتي بها التجار من قرية بني وازلفن قرب تنس.²

ت- النباتات الطبية: لقد انتفع سكان بجاية بالعديد من النباتات الطبية في علاج الكثير من الأمراض إذ يذكر الإدريسي أنواع منها المتواجد على جبل أميسيون كشجر الحفضض السقولوفندوريون، البرباريس، القنطريون الكبير الرزوند القسطون والإفستين أيضا وغير ذلك من الحشائش...³ كما أورد لنا الطبيب الأندلسي ابن البيطار الذي زار بجاية مجموعة أخرى من النباتات وأعطى لكل نبتة اسمها بالبربرية ومنافعها الصحية كنبته شرش وطيان وبهار ونبات الشوكي أمليلس.⁴

إلى جانب هذا استورد البجائيون أنواعا أخرى من النباتات كالزعفران الذي ذكرناه آنفا كانت له فوائد طبية فهو يسكن أوجاع الأذن والقروح ويعالج الجرب، ويحبس الدم ويلين الصلابات ويعدل الرحم كما يقوي المعدة والكبد ويذيب الطحال ويسكن آلام السموم، وهذه العلاجات بالزعفران تكون بمزجه وخلطه بنوع من المواد الطبيعية الأخرى كزيت اللوز المر ولبن الأم وبالتفاح وبصفار البيض وبالكرفس والعسل كما يمنع من مزجه ببعض المواد الطبيعية الأخرى التي تؤدي إلى تفاقم الوضع الصحي للمريض لأن مادة الزعفران لا بد من اتخاذ المقادير المضبوطة له.⁵

أما مادة العسل لعبت دورا كبيرا في التطيب كتسكين الآلام والأوجاع والجروح، فقد كان متوفرا بشكل واسع ببجاية، بحكم أنها كانت محاطة بغابات انتشرت بها تربية النحل الذي وفر مادة العسل وشمعه، وكذلك الزيتون استعملت أوراقه لعلاج الربو وعرق النساء وأوجاع الأسنان.

¹ صالح أبو دياك، مدينة بجاية ودورها الحضاري، ص 226

² رشيد بورويبة، الدولة الحمادية، ص 134.

³ الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 259.

⁴ مختار حساني، موسوعة التاريخ وثقافة المدن الجزائرية، ج3، دار الحامة، الجزائر 2007 ص 287.

⁵ مراد عرعار، جغرافية إنتاج الزعفران بالغرب الإسلامي ومجالات استعماله، بحوث من الندوة الدولية الرابعة "إسهامات القيروان العلمية والتقنية" المنعقدة بالقيروان 24-25 ابريل 2009، تونس، ص 136، 133.

أنواع النباتات الطبية المنتشرة ببجاية في العصر الوسيط

النبتة أو العشبة	أسماءها	وصفها واستعمالاتها	المصدر
أرجنقنة أو الأرجيقن	/	وصفه: يشبه نبات الأرز في هيئته وشكله وأصله وورقه وزهره وطعمه، لكن لون ورقه يميل إلى البياض.	
بالسقولوفندوريون أو كف النسر	النبات العقريي scolopendre البربريس	/	لطفي بن ميلاد، المرجع السابق، ص 267
أفسنتين	Artemisia absinthium	عشبة معمرة تنمو في الأراضي الجافة، والمنحدرات المشمسة وتنمو بريا في المناطق الحارة وهي تعالج اليرقان والإستسقاء.	الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 115. سليمان المدني، موسوعة العشاب والنباتات الطبية، ط1، دار الحكمة للطباعة والنشر 2007، ص 12.
برباريس	Berberis Vulgaris أرغيس بالبربرية أشكيطة	شجر شائك أوراقه متعاقبة أزهاره مختلفة الألوان تجميعها أو عنقودي، ثمرته حمراء بيضوية الشكل، يعالج أمراض الكبد والمعدة	الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 115 وديع جبر، معجم النباتات الطبية، ط1، دار النشر دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع 1998، ص 62.
بُوقِشْتُم	اسمه عند أهل الأندلس بالوعوت	/	ابن البيطار، الجامع، م1، ج1، ص128
زاروندا أو بُرْسْتُم	L'aristoloche Aristolochia chamatitis	نبات عشبي عارش ومعمر ساقه عمودي تتفرع منها أوراق وله أزهار صفراء اللون يستعمل في علاج الصرع بعد أن ينقع ثم يشرب	الإدريسي، نفس المصدر، ص 115 ابن البيطار، الجامع، م1، ج1، ص 210 وديع جبر، معجم النباتات الطبية، ص 200.
شجر الحوض قولوفندوريون	/	/	الإدريسي، المصدر السابق، ص 115.
قنب	Cannbis Sativa	نبات عشبي حولي منتصب الساق يعلو من 150 إلى 370مم أوراقه	الحسن الوزان، وصف أفريقيا، ج2، ص52

السفلى متقابلة والعليا متعاقبة أزهارها عنقودية التجميع	وديع جبر، معجم النباتات الطبية، ص 236.		
La grande contanée	/ الإدريسي، المصدر السابق، ص 115.	قنطريون كبير	
Cistus Sabifolius	هي شجيرة تنمو بالمنحدرات الصخرية والمراعي الجافة، يتراوح طولها بين 30 و100مم أوراقها متقابلة أزهارها بيضاء اللون وصفراء من الداخل	قستوس أو القسطوس	"...النبات المنتفع به في صناعة الطب مثل...القسطوس"، الإدريسي، المصدر السابق، ص 115
/	ذكره المغازلي أنه نبات موجود بكثرة بواد بجاية وله فوائد صحية كبيرة على الإنسان وحتى الحيوان	الأرطم	محمد حسن، نفس المقال من كتاب الفلاحة والتقنيات الفلاحية بالعالم الإسلامي، ص 284
بالبربرية يدعى أهزهر	وهو الياسمين البري	طيان	ابن البيطار، المصدر السابق
شوكة مغيلة	يفيد في إدرار البول وتفتيت الحصى، وتسكين آلام الأسنان	شرش	نفسه
بالبربرية أمال	وهو الأقحوان الأصفر يستعمل لعلاج الأورام الصلبة	بهار	نفسه
/	هو نوع من النبات الشوكي ينفع في علاج بعض وجع عرق النساء وعضة الكلاب	أمليس	نفسه
/	هذا النبات موجود نواحي قلعة بني حماد كان أهلها يشربونه ليحميهم من لسع العقارب	الفوليون الحراني	"...ومدينة بجاية على بحر...وبها جبل يسمة أمسيون...وفي هذا الجبل كثير من العقارب..." الإدريسي، المصدر السابق، ص

ث- الغابات: الغابة يقصد بها ذلك المجال الترابي والمساحة الشاسعة تغطيها أشجار كثيفة أو ما يسمى بالآجام وهو الشجر الكثيف المتلف.¹

فغابات بجاية كانت مكسوة بأشجار كثيفة مثمرة وفرت لها مختلف الموارد الطبيعية كمادة الخشب الذي كان يصنع منه المراكب والسفن التجارية والحربية بالإضافة إلى أنواع الأواني المنزلية والأبواب والنوافذ وغيرها، كما وفرت مواد غذائية كالزيتون والتين والجوز واللوز، هذا الأخير كان وجوده نادرا بأسواق المغرب الإسلامي إلى غاية القرن 8هـ-14م أصبح إنتاجه وفير بجبال بجاية،² وكان السواك يستخرج من قشوره إلى جانب هذا انتشار نبتة الكتان والقنب الذي استعمل في صناعة الحبال والشباك والثياب.³

أما أشجار الصنوبر والتي منتشرة بكثرة بغابات بجاية كان يستخرج منها الزيت والقطران،⁴ يذكر صالح بعيزيق أن الأسواق الأوربية خاصة الإيطالية تعودت على وجود قشور بجاية في صنائعهم كدباغة الجلود وصباغتها، بالإضافة إلى حشرة "المغافير" التي بها مادة صالحة للدباغة.⁵

3- تربية الحيوانات: هي جزء هام من النشاط الفلاحي فهو يوفر تسهيلات كثيرة في العديد من المجالات كالحرث والدّرس ونقل الماء ورفعته، كما ترفع من مستوى الطاقة الغذائية كاللحوم والأبان والجلود والصوف وغيرها من الفوائد التي تنجر عن التربية الحيوانية ببجاية واحدة من مدن المغرب افسلامي التي اهتمت بهذا المجال، لما تحويه من آليات طبيعية كالمناخ والتضاريس وغطاء نباتي خصب الذي يفتح بدوره شهية الدواب التي تنوعت من بقر وماعز وأغنام وخيول، هذه الأخيرة اعتمد عليها البربر في مطاردتهم لصيدهم كما استعملوها في ركوبهم وسباقاتهم، وفي منتصف القرن 5هـ-11م جلب أعراب بني هلال إلى المناطق الصنهاجية الخيول العربية حين زحفوا إلى المغرب الإسلامي.⁶

¹ ابن منظور، لسان العرب، م1، ص34.

² "...والبلاد كلها جبال وعرة مكسوة بغابات"، حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 51

³ محمد حسن، المدينة والبادية، ج1، ص476

⁴ رشيد بورويبة، الدولة الحمادية، ص 134

⁵ بعيزيق صالح، بجاية في العهد الحفصي، ص134.

⁶ عبد الحميد خالدي، الوجود الهلالي السليمي في الجزائر، ص 192.

وتربية النحل بدوره احتل حضوة كبيرة لدى المجتمع البجائي لمزاياه التي يوفرها من مادة العسل والشمع الذي صدرته بجاية إلى الأسواق الخارجية.¹

عرفت مدينة بجاية وجود حيوانات أخرى كالقرود وهذا ما أشار إليه صاحب الإستبصار حين يذكر: "... وهذا الجبل مسيون الذي فيه بجاية جبل عظيم عال قد ذهب في الجو وقد خرج في البحر... وهو كثير القرود ويكون فيه الحيوان المشوك المسمى بالذرب"²

وحتى الفهود انتشرت بغابات بجاية³ والباز أو البازي وهو ضرب من الصقور يستخدم في الصيد وهو خفيف الجناح وسريع الطيران ويحرص على جلب صيده إلى مالكه،⁴ أما الكلاب فاستعملت في حماية المواشي وفي الصيد أيضا،⁵ وفيما يخص طعام الدواب كان عبارة عن القصين وهو علف.⁶

4- الصيد: شهد هذا النشاط تقصيرا كبيرا لدى المجتمع البجائي، والسبب هو اهتمامهم الواسع بالفلاحة والصنائع والحرف، وتهميش من جهة هذا المحرك القوي والهام في اقتصاد المدينة، بل جعل منه البجائيون هواية ترفيهية برغم أن بجاية تملك مرسى هام جدا، إلا أن مهنة الصيد كانت شحيحة وعليه الصيد برز كمنشأ للتسلية فقط، ولم يكتسي أهمية اقتصادية رغم أنه من الضروريات لبناء معاشات مجتمعات وهذا حسب ما أشار إليه "أرسطوطاليس": "أول الصناعات الضرورية الصيد ثم البناء ثم الفلاحة"، فالصيد ينشط الحركة التجارية الداخلية والخارجية كما يساهم في توفير المواد الغذائية كالسمك والطيور وغيرها.

تذكر لنا المصادر التاريخية أن أمراء بني حماد اتخذوا من الصيد تسلية وترفيه لهم، فنجد مثلا ولع الأمير الحمادي "يحيى بن عبد العزيز بن منصور بن الناصر" بالصيد فقد كان يحضر من الملهين نحو العشرين بين رجل وامرأة من شيوخ وعجائز وحمقى ومضحكين وهو مستلقي على فراشه الوتير ليشاهد جوارح الصيد فيختبر هذا البازي ويتفقد هذا الكلب وهكذا حاله حتى انقضت أيامه،⁷ أما الغبريني فيذكر لنا أن المجتمع البجائي كان من أفراده من يقوم بهواية

¹ صالح أبو ديابي، المرجع السابق، ص 225

² مؤلف مجهول، الاستبصار، ص 130.

³ حسن الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص 51

⁴ النويري، المصدر السابق، ج 5، ص 186، 187

⁵ ابن الخطيب لسان الدين، أعمال الأعلام، ص 161.

⁶ الغبريني، عوان الدراية، ص 165.

⁷ لسان الدين ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 161-162.

الصيد حيث أن بعض من مشايخه بجاية يخرجون للصيد مع رفقاتهم وكانوا يحملون معهم آلات الصيد ويكبون الزوارق ويقون وقتا طويلا يترصدون الحوت،¹ كما أن بعضا من صيادي بجاية حسب ذكر حسن الوزان أنهم لم يتعودوا أن يصطادوا في النهر الكبير لأنهم يجاورون البحر.²

ومن الوسائل التي استعملوها في صيدهم كانت بسيطة كالفوس والسهام والرماح بالإضافة إلى أن الصيد وفر لهم أطيب اللحوم من جهة أخرى كان بمثابة متعة وترفيه عن صاحبه أيضا.

5- الرعي: يذكر لنا صاحب الاستبصار أن بلاد المغرب الأوسط كثيرة الغنم والماشية طيبة المراعي،³ وهذا حال بجاية التي صلح فيها السوائم والدواب،⁴ فساكنوها اهتموا بتربية الماشية لأهمية هذا المصدر فكان لا بد من توفير كل شروط الرعاية من أكل وعناية ورعيها في مساحات مناسبة فالنطاقات الرعوية تزود الماشية بالغذاء والراحة أيضا، فتكون النتيجة ارتفاع في مردودها وبالتالي توفير مختلف حاجيات الأسواق من لحوم وجلود وصوف وغيره. أما النظام الذي كان متبعاً في رعي الماشية وغيرها عند البربر كان يسمى بنظام "المشئي" ويقصد بها التربية الجماعية أو اشتراك مجموعة من أصحاب المواشي في اختيار راع مسؤول يساعده عدد من الرعاة في تسيير ورعي ماشية الملاك،⁵ وفي نهاية اليوم يقوم كل راعي بتفريق الماشية عن الأخرى.

الفلاحة الموحدية ومجالها ببجاية:

بحكم موقع بجاية الجغرافي الاستراتيجي حضيت باهتمام واسع من طرف ولاية وشيوخ الموحدين، فالإفلاح ببجاية استمر بعد سقوط الدولة الحمادية بل زاد من نشاطه أكثر وشهد في هذه الفترة نظم وتقنيات جديدة، فالمنام الملائم

¹ الغبريني، عنوان الدراية، ص 162.

² حسن الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص 406.

³ مؤلف مجهول، الاستبصار، ص 121

⁴ الإدريسي، ص 169،

⁵ جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص 72.

وجنان والأنهار التي تملكها بجاية كانت المحرك القوي لمساعي الموحدين الفلاحية ببجاية ولا نجد وصفا دقيقا للثروة الطبيعية التي تملكها بجاية كوصفها للشاعر القسنطيني حسن بن فكون حين زارها نظم فيها هذه الأبيات:

دع العراق وبغداد وشامها*** فالناصرية ما أن مثلها بلد

بر وبجر وموج للعيون به*** مسارح بان عنها الهم والنكد

حيث الهوى والهواء الطلق مجتمع*** حيث الغنى والمنى والعيشة الرغد

والنهر كالصل والجنات مشرقة*** والنهر والبحر كالمرآة وهو يد

وحيثما نظرت راقى وكل نوا*** حي الدار للفكر للأبصار تتقد

أن تنظر البر فالأزهار يانعة*** أو تنظر البحر فالأمواج تطرد

يا طالباً وصفها إن كنت ذا نصف*** قل جنة الخلد فيها الأهل والولد.¹

وعليه هذا الوصف شامل وجامع لكل مزايا مدينة بجاية وجمالها الطبيعي فما هي التدابير والتقنيات والنظم التي

وظفها الموحدون في فلاحية بجاية؟

أ- **نظام الأرض ببجاية الموحدية:** عمل المصامدة على تغيير أوضاع حواضر المغرب الإسلامي بعد فتحهم لها وفق الشريعة الإسلامية فقد جاءت في إحدى رسائل ديوانية موحدية التي نصت على إعادة تقسيم طبقات الموحدين أنه سيتم لقضاء على الفساد وتصفي الموارد،² وتنظم ببجاية واحدة من حواضر المغرب الإسلامي فقد استفاد أهلها من نظام الإقطاع³ مقابل خدمة قدمت للدولة، فالخليفة عبد المؤمن بن علي أعطى لفتية بجاية أرضا واسعة لاحترامهم⁴ كما أقطع أراضي لأبناء أحد التجار عرفنا له بالجميل والمتمثل في مساندته ومساعدته حينما زار بجاية وكان برفقة صديقه ابن تومرت⁵ وبالتالي ظهر نظام الملكيات الخاصة للأراضي بالإضافة إلى أن الموحدين أقطعوا

¹ الغبريني، عنوان الدراية، ص 97.

² ينظر الى ملاحظتنا من رسائل ديوانية موحدية، أحمد عزوي، ص 62.

³ إقطاع هبة وهنة يقررها الخليفة مقابل خدمة للدولة، ينظر: عز الدين أحمد موسى، المرجع السابق، ص 55.

⁴ عز الدين أحمد موسى، المرجع السابق، ص 146.

⁵ مختار حساني، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، ص 276.

قوادهم وأشياخهم وجندهم إقطاعات زراعية وهي بمثابة رواتب لهم وهي عكس إقطاع لمنفعة كالتالي امتلكها الأعراب هي إقطاع انتفاع لا ملك...¹

قام الخليفة عبد المؤمن بن علي بمصادرة كل ممتلكات وأراضي أمراء بني حماد وأعيانهم وحاشيتهم وتم تقسيمها وتوزيعها حسب الطبقات التي وضعت في كل حواضر المغرب الإسلامي وهي ثلاثة طبقات:

- الطبقة الأولى وهي السابقون الأولون الذين بايعوا ابن تومرت.
- الطبقة الثانية متمثلة في من آمن بهذا الأمر ودخل في هذا الحزب وانضم إلى الفتوحات التي استهلكت بفتح وهران.
- الطبقة الثالثة كل من ساهم في جميع الفتوحات الإسلامية.²

كما يذكر عبد الواحد المراكشي أن الخليفة عبد المؤمن بن علي لما فتح بجاية أزال بعض الإقطاعات التي كان يملكها بني هلال بل "...صيرهم جندا له وأقطع رؤوسائهم بعض تلك البلاد"³ وعليه أقحم الأعراب في الجيش الموحدية لمواصلة الفتوحات بالعدوتين حسب ما ذكره صاحب الصلاة وعبد الرحمان بن خلدون إذ يقول: "وأخل أفريقية من العرب وأجلهم إلى بلاد المغرب وادخرهم لحرب ابن مردنيش إن احتجت إلى ذلك"⁴ وبهذا استطاع المصامدة بث سيطرتهم على الأعراب وإقحامهم في المجال العسكري.

وهناك نوع آخر من ملكيات الأراضي اختص بها بعض الفقهاء كالفقيه أبو نجم هلال الذي: "كانت عيشته من مستغلات أرض كانت له محررة بظهير من قبل عبد المؤمن رحمهم الله وكان يصرف أكثرها في الصدقات".⁵ وبهذا عرفت بجاية الموحدية أنواع من تنظيمات وملكيات أراضي توزعت حسب الطبقات الاجتماعية والتي وجدت في كل حاضرة موحدية فمنها الأميرالية الخاصة بخلفاء الموحدين وشيوخهم وولاتهم وأخرى بكبار التجار والفقهاء ومنها لرؤساء أعراب بني هلال وإقطاعات أو إحسان خاصة بالجنود أو ما يسمى بإقطاع الجنود.⁶

¹الونشريسي، المعيار، ج9، ص73.

²أحمد عزوي، رسائل ديوانية موحدية، رسالة رقم 20، ص 63.

³عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص328، عبد الرحمان بن خلدون، العبر، ج6، ص 362.

⁴صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص112، 111، عبد الرحمان بن خلدون، العبر، ج6، ص 580.

⁵الغبريني، عنوان الدراية، ص170، 169.

⁶البركة أو الإحسان خاصة بغرباء من الجنود الموحدية، تمنح لهم ثلاث مرات كل سنة أموال أما الجنود الموحدين خاصة قوادهم فإنهم يقتطعون لهم إقطاعات، ينظر محمد حسن، المدينة والبادية، ج1، ص 321.

ب- **البستنة والغراسة**: استمرت بجاية في العهد الموحد بنظام البستنة والغراسة فكثرت أكثر جناحها وبساتينها وعمرت بالفواكه والثمار وجميع الخيرات،¹ وهذا ما أشار إليه العديد من الجغرافيين الرحالة الذين زاروا بجاية وتغنوا بجمال ثروتها الطبيعية كابن السعيد المغربي وأبو الفدا اللذان اتفقا على أنها تملك البساتين والمنازة والجنان،² فهي عبارة عن خزانة الزرع التي تدعم اقتصاد البلاد.

ت- **السقاية وتقنياتها ببجاية الموحدية**: بما أن بجاي تملك طاقة مائية ضخمة استحدثت المصامدة منشآت مائية لتسهيل عملية حفظ وجلب الماء كالقنوات والتحبيسات أو مَجْبَس³ والمواجل والأحواض كانت حاضرة لحفظ ماء المطر أو ما يسمى بالسبل⁴ وصهاريج لجمع الماء لسقاية الناس والدواب أيضا كالخيول والماشية.⁵ يذكر الغبريني أن سكان بجاية الموحدية شربوا من المواجل التي حفظوا فيها الماء خاصة لأيام القحط والجفاف التي كثيرا ما عاشها البجائيون كغيرهم من المجتمعات المغربية وأحيانا أخرى يلتجؤون إلى الوادي الكبير ويملؤون منه،⁶ أما بقية الوسائل الأخرى التي وظفت للسقي والسقاية فاستمر وجودها ببجاية وهذا لاشتراك المغاربة في نمط واحد في مجال السقاية وتقنياتها وإن اختلفت فيكون اختلافا بسيطا راجع لظروف معينة لكل حاضرة.

- الإنتاج الفلاحي:

بقيت الحبوب ملكة الإنتاج الفلاحي ببجاية خلال عهدها التاريخية الوسيطة إلى جانب الحنطة والزيتون والتين والفواكه والجوز وغيرها كثير بل وصل إنتاجها إلى الفائض فصدره الموحدون إلى خارج بجاية لا سيما أنها تملك ميناء ضخما أهلها أن تكون العاصمة الإقتصادية الثانية للموحدين.

¹ مؤلف مجهول، الاستبصار، ص 128، 130

² ابن السعيد المغربي، المصدر السابق، ص 142، أبو الفدا، المصدر السابق، ص 137، 136

³ المَجْبَس هو معلق الدابة ومجس الماء ما يمنع مروره في أنابيبه، ينظر: علي بن هادية، بلحسن البليش، الجيلالي بن الحاج يحيى، القاموس الجديد للطلاب معجم عربي، تقديم: محمود المسعدي، ط7، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1991، ص 1013، نجم الدين المهناتي، مياه الأمطار في المدينة في الغرب الإسلامي الوسيط، الندوة الدولية الثالثة المنعقدة بالمكتبة الوطنية بتونس أيام 15-16-17 نوفمبر 2007 (الماء والتعمير ببلاد المغرب في العهدين القديم والوسيط)، إعداد محمد حسن، ص 130.

⁴ السَبَل: هو ماء المطر الهاطل أما السمل أو السملة هو الماء القليل الباقي في أسفل الحوض، ينظر: علي بن هادية وآخرون، القاموس الجديد، ص 452، 486.

⁵ ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص 359.

⁶ الغبريني، المصدر السابق، ص 151.

كما شجّع المصامدة نوع من الصناعة الطبية وهي الصيدلة وما نعلمه من خلال المصادر أن حرفة الطب كانت شحيحة ببجاية رغم وجود مختلف أصناف النباتات الطبية بها إلا أن التطبيب غاب بشكل كبير في أوساط المجتمع البجائي.

بالإضافة إلى النباتات المختلفة وجود نسيج أخضر متمثل في غابات طالما كانت بمثابة حصن طبيعي للمدينة ومصدرا اقتصاديا هام كتوفير مادة الخشب الذي زاد الطلب عليه في العهد الموحد بسبب أنه عنصر أساسي في صناعة السفن التي كانت تصد هجمات القراصنة في منتصف القرن 6هـ/12م إلى غاية القرن 7هـ/13م.

الفلاحة الحفصية ببجاية:

- نظام الأرض ببجاية في العهد الحفصي:

كل الإقطاعات التي تحصل عليها الأعراب ببجاية منذ العهد الحمادي وأبقى عليها الموحدون استمرت ملكياتهم في العهد الحفصي بعد دخولهم في حكمهم.¹ أما نظام الملكيات السلطانية فوجودها لم ينقطع إلى جانب الملكيات الخاصة بالتجار والشيوخ فقد اختط الشيخ بني مربي يعقوب بن علي ضيعته في بجاية فحركة امتلاك الضياع والبساتين نشطت أكثر في عهدي السلطان الحفصي أبي فارس عبد العزيز والسلطان أبي عمرو عثمان² هذه الإمتيازات التي منحها السلاطين الحفصيون لرعاياهم كثفت من تواجد الطبقي وظهور أنظمة جديدة كنظام الخمس وعلى غثره جاءت تسمية "الخماس" وهو الذي يحصل على خمس الإنتاج مقابل خدمته للأرض، فهو "...يحرث وينقي ويرفع الأغمار ويحصد ويدرس وينقل السنابل إلى الأندر...يشترط عليهم القيام بالبقر والاحتشاش لها وعمل الحطب واستقاء الماء إن احتاج إليه..."³

فبجاية انتشرت بها هذه الوظيفة فكان الخماس كأجير يأخذ حصته من التين إلا ما يحتاج إليه لظمره في مطامير الحبوب.⁴

أراضي الظهير وأراضي الأحباس كانت بدورها سائدة في العهد الحفصي أما الأولى فقد كان السلاطين الحفصيون يقطعون أراضي لمن يؤدي خدمات للدولة وكانت هذه الأراضي لا تورث فهي حسب قول الونشريسي

¹ حسن محمد، المدينة والبادية، ج1، ص 53.

² صالح بعيزيق، بجاية في العهد الحفصي، ص128، حسن محمد، المرجع السابق، ص 74.

³ البرزلي، ج2، ص111، الونشريسي، المعيار، ج، ص151.

⁴ محمد حسن، المدينة والبادية، ج1، ص 428

"إعطاء منفعة لا إعطاء رغبة".¹ والنوع الثاني من الأراضي وجودها قديم ببجاية فوالي بجاية الأمير أبا بكر بن عبد الله قام بتوزيع أراضي الأحباس المساجد ببجاية الواقعة على الوادي على جيشه،² وإلى جانب هذا كله وبحكم مرور على مدينة بجاية عهد إسلامية طويلة عرفت خلالها أنظمة وأسس جديدة وحتى طرق سياسية في الحكم كامتلاك بعض الفئات من الطبقة المهمشة مثل العلوج³ الذين كانت لهم إقطاعات في بجاية في العهد الحفصي بسبب أن هذه الفئة صارت تحتل مكانة مميزة في المجال العسكري كقيادة الجيش هذا ما أهلها أن تكون لها امتيازات خاصة بما.

- المناخ: يذكر ابن أبي دينار في كتابه المؤنس ن بلاد أفريقية كثيرة البرد والأمطار وغالب الأوقات لا تخلو من السحب،⁴ وبجاية الحفصية بدورها كانت غنية بالتساقطات التي تؤثر على الغطاء النباتي ما ينتج عنه تنوع كبير في الإنتاج الفلاحي بالإضافة إلى غاباتها الشاهقة على ساحل البحر المتوسط،⁵ فالمناخ المتوسطي يستقبل تيارات مختلفة ويمتاز بمناخ معتدل.

- أساليب علاج الأرض وتهيتها:

الفلاحة هي صنعة تحتاج إلى علم بما وعلم فيها، حسب قول الطغغري في كتابه زهر البستان ونزهة الأذهان،⁶ وعليه لا بد من اتباع كل مراحل علاج الأرض لتحضيرها تحضيرا جيدا للإفلاح فيها من أجل نتائج مرضية فيما بعد

علاج التربة يكون أولا المحافظة على توازنها بين رطوبتها وبرودتها وحرارتها،⁷ فالتربة الجيدة غير الفاسدة تؤمن إنتاجا جيدا والعكس صحيح، فالتربة المالحة والعفنة وانجراف التربة وانغمارها في الماء وتشققها أيضا،⁸ كلها عوامل تؤدي إلى فقر وضعف من الإنتاج الفلاحي، فأول خطوة يقوم بها الفلاح حسب مهاراته والنظام المتبع له قديما أن يعمل على تخصيب أرضه وهذا باستعمال بقايا الحيوانات والنباتات والحشيش وأوراق الشجر فبعد تعفن كل هذه

¹ الونشريسي، المعيار، ج10 ص120

² بعيزيق صالح، بجاية في العهد الحفصي، ص128.

³ برنشفيك، تاريخ أفريقية، ج1، ص47

⁴ ابن أبي دينار، المؤنس، ص16

⁵ حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص50.

⁶ الطغغري، زهرة البستان ونزهة الأذهان، ص233

⁷ بوتشيش قادري ابراهيم، الندوة للفلاحة والتقنيات الفلاحية بالعالم الاسلامي خلال العصر الوسيط، ص223.

⁸ نفسه، ص ص224، 225، 226

المواد لفترة طويلة يتحصل على ما يسمى "الذبال" فيكون جاهزا لتخصيب الأرض بعد تفريشه وتوزيعه بها، فهذه العملية المراد منها رفع الضرر عن الأرض من جفافها وضعفها للوصول إلى مستوى إنتاج فلاحي غني وسليم. تسبق عملية التخصيب عملية قلبها مرات عديدة من أجل تهويتها بالإضافة أيضا إلى التسميد ودرسها ونقل الماء إليها وأيضا إزالة الأعشاب الضارة لأنها إن تركت تصبح نباتات متطفلة على حساب المواد العضوية المخصصة للتربة،¹ وبعد اتباع كل هذه الطرق يتحصل الفلاح على تربة صالحة وجاهزة للزراع.

- الإنتاج الفلاحي ببجاية الحفصية:

استمر الإنتاج الفلاحي مرتفع ببجاية وهذا ما كان عليه منذ العهد الحمادي ثم الموحدوي واستمر حتى العهد الحفصي الأول لأن بجاية تملك كل الطاقات الطبيعية المتنوعة وحتى اليد العاملة الخبيرة هذا ما جعل لها الريادة في مجال الفلاحي، لكن سرعان ما شهد تراجعا كبيرا في نهاية القرن 7هـ/13م بسبب أزمات أثرت سلبا على المردود الفلاحي هذا التقهقر سببه قلة المساحة الزراعية وتوسع البساتين،² ففي عهد السلطان الحفصي أبي فارس نشطت حركة البستنة، كما شهدت بجاية كغيرها من حواضر المغرب الإسلامي كوارث وجوائح طبيعية كالجفاف والقحط وغيرها فكانت بمثابة عراقيل أعاققت الإفلاح والفلاح ببجاية ناهيك عن الغزو الإسباني الذي سيعطل هذا النشاط وغيره أيضا.

أما نظام السقاية ببجاية الحفصية تمثل في المناوبة في سقي أراضيهم ومزارعهم من أجل تجنب النزعات.³ لكن الأمر الذي أزهق فلاحه ببجاية بدرجة أكبر هو غزو بنو غانية سنة 580هـ/1183م فساءت أحوال الناس وانتشرت الأمراض ونقصت المواد الغذائية التي ترتبت فيها ارتفاع الأسعار،⁴ وبعد انقضاء دولة المصامدة تدخل ببجاية في خير اتسم بين المد والجزر في ديمومة وجودها، فبداية القرن 7هـ/13م كانت تابعة لبني حفص وما إن انقضى هذا القرن استقلت عن الهنتاتيين ثم بعدها حاصرها المرينيون وكانت من بين أطماع الزيانيين وبقيت على هذا الحال حتى نهاية القرن 9هـ/15م إذ تعرض ساحلها سنة 915هـ/1510م للغزو الإسباني الذي ستعرض له ببجاية من خلاله إلى الاستبداد والبطش والفساد لسنوات طوال.

¹ النكادي يوسف، من نفس الندوة، ص 245.

² حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 52

³ الونشريسي، المعيار، ج10، ص 275.

⁴ ابن عذارى المراكشي، البيان، ص 181.

كل هذه العوامل والأسباب حركت طاحونة الأمراض وانتشار الأوبئة والأمراض والجوائح الطبيعية وحتى الآفات الاجتماعية من بين ما تعرضت له بجاية وبسبب أكبر نجد مرض الطاعون الفتاك والأوبئة والمجاعة والقحط والجفاف أفرزت كلها نتائج وخيمة على المجال الاقتصادي والاجتماعي للمدينة لأن الناس يقبضون أيديهم عن الفلح حسب قول عبد الرحمان بن خلدون: "... إن المجاعات والموتان تكثر عند ذلك في أواخر الدول والسبب فيه إما المجاعات فليقبض الناس أيديهم عن الفلح في الأكثر بسبب ما يقع في الآخر (الدول) من العدوان في الأموال والجبايات أو الفتن الواقعة في انتقاص الرعايا وكثرة الخواارج لهرم الدولة فليقل احتكار الزرع غالبا".¹

وبالتالي نقص في الإنتاج الزراعي الذي يؤدي إلى غلاء المعيشة وظهور طبقة مهمشة كالمسولين والمتشردين والعاطلين واللمصوص الذين يهددون استقرار المدينة فانتشرت بذلك المجاعات والقحط والجفاف وغيرها من الأزمات.

ففي سنة 524هـ-25/1229-1131م أصاب المغرب القحط والجفاف كما أقرّ ابن الزيات التادلي عن مجاعة أصابت بجاية في العهد الحمادي "كنا ببجاية فأصابتنا من بين ما أصاب بجاية من جفوف وقحط ومجاعات يذكر لنا ابن الزيات التادلي عن مجاعة حدثت في العهد الحمادي وسببها جفاف فيقول: "كنا ببجاية فأصابتنا مجاعة شديدة..."² ولم تكن أو لمجاعة وآخر مجاعة تعرفها بجاية بل أشار الغبريني إلى مجاعة أخرى يحدثنا عن الجفاف والمجاعة التي أصابت سكان بجاية أحد الفقهاء الذين أدرجهم الغبريني في مصدره وهو الفقيه أبو الحسن علي بن أحمد الحسن بن إبراهيم الحرالي التجيني " قال: "... كنت ببجاية فأصاب الناس جفوف عظيم وقلّت المياه وجفت أمسيون وصل الزق إلى أربعة دراهم وكان الناس يملؤون من الوادي الكبير"³ تبين لنا من خلال هذا القول أن بجاية بسبب الجفاف وقلة المياه نتج عنه غلاء المعيشة وهذا بارتفاع أسعار المواد الغذائية فالقحط والمجاعة تكون مقرونة بالجفاف الذي نتج عن تذبذب مناخي وجراء هذا التقهقر ولد مجموعة من الأمراض والأوبئة الفتاكة كوباء الطاعون الذي كان يهدد مدينة بجاية من حين لآخر.

فالطاعون أو ما يسمى أيضا بالوباء العظيم والفتاك وبالطاعون الجارف وهو مرض عام للناس قتال في الغالب،⁴ يصفه لنا ابن أبي حجلة التلمساني في أحد أبياته فيقول فيه:

¹ ابن خلدون، المقدمة، ج1، ص 367.

² ابن الزيات التادلي، التشوف إلى رجال التصوف، تصحيح: أدولف فور، الرباط 1958، ص 448.

³ الغبريني، المصدر السابق، ص 151.

⁴ الرصاع، الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية 886هـ/1481م، تحقيق ودراسة: محمد حسن، ص103، الزركشي، تاريخ الدولتين، ص 175.

أرى الموت بالطاعون عم صغارنا *** وخصّ من الأعجام شيخنا معظما

فما كان موت الركن فيهم بهيمن *** ولكنه بنيان قوم تهدما.¹

وعليه هذا الوباء نتيجته حتمية متمثلة في حصد أرواح الناس من جميع الأعمار، وهذا بسبب ما يحتويه من جراثيم وتعفنات تؤدي إلى جفاف الجلد وارتفاع الحرارة وصعوبة في التنفس وتصلب الشرايين نهاية هذه الأعراض الموت الأكيد.

وهذا جدول فيه الطواعين التي عرفت بها بجاية خلال السنوات التي مرت عليها:

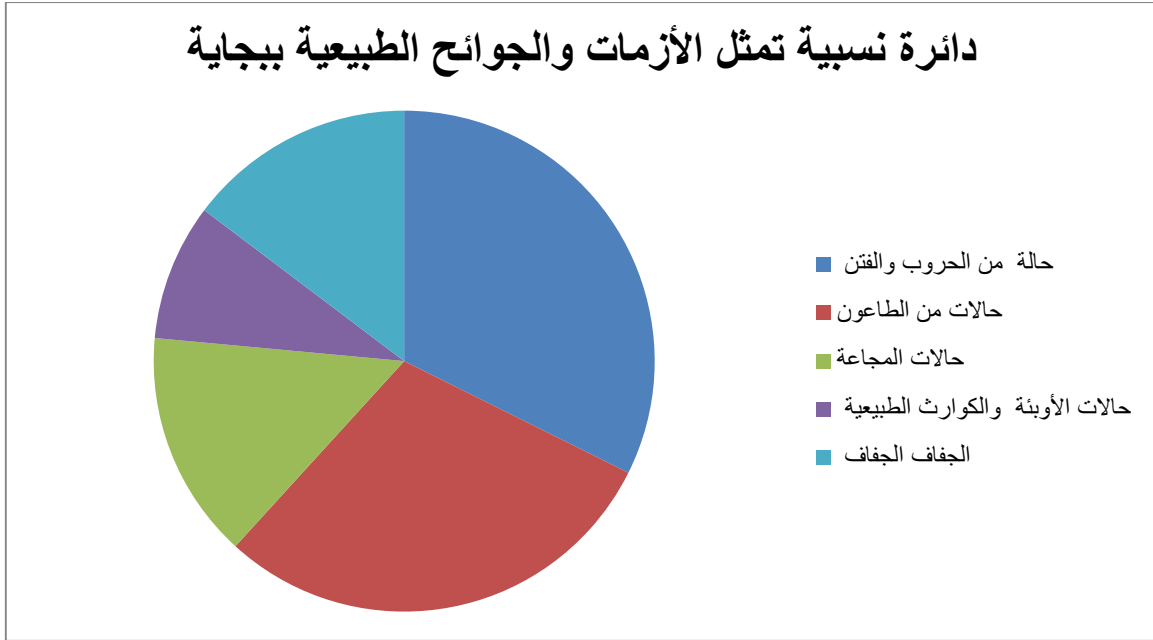
المصدر	وباء الطاعون	السنة
ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 255	x	1237/هـ/635م
نفسه، ص 409.	x	1294/هـ/693م
مفتاح خلفات، المرجع السابق، ص 431.	x	1315/هـ/714م
ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص 265 ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير وعز الحقير، ص 47	x	1349-1347/هـ/749-748م
الزركشي، تاريخ الدولتين، ص 141.	x	1443-1440/هـ/847-844م

حسب ما ذكره حسن الوزان أنه يظهر الوباء في البلاد البربرية على رأس كل عشر سنوات أو خمسة عشر سنة أو خمسة وعشرين سنة² فهذا الإحصاء يبين أن كارثة الطاعون كانت تهدد المجتمع البربري من فترة لأخرى والذي انجر حصاد أرواح أفراد من مختلف الطبقات من الأعيان والعلماء وفقراء فلم يسلم أحد منه. نجد أيضا إلى جانب الطواعين انتشار الآفات الاجتماعية كشيوع الشعوذة والسحر هذا الأخير جاء نتيجة زعم بعض السكان أن وجود مثل هذه الجوائح والكوارث بسبب وجود قوة خفية تحركها وبذلك انتشرت هذه الآفة ناهيك

¹ أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يحيى ابن أبي حجلة التلمساني، ديوان ابن أبي حجلة، تحقيق ودراسة: مجاهد مصطفى بهجت، كنوز للنشر والتوزيع، تلمسان، الجزائر 2011، ص 301.

² حسن الوزان، المصدر السابق، ص

عن ظهور قطاع الطرق واللصوص وعادات سيئة أخرى كالسكر والعاشرات وغيرها كل هذه العوامل ساهمت في تقلص وعجز في المجالات الحيوية لبجاية والفلاحة واحدة منها.



نلاحظ من خلال هذه الدائرة النسبية التي تمثل نسب متفاوتة في الجوائح الطبيعية والأزمات التي مرت بها بجاية عبر عقودها التاريخية أن الجزء الأكبر من الدائرة هو خاص بالحروب والفتن السياسية وهذا دليل على نسبة الحروب التي عرفت بها بجاية منذ عهد الحمادي إلى غاية نهاية العهد الحفصي ثم الغزو الإسباني هذه الظروف السيئة سببت ظهور جوائح و أمراض وآفات مختلفة أدت إلى القلة في الإفلاح وبالتالي عزوف الناس وهجرتهم إلى مناطق أخرى للبحث عن مورد آخر كما تقلص بدورها التجارة والتبادلات فتصبح المواد الغذائية ذات أسعار عالية فتنتشر بذلك الأمراض من من قلة الغذاء والهواء الفاسد من كثرة الحروب.

أما ثاني نسبة تلي نسبة الحروب والفتن هي نسبة الطواعين ثم تأتي نسبة الجفاف وبعدها الأوبئة والكوارث الطبيعية هذه الأخيرة طاقة غير منتظمة يرافقها زيادة في الفوضى حسب منظور الفيزيائيين فالتحول الطبيعي يستهلك من الطاقة المنتظمة وبالتالي تؤدي إلى كوارث مختلفة.

وليس فقط هذه الظواهر هي المسبب الوحيد الذي يعطل ويحطم الفلاحة بل حتى الاستبداد فهو يولد الفساد عامل قوي في إعاقة المجال الفلاحي.

نخلص في الأخير أن الفلاحة ببجاية عبر عهودها الثلاثة كانت بمثابة المحرك القوي في رفع من مستوى الاقتصادي للمدينة برغم من العراقيل والعوائق المختلفة الذي شهدها هذا المجال إلا أنه بقي ركن اساسي في بنيان المدينة كما لا نستبعد دور الأندلسيين في تطوير الفلاحة بالمدن والحواضر المغربية فهم جلبوا أصناف وأنواع عديدة من النباتات والزيروعات كنبته الزعفران الأندلسي الذي كان موجودا بمدينة أبه فالأندلسيين كانوا سابقين في تطوير وتحسين هذا المجال فمن أبرز مهندسي وعلماء الفلاحة الذين أسسوا المدرسة الزراعية الأندلسية خلال القرنين الخامس والسادس للهجرة نجد كل من محمد بن ابراهيم بن بصال صاحب كتاب الفلاحة وكتاب المقنع في الفلاحة لأبي عمرو أحمد بن محمد بن حجاج الإشبيلي وكتاب الفلاحة لأبي الخير الإشبيلي وأيضا زهرة البستان ونزهة الأذهان للطغثري وكتاب الفلاحة لأبي زكرياء يحيى بن محمد بن أحمد بن العوام الإشبيلي وغيرها كثير من المؤلفات والأعمال التي كانت مصدرا لكثير من المجتمعات لا سيما البربرية التي هي مجتمعات فلاحية بدرجة الأولى فالفلاحة لازدهارها وتطويرها لا بد أن تتبع أربعة أركان التقيد بها عند كل فلاح في إفلاحه لأرضه وهي الأرض والماء والزبل (الذبال) العمل حسب ما جاء في أرجوزة ابن ليون التجيبي.¹

وهي الأرض والمياه والزبول***والعمل الذي بيانه يطول

أما في ما يخص تنظيم وترتيب البساتين والمنايا يواصل القول في أرجوزته:

تنظر للقبلة والباعل***قرب وللصهريج والبشر أعثلا

أو عوض البئر تكون ساقية***بالماء من تحت الظلال جارية

وماله بابان فهو أستر***وراحة الساكن فيها أكثر

فجميع الآليات الفلاحية الأندلسية انتقلت إلى المغرب الإسلامي عن طريق الرحلات العلمية أو توافد الأندلسي على شمال أفريقيا واستطاعهم في حواضره وبجاية واحدة من الأكوار التي مكث فيها الأندلسيون فاستفادت بدورها من تقنيات فلاحية مختلفة التي جلبوها كنظام البستنة وطرق الري.

¹ألف أرجوزة في الفلاحة بما 1300 بيت ولقد تتلمذ على يده لسان الدين ابن الخطيب وابن رشد الفهري وغيرهم توفي ابن ليون بالميرية سنة 750هـ/1349م إثر طاعون ينظر: المقري، نفع الطيب، ج5، ص 543.

وعليه كل التدابير والتقنيات المختلفة المحلية منها والإقليمية التي عرفتـها بـجاية في مجالها الفلاحي كان لها إسهام قوي وفـعال في ميدانها الإقتصادي وكما أسلفنا الذكر أن معظم المحاصيل الفلاحية كانت تصدر خارج المدينة وهذا إن دل على شيء إنما يدل على القوة الإقتصادية التي وصلت إليها بـجاية.

الفصل الثاني : المهن و الصنائع بجاية خلال القرن (5هـ-9هـ/11م-

15م)

أ- النشاط المهني و الصناعي

ب- العوائق و العراقيل

ج- التنظيمات المهنية

د- الدور الاقتصادي و الاجتماعي للمهن و الصنائع بجاية

مثلت الصناعات كغيرها من القطاعات عصب الحياة الاقتصادية فقد امتنهن أهل بجاية ألوانا عديدة من الصناعات حسب قول الإدريسي: "...بها من الصناعات والصناعات ما ليس بكثير من البلاد... ومن الصناعات كل غريبة ولطيفة..."¹ وعليه تزايد الصناعات مقرون بتمدن المدينة واتساع صناعاتها وعمرائها وبالتالي تزايد فيها الأعمال التي تفرض دواعي وأحوال جديدة لا بد من مواكبتها، إذا يقول ابن خلدون في هذا الشأن: "إذا زخر بحر العمران وطلبت فيه الكمالات كان من جملتها التأنق في الصناعات واستجادتها فكمثلت بجميع متماتها وتزايدت صناعات أخرى معها مما تدعوا إليه عوائد الترف وأحواله من جزار ودباغ وخرزاز وصنائع وأمثال ذلك"² فالجتماع الحضري كمدينة بجاية اتسم بشساعة هذا المجال عكس المجتمع البدوي، فصناعاته ذات مستوى فقير بسبب مجاله الضيق، فمثلا بجاية شهدت منذ تأسيسها تطورا كبيرا في العمران الذي بدوره استقطب إليه تعميرا سكانيا بمختلف الطبقات الاجتماعية ما أهل المدينة أن تتعرف على ميولات جديدة من الصناعات عبر أزمنتها التي مرت عليها تعهدتها في الفترة الحمادية والعهد الموحدى والعهد الحفصي فأثرت وتأثرت، فما هي هذه الصناعات المختلفة التي اشتهرت بها بجاية؟ وهل حافظت على طابعها المحلي البجائي أم امتزجت بطابع إقليمي آخر؟ وإلى أي مدى ساهمت الصناعات في تطوير اقتصاد البلاد من جهة واقتصاد العهدين الموحدى والحفصي من جهة أخرى؟ وهل كان لصناعات بجاية وحرفيها تأثير في الأسواق الخارجية؟

بحكم أن بجاية من المدن المغربية الغنية بثرواتها الطبيعية المتنوعة جعلتها تحظى بفسيفساء متنوعة من الصناعات البسيطة وغير البسيطة فهي تملك أراضي خصبة قدمت لها أجود إنتاج فلاحى وبالتالي توفير طاقة غذائية قابلة للتصنيع كما تتوفر فيها حزام أخضر المتمثل في غاباتها المحيطة بها التي تمدها بمواد طبيعية كالخشب والنباتات المختلفة الطبيعية منها والغذائية والنسيجية ناهيك عن تربية النحل المنتشرة في غاباتها والتي بدورها توفر مادة العسل من جهة

¹ الإدريسي زهرة المشتاق، ص 95

² عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، ج2، ص 483-482.

وشمعه من جهة أخرى، فكيف لمدينة كجاية تملك مثل هذه المواد الأولية أن لا تتوفر فيها عجائب الصناعات ولطائفها.

أي حضارة من الحضائر لسيما المغربية، تتفرع إلى قسمين من الصنائع الضرورية منها والبسيطة حسب قول عبد الرحمن ابن خلدون وهي التي تختص بالضروريات، والقسم الثاني المركب هو الذي يكون للكفايات.

فمدينة بجاية عرفت هذا النوع من النشاطين البسيط وغير البسيط (الضروري والمركب) وكانت له إفرزات على جميع المستويات.

-النشاط المهني و الصناعي :

1- مهنة البناء: هذه الحرفة من الضروريات في كل الأمصار، فبموجبها يتم ترقى في سلم العمران، فالبنية التحتية هي من بين الشواهد والمقاييس الهامة لمختلف مظاهر الحضارة.

فبجاية تتميز بموقع جغرافي هام وبآلية جيولوجية غنية بمواد طبيعية متنوعة توفر المادة المحلية التي يحتاجها البناء من حجارة وطين وتربة وحديد وخشب وغيرها من المواد الأولية وبسبب هذه الثروة الطبيعية انتعشت العمارة بمختلف أقسامها ببجاية بالإضافة إلى تشجيع الملوك والأمراء على مهنة البناء، فالناصر بن علناس جلب العمال والصناع من كل نواحي المدينة لتشييد وتعمير وبناء مدينة بجاية وبالفعل زينت المدينة بأبهى القصور وأعجبها إذ يقول في هذا الصدد صاحب الإستبصار: " قصور من بناء ملوك صنهاجة لم يروا أحسن منها بناء ولا أنزه موضعا..."¹

¹ مؤلف مجهول، الاستبصار، ص. 210، عبد الرحمان ابن خلدون، ج6، ص 254، الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 96.

كما عرفت بأسوارها الحصينة ومنازلها ومساجدها وفنادقها ومراكز التجارة وبناء المرافق لتنشيط الحركة الاقتصادية بها إلى سدودها وقنوات المياه والمطامير لحفظ الحبوب.¹

لم يوجد ببجاية البناؤون الصنهاجيون فقط بل في مطلع القرن 6هـ/12م توافد عليها بناؤون من مختلف نواحي المغرب الإسلامي الذين زادوها رونقا في عمارتها فدمم الموحدون دعائم قصبه بجاية التي هي الآن مزيج بناء بين عمل الموحدين وعمل الإسبان وهذا ما تؤكد مواد بناء تم تحليلها من كرف الخبراء.

استمرت مهنة البناء في بجاية عبر العصور التي توالى عليها وبحكم التفاعل الاجتماعي نتج عنه أو خلق لنا علاقة تأثير وتأثر بين هؤلاء الحرفيين من سكان صنهاجة والمصامدة والحفصيين وحتى مع الأندلسيين عرف من خلالها بناؤو بجاية أنماطا جديدة في هذا المجال وحتى مواد جديدة أما مواد وأساليب البناء التي اعتمد عليها بناؤو بجاية فهي عديدة منها مادة الطين الذي هو عنصر أساسي في عملية البناء ومنه نتجت منه الصناعة الطينية التي تمر بعدة مراحل لتحصيل على مادة صلبة تتحمل العوامل المناخية.

فالطين يتم حرقه فيمكن أن يصنع منه الطوب والآجر والقرميد هذا الخير استعمل في تزويق المساجد فهي أيضا مواد أساسية للبناء، كما استعمل الخشب إما كأعمدة لركائز البيت أو في السقف أو نوافذ البيت كذلك الحجارة والصخور وظفت في البناء كغيرها من المواد وفي الرخام يعتبر من بين الحجارة الصلبة نجد الرخام بالجامع الأعظم ببجاية الذي استعمل لكساء الجدران كما صنعت منه أعمدة المسجد بل وظف أيضا في المباني الضخمة كبلالط لأرضياتها.

¹ الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 97.

بالإضافة إلى مواد أخرى كالجص والجبس والحديد والجير وغيره التي كملت مواد البناء، هذه الأخيرة سرعان ما انتقلت من البسيطة إلى المركبة كالنقش على الخشب وتنميق وتزيين الحيطان وتشكيل من الجص والتلوين والزخرفة.

2- صناعة الورق والوراقون: لم يعرف المسلمون الورق¹ إلا في منتصف القرن الرابع هجري، فالشائع عندهم كان ورق البردي² أو الرق³ وبعد انتشار هذه الصناعة بدأت كتابة المصاحف على الورق وتدوين العلوم بمختلف تخصصاتها على هذه المادة التي بفضلها انتشر العلم وظهرت من خلاله أمهات الكتب ونسخها فهي سهلة الصنع وزهيدة الثمن.

أما المغرب الإسلامي فانتشار صناعة الورق فيه كانت متأخرة إلى غاية بداية القرن 6هـ/12م أي في العهد الموحي الذي بلغت فيه هذه الصناعة شأنًا كبيرًا وهذا لكثرة مصانعها⁴ وكانت ببجاية من حواضر الدولة الموحدية التي استفادت من هذه الصناعة فالمادة الأولية لها كانت متوفرة ببجاية حيث أن صناعة الورق تتصل بالمنسوجات لأن الورق كان يصنع في المغرب من الكتان وبالتالي ازدهرت هذه الصناعة بانتشار صناعة الورقة التي تشمل صنع الورق من جهة ونسخ الكتب وتجليدها من جهة أخرى فبجاية كانت معروفة بإبداعات وراقيةا وخطاطيةا فنجد في كتاب عنوان الدراية للغبريني جملة من الوراقين الذين اهتموا بهذه المهنة إذ لم نقل بهذا الفن الذي لم يكن منحصرًا في نسخ الكتب

¹ الورق تم اكتشافه بعد دخول المسلمين لسمرقند التي وجدوا بها مصنعًا لصناعة الورق فنقلوه إلى حواضر الشام وكان أول مصنع للورق في عهد هارون الرشيد العباسي سنة 178هـ/794م ثم انتشر في الغرب الإسلامي وأصبحت الشاطبية تضاهي بغداد في صناعة الورق، ينظر: المخطوطات الإسلامية، ص 28-29.

² البردي: هو عبارة عن نبات يتوزع في منطقة النيل وسوريا وصقلية وكان بالأخص مشهورًا بمصر القديمة دونوا عليه أحداثهم وانتصاراتهم فهو له طريقة في صفه فأوراقه تحوي على شرائح يتم لصقها ودقها ثم جمعها مشكلة صفحات في الأخير يتم بعدها الكتابة عليها، ينظر: كتاب المخطوطات الإسلامية وزارة الثقافة، تلمسان، عاصمة الثقافة الإسلامية 2011، ص 26.

³ الرق: أو الجلد الفوق بينهما في الشكل النهائي المحضر للكتابة فالجلد يبقى على وضعه الأصلي وللحفاظ عليه أكثر يدبغ حتى لا يتعفن أما الرق فتقام عليه التنقية من كل شوائبه ثم يشد لفترة معينة من أجل بسطه وبذلك يكون قد جهز للكتابة وحتى التحليل، ينظر: كتاب المخطوطات الإسلامية، ص 27.

⁴ محمد منوني، العلوم والأدب والفنون على عهد الموحدين، ص 250

وتجليدها بل فاقت هذا الحيز إذ اعتنوا بجمالية الكتاب وتجليده وصناعته المنقوشة بمختلف الزخارف ومختلف الألوان بل عملوا على تذهيب الكتب، كما وضعوا آلية تحفظ الكتاب مدة طويلة وهي أنهم أحكموا غلقه وهذا بوضعهم على حافة الكتاب الأمامية قفلا.

أما عن وراقي وخطاطي بجاية فنجد الوراق "أبو عبد الله محمد بن ادريس الجزائري" الذي اشتهر: "...بمليح الكتابة حسن الوراق في البطاقة..."¹ وأما الخطاطون الشاعرة والخطاطة عائشة بنت عمارة² وكان لها خط حسن³ وكذلك من الخطاطين أبو محمد عبد الحق بن ربيع بن أحمد بن عمر الأنصاري البجائي الذي كان متضلعا في علوم عديدة إلى جانب أنه يملك خطا جميلا حسب قول الغبريني: "وكان ابن مقلة زمانه له خطوط جميلة وهو في كل واحد.

3- صناعة الشمع: تزخر بجاية بشروة غابية كبيرة يتخذها النحل بيوتا له ما جعل مادتي العسل والشمع متوفرة بكثرة في أسواق بجاية التي هيأت بدورها لتصنيع مادة الشمع بهذه الصناعة أكسبت بجاية شهرة داخل أوساطها وخارجها، مما أدى إلى جذب تجار أوروبا خاصة تجار إيطاليا الذين أخذوا هذه الصناعة ونقلوها إلى ديارهم ومن ثم إلى أوروبا، إذ أطلق الفرنسيون على بجاية اسم Bougie أي الشمعة،⁴ ومن خلال هذه الصناعة المهمة التي زادت من بجاية الصادرات من جهة والأمن والاستقرار من جهة أخرى إلى جانب تصديرها للشمع أدى إلى تدعيم ركائز

¹ الغبريني، عنوان الدرية، ص 154

² سنأتي ترجمتها في فصولها القادمة من المذكرة

³ الغبريني، عنوان الدراسة، ص 79.

⁴ صالح أبو دياك، المرجع السابق، ص 224.

اقتصاد المدينة، فمن بين الوثائق التجارية الأوربية التي تدل على استيراد الأوربيين هذه المادة نجد وثيقة رقم 7111 مؤرخة في أواخر القرن 7هـ/13م تنص على أن بجاية اشتهرت بهذه الصناعة.¹

ثم نتجت عن هذه الصناعة حرفة الوقاد وهي تعني بالقناديل إشعال والمصاييح والشموع من الزيت في المدينة فكانت شوارعها وفنادقها ومساجدها ودكاكينها تعمّ فيها الإنارة في الليل وهذا من أجل كما ذكرنا أننا الحفاظ على أمن المدينة التي كانت تشهد توافد الزوار والغرباء عليها ليلا ونهارا والوقاد حسب ما جاء عند الونشريسي أنه كانت له أجرة يتقاضاها ببجاية.²

ومن أجل تلطيف رائحة الشمع المحترق في البيوت والمساجد خاصة وغيرها من العمارات كان يخلط الشمع مع أنواع العطور والنباتات العطرية كالعنب والمسك والكافور.

4- مهنة الكناسين: وفرت حركة اقتصادية متمثلة في التبادلات السلع داخليا وخارجيا بحكم المحيط المساعد لهؤلاء التجار هذا من جهة، كما استقطبت أيضا أهل العلم من جميع التخصصات والدرجات هؤلاء الذين يبحثون عن الأمن والاستقرار والمكان الملائم لنشاطهم العلمي ورسالتهم التعليمية كما أن نظافة أي مدينة تؤدي إلى توافد الناس عليها مما يؤدي إلى التوسع العمراني بها.

كل هذه اعمال توفرت في بجاية بفضل جهود فقهاء وزهادها الذين حرصوا بأنفسهم على تنظيف المدينة وتنقيتها من جميع الأوساخ ليتمكن البجائي العيش في ظروف صحية جدا بعيدا عن الأمراض الخطيرة، فكان الغلمان أيضا يبهرون في تنظيف وتنظيم الشوارع والإصطبلات التي بها أكداسا من الزبل هذا الأخير الذي وظف كوقود

¹ صالح بعيزيق، المرجع السابق، ص 143.

² الونشريسي، المعيار، ج8، ص 258.

لتسخين الحمامات البجائية،¹ فنظافة محيطين ليس بشيء الجديد على المسلمين بل هو قائم في قرءانا الكريم فديننا دين طهارة وورع ونظافة فهذه هي صفة كل مسلم.

5- مهنة السقي والسقاية: اهتم سكان بجاية بإنشاء منشآت للري، وهذا من أجل تدعيم القطاع الإقتصادي بالمدينة في المجال الفلاحي والصناعي وغيره بالإضافة إلى حرصهم الشديد من الوقوع في القحط والجفاف الذي كان يهدد المغرب الإسلامي من حين لآخر فتمثل هذا الاهتمام في حفرهم الآبار والقنوات إلى جانب المواجل والصهاريج الجباب التي وظفت لحفظ مياه الأمطار الغزيرة وعليه توفرت بذلك المنشآت المائية ببجاية التي ساهمت في ظهور مهنة السقاة هؤلاء كانوا ينقلون الماء من المواجل والسواقي إلى مكان السقي كالأراضي الزراعية وملاً أمكنة شرب الدواب، وإيصال الماء إلى دور الصناعات، كما انتشر السقاة والسقاؤون في بجاية يبيعون المياه الباردة في فصل الصيف وكانت لهم طرق لحفظها باردة حتى تصل إلى صاحبها كوضع الثلج أو لف الجليد الصناعي في المناخ الصحراوي، وهذا يدل على براعتهم التي لم يسبقهم إليها أحد، بينما الأوربيون دخلتهم هذه الصناعة إلا في المنتصف الأول القرن السادس عشر ميلادي.

6- مهنة الحطابين: بحكم أن الناصرية كما ذكرنا آنفا تحوي على غطاء نباتي هائل توفر بها الخشب الذي استعمل في الكثير من الصناعات، لكن هذه المادة النفيسة كان لابد من وجود يد عاملة تعمل على توفيرها فبدون الحطابين لا نستطيع الحصول على الخشب من مواقعه المختلفة فقد سهّل الحطابون هذه العملية التي تقوم على وسائل بسيطة في قطع الأشجار كالفؤوس وقطع أخرى حادة ثم يتم جمع هذه الجذوع وتصنف حسب طولها وترتب ثم تنقل من طرف الحطابين إلى الأمكنة التي تحتاج إليها.

¹الوزان حسن بن محمد الوزان الفاسي، المعروف بليون الأفريقي، وصف أفريقيا، ترجمة: محمد الحجى محمد الأخضر، ط3، بيروت، دار الغرب الإسلامي 1983، ص 229.

7- مهنة الحمالين: انتشر الحمالون في كل أنشطة المدينة فمنهم من يحمل البضائع التجارية من الموانئ والوكالات التجارية ومنهم من حملها من دور للصناعات إلى الأسواق والحوانيت وحتى خارج بجاية إلى المدن المجاورة فمنهم من حمل الزبل قصد الحفاظ على نظافة المدينة ولم تقتصر مهنة الحمالين على الرجال فقط بل امتهنت المرأة هذه المهنة أيضا فكانت تحمل الطحين على رأسه لطفه عند الفرن، بالإضافة إلى حملها رزم الثياب من أجل غسلها بمياه الآبار والعيون،¹ فهذه المهنة مارسها الفقراء والمحتاجون لاكتساب قوت يومهم فكانوا يتقاضون أجورا قبل قيامهم بحمل البضائع أو بعد انتهائهم من نقلها، ثم تطورت هذه الحرفة التي كانت فردية إلى جماعية وهي أن الحمال يتقاسم حمل البضاعة مع حمال آخر فمثلا إذا كانت البضاعة تنقل إلى مكان آخر بعيد فيتقاسم الحمالون المسافة بينهما، لكن هذه العملية تسببت في الكثير من النزاعات حسب ما جاء في نوازل الونشريسي،² لظهور الإهمال والتسيب في هذه المهنة المهمة في المجتمع البجائي.

8- صناعة الساعات: الساعات الرملية والمائية والساعات الميكانيكية تصنف في العلم آلات الروحانية فهذا العلم اهتم به المسلمون لأهميته فن معرفة التوقيت لوقت الصلاة وقبلها فأقاموا مساجدهم وقصورهم ودورهم ومراكزهم التجارية لاحترام المواعيد فهذه من سمات المسلم وأكد أن المجتمع البجائي عرف هذا النوع من الصناعات لاحتياجهم الشديد لمعرفة وقت الصلاة وإبحار سفنهم والسفر وغيرها، فكانت تقسم الأوقات تحسب اختلاف الفصول.

¹الغبريني، عنوان الدراية، ص 165.

²الونشريسي، المعيار، ج8، ص 184.

9- الصناعة المعدنية: تحتاج هذه الصناعات إلى مواد أولية ومدينة ببجاية غنية بالمعادن ومناجم الحديد،¹ قد اشتغل ساكنوها هذه الثروة في صناعات شتى من أجل توفير حاجياتهم اليومية ووسائل وأدوات أخرى تدخل في المجال الإقتصادي والعسكري والاجتماعي.

فمثلا الحديد بعد تخرجه وتصنيعه له منافع عدة في حياة الإنسان إذ قال الله تعالى في محكم تنزيله: "وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ"² وبالتالي وفرت هذه المادة مختلف الصناعات كصناعة الأسلحة المتنوعة مثل السيوف والسروج والرماح والسهام والدروع والعربات الحربية والمنحنيقات، كما ساهمت في صناعة نقلات السفن على نوعيها الحربية والتجارية فتمثلت آلاتها في المراسي والمسامير والسلاسل وآلات الحدادة كالمزليج.

كما أن أبواب بجاية الضخمة ومقارعتها وأقفالها معظمها صنع من مادة الحديد الصلب لحماية أكثر المدينة وكانت توضع بجانب أبوابها لافتات من حديد تبين عليها وظيفة كل باب من أبوابها.

إلى جانب هذا كله نجد صناعة الثريات التي زينت بها مساجد المدينة وقصورها بالإضافة إلى القناديل والمباخر والشمعدانات والمصاييح والمزهريات والصواني هذه التحف أثرت الجانب الجمالي للحياة الاجتماعية ببجاية عبر عصورها من الحمادي إلى نهاية العهد الحفصي وحتى مطبخ المرأة البجائية لم يخلوا من أدوات الشرب كالكؤوس ومن السكاكين والأواني والأباريق والقصاع والقذور والإبر وغيرها الكثير، هذا عن مادة الحديد أما مادتي البرونز والنحاس كانتا لهما صناعات كثيرة خاصة بها منها صناعة السكة ووواني نحاسية كما استعمل النحاس والبرونز في السقوف والأسلاك والمكابيل والموازين للوزن والقياس إلى جانب هذه المعادن هناك نوع آخر من المعادن تسمى بالمعادن النفيسة

¹ الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 63.

² سورة الحديد، الآية 25

تتمثل في الذهب والفضة وهما مادتين ثمينتين تتمازان بقوة التحمل فهما من أكثر المواد استعمالا عند سكان المغرب الإسلامي.

فجماعة لم تكن بها مناجم الذهب والفضة بل كانت تجلبه من أفريقيا فتألفت بضائعها المختلفة من عنصري الذهب والفضة فصنع منها السكة الذهبية والفضية والأواني التي كانت تطلّى بالفضة والذهب وأيضا الجواهرات والحلي هذه الأخيرة ومن خلال دراسة لتصميمها تبين أن المجتمع الحمادي بصفة عامة والجماعي بصفة خاصة يتميز بذوق رفيع وأساليب صنع دقيقة تحمل كل مقاييس التصنيع ودليل هو تلك الأشكال الموجودة بمتاحفنا كمتحف سيرتا بقسنطينة ومتحف بجماعة ومتحف سطيف، فالمرأة الجماعية بمختلف وضعها الاجتماعي لبست أنواع الحلي من أقراط وأساور وخواتم وقلادات وأبازيم ودبابيس مختلفة الأشكال والألوان والزخارف تحكي لنا عن التطور الحضاري الذي كانت تتميز به مدينة بجماعة.

لم يعرف سكان بجماعة فقط هذه المعادن بل وجدت معادن أخرى كالرصاص والقصدير والزنك والنفث والقطران¹ اللذان يستعملان في صناعة المراكب وحتى الأحجار الكريمة مثل المرجان الذي اشتهرت به بجماعة المستخرج من مرسى الخرز،² وتبقى بجماعة عاصمة الصناعات العجيبة واللطيفة من بين هذه الصناعات نذكر النسيجية والجلدية والفخارية والخزفية والزجاجية، الشمعية، المعدنية، الورقية، الخشبية والتجميلية.

10- صناعة الزجاج: ذكرت كلمة الزجاج في القرآن الكريم في سورة النور لقوله تعالى: "اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ ۗ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۚ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۚ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۗ نُورٌ عَلَى نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ

¹الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 57

²نفسه، ص 59

لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ¹، فنساعة الزجاج انبثقت منها أدوات مختلفة فزجاج أو خراط الزجاج كما يدعى صاحب هذه الصناعة تفنن في صنع منتوجات متنوعة تلي حاجيات الناس، فنساعة بجاية كان لهم اهتمام واسع بهذه الصناعة لأهميتها منذ العهد الحمادي إلى غاية العهد الحفصي بل تطورت وزادت انتاجها الغني فتنوعت الأدوات الزجاجية المختلفة الأشكال من أباريق وأكواب وكؤوس زجاجية ملونة والقوارير والأقداح وقنينات والموازين للوزن وصولاجات التي استعملت في ضرب السكة، والمصاييح المزخرفة التي كانت بالمساجد.

ومما شجع أكثر تقدم هذه الصناعة من اهتمام المجتمع البجائي ولا سيما المرأة البجائية بالعطر وتعلموا أن بجاية كانت تتمتع بالألوان المختلفة من النباتات والورود التي استعملت في صناعة العطرية فهذه المادة تحتاج إلى زجاجات جميلة لتحفظ بها وخاصة أن العطر استعمل في أوقات الصلاة والأفراح.

11- صناعة العطر: تدخل هذه الصناعة في صناعات التجميلية التي عرفت رواجاً كبيراً في مدينة بجاية فكانت الزهور والورود بعد قطفها تقام عليها عملية التقطير التي عرف بها المسلمون منذ عهود قديمة وهذا بعد اختراعهم آلة التقطير وبالتالي عرفوا عطر النرجس والياسمين والورود والبنفسج وغيره، إلى جانب اهتمام المرأة البجائية بالحلي والمجوهرات كانت لها ميول واسعة بجمال العطر والتطيب فلقد وجدت في مواقع أثرية قارورات ذات أشكال مختلفة كانت تستعمل لحفظ العطر ومن بين الصناع الذين امتنوا هذه الصناعة أبو قاسم بن شيخ وهو من منطقة دانية الأندلسية وفد على بجاية وكان يمتن حرفة العطارة،² ولم تكن صناعة العطر الصناعة التجميلية وحيدة التي وجدت

¹سورة النور، الآية 35،

²محمد حسن، المدينة والبادية، ج2 ص 578.

بجاية بل عرف سكان بجاية الصابون كمادة مطهرة للجسم فاشتهرت بجاية بإنتاج الزيتون ومنه زيت الزيتون الذي كان يصنع منه الصابون،¹ وكانوا يشكلونه بالقوالب وتمزج بالألوان والطور.

12- الصناعة النسيجية: مدينة بجاية من بين الحواضر الإسلامية التي اعتنت بشكل واسع وكبير بهذه الصناعة ومازادها اهتماما بهذا المجال الحيوي هو توفرها على مواد خام كالكتان،² والصوف،³ والقنب⁴ وكانت تجلب إليها أصناف أخرى من النباتات كالقطن والحبر لتعزير أكثر لهذا النطاق.

وبعد تهيأت هذه المواد وتحليلها من حالتها الخام إلى مادة قابلة لتصنيع القماش والملابس بشتى أنواعها فمثلا مادة الصوف يتم تنظيفها وغسلها ومشطها ثم غزلها ونسجها، فتتحصل في الأخير على مادة جاهزة لتصنيع سراويل صوفية والبرانيس التي اشتهر بها السكان بالبرنس لم يكن مقتصرا لبسه على سكان بجاية فقط بل ذاع صيته خارجها حسب ماجاء في وثيقة أوردتها الأركون بتاريخ صفر 707هـ/سبتمبر 1338م.⁵

كان أهل بجاية يلبسون في الشتاء ثيابا من الصوف وفي الصيف ثيابا مصنوعة من القطن، كما لبس البجائيون الشوائش والعمائم إذ يذكر صاحب الاستبصار: "... كانت للملوك صنهجة عمائم شرب مذهبة يعلون بأثامها، تساوي العمامة خمسة مائة دينار وستة مائة دينار وكانوا يعممونها من أئقن صنعة فتأتي تيجانا..."⁶ هذه العمائم المزركجة غالية الثمن كانت لها تقنية في صنعها إذ كانت للصانع حسب قول صاحب الاستبصار: "كوارد من عود في جوانبهم

¹ صالح أبو دياك، المرجع السابق، ص 224.

² محمد حسن، المدينة والبادية، ج 1، ص 448.

³ كان بجاية سوق الصوفين وهذا لكثرة وجود المادة والمنتوج، ينظر: الغبريني، عنوان الدراية، ص 195، 196.

⁴ حسن الوزان، وصف أفريقيا، ج 2، ص 102.

⁵ صالح بعيزيق، بجاية دراسة اقتصادية واجتماعية، ص 146.

⁶ مؤلف مجهول، الاستبصار، ص 129.

يسمونها الرؤوس تعمم عليها تلك العمائم¹ أما الشواشي فهي صناعة أندلسية ظهرت بالمغرب الإسلامي بداية القرن 7هـ/13م كانت مخصصة للولاة والأمراء فقط.²

وصنعت أيضا ملابس من الكتان والقنب بحكم أنها مادتين متوفرتين ببجاية كما عرف ميناء بجاية استيراد كميات ضخمة من القطن خلال القرن 7هـ/13م من موانئ شرقي المتوسط.³

وإضافة إلى هذا لبس البجائيون الحرير وملابس غريبة أخرى كلباس "الكبوس" أدخل الأندلسيون في القرن 7هـ/13م يسمى باللغة الإسبانية capucha ومازال إلى يومنا هذا يرتديه سكان المغرب الإسلامي.⁴

كما أشار أيضا البيدق إلى أن ابن تومرت حين زار بجاية وجد سكانها يلبسون ألبسة مغال فيها، نهي الناس عن الاقرار الزرارية ولباس الفتوحيات للرجال⁵ إذ لاتستطيع أن تفرق بين لباس الرجل ولباس المرأة بسبب المغالات في طرزها وألوانها، وبعد إدراج أصناف الملابس وأنواع الأقمشة نتوصل إلى أن حرفة الخياطة كانت نشطة وموجودة بقوة، فالبجائيون حسب ما ذكر آنفا لبسوا أنواع الثياب بمختلف الأذواق من بين محترفي هذه المهنة وقد اشرنا إليه سابقا الدعي أحمد بن مرزوق بن أبي عمارة المسيلي نشأ ببجاية امتهن حرفة الخياطة،⁶ وإلى جانب مهنة الخياطة ظهرت مهن أخرى كالحياكة والتطريز والصبغة فزينت الملابس والأقمشة بأشكال أنيقة بالإضافة إلى صبغها بألوان جميلة مختلفة فاستعملوا مواد للصبغة منها الزعفران الذي كان يجلب من المغرب الأقصى فبعد طبخه في الماء يصبح لونه أحمر فتغير فيه الأقمشة فتصبغو من مواد الصباغ أيضا النيلة والكبريت وقشور الرمان.

¹ نفسه، ص 129

² محمد حسن، المدينة والبادية، ج 2، ص 597.

³ لطفي بن ميلاد، المرجع السابق، ص 283.

⁴ محمد حسن، المدينة والبادية، ج 2، ص 598

⁵ البنيق، المصدر السابق، ص 36.

⁶ عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 689.

لم تكن الأقمشة والملابس على نوعيها الفاخرة والبسيطة الإنتاج الوحيد لمدينة بجاية بل عرفت أيضا صناعة الأفرشة من زرابي والسجاد فكانت تنسج من خيوط الصوف وتنمق بألوان مختلفة وبأشكال متنوعة ، تميزت بها بجاية عن بقية سجاد بلدان المغرب الإسلامي والأندلس ومازال مناطق الأمازيغية اليوم تحافظ على الموروث الحضاري.

استعمل السجاد في أرضيات المساجد والبيوت وفي تزيين الجدران أيضا كانت تأتي من الهند إلى ميناء بجاية على شكل قوالب أيضا مادة الكبريت وقشور الرمان استعمالا الصباغة أما الشب فاستعمل لتلوين ألوان الأقمشة، كما وجدت مادة أخرى ببجاية خلال القرن 7هـ/13م وهو مادة المصطكى كانت تستخرج منها علكة للصبغة وهو يزرع في جزيرة "خيوص" الإغريقية.¹

13- الصناعة الجلدية: ساهمت هذه الصناعة بقدر كبير في تلبية الحاجيات اليومية للفرد البجائي من جهة ومن تزويد المدينة بمنتجات اقتصادية رفعت من مداخيل البلاد من جهة أخرى فمادة الجلد والفرو توفرت بكثرة بمدينة بجاية وهذا لوجود ثروة حيوانية كبيرة كالبقر والغنم والماعز والإبل، فبرع صناعتها في صنع الأحذية،² وسروج الخيل ووسائل الري كالدلاء وقرب الماء والأفرشة والأغطية وأغلفة الكتب وغيرها فنشطت بذلك ههذ الصناعة التي تزايد عليها الطلب داخل بجاية وخارجها، فحسب ما وجد في أرشيفيات الأوربية من وثائق تجارية³ ايطالية وغيرها تؤكد وجود طلبات لمادة الجلد والفرو وهذا راجع لجودتها فتصدر بذلك المراتب الأولى في الأسواق الأوربية، حتى أن فرو بجاية صنف من ضمن الفرو الثمين الذي اقتصر على نخب معينة من الطبقات الإجتماعية الأوربية.⁴ وأيضا ابواب العمائر الأخرى كالقصور ومنازل العامة والمساجد التي دعمت بمقصورات خشبية وفي التسقيف والنوافذ والأثاث

¹ لظفي بن ميلاد، أفريقيا والمشرق المتوسطي من أواسط القرن 5هـ/10م إلى مطلع القرن 10هـ/16م موقائع الإنفصال وتحديات الاتصال، تونس 2011، ص 275، 284.

² عز الدين أحمد موسى، النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن 6هـ، ص 230

³ صالح بعيزيق، بجاية في العهد الحفصي، ص 241، 242.

⁴ نفسه، ص 242.

المنزلية كالكراسي والعلب لحفظ المجوهرات والحلي والدراهم والطاولات والرفوف والصناديق التي تحفظ فيها الأشياء الثمينة أو الملابس كما هو موجود الآن بالمناطق الأمازيغية بالجزائر (قرى بجاية وتيزي وزو والبويرة) أضف إلى هذا كله أن هذه المناطق للعظم أو أنها منزلية كالأطباق والقصاع والملاعق من الخشب أو الطين، فهذا الرصيد الثقافي التاريخي توارثه أبا عن جد منذ العصور القديمة وبسبب أيضا توفر بكثرة مادتي الخشب والفخار، أما الأسلحة الحربية فمنها ما كان مصنوعا من الخشب فالموحدون في القرن 6هـ/12م استعملوا في معاركهم وحصاراتهم الأبراج الخشبية والمنجنيقات.¹

لقد أبدع ارباب هذه الصناعة ليس فقط في توفير المواد والحاجيات المطلوبة بل قاموا بزخرفتها ونقشها بنقوش وزخارف نباتية وهندسية مبتعدين عن الرسومات الحيوانية بحكم الشريعة الإسلامية التي تحرم الصور والتماثيل، فجعلوا من الأدوات البسيطة ونحتوا أبواب القصور والمساجد وأضافوا إليها الألوان لتعطيها لمسة جمالية إلى جانب الأبواب زخرفت النوافذ والأثاث المنزلية خاصة الطبقة الغنية من المجتمع البجائين ففي العهد الحمادي شهد هذا النوع من الحرفة رواجاً كبيراً بسبب تزايد الطلب عليه في تزويق قصور السلاطين والأغنياء فكان الحرفي يتقاضى أجراً جيداً خاصة إذا أبدع أكثر وكانت زخارفه مناسبة لذوق صاحبها وظف الحرفي في هذا الفن مجموعة من العناصر وألوان زاهية تفتح شهية الزائر إليها وكان على رأس هذه المجموعة الأشكال الهندسية كالنجمة السداسية والمربعات وأشكال أسطوانية ومثلثات ودوائر منفردة أو متداخلة فيما بينها وأشكال نباتية كالأزهار والسيقان والأغصان وغيرها كثير أما الألوان الزرق والأحمر والأخضر والأصفر...²

¹ محمد حسن، المدينة والبادية، ج 1، ص 42.

² ينظر إلى ملاحظتنا.

14- الصناعة السفن: تتمثل في المنشآت البحرية كالمراكب والسفن والقوارب، فبجاية واحدة من الحواضر

التي أنشأت دورا لصناعة السفن التجارية والحربية.¹

ازدهرت هذه الصناعة ببجاية لامتلاكها ثروة غابية وفرت مادة الخشب يقول الإدريسي في هذا الشأن: "وبها دار صناعة لإنشاء الأساطيل والمراكب والسفن والحراي لأن الخشب في أوديتها وجبالها كثير موجود"²، بالإضافة إلى المعادن كالحديد والزفت والقطران، أيضا الذي كان يجلب من أقاليمها المجاورة،³ فما هي أنواع السفن التي كان يصنعها الصناع ببجاية؟ وما وصف كل نوع منها؟.

قبل الحديث عن أنواع السفن ووظائفها لابد من التطرق إلى أن إنشاء السفن أو دور صناعة السفن مرتبط ارتباطا قويا بإنشاء الموانئ لأنه قاعدة أساسية لمختلف التعاملات والاتصالات، فالميناء هو مكان يستقبل السفن وفيه يمكنها الرسو، وميناء بجاية لعب طيلة عهدها التاريخية أدوارا على جميع الأصعدة الاقتصادية المتمثلة في النشاط التجاري وحتى الثقافي لتوافد نخب من العلماء والأولياء والصعيد العسكري، وكان يسمى ممتن هذه الصفة بصاحب الصناعة أو صاحب البحر أو متولي البحر،⁴ فهو الذي يشرف مباشرة على تزويد هذه الصناعة بمواردها الضرورية وإتمام هياكلها.

وكانت لهذه الصناعة مراحل وتقنيات لابد من صاحبها أن يتتبعها فمنها أولا كانت تتخذ صناعة السفن في الهواء الطلق وتكون قريبة من مخازن خشب الصنوبر المادة الساسية لهذه الصناعة إلى جانب توفر الماء، فأول ما يصنع من السفينة هو هيكلها la copue ثم الصالب quille وهو عبارة عن قاعدة رئيسية التي تبلط قعر السفينة ثم تجهز

¹ مؤلف مجهول، الاستبصار، ص.122، ابن خلدون، العبر، ج6، ص 903، حسن الوزان، وصف أفريقيا، ج2، ص 360.

² الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 96.

³ نفسه، ص 99.

⁴ مجدي أمال، الخشب والملاحة البحرية في عهد الأغلي، بحوث من الندوة الدولية الرابعة، تونس 2012، ص 177.

بمقدمة ومؤخرة أو ما تسمى بتفه السفينة وهي تديرها وتحركها حسب مسارها وتزود بجبال ومجاديف وأشرعة ومرساة،¹ وتكون بذلك قد جهزت للإبحار، أما المراكب الصغيرة والقوارب فصناعتها حسب ما ذكر الادريسي بعض من أنواع القطع البحرية التي كانت ببجاية كالمراكب والسفن والحرايبي ويضيف الغبريني الزورق² والأجفان³ هي سفن خاصة بالتجارة ووجد نوع آخر ببجاية حسب ما جاء عند ابن عذارى المراكشي وهي الغراب هذا النوع من السفن استعمل في المجال الحربي.⁴

إلى جانب أنواع أخرى من القطع كالحراقات يعرفها الحموي، أنها سفن فيها مرامي نيران، يرمى بها العدو في البحر⁵ وسفينة حربية أخرى "الشلندي" تتصف بضخامة حجمها وهي مخصصة لحمل العتاد الحربي والمقاتلين.⁶ وبالتالي عرفت الصناعة البحرية البجائية ثلاث أقسام من القطع البحرية منها صغيرة الحجم كالمراكب والزوارق خاصة بعمامة الناس للصيد وصنف آخر كالأجفان للتجارة أما الحرايبي والغراب والحراقات والشلنديات فكانت مخصصة للمجال الحربي والعسكري.

15- الصناعة الفخارية الخزفية: من خلال القطع الفخارية والخزفية المتنوعة في كل متحف من سيرتا بقسنطينة ومتحف برج سيدي موسى ببجاية ومتحف سطيف تؤكد على أن هذه الصناعة استطاع أصحابها إبراز وجودهم بقوة في دعم دعائم وركائز المجال الإقتصادي وحتى الثقافي والاجتماعي ببجاية فانتشرت فيها مختلف المنتجات الفخارية من قطع عادية أي غير مزخرفة وملونة وليس عليها طلاء وبريق معدني وقطع أخرى ملونة ومزخرفة

¹ مجدي أمال، المرجع السابق، ص 184، 183.

² الغبريني، عنوان الدراية، ص 162.

³ نفسه، ص 76، وص 230.

⁴ ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، ج 1، ص 312.

⁵ ياقوت الحموي، معجم، ص 113.

⁶ مجدي أمال، المرجع السابق، ص 187.

وهذا الاختلاف يدل على وجود تطور تدريجي في الصناعة الفخارية التي اقتصت على صناعة أواني الأكل كالصحون والقصاع والقدور وأواني الشرب كالجرار والأباريق والأقداح وقطع أخرى كثيرة كالمقابض والمطاحن صغيرة الشكل والمصايح والقناديل وغيرها، أما الخزف فهو عبارة عن آلية أضيفت إلى المنتوجات الفخارية لتعطيها شكل لمسة جمالية متمثلة في مادة زجاجية تظلى وتدهن بها مختلف القطع الفخارية فتصير بالتالي خزفية، وكان اللون الغالب على أكثر هذه المنتوجات اللون الأزرق وهذا راجع إلى تأثير الصناعة الفخارية البجائية بالسوق الخارجي الذي يحمل نماذج معه أوربية كمرسيلية وفرنسية.¹

16- مهنة الفلاحة والرعي: لقد أشرنا إليها في الفصل الأول وتطرقنا إلى الأهمية الكبيرة التي تخصها هذه المهنة على مستوى الحياة الاجتماعية والاقتصادية للفرد البجائي كما شهدت تطورا كبيرا خلال الفترة الوسيطة رغم تصادم ممتينها مجموعة من العراقيل كما ذكرنا سابقا لأنهم استطاعوا أن يتخطوها، بالإضافة أن هذه المهنة القاعدية فتحت أبواب مهن أخرى كالرعي وهو أيضا من بين المحركات القوية في تنشيط اقتصاد المدينة وهذا بتوفير ثروة حيوانية تدخل هذه الأخيرة في العديد من الصناعات، أضف إلى ذلك مهنة أخرى كالمغارة التي ساهمت في تنوع المعامل الزراعية من فواكه وحبوب وخضر وغيرها أما مهنة اللقاط،² الذي اقتص بمراقبة العمال وترتيبهم حسب مهامهم كان بدوره يتقاضى أجرا لأهمية وظيفته ووجدت أيضا مهنة الحراثة وهي يقوم صاحب الأرض بكراء حراث لحرث أرضه مقابل أجر وهناك أيضا الخماس الذي ذكرناه في عناصرنا السابقة وعليه ظهور مثل هذه المهن ومن مهنة رشية هي بجد ذاتها تجلب الفائدة وهذا بتوفير اليد العاملة في مختلف القطاعات من جهة ومن جهة أخرى توفير العمل للناس وملا الفراغ، يقول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "نِعْمَتَانِ مَعْبُودُونَ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ" (رواه البخاري).

¹ صالح بعيزيق، بجاية في العهد الحفصي، ص 147، 144.

² اللقاط: جاءت من كلمة التقاط حبات الزيتون ينظر: المازري، المعيار، ج 8، ص 223، 192.

17- مهنة الرقاصة: الرقاصة حرفة لعبت دورا كبيرا في جميع المجالات خاصة المجال السياسي فالرقاص هو الشخص الذي يوصل وينقل البريد من مكان لآخر ويكون ذا قدوة فيولوجية قوية يتمتع ببنية صحية وعقل سليم ليتمكن من توزيع الرسائل في المكان الصحيح وفي الوقت المناسب.

انقسمت وظيفة الرقااص إلى قسمين رقااص عادي وينقل البريد من مدينة واحدة ويعتمد في ذلك على الركض والعدو، والآخر رقااص الشرط الذي يعتمد على الجياد والحيل لإيصال الكتب في استعجال وبسرعة كبيرة، كان لهؤلاء الحرفيين أمين عليهم يدير شؤون هذه المهنة المهمة والخطيرة في نفس الوقت وتكمن خطورتها فيما قرره الموحدون في شأن أصحاب هذه المهنة حسب ما جاء عند صاحب نظم الجمان إذ قال: "...وتخبروا لرسائلكم إرسالا وانتقوا من أهل المقدره على ذلك والثقة رجالا..."¹ وعليه هذا القول يؤكد على الحرص الشديد للموحدين في اختيار الرقااص. أما مهنة الرقااصة ببجاية² فكانت حاضرة كغيرها من المهن المهمة كما أسلفنا الذكر لكونها أحد المهن التي على أساسها تتكون علاقات دولية إما علاقات اتصال أو انفصال.

18- مهنة العازفين والنكاتين: هذه المهنة كانت شائعة ومنتشرة في بجاية أثناء العهد الحمادي ثم تقلصت إن لم نقل قضى عليها بوجود الحكم الموحدية ببجاية خلال القرن 6هـ/12م بسبب طبيعة نظام الحكم المصمودي لكن آخر حكام الدولة الموحدية انغمسوا في ملذاتهم وفي شهواتهم التي كانت في الموسيقى الحاضرة. أما في العهد الحفصي فالمرحلة الأولى من الحكم كانت شبه المراحل الأولى للموحدين لأنهم كانوا يعتقدون أنهم الورثة الشرعيون للدولة الموحدية فورثوا كل نظمها وتبعوها من بينها الحفاظ والالتزام على تطبيق الشريعة الإسلامية التي تنص على تحريم الموسيقى وكل منافذ اللهو واللغو.

¹ ابن القطان، نظم الجمان، ص162، 151.

² الغبريني، عنوان الدراية، ص230، صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص78، 77.

كانت تباع في أسواق بجماعة آلات موسيقية متنوعة من الأعواد والمزامير والطناوير حسب ما وجد عليه ابن تومرت سكان بجماعة فيقول البندق في هذه الشأن¹: "إذ كان بجماعة سوق يسمى سوق العزافين فيه تصنع الآلات الموسيقية وتعزف الموسيقى وتقام الرقصات وهذا الاهتمام الكبير بهذا المجال راجع لكون أن سكان بجماعة كانوا يقيمون احتفالات كبيرة أيام الأعياد بالساحة العمومية فيختلط فيها الرجال والنساء هذا الجو الذي تعود عليه البجائيون شجع صناعة آلات الموسيقى التي كانت مطلوبة عند بلاطات الأمراء فيحي بن العزيز آخر أمراء بني حماد كان شغوفاً بالموسيقى والطرب والصيد وكان يحضر إلى مجالس لهو العديد من الموسيقيين ومن أصحاب النكت ليطنغوا عليه جوا من المرح والمتعة وبقي على هذا الحال حتى سقطت بجماعة تحت الحكم الموحدى.²

19- مهنة غسل الملابس: اختصت هذه المهنة بالطبقة الفقيرة التي كانت تغسل ملابس الأغنياء إذ يذكر لنا الغبريني: "حادثة وقعت إحدى النساء اللائي تقمن بغسل الملابس في عهد الفقيه الصالح أبو زكرياء المرجاني الموصلي فيقول: "... أن بعض السوداوات من غسلات الثياب كانت على رأسها رزمة من الثياب فأخذت لها في زحام في سوق باب البحر فسارت عليه إلى الفقيه متلهفة صارعة مستغيثة وأخبرته بقصتها فقال: أنت ما تغسلين ثياب الفقراء لو غسلت ثياب الفقراء ما ضاعت درء الرزمة..."³ فحاجة هؤلاء النساء وبخريين إلى المال كانت تدفعهم إلى غسل ثياب الأغنياء ليتقاضوا أجر ذلك لكن الفقيه كان يقصد نشر التلاحم والتعاون الإجتماعي بين كل الفئات.

20- الصناعة الغذائية: كل ما له علاقة بالصناعات والمهن الغذائية وجديد بجماعة فهي تتربع على مساحة فلاحية خصبة توفر لسكانها مختلف المنتجات الفلاحية خلال سنة كاملة من حبوب وقمح وشعير وحنطة التي منها

¹البندق، المصدر السابق، ص36.

²ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص62، ابن خلدون، العبر، ج6، ص177.

³الغبريني، عنوان الدراية، ص165.

الخبز إما في البيت أو عند الفرن فظهرت مهنة الخباز أو الفرن،¹ والفواكه التي كانت تؤكل طازجة أو تجفف كالتين والزبيب والمشمش لأكلها في غير موسمها أو تصنع من بعض الفواكه المعجون، فكان يحمل من مدينة جيجل:" الفواكه والعنب إلى مدينة بجاية"².

انتشرت أنواع المأكولات والأطباق كالكسكس والثريد الذي كان يمزج مع قطع اللحم المتنوعة من لحم بقر وخروف ودجاج وغيره فمزارع بجاية غنية بالثروة الحيوانية التي ساهمت في إثراء موائد البجائيين الذين كانوا يشترون قطع اللحم من عند الجزارين هؤلاء مهنتهم كانت قائمة على ذبح الشاة في مختلف الأعياد الدينية مثل عيد الأضحى وعاشوراء والأفراح والضيافة، وتنظيفها وتقسيمها إلى قطع وتجهيزها للبيع وأيضا ظهرت على غتر هذه المهنة مهنة أخرى وهي مهنة الشوائين مختصين في شواء اللحم خاصة أيام الاحتفالات أو في الفنادق والقصور وفي ساحات المدينة انتشرت ببجاية معاصر الزيتون الذي كان متوفرا بكثرة في المزارع فهذه المادة كان يتم عصرها فينتج عنها زيت الزيتون الذي تم استهلاكه حسب مختلف الصناعات فمثلا استعمل زيت الزيتون في الأكل والطبخ وفي التجميل أيضا استعمل كمرهم للجروح والإصابات، أما الخمر فصنعه كان منتشرا ببجاية منذ العهد الحمادي ولنا حادثة تاريخية تؤكد رواج المسكرات ببجاية وإدمان بعض سكانها على شربه إذ يذكر لنا البيذق حين زار ابن تومرت ببجاية ووجد دكان الخمر أو النبيذ يسمى عند أهل أفريقية بالفقاع ولدى أعراب أفريقية بالمريس.³

¹ نفسه، ص 165.

² مؤلف مجهول، الاستبصار، ص 65.

³ محمد حسن، المدينة والبادية، ج 1، ص 545

كما عرفت ببجاية مهنة أخرى وهي مهنة الحوات بحكم موقعها على الساحل، فأهلها تذوقوا أطيّب أنواع الحوات الذي كان يصطاد من الأودية، يذكر الغبريني أن الفقيه والعالم ابا إبراهيم إسحاق بن محمد أمر أحد طلابه: " اذهب إلى أحمد الحوات وقل له أن يبعث لنا الليلة حوتا طيبا يأكله أبو حسون"¹.

وعليه موائد البجائيين عرفت أصنافا عديدة من المأكولات من خبز وشعير وكسكس وثريد وفواكه وغيرها كما لم تخلو من مختلف الحلويات المعسلة بالعسل الخالص المتوفر في آليات البجائيين والزبيب والتين المجفف والمكسرات كاللوز والسكر هذا الأخير الذي كان موجودا بجميع أشكاله المعروفة بشكل فائق أو دقيق ناعم أو على شكل قالب.

عرفت ببجاية أنواعا أخرى من المهن والصناعات كالحبالون ومنها الحبال التي توظف في عديد من النشاطات وصناعات السلال والقفف والمحاجر والمطاحن ومهنة الحمامين الذين يقومون بتسخين الحمامات وتنظيفها والصبغة في صناعة الذهب فهذا التنوع دليل على الثراء وازدهار الحياة المهنية وبالتالي الإقتصادية لبجاية، فهذا الحقل الصناعي الكبير جاء نتيجة الاحتكاك الإجتماعي ببجاية ومحالسة وتأقلم وحسن ضيافة أهل ببجاية بزوارها والوافدين على مدّهم.

2) التنظيمات المهنية:

ظهر التنظيم المهني في أواخر القرن 4هـ/10م بالمغرب الأوسط ويقصد به التنظيم والتنسيق بين الطوائف الحرفية، إذ كان لكل طائفة حرفية أمين لها هذا الأخير يتعامل مباشرة مع المحتسب وكان لكل صانع ومهن مواضع للصناعة أو أماكن بيع منتوجاتهم كالأسواق خاصة بكل صنعة مثلا كان ببجاية سوق الدباغين وسوق الصوافين وسوق العزافين وسوق الحدادين والصبغين وسوق الصباغة وضرب السكة وغيرها من مواضع التصنيع والإنتاج.

¹الغبريني، عنوان الدراية، ص 218

احتوى سلم التنظيم المهن على شيخ الصنعة والصانع الذي يكون قد تدرب على يد شيخه والصبي الذي يرغب في التعلم، كما لا يسمح لأي مهني أن يزاول مهنته إلا بعد موافقة شيخ الصنعة وهذا حفاظا على سمعة المهنة وإتقانها لأجل استمرارها وعدم انتشارها على يد منحرفين وأيضا لأجل منع الغش ورداءة الإنتاج، فكان رؤساء الطوائف الصناعية يسهرون على تنظيم الإنتاج وحماية المستهلك.

إضافة إلى هذا كله وجدت صناعات ومهن امتعتها أهل الذمة هؤلاء كغيرهم خصتهم هذه التنظيمات المهنية لا سيما أنهم احترفوا أنواع الصناعات فمثلا طائفة اليهود بجماعة اشتغلوا في مهنة الصباغة وصناعة الحلبي والنسيج والقماش من العهد الحمادي إلى غاية العهد الموحد، أما بداية القرن 7هـ/13م في العهد الحفصي منعوا من العمل في الصناعات الغذائية كالخبز وبيع الزبيب والخل مقابل هذا واصلوا مهنة الصياغة والصباغة وضرب السكة.¹ كما اشتغلوا في مهنة السمار أو الدلال في أسواق بجماعة وهذا بسبب براعتهم في المقايضة والمزايدة والتفاوض أيضا.

أما طائفة المسيحيين الذي كان انتشارهم واسع بجماعة فهم أيضا كانت لهم صناعات خاصة بهم، فقد كان بأسواق بجماعة حرفيون إيطاليون منهم الخياطون والفرانون والحدائون.² ساهم بعض الصناع المسيحيين في عصر الناصر بن علناس خاصة الجنويين في بناء قصور بجماعة،³ ويتجلى هذا في وجود التسامح والاحترام الديني الذي كان في عهد الحماديين مع الملوك المسيحيين ما أدى إلى وجود عمارة دينية مسيحية تمثلت في الكنائس على أرض بجماعة يديرها قساوسة، وقد ساهمت أيضا الصناعة البجائية في إثراء أسواق المسيحيين خاصة صناعة الشمع الذي نقلوه إلى بلدانهم.

¹ محمد حسن، المدينة والبادية، ج 1، ص 470.

² نفسه، ص 480.

³ إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 461.

كما وجدت بجاية طائفة حرفية أخرى متمثلة في الأسرى والسبي وكان سبب وجود هذه الفئة ببجاية مقاومة أهل بجاية للقرصنة الأوربية التي كانت تهدد سواحلها، إذ يذكر لنا ابن خلدون أنه: " تنبعت عزائم كثير من المسلمين لسواحل أفريقية لغزو بلادهم وشرع في ذلك أهل بجاية منذ ثلاثين سنة، فجمع الشعراء والطائفة من غزاة البحر ويصنعون الأسطول ويتخيرون له الأبطال الرجال ثم يركبونه إلى سواحل الفرنجة وجزائهم على حين غفلة فيتخطفون منها ما قدروا عليه ويصادمون ما يلقون من أساطيل الكفرة، فيظفرون بها غالبا ويعودون بالغنائم والسبي والأسرى..."¹

وعليه أدمج الأسرى من الفرنجة في أعمال ومهن مختلفة ففي عهد الموحدين استعمل الأسرى والسبي في أعمال البناء والعمارة كنقل الحجارة والصخر،² وفي المناجم ومجال الصناعة الخاصة بهم فقد كان بأسواق بجاية حرفيون إيطاليون ومجال صناعة النسيج والخشب كما أقحموا في الصناعة البحرية خاصة عندما يراد تجهيز قطع البحر للغزو فكان يوظف في صناعتها الخدم،³ بالإضافة إلى التجهيز⁴ كما شاركت هذه الفئة في مجالات أخرى كالتجارة والتجهيز العسكري وفي الفلاحة وغيرها من المهامات الإجتماعية والاقتصادية.

3) الدور الاقتصادي والاجتماعي للمهن والصناعات ببجاية:

لا نستطيع تهميش دور المهن والصناعات البجائية في تنشيط وتدعيم المجال الاقتصادي والاجتماعي خلال الفترة الوسيطة فقد تجلت في توسيع نطاق الشغل عليه وتوفير اليد العاملة التي تساهم في تلبية حاجيات الفرد وملئ ثغرات هذا المجال الصناعي والرفع من الانتاج وبالتالي رفع قيمة الصادرات والتكثيف من النشاط التجاري المتمثل في

¹ عبد الرحمن ابن خلدون، العبر، ج6، ص 63.

² عبد الإله بن مليح، الرق في بلاد المغرب والأندلس، ص353.

³ الغريبي، عنوان الدراية، ص229.

⁴ عبد الإله بن مليح، الرق في بلاد المغرب والأندلس، ص 357.

المبادلات ما يخلف المزيد من الأسواق الداخلية والخارجية بجاية، كما تساهم مختلف الصناعات والمهن في كسب أصحابها المزيد من المهارات والخبرات لا سيما في بعض الصناعات من أسواق خارجية كصناعة الأحذية طراز جديد لم يعهده سكان بجاية وهي ثقافة جلبها صناع الأندلس إلى ديار بجاية فهذا يخلف نوعا من التبادل الصناعي بين جهتين البجائية والمهنيين الأندلسيين، يقول ابن خلدون عبد الرحمان: " أن أهل الأندلس شاركوا أهل العمران بما لديهم من الصناعات وتعلقوا بأذيال الدولة.¹

زيادة على هذا نشطت الحركة المعمارية لبناء أدوار مختلف الصناعات وفتح أسواق جديدة تتماشى مع نوع كل صناعة وبالتالي توفير كل أنواع المواد للمستهلك، فصناعات بجاية تميزت بالدقة والجودة ودليل شهرتها في مختلف المنتجات داخل أسواقها وخارجها إذ أن جلود الحيوانات بجاية كانت تصدر المراتب الأولى في سلم التجارة الأوربية أضف إليها المنسوجات والمواد المعدنية والخشبية وغيرها كثير، ما اعطى للمدينة شهرة واسعة استقطبت على إثرها زوارا ووافدين من مختلف أصقاع البلاد بينهم الكثير من مهرة الصناع من الصواغين والنقاشين والمرصعين والنجارين والبنائين... الخ فهذا يؤكد حضارة بجاية وازدهارها في المجال الصناعي الذي يعتبر عصب الحياة بالنسبة للبجائين.

4) العوائق والعراقيل في النشاط المهني والصناعي:

إن مهنيي وصناع بجاية كغيرهم من شرائح المجتمع تتغلغل في نشاطهم بعض من العراقيل التي تعيق مسار صناعاتهم، فمثلما وجدت بعض الفئات المنحرفة التي أساءت إلى بعض الحرف وهذا في عدم اتفاقهم للصناعات والمهن المسروقة فأدى إلى تراجع في الطلب أيضا وجد عائقا آخر وهو وضعية الصناعات البسيطة، كما أدت المنافسة الخارجية إلى تخلص في الإنتاج المحلي، ولا ننسى دور الضرائب التي كانت تجمع في أسواق بجاية من أرباب المهن والصناعات

¹عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، ج، ص 751.

حسب خطة معينة يشترط فيها الإنتظام في سلوكهم¹ فكانت هذه الضرائب في بعض الأحيان لا تتماشى مع مداخيلهم ما يؤدي إلى نقص المردودية.

¹الغبريني، عنوان الدراية، ص196،195.

الفصل الثالث : المجال التجاري و العلاقات التجارية الخارجية

أ- النشاط التجاري داخل مدينة بجاية

ب- التجارة الخارجية

ج- المعاهدات و المراسلات التجارية

د- المبادلات التجارية

يذكر الإدريسي في كتابه نزهة المشتاق: "...مدينة بجاية في وقتنا هذا بمنتصف القرن السادس للهجرة هي مدينة المغرب الأوسط والسفن عليها مقلعة ولها قوافل منتجة والأمتعة بها برا وبحرا مجلوبة وأهلها مياسير وبها من الصناعات والصناع ما ليس في كثير من البلاد وأهلها يجالسون تجار المغرب الأقصى وتجار الصحراء وتجار المشرق وبها تحل السدود وتباع البضائع بأموال مقنطرة..."¹ بهذا الوصف الدقيق الذي خصنا به الإدريسي حول النشاط التجاري ببجاية، فالملاحظ أن هذا المجال كان نشطا بصورة كبيرة وقوية والدليل هو توافد القوافل المحملة بالبضائع والسلع على أسواق بجاية من كل حدب وصوب ما يؤكد انتعاش الحركة التجارية البرية خاصة مع المناطق الصحراوية والغربية والمشرقية إضافة إلى حركة التبادل التجاري عن طريق المنافذ البحرية، فميناء بجاية كان يتلقى السفن الوافدة من أوروبا وبلاد الشام والمشرق الإسلامي، فهذه القوة التجارية التي امتلكتها مدينة بجاية تعود بدرجة أولى إلى امتلاكها لمختلف موارد التجارة كالمنتوج الفلاحي والمنتوج الصناعي المختلف، فالإنتاج البحائي من ضمن الموارد التي يزيد عليها الطلب في الأسواق الخارجية، والسبب الثاني في ازدهار التجارة ببجاية خلال حقبتها التاريخية المتعاقبة عليها أي منذ تأسيسها في العهد الحمادي إلى غاية نهاية العهد الحفصي هو الطابع الإجتماعي لسكانها الذين يتأقلمون مع مختلف الأجناس المتوافدة على بجاية وهذا ما ذكره لنا الإدريسي: "أهلها مياسير هذا المراس السلس لأهلها أن يحضوا بمكانة تجارية عالمية وأن تبرم اتفاقيات ومعاهدات تجارية مع مختلف المدن والجمهوريات لا سيما الجمهوريات الإيطالية كبيزا وجنوة والبندقية ومع مرسيليا وكتالونيا والأرغون إلى غاية سقوطها تحت الغزو الإسباني الذي سيطر على الملاحه في حوض البحر المتوسط سنة 910هـ/1510م وعليه فكيف اتسمت الحركة التجارية ببجاية خلال عهدها الإسلامية الثلاثة؟ وما هي المسالك والمنافذ والطرق التجارية التي اعتمدها؟ وفيم تتمثل صادراتها ووارداتها في أسواقها الداخلية والخارجية؟

¹ الإدريسي، نزهة المشتاق، ص36.

وهل القرصنة البحرية أعاقت المسار التجاري بجاية؟ وهل الوساطة التجارية الأوربية هي السبب في انتعاش التجارة بجاية حسب ما جاء عند الأوربيين؟

1- النشاط التجاري داخل مدينة بجاية:

أ- الأسواق: منذ أن شيّد الأمير الحمادي الناصر بن علناس بجاية وهي تشهد حركة نشطة إن لم نقل مزدهرة، ومن بين اللبنة الأساسية لهذا النهوض الأسواق الداخلية، فقد لعبت دورا كبيرا في تطوير وتنمية الجانب الإقتصادي للمدينة.

وُجد بجاية نوعين من الأسواق منها الأسواق اليومية هي أنواع وأسواق أسبوعية التي مازالت قائمة إلى يومنا هذا في المدينة، فالأسواق اليومية هي عبارة عن مجموعة من الدكاكين المصطفة¹ الواحدة أمام الأخرى مختصة في بيع إنتاج ما، فمثلا كان داخل مدينة بجاية سوق الصوف حسب ما جاء في مصدر الغرني حين يذكر حادثة وقعت لأحد الفقراء عندما التقى بالشيخ "أبو الفضل قاسم بن محمد القرشي القرطبي" نزيل بجاية (ت662هـ)، هذا الأخير منح للفقير صرة بها دراهم فأخذها وانصرف ليقتني حوائجه فيقول الفقير: "...دخلت سوق الصوف فرأيت خرقة أعجبتني فاشتريتها بثلاثين درهما.."² فكان في هذا السوق تباع الألبسة الصوفية المتنوعة من برانس وشواشي والعمائم والسراويل والخرق هذا التنوع هو دليل على توفر المادة.

أما الصناعة الجلدية بالمدينة أتاح لها فتح أسواق لبيع منتوجاتها المختلفة فوجد سوق الجلديين³ وسوق الحدادين، فبجاية كانت تحظى بطاقة معدنية قوية على رأسها الحديد الذي استعمل في كثير من الصناعات التي أشرنا لها آنفا في

¹ دكاكين مصطفة أو تسمى أيضا بسماطات (سماط) مصطلح كان متداولاً عند الجغرافيين العرب، ينظر: إسماعيل العربي، المدن المغربية، ص 340.

² الغرني، عنوان الدرابة، ص 261.

³ محمد حسن، المدينة والبادية، ج 1، ص 483، 482.

فصولنا، كما كان لها سوق الصباغة وضرب السكة¹ هذا السوق الذي يعتبر لحرفة ثمينة وقديمة لم ينقطع برغم وجود نظم إدارية ومالية مختلفة عرفتها ببجاية عبر فتراتهما التاريخية الصنهاجية والمصمودية والهننتانية بل شهد هذا السوق رواجاً وحركة واسعة، فلبست نساء ببجاية وغيرهن من الأجناس الحلي الثمين كما واصلت ببجاية رونقها الحضاري في ضرب السكة فكانت من أكبر حواضر المغرب الإسلامي التي انتشرت فيها ضرب العملة بأصنافها وأشكالها حسب كل فترة إسلامية مرت عليها.

كما يذكر الونشريسي أن كل حواضر المغرب الإسلامي انتشرت بها أسواق وكل سوق يختص بنوع من السلع والبضائع المتنوعة² فإلى جانب سوق الصوف والحدادين والصباغة والجلدين ببجاية كان بها أيضاً سوق للخضر والفواكه وسوق اللحم التي كانت توفر الحاجيات اليومية لسكان ببجاية وكان بها أيضاً سوق النحاسين المختصين في بيع الأواني النحاسية وسوق خاص ببيع الشمع والمصاييح الزيتية، فمن هذه الأسواق تعلم الأوربيون كيفية صناعة الشمع ونقلوها إلى ديارهم، بالمقابل كان موجود سوق آخر عاش رواجاً كبيراً في العهد الحمادي لكن دخول المصامدة إلى ببجاية قاموا بالقضاء عليه، وهو سوق خاص ببيع الآلات الموسيقية حسب ما أشار إليه البيدق يحدثنا أن ابن تومرت عندما دخل ببجاية سكب الخمر وكسر الآلات الموسيقية من عود ومزامير وطبول وطنابير التي كانت تباع في الحوانيت الخاصة بسوق بيع آلات العزف،³ هذه الحادثة تؤكد وجود مجال اللهو والطرب والغناء ببجاية خاصة في العهد الحمادي كما أشرنا، فالأمير الحمادي يحيى بن عبد العزيز كان شغوفاً باللهو ومجالس الطرب.⁴

¹ نفسه، ص 485، 484.

² الونشريسي، المعيار، ج 3، ص 157، ج 10، ص 217.

³ البيدق، ابن تومرت، ص 104.

⁴ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 99، 100.

اشتهرت ببحاية بمناياها ومنتزهاتها وجناها، يقول عنها العمري: " ببحاية تحف البساتين بالوادي على طول اثني عشر ميلا"¹ يدل على كثرتها مما وفر لديها موردا هاما في الجانب التجاري وهو بيع العطور المستخلصة من أجمل أزهار وورود بساتينها وحدائق ببحاية فعرفت بسوق العطارة الذي يوفر أصناف العطر ومواد التجميل كالصابون المستخلص من الزيتون والحناء والبخور.

انتشرت ببحاية أسواق خاصة ببيع الطعام والمأكولات المتنوعة وهذا النوع من الأسواق لم يوفر فقط الطعام للناس، بل نقل ثقافة المطبخ البجائي إلى خارج المدينة وخاصة أوروبا والمشرق والمناطق الجنوبية فسكان ببحاية كانوا يجالسون التجار من مختلف المناطق والدول،² وهذه المجالسة تنتج عنها الضيافة فأکید كل هؤلاء من مواد ببحاية أو البربر بصفة عامة الذين كانوا يبيعون في متاجرهم أصناف مختلفة من الطعام كالحوت الطازج وشواء اللحم والكسكس، هذا الموروث القائم إلى يومنا هذا والشريد والفواكه المحففة كالتين والشعيرية والبسييسة³ وزيت الزيتون المغمس في الخبز ميزها كثيرا.

نتقل إلى نوع آخر من السوق وهو سوق الرقيق، كان يجلب الرقيق من السودان الغربي أوائل القرن 6هـ/12م ثم تنوع السوق بالسي والأسرى جراء الهجومات التي كانت تشنها أساطيل ببحاية على السواحل الأوربية بسبب القرصنة التي فتكت بأرواح العديد من البجائيين فقاموا إلى غاية القرن 4هـ/15م، قال ابن خلدون: "...فتنبهت عزائم كثير من المسلمين بسواحل أفريقية لغزو بلادهم وشرع في ذلك أهل ببحاية منذ ثلاثين سنة فجمع الفقراء وطائفة من غزاة البحر ويصنعون الأسطول ويتخيرون له أبطال الرجال ثم يركبونه إلى سواحل الفرنجة وجزائريهم على حين غفلة،

¹ العمري، مسالك، ص 86.

² الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 92

³ روجي إدريس، المرجع السابق، ج 2، ص 199

فيتحفظون منها ما قدروا عليه ويصادمون ما يلقون من أساطيل الكفرة فيظفرون بها غالبا ويعودون بالغنائم والسي والأسرى حتى امتلأت سواحل الثغور الغربية من بجاية بأسراهم تصبح طرق البلد بصخب السلاسل والأغلال..¹ وكان السكان ينزلون لشراء السي من البيض والسود بالقرب من الحومة المذبح² والكثير من هؤلاء الرقيق وظفوا لخدمة البيوت في بجاية والفلاحة والصنائع والحرف وغيرها من النشاطات (انظر الغبريني فيما يخص إحدى السوداوات في غسل الملابس)، أما المرأة فلها نصيب من التجارة وبيع منتوجاتها فإحدة نوازل الونشريسي يشير إلى امتهان المرأة هذه المهنة فكانت تبيع بضائعها أمام بيتها بمساعدة الدالين.³

أما الصنف الثاني من الأسواق وهي العامة أو الجماعية فكانت بدورها يباع فيها مختلف أنواع البضائع الجلوبة من مختلف المناطق، فأهل البادية ونساء البادية والقبائل المجاورة ومن بين الذين توافدوا على بجاية لعرض إنتاجهم وسلعهم في هذه الأسواق وكانت تقام هذه التجمعات في مناطق واسعة ليتسنى للجميع عرض بضائعهم والاتجار بها إلى جانب هذا كان يتم الإعلان عن المناسبات والأعياد الدينية كعيد الفطر وعيد الأضحى وعاشوراء وشهر رمضان وغيرها داخل هذه الأسواق وفيه أيضا يعلن عن انطلاق موسم الحصاد.⁴

كما كانت هذه الأسواق مقسمة إلى أجزاء يقام في كل جزء عرض خاص لنوع من الإنتاج بالإضافة إلى قيام مثل هذا النوع من الأسواق كان لابد من وجود الأمن والاستقرار بهذه المدن فبجاية شهدت استقرارا في العهد الحمادي إلى غاية منتصف القرن 6هـ/12م، ففي هذه الفترة شنّ بنو غانية هجمات عليها ما أدى إلى تهقر المجال

¹عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص96 مؤلف مجهول، الإستبصار، ص120

²الغبريني، عوان الدراية، ص76.

³الونشريسي، المعيار، ج6، ص78.

⁴خلفات مفتاح، قبيلة زاوية بالمغرب الأوسط، ص203.

التجاري بها وبالتالي تقلص وتراجع التجمعات التجارية في أسواقها العامة لكن بعد زوال بنو غانية رجعت الحياة ببجاية بقوة وازدهرت أكثر إلى غاي العهد الحفصي (7هـ-9هـ/13م-15م)

إلى جانب هذا التجمع السكاني التجاري كانت هناك أسواق أخرى تعقد في أيام الأسبوع ما تسمى بالأسواق الأسبوعية كسوق السبت مثلا أو سوق الأحد وسوق الإثنين فالإدريسي يشير إلى وجود هذه الأسواق الأسبوعية التي كانت تصل إلى بجاية والقلعة عليه حراسة مشددة وأيضا سوق السبت،¹ إذ كان التجار والوافدون على المدينة يتجهون إلى هذه الأسواق المقام في أحد أيام الأسبوع الخاصة ببجاية لأن بقية الأيام كانت مقسمة على حواضر أخرى مثل سوق الخميس² إلى جانب هذا كله كانت هناك أسواق موسمية كالأعياد الدينية والمواسم الفلاحية وغيرها.³

يخلص أن هذا التنوع الكبير في الأسواق إنما يدل على اتساع المدينة وأهميتها كحاضرة اقتصادية فبجاية كما كانت بعض الأسواق تقام خارج المدينة كسوق الدباغة والصبغة والحياكة وهذا لتجنب الروائح الكريهة.

وجود حركة حضارية بداخلها كما لم تكن للأسواق دور اقتصادي فقط بل كان لها في نشر الوعي ولم تكن وحدها المحرك للاستقطاب التجاري بل لعبت الفنادق أدوارا مهمة أيضا، ففي مدينة بجاية كان لأبي علي سلمى (القرن 7هـ) حانوت بمجلس فيه تاجر بسوق قيسارية ببجاية...⁴

¹الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 92،93

²الحموي، معجم البلدان، ج1، ص316، المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 205.

³عز الدين عمر موسى، ص293

⁴الغبريني، عنوان الدراية، ص 25،36.

ب- **الفنادق:** الفندق لم يكن مقتصرًا فقط للمبيت بل كان قطبا تجاريا مهما تنعقد فيه الاتفاقات التجارية وينزل فيه التجار من مختلف الأجناس والمناطق والقبائل المجاورة بل خزنت السلع¹ في هذه المؤسسة الاقتصادية للتجار بها في اليوم التالي، فمثلا سكان زاووة كانوا يعرضون منتوجاتهم على سكان المدينة وضيوف المدينة والنصارى،² من حبوب ومواشي التين المجفف هذا الأخير لم تنقطع القرى والدشرات البربرية من صناعتها إلى يومنا هذا وهذا بسبب ما يحويه من فوائد صحية.

عرفت مدينة بجاية كغيرها من حواضر الدولة الحفصية وجود فنادق خاصة بالنصارى فكان لها طابع معماري خاص فداخل هذه الفنادق أقيمت كنائس³ وملاهي فمثلا للحنويين من بين التجار الذين أوجدوا لأنفسهم وكالات تجارية على موانئ بجاية وبالتالي تزايدت فنادقهم⁴ بسبب وجودهم المكثف ببجاية وعليه لعبت الأسواق الداخلية ببجاية وفنادقها دورا بارزا في تنشيط الحركة التجارية بها كما خلقت بنيات تحتية أخرى كفنادق خاصة بالجاليات الأجنبية ترعة التجارة الأجنبية ببجاية وهذا دليل على وجود علاقات سلمية متبادلة.

كما كان داخل الفنادق المسيحية مستودعات لبضائعهم وسوق داخلي يقام فيه المزاد وحماماتهم وكنائسهم وملاهيهم كما وجدت قنصليات فيها قنصل يمثل ويحمي تجارتهم ويفصل في قضاياهم.⁵

2- التجارة الخارجية:

¹الونشريسي، المعيار، ج6، ص 426.

²خلفات مفتاح، المرجع السابق، ص 207.

³الونشريسي، المعيار، ج2، ص 215.

⁴لظفي بن ميلاد، المرجع السابق، ص 206.

⁵مزاري توفيق، المرجع السابق، ص 226.

كان لبجاية في الحقبة الوسيطة خارطة تجارية مبنية على طرق ومسالك متنوعة ربطتها مع الحواضر العالمية الإسلامية والمسيحية وبالفعل تعددت هذه المنافذ في طرق برية وطرق بحرية، ومن خلال دراستنا وتمعننا أكثر في هذا المجال لاحظنا وجود فارق في التعاملات التجارية البحرية أكثر من البرية وهذا ليس من العدم، فالتعامل التجاري البري أقل من البحري وهذا راجع لعدة أسباب منها:

● **الطرق البرية:** فلهجمات المتكررة التي كان يشنها أعراب الهلالية على القوافل التجارية الآتية من الصحراء، فبعد الهجرة الهلالية تغيرت الأوضاع ببجاية منتصف القرن 5هـ/11م هذا التحول السياسي العسكري أدى إلى التحول الاقتصادي ببجاية فإلى جانب تقلص الأراضي الفلاحية ببجاية بسبب تحولها إلى أملاك الهلاليين استحوذوا على الطرق التجارية البرية¹ الذي يربط بينه وبين الطرق البحرية في نقل البضائع وبالتالي لم تتعهد هذه المسالك الأيمن والاستقرار وهناك عامل آخر أدى إلى تعطيل الإبحار عن طريق البر وهو الغزو الميورقي على بجاية يكتف بالسيطرة البحرية، بل سيطر على المنافذ البرية التي لم تسلم من وجود الميارقة واستحوذوا على المنافذ البرية التي تصل ببجاية، أمام كل هذه الأسباب تحول النشاط التجاري اليهودي في منتصف القرن 5هـ-11م من نشاط تجاري بري إلى بحري بسبب التواجد الهلالي رغم أن اليهود لم يملكوا السفن التجارية التي كانت حكرًا فقط على المسيحيين لكن تحت هذه الظروف والضغط اضطروا إلى تغيير وجهاتهم التجارية فكانت المسالك والمنافذ البحرية حلاً لمواصلة نشاطاتهم التجارية.²

¹عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص.55، ابن خلدون، العبر، ج6، ص 210.

²لظفي بن ميلاد، أفريقية والمشرق المتوسطي من أواسط القرن 5هـ/11م، ص203

وفي بداية القرن 7هـ/13م عاد الأمن إلى الطرق البرية بعدما تعطلت التجارة طويلا فاتخذت المشاركة منافذ ومواصلات تصلهم بمناطق المغرب كالطريق الرابط بين سجلماسة ومصر مروراً وسط الصحراء الليبية ليتسنى لهم الدخول والاتجار ببلاد المغرب.¹

أما بجاية فتعددت طرقها البرية حسب ما ذكر الإدريسي حيث يقول: "...وبها قوافل منحطة والأمتعة إليها برا وبحرا مجلوبة والبضائع بها نافقة..."² من بين هذه المنافذ البرية نجد الطريق الساحلي الذي كان آمناً أكثر ويعتبر أيضاً من أهم الطرق البرية الذي يربط بجاية بالشرق والمغرب، فهذا الطريق يمر في القيروان ويتفرع منه ثلاثة منافذ، المنفذ الأول يصل إلى سوس الأدنى والثاني إلى مدينة الفسطاط والثالث يمر بالواحات الداخلية المصرية متجهاً إلى السودان ثم إلى بلاد غانة أين يلتقي بطريق سوس الأقصى الذي بدوره يربطه بأهم مدينة اقتصادية وهي سجلماسة الطريق الساحلي لم يتمحور في ربط بين القوافل التجارية فقط بل كان خطاً مهماً في ربط الحجيج بالبقاع المقدسة.³

كما أنشأ الموحدون طريقاً صحراوياً يربط بين بجاية ورجلان⁴

إلى النيجر فتجار بجاية أوصلوا طريقاً تجارية مع مدينة ورجلان اعتبروها من أهم الطرق البرية لأن ورجلان أهم قاعدة يكون منها الانطلاق على بلاد السودان لجلب الرقيق والذهب والعاج وغيرها من الموارد.⁵

¹ الإدريسي، المصدر السابق، ص 95

² نفسه، ص 116

³ أبو حيان، مدينة بجاية ودورها الحضاري في المغرب، ص 230، عبد الحليم عويس، دولة بني حماد، ص 230.

⁴ هي ورقلة.

⁵ Le thielleux Jean, Ouargla cite saharienne des origines au debut du XXe siècle, librairie orientaliste, Paul geuthemen, paris 1983, pp 104-106

بالإضافة إلى هذا الطريق هناك طريق ثان يصل بين طرابلس، قابس، صفاقس، المهدية، سوسة، تونس، بنزرت، بونة، قسنطينة، بجاية¹ وفي العهد الحفصي تكثفت العلاقات التجارية عن طريق البر من مدينة بجاية وحواضر أفريقية والمغرب فقد كان تجار بجاية يجلبون من تونس ثيابا ذات جودة عالية ومن قفصة يجلب الفستق ودهن البنفسج وحل العنصل حسب رواية أبي الفداء² وايضا مدينتي توزر وقابس ارتبطتا ببجاية عن طريق ممر جنوبي شرقي³ وكان قد تحدث الإدريسي حول مجالسة بجاية لتجار المغرب الأقصى وهو دليل على وجود روابط تجارية كانت تربطها متمثلة في منافذ وممرات برية وبحرية مع بلاد المشرق فوجدت طريقا بریا الرابط بين بجاية الحفصية بطرابلس والمشرق وتسمى بطريق الساحل الثاني.⁴

أما عن تجارة بجاية مع المدن المجاورة لها فكانت طريقها البرية متفرعة لعدة اتجاهات فمن بجاية إلى قلعة بني حماد 80 ميلا مرورا بعدة قرى وطريق ثان من بجاية نحو تنس وتدلّس ومرسى الدجاج، وجزائر بني مزغنة وشرشال، أما الطريق الثالث يبدأ من بجاية متجها نحو مدينة بونة ومنها إلى حصن المنصورية ثم إلى جيجل وأخيرا إلى القل.⁵

وهناك مسافات ومراحل بين بجاية وأقاليم المجاورة فيذكر الإدريسي أنه: "من بجاية إلى ايقجان يوم وبعض يوم ومن بجاية إلى بلزمة مرحلتان.⁶ ومن بجاية إلى سطيف يومان ومن بجاية وقالملة ثماني مراحل ومن بجاية وتبسة ستة أيام وبين بجاية وطنية سبع مراحل وبين بجاية وميلة ثلاثة أيام⁷ وعلی قسنطينة عشرون ميلا، وهناك العديد من القرى

¹عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 56

²أبو الفداء، تقويم البلدان، ص 143،

³صالح بعيزيق، بجاية في العهد الحفصي، ص 183.

⁴ابن بطوطة، الرحلة، ص 20.

⁵الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 92

⁶نفسه، ص 96.

⁷الإدريسي، نزهة المشتاق، ج 1، ص 219.

والمدن الداخلية والساحلية ربطتها علاقات تجارية مع عاصمة الساحل بجاية فعملية الوساطة التجارية كان لابد من وجودها في الحركات التجارية لتقريب بين المدن والحواضر فبجاية كغيرها من الحواضر أسهمت بشكل كبير في هذه الوساطة ببجاية في تسهيل عملية ربط العلاقات التجارية والموارد بين بجاية وبلاد السودان كتوفير الذهب والعبيد لهما، وعليه الطرق البرية لا تقل أهمية عن الطرق البحرية فهي بدورها ربطت بين الأقاليم التجارية التي وفرت بعض متطلبات الأسواق الخارجية ولإكمال باقي المتطلبات كان لابد من فتح طرق تجارية أخرى لتنشيط أكثر للتجارة فكانت الطرق البحرية هي الوجهة الثانية في دعم هذه الحركة.

● **الطرق البحرية:** بحكم الموقع الجغرافي الاستراتيجي الذي تتموقع عليه بجاية منحها قوة تجارية بحرية أكثرها نشاطا من الحركة التجارية البرية وذكرنا الأسباب آنفا فبجاية تحوي على ميناء آمن حسب قول البكري: "مرسى مامونمشتة قد خرج عن محاذة جزيرة الأندلس"¹ فأمن ميناءها وإطلالها على واجهة بحرية كلها كانت عوامل مشجعة لربطها بعلاقات تجارية مع الدول البحرية خاصة الأوربية فميناء بجاية يذكره صاحب كتاب الاستبصار أنه كانت تحط فيه سفن الروم من الشام وغيرها من أقصى بلاد الروم وسفن المسلمين من الإسكندرية بطرف بلاد مصر وبلاد اليمن والهند والصين وغيرها،² فهذا الاستقطاب المتنوع من مختلف أجناس التجار سببه راجع إلى أن بجاية كانت تشكل مركز نقل اقتصادي قوي لكونها محطة رئيسية لتجارة الذهب بين صحراء غرب أفريقيا وجنوب أوربا.

تحدثت المصادر أنه شهد ميناء بجاية كل الجناس لا سيما وجود مكثف بل غلب عليه حضور قوي للإيطاليين الذين مارسوا الإبحار البحري مع بجاية منذ القرن 5هـ-11م إلى غاية القرن 9هـ/15م فقد شهدت هذه الفترة الزمنية الطويلة تعاملات مع مختلف جمهوريات ومدن إيطاليا الفرنجية والمشرقية وغيرها.

¹البكري، المصدر السابق، ص 155.

²مؤلف مجهول، الاستبصار، ص 130.

1) التجارة البحرية مع جنوة¹:

لقد ربطت بجاية علاقات تجارية مع مدينة جنوة منذ القرن 5هـ/11م ويعتبر الجنويون من بين التجار الأوائل الذين أوجدوا لأنفسهم وكالات تجارية على ميناء بجاية بالإضافة إلى الفنادق الخاصة بهم، هذا التوافد المكثف وهو وليد سياسة لحكام الحماديين ببجاية فقد أبرموا العديد من المعاهدات التجارية مع التجار الجنويين وفي منتصف القرن 6هـ/12م تم تسجيل ميناء بجاية من أهم الموانئ في التعاملات التجارية فلقد لعبت السفن التجارية الجنوية دورا كبيرا بينه والتجار الجنويين،² في الربط بين بجاية وأوروبا والمشرق ونقل البضائع ونقل الناس إذ يذكر لنا الغبريني كانت تصل المراكب النصرانية لحمل الناس إلى ميناء بجاية: "...ولقد وصل في بعض الأحيان من ناحية الشام في شهر ذي الحجة"³ وهذا أيضا ما أكده لنا ابن جبير أن السفن المسيحية كانت تحمل المسافرين إلى ميناء بجاية.⁴

أنشأت جنوة خطوطا بحرية مع بجاية فكان لها خط تجاري بحري يسمى percosterian يربط بين سبتة وهران ببجاية الاسكندرية أو حلب، سبتة وبجاية ومرسيليا والإسكندرية وسبتة.⁵

وكان الجنويون بعد ترحالهم عبر موانئ أوروبا يحطون في ميناء بجاية،⁶ لعرض سلعهم وبضائعهم ثم يشحنون منها بضائع أخرى ليواصل سفنهم التنقل من ميناء بجاية إلى تونس ومحطات تجارية أخرى.

¹ جنوة من الجمهوريات الإيطالية

² علاوة عمارة، النشاط التجاري للساحل الشرقي للجزائر 6هـ/12م، دراسات في تاريخ، ص36

³ الغبريني، عنوان الدرابة، ص27

⁴ ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص218

⁵ لظفي بن ميلاد، أفريقية والمشرق المتوسطي، ص214

⁶ Valerian Dominique, Bougie pot maghrébin (1067-1510), école française de Rome, Rome 2006, p624.

وبالرغم من هجمات الإيطاليين والنورمان على سواحل شمال أفريقيا فإن التجارة لم تنقطع مع المدن المسيحية بل شهدت تطورا كبيرا ما بين القرنين السادس والثامن للهجرة (12م-14م)، ومدينة جنوة كانت من المدن التي تواصل تعاملها مع ميناء بجاية إلى غاية بداية القرن 9هـ/15م، ومن مظاهر التعاون التجاري البحائي الجنوبي وجود موظفين مغاربة من بجاية وغيرها من المدن في جنوة مهمتهم ومن خلال هذه الوظيفة تعلم بعض تجار المدن الإيطالية اللغة العربية التي زادتهم تواسلا بالتجار المغاربة، بل أنشأت الحكومة الجنوبية مدرسة لتعليم اللغة العربية عام 604هـ/1207م.¹

فقد كانت لجمهورية جنوة عدة عقود ومعاهدات تجارية أبرمتها مع بجاية وهذا منذ العهد الحمادي سنة 547-548هـ/1153م أما العهد الموحيدي أبرمت أول اتفاقية مع الخليفة الموحيدي عبد المؤمن بن علي في السنة نفسها تسمح للسفن الجنوبية التجار برعاياهم برا وبحرا بافضافة حفظت عن تجارتهم نسبة البضائع الواردة إلى بجاية بالنسبة العشر والواردة إلى غيرها بـ8%، كما وصلت حصة استثمار جنوة ببجاية وحدها إلى 27/1²، وهذا دليل على العلاقات التجارية القوية بينها بالإضافة إلى إنفاق عقد بين البحائيين والجنوبيين على حفظ أموال الغرقى من تجارتهم وإعطاء الديات لأهالي موتاهم.

بعد سقوط بجاية في يد بني غانية سارع الجنويون في إبرام عقد تجاري بينهم وبين بني غانية سنة 584هـ/1188م مدته 20 سنة³ زادت حركة التعامل التجاري بين بجاية وجنوة خلال العهد الحفصي ببجاية تصدرت المراتب الأولى في قائمة الموانئ التي تتعامل معهم جنوة و الاتفاقيات والمعاهدات التجارية المبرمة بينهم أكبر

¹ مزاري توفيق، المرجع السابق، ص 237،301، عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن 6هـ، ط1،

دار.....1983، ص277، محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1983، ص172

² صالح أبو دياك، المرجع السابق، ص 227،226.

³ نفسه، ص226،227، مزاري توفيق، نفسه، ص304.

دليل على هذه الصدارة، ففي عهد الأمير أبي زكرياء الحفصي عقدت جنوة معه اتفاقية تجارة وسلم تدوم صلاحيتها مدة عشر سنوات وكان هذا الاتفاق سنة 633هـ/1236م حسب "ماس لاتري"¹، وتجدد هذا الاتفاق ليشمل تمديده لعشر سنوات أخرى سنة 649هـ/1251م² وفي سنة 671هـ/1272م استفادت جنوة باتفاقية أخرى تدوم مدتها 10 سنوات³ ورغم انفصال بجاية الأولى والثانية عن الدولة الحفصية إلا أنها واصلت علاقاتها التجارية مع جنوة وغيرها من المدن الأوربية، وهذا بسبب المكاسب والامتيازات القائمة بين بجاية وحواضر أخرى، هذه الظروف المستقرة بين بجاية وجنوة نستطيع القول أنها كانت تتخللها من حين لآخر بعض العراقيل والمشاكل التي كانت تعيق مسار التعامل التجاري البحائي الجنوبي من بينها الخلاف الثنائي بين جنوة وبيزا الذي كان يصل ضرره إلى ميناء بجاية ففي سنة 643هـ/1245م، في عهد السلطان أبي زكرياء قام الجنويون بحجز سفينة بيزية كانت ترسو بميناء بجاية ردا على البيزيين الذين اختطفوا سفينة جنوية وإحراق مراكب أخرى تابعة لبيزة كما ألحقوا الضرر برعاياهم المقيمين ببجاية⁴، هذا الأمر أزعج السلطان الحفصي والذي لم يجدد اتفاهه مع جنوة رغم انقضاء مدة الاتفاقية سنة 633هـ/1236م⁵، وتذكر بعض المصادر أن جنوة كانت من حين لآخر تشارك في شن الهجمات على سواحل شمال أفريقيا وهذا ما كان يعكر مجرى العلاقات التجارية مع موانئ هذه الأخيرة.

2) التجارة البحرية مع بيزا (بيشة):

¹ بعيزيق صالح، بجاية في العهد الحفصي، ص 320.

² نفسه، ص 321.

³ برنشفيك، تاريخ أفريقية، ج 1، ص 96.

⁴ نفسه، ص 64، 65.

⁵ بعيزيق صالح، بجاية في العهد الحفصي، ص 322.

نظرا لامتلاك مدينة بيزا أسطولا تجاريا قويا وصل إلى مائة وخمسين قطعة أهلها أن تربط علاقات تجارية مع موانئ شمال المغرب الاسلامي، وأول عقد مبرم كان لبيزا سنة 517هـ/1133م وهو عبارة عن اتفاقية سلام وتجارة تشمل منطقة المغرب الأوسط في العهد الحمادي.¹

أما العهد الموحيدي فكانت العلاقات التجارية بين المدن الموحدية ومدينة بيزا يعتليها التعكر وعدم الاتفاق وفقدان الثقة بينهما بسبب القرصنة البيزية المستمرة على سواحل الدولة الموحدية تأخر السلام الموحيدي البيزي إلى غاية سنة 582هـ/1186م في عهد الخليفة يعقوب المنصور، تمكنوا من عقد معاهدة سلام وتجارة مدتها 25 سنة كان فيها تحديد الموانئ والمراسي التي يباح لهم فيها التوقف والرسو وهي ميناء سبتة ووهران وبجاية وتونس حسب ما جاء في رسالة الخليفة الموحيدي يعقوب المنصور رد فيها على مراسلات الأوربيين وعلى رأسهم البيزيون مفادها هو: "... وأجاب مسألتهم وامرهم صلح على عادتهم وهدنتهم وعقد لهم السلم إلى مدة خمس وعشرين عاما من تاريخ هذا الكتاب على الأمانة التامة والمعدلة الشاملة العامة... ووصل ألفا من ومنه في الوصول إلى بلاد الموحيدين... التجارة فيها والتجهيز بها وقصرهم على أربعة بلاد من حملتها سبتة ووهران وبجاية وتونس حماها الله ولم يبيح لهم النزول غيرها ولا الاحتلال بسواها إلا للضرورة من صعوبة البحر"² رغم هذا الصلح غلا أن لعض من السفن البيزية استمرت في القرصنة التي كانت تعكر العلاقة بين الموحيدين والبيزيين ثم تعود وتحدد علاقاتها التجارية بعقود جديدة.

لم يتوان البيزيون عن عقد معاهدات مع بني غانية عندما سيطروا على بجاية وأقاليم أخرى³ سنة 580هـ مدتها عشر سنوات أما العهد الحفصي نستطيع القول أن التجارة البيزية ببجاية شهدت نشاطا أوسع من قبل لا سيما في

¹ مزارى توفيق، المرجع السابق، ص 297.

² مرعي خلف الله ابتسام، العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي، ص 274.

³ نوازي توفيق، المرجع السابق، ص 304.

العهد الحفصي الأول عهد الأمير أبي زكرياء يحيى الذي منح امتيازات للبيزيين في مدن أفريقية،¹ وهذا بعد سقوط الدولة الموحدية لكن الإضطرابات والتوترات عرفت طريقها نحو العلاقات البجائية البيزية في منتصف القرن 8هـ/14م وسببها كالعادة مشاركة بيزا في العدوان والإغارات على سواحل الحفصيين كانت نتيجتها تعطيل المسار التجاري بينها وبين بجاية ولم تتمكن من إبرام معاهدات إلا في سنة 800هـ/1397م في عهد السلطان أبي فارس بعدما أكدت التزامها أمام شروط المعاهدة التي تنص على مقاومة القرصنة ومعاينة القرصنة من اجل المحافظة على الأمن والسلام بين الطرفين،² أما القرن 9هـ/15م شهد قفزة نوعية في وضعية مدينة بيزا فقد آلت لحكم مدينة فلورنسا عام 812هـ/1409م من جهة ومن جهة أخرى صعود قوة بحرية تجارية سيطرت على الحركة التجارية مع مدينة بجاية وهي مدينة البندقية حيث أصبح البيزيون يتاجرون باسم فلورنسا وقاموا سنة 817هـ/1414م بتجديد اتفاقية سلمية بينهم وبين الحفصيين التي عقدت سنة 800هـ/1397م³ وبهذا الوضع تنتهي الهيمنة البحرية لبيزا وتحل مكانها هيمنة فلورنسا.

مشاكل عرقلة التجارة بين بجاية وبيزا:

- أرسل رئيس أساقفة سفراء شعب بيزا ومستشاريه رسالة إلى الخليفة الموحدى أبي يعقوب يوسف مفادها أن تجار بيزا يشكون من المبالغ المالية التي يفرضها جمارك ميناء بجاية والتي قيمتها 500 دينار ككفالة لتجارهم وهو

¹ نفسه، ص 303.

² بعيزيق صالح، بجاية في العهد الحفصي، ص 325، 323، غزاوي أحمد، العلاقات بين العالمين الإسلامي والمسيحي في العصر الوسيط، ج 3، ص 20، 12.

³ غزاوي أحمد، نفسه، ص 28، 21.

مبالغ مقابل السلع التي يتم شراؤها لأنه وجد من التجار الذين لم يحترموا هذا النظام فمنعت السلطات ببجاية مغادرة تجار بيزا الميناء خاصة لتجار الجلد.¹

- الحروب الصليبية هذا العامل أدى إلى مغادرة تجار بيزا مدينة بجاية لكن عادت الأوضاع لتهدأ من جديد تعيين القس "جافيرو" عميد الكنيسة أهل بيزا في بجاية.²

- شهدت في كل من سنة 1317هـ/720م وسنة 1364هـ/767م وسنة 1366هـ/769م وسنة 1378هـ/781م استمرار العلاقات بين بيزا وبجاية اتسمت بإبرام اتفاقيات ومعاهدات وتبادل السفارات، لكن الوضع لم يستمر طويلا بسبب سقوط بيزا في يد فلورنسا عام 1409هـ/812م³ وكانت بجاية وعلى موانئها تزن الجمارك السلع بقدر الوحدات الخاصة ببجاية وهي وحدة الفلقة وكان الجمارك يسهرون على توحيد القياسات الأوروبية مع قياسات بجاية.⁴

3) التجارة البحرية مع فلورنسا:

لم تذكر المصادر وجود علاقات تجارية بين بجاية وفلورنسا في العهدين الحمادي والموحدي بل قيام هذه العلاقة كان في العهد الحفصي وبالضبط في بداية القرن 9هـ/15م فبعدها سيطرت فلورنسا على بيزا آلت هذه الأخيرة لحكمها وتبعيتها الاقتصادية سنة 807هـ/1406م،⁵ أما برنشفيك كان سقوط بيزا بين يدي فلورنسا في 812هـ/1409م سارعت فلورنسا إلى عقد اتفاقيات تجارة مع حواضر الدولة الحفصية ومنها بجاية، بعدما تمكنت

¹ عيساني جميل وفائريان دومينيك، العلاقات بين مدينتي بيزا وبجاية في العصور الوسطى، مساهمة حاسمة في بناء الانتماء للمتوسط، بجاية مركز إشعاع للمعرفة، وزارة الثقافة، الجزائر 2008، ص 42.

² نفسه، ص 43.

³ عيساني ودومينيك، المرجع السابق، ص 43.

⁴ نفسه، ص 43، 44.

⁵ غزاوي أحمد، العلاقات التجارية بين العالمين الاسلامي والمسيحي، ج 3، ص 29، 36.

من بسط نفوذها على كامل ممتلكات بيزا، فجددت اتفاقية 817هـ/1414م نصت هذه الاتفاقية على شروط من بينها توفير الأمن والأمان بين الطرفين وأن يكون لهم فنادق ويكون لهم قيصر في سائر البلاد الحفصية كما وضعت الدولة الحفصية نصف من الضريبة على بعض المواد كالأحجار الكريمة (الجوهر، الزمرد، الياقوت، الفضة والذهب) وأن يكون الترجمان في كل صفقة وبيعة حاضرا ويدفع له خمسة دراهم سكية لكل مائة دينار سكية عشرية الصرف وغيرها من شروط التي وصلت إلى الثمانية وعشرون شرط .

وفي سنة 849هـ/1443م تم الاتفاق بين الدولة الحفصية وفلورنسا على حماية الرعايا الفلورنسيين داخل مدن الدولة الحفصية، بالإضافة إلى القضاء ومحاربة القرصنة التي تهدد السواحل الحفصية لضمان سلامة المسافرين على أجناف الفلورنسيين ومنح صاحب الديوان صلاحيات أوسع لفض النزاعات والخلافات في المرسى وللقنصل الذي يتعين بحضرة من الحواضر الحفصية له، أن يتدخل إلى السلطان مرتين في كل شهر لإتمام وقضاء حوائجه وأن تكون فنادق الفلورنسيين فيها فرن وكنيسة ولا يشاركونهم أحد من غير جنسهم في فنادقهم.¹

شهد نهاية القرن 9هـ/15م تحولا كبيرا في العلاقات التجارية بين بجماية وفلورنسا اتسمت بوجه فيه عداء بحيث قامت فلورنسا بتأسيس خط بحري سنة 862-863هـ/1458م تؤمنه سفينتان تمران من جنوة ثم تتوجهان نحو الموانئ الحفصية فاتخذوا إجباريا ميناء بجماية للتوقف فيه فحددوا لكل مدينة مدة للتوقف فيها منها بجماية، بونة أقل من 3 أيام تونس 12 يوما على الأكثر وتتوجهان السفينتان إلى المغرب الأقصى وجنوب إسبانيا.²

4) التجارة البحرية مع البندقية:

¹ غزاوي أحمد، العلاقات بين العالمين، ج3، ص43، 37.

² بعيزيق صالح، بجماية في العهد الحفصي، ص330، برنشفيك، تاريخ أفريقية، ج1، ص293.

البندقية مدينة ذات موقع استراتيجي مطلة على البحر المتوسط هذا ما أهلها أن تكون محطة تجارية هامة فقد أبرمت العديد من الاتفاقيات والصفقات التجارية مع المدن المجاورة والأقاليم، فبحاية واحدة من هذه المحطات، فالبندقية كان لها نصيب في التعامل التجاري مع ببحاية، ففي القرن 4هـ/10م كانت سفنها تجوب السواحل الشمالية لأفريقيا،¹ فقد اشتعلت فرصة الصراع الذي كان قائما بين جنوة وبيزا وعلى إثره وطدت علاقتها مع ببحاية مع قيام الدولة الحفصية فوكالاتها التجارية التي أنشأتها بمدينة ببحاية² أكبر دليل على إقبالها التجاري بالمدينة كما كانت شواني البندقية³ واسطة لنقل البضائع والأشخاص إلى ميناء ببحاية من المشرق وبلاد الهند والصين حسب ما جاء عند صاحب الإستبصار: "...وهي مربي عظيمة تحط فيه سفن الروم من الشام وغيرها من أقصى بلاد الروم وسفن المسلمين من الإسكندرية بطرف مصر وبلاد اليمن والهند والصين وغيرها..."⁴ وعليه شكلت البندقية همزة وصل بين ببحاية والحواضر الأخرى، إذ أنشأت خطا بحريا سنة 841هـ/1437م يمر على صقلية ثم تونس ومن بعده الموانئ المغربية وجنوب إسبانيا⁵.

أنشأت خطا تجاريا "مودا ديل ترافيقو" "MudadelTrafego" يعني خط التبادل التجاري البحري سنة 864هـ/1460م من خلاله كانت تصل بضائع من الإسكندرية إلى مدن أفريقية وليس فقط السلع حتى حمل الحجاج والمسافرين على متن سفن البندقية إلى المناطق المرجوة الوصول إليها، فشهد ميناء ببحاية حركة تجارية نشطة مثلتها البندقية، ففي سنة 836هـ/1432م كانت تصل إلى الميناء سفينتين⁶ لكن بعدما انشأت البندقية وكالة بحرية

¹ مزاري توفيق، المرجع السابق، ص 204.

² أبو دياك، مدينة ببحاية ودورها الحضاري في المغرب منذ القرن الرابع، ص 227.

³ لطفي بن ميلاد، المرجع السابق، ص 204.

⁴ مؤلف مجهول، الاستبصار، ص 130.

⁵ بعيزيق صالح، ببحاية في العهد الحفصي، ص 329.

⁶ لطفي بن ميلاد، المرجع السابق، ص 218.

سنة 840هـ/1436م¹ كثفت من عدد سفنها أصبحت ثلاث شواني محملة بالبضائع الخاصة بالمغاربة نحو مصر،² كما كانت تنقل من الموانئ الإفريقية لا سيما من بجاية الفراء والمرجان من مرسى الخرز والبرانس إلى الإسكندرية ونقلت أيضا كميات كبيرة من الذهب من موانئ شمال أفريقيا،³ حافظت البندقية على مكانتها التجارية مع بجاية لسنوات لا سيما وهي مسيطرة على خط تجاري قوي كخط "مودا ديل ترافيقوا" إلى غاية القرن 9هـ/15م الذي شهدت فيه عراقيل تجارية عديدة مثل الحرب بينها وبين العثمانيين سنة 868-885هـ/1469-1479م،⁴ كما تعرضت سفنها إلى هجمات القراصنة، أما الاحتلال الإسباني لسواحل المغرب الأقصى والأوسط كان له أثر كبير على وضع التجارة البندقية بسواحل المغرب إذ عطلت التجارة وانقطع الوجود البندقي بعدما شن الإسبان هجمات ضد سفنهم،⁵ وبذلك تغيرت الأوضاع في نهاية القرن 9هـ/15م على الصعيد الداخلي والخارجي في شمال أفريقيا وفي أوروبا والمشرق العربي.

5) النشاط التجاري مع قبرص وصقلية:

يذكر Dominique Valerian أن ميناء بجاية شهد ولوج العديد من التجار من مختلف الجنسيات كالبارصة الذين كانوا يصدرون منتوجاتهم إلى ميناء بجاية مثل الجواهرات الثمينة "العناقيد الذهبية" وهذا عن طريق

¹ برنشفيك، المرجع السابق، ج1، ص282، 281

² لطفي بن ميلاد، المرجع السابق، ص 218

³ نفسه، ص 213، 212

⁴ لطفي بن ميلاد، المرجع السابق، ص 219

⁵ صالح بعيزيق، بجاية في العهد الحفصي، ص330.

السفن التي كانت تصل من جنوة مروراً بمرسيليا، سبتة، وهران، بجاية، تونس، صقلية، الإسكندرية¹ وأيضاً خط بحري الذي كان من البندقية ويمر على صقلية ثم تونس ومن بعده بالموانئ المغربية وجنوب إسبانيا.²

6) التعامل البحري مع مرسيليا:

عرفت بجاية تواجداً كبيراً لتجار مرسيليا فكانت لهم امتيازات تجارية خاصة بهم ففي أواخر العهد الموحد سنة 606هـ-607هـ/1210م أبرم تاجر مرسيليا يدعى "إيتيان دي مانديل" صفقة تجارية مع تجار بجاية³ ومن بعدها سنة 608هـ/1211م نالت مرسيليا حق غرساء سفنها بمرسى بجاية بالإضافة إلى تخفيض نسبة الرسوم الجمركية ما بين 5 و8% خلال القرنين 6-8هـ/12-14م⁴ فتواصل المد التجاري بين بجاية ومرسيليا ليشمل عدة اتفاقيات ومعاهدات وامتيازات تجارية تمثلت في حماية مباشرة لقنصل مرسيليا في بجاية تحديد بعض السلع في المتاجر بها ببجاية وإعطائها الأولوية والصدارة تكشف صفقات تجارية مع كبريات عائلات مرسيليا،⁵ بناء فنادق ووكالات تجارية خاصة بمرسيليا كما استفاد تجار مرسيليا من قروض ما يسمى بالقرض البحري وهو تحمل صاحب البضاعة الخسائر والتكاليف الناجمة عن غرق أو سرقة بضاعته⁶ كما استخدموا التقاضي بينهما Acredit وبيع سلعهم في المزاد العلني الذي كان يقام إما بالفنادق الخاصة بمرسيليا أو المراكز التجارية الواقعة على مرسى بجاية،⁷ كل هذا وأكثر استفاد منه تجار مرسيليا، لكن الوضع لم يستمر بل علاقتهما التجارية تحللتها موجة من التوتر والغياب بسبب عدة عراقيل منها

¹ Dominique Valerian, p623

² بعيزيق صالح، بجاية في العهد الحفصي، ص329.

³ نفسه، ص332.

⁴ محاضرات ومناقشات الملتقى الثامن للفكر الإسلامي، بجاية، 1-12 ربيع الأول 1394هـ/25 مارس إلى 15 أبريل 1974م، منشورات وزارة الشؤون الدينية، ص574، 573.

⁵ صالح أبو دياك، المرجع السابق، ص228.

⁶ نفسه، ص228.

⁷ نفسه، ص229.

المرض الخطير الذي تمكن من كل السفن التجارية في أواخر القرن 8هـ/14م وهو حركة القرصنة فكان لمرسيليا قرصنة وقضية الأسرى والعبيد عملوا على تصعيد وتفجير التوتر الذي عرفته العلاقات التجارية بين بجاية ومرسيليا وصل بها إلى انقطاع استمر إلى غاية الثلث الأخير من القرن 9هـ/15م هذا الأخير شهد عودة جديدة للعلاقات بين بجاية ومرسيليا كان التاجر بيار بابلو طرفا فيها سنة 880هـ/1475م¹ وبهذا استأنفت العلاقات لكنها لن تستمر طويلا وهذا بسبب احتلال الإسبان لبجاية سنة 916هـ/1510م.

7) التجارة البحرية مع بلاد الأندلس:

حظا ميناء بجاية بإقبال كبير للتجار الأندلسيين من معظم حواضر الأندلس قصد الإتجار وتسويق بضائعهم ويرجع سبب وجود الأندلس المكثف في ميناء بجاية إلى جذور تاريخية قديمة منذ الفتح الإسلامي وارتباط العدوتين بهذا الفتح إلى جانب قرب المسافة بينهما فهذا كله أو أكثر منح التجار الأندلسيين مكانة واسعة في النشاط التجاري بالمغرب الإسلامي عامة وبجاية خاصة بدايته كانت فيا لعهد الحمادي فقد ازدهرت الملاحة بين ميناء بجاية وموانئ الأندلس.²

ازدهرت التجارة بينهما بسبب الخطوط التجارية التي كانت، إذ يذكر المقدسي أنه تنوعت الاتصالات التجارية بين المدن المغربية والأفريقية والاندلس فيقول: "...به (أي المغرب) تجارات وتحمل من برقة ثياب الصوف والأكسية

¹ صالح بعيزيق، بجاية في العهد الحفصي، ص336،335

² إسماعيل العربي، العمران والنشاط الإقتصادي في الجزائر في العصر الحمادي، مجلة الأصالة (عدد خاص ببجاية عبر العصور)، وزارة التعليم العالي والشؤون الدينية 1974، العدد19، ص 343.

ومن صقلية الثياب المقصورة الحديدية ومن أفريقية الزيت والفسق والزعفران والمزود والأنطاع، ومن فاس التمور وجميع ما ذكرنا ومن الأندلس بز كثير وخصائص وعجائب¹

كما صدرت بلاد الأندلس إلى حواضر المغرب الإسلامي وبجاية واحدة من المعدن الذي كان يصنع منه الأسلحة لظروف الحرب واللوز والقطن والزعفران، كما ذكر عبد الرحمان بن خلدون أنه كانت تجلب من الأندلس الثياب الحريرية التي انفرد بها السلاطين وحكام بجاية.²

وبهذا نصل إلى قول أن العنصر الأندلسي لم يقتصر وجوده على بجاية كتجار فقط بل كانت لهم وجود أقوى في السلطة السياسية ومن أهم فئاته.

8- الإتجار البحري مع بلاد المشرق الإسلامي:

مرسى بجاية تحط فيه سفن الروم من الشام وغيرها من أقصى بلاد الروم وسفن المسلمين من الإسكندرية بطرف بلاد مصر وبلاد اليمن...³ أما المقديسي يذكر أن البحائيين كانوا يجالسون تجارا أهلها يجالسون تجار المشرق " والمشرق الإسلامي لكون بجاية محطة تجارية هامة وتزخر بتنوع الإنتاج الفلاحي والصناعي مثل الشمع وفرو الأغنام والجلود هذه السلع وغيرها تنقل عبر السفن الجنوبية والبنديقية كانتا تقومان بمكانة الوساطة التجارية وهمزة وصل بين ميناء بجاية وموانئ المشرق الإسلامي كميناء الإسكندرية إذ يذكر لنا ابن الجبير أنه خرجت من ميناء مدينة صور سفينة فرنجية متوجهة إلى ميناء بجاية سنة 580هـ/1184م والغبريني يؤكد على الوساطة التجارية النصرانية، إذ قدم من بلاد الشام

¹ المقدسي (محمد بن أحمد)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص28، 27 ويقصد بالمزود هو المزود يصنع من جلد الماعز يوضع فيه الأكل والماء ويصح قربة ماء، أما الأنطاع جمع نطع وهو بساط من الجلد، ينظر: توفيق مزاري، المرجع السابق، ص266، 267.

² ابن خلدون، العبر، ج6، ص725.

³ مؤلف مجهول، الاستبصار، ص130.

مركبا نصرانيا إلى ميناء بجاية،¹ كما تواصلت العلاقات البحرية التجارية بين بجاية والمشرق إلى بداية القرن 9هـ/15م ففي سنة 788هـ/1386م ربط بجاية بالإسكندرية خط بحري يبدأ مساره من إسبانيا ووهران وبجاية ثم الإسكندرية، فميناء هذه الأخيرة كان يستضيف عددا كبيرا من البربر ومن جربة وغيرها من البلدان،² أما مصر توافد عليها عدد كبير من البربر هؤلاء الذين جلبوا البضائع والسلع المشرقية إلى مدنهم كالقطن وقصب السكر والزعفران،³ هذه الروابط التجارية التي ربطت بين مدينة بجاية والمدن المشرقية كان لها بصمات مختلفة لا سيما على الصعيد الاجتماعي كالمصاهرة وتوسع المدينة بسبب دخول تراكيبات جديدة إليها وبالتالي تشيد عمارة خاصة بهم أدى إلى التوسع العمراني بسبب التعمير البشري المتدفق على المدينة وصدرت بلدان شمال أفريقية المنسوجات الصوفية إلى المشاركة.⁴

عراقيل التجارة:

كانت الحروب الصليبية في مطلع القرن 5هـ/11م سببا في تدهور التجارة بين المشرق والمغرب الإسلامي وبدورهم الحماديون نقلوا الكثير من سلعهم إلى مصر كالجلود والمرجان أما بقية الدول كالأشام والعراق والحجاز كانت تربطهم ببجاية علاقات تجارية عن طريق وساطة أجنبية تمثلت في سفن النصارى.

يذكر المقديسي أن سفن الحجاج المغاربة كانت تحمل البضائع إلى بلاد المشرق الإسلامي لا سيما مصر التي كانت تحمل البضائع إلى بلاد المشرق الإسلامي لا سيما مصر التي كانت نقطة عبور لقوافل الحجاج المسافرين إلى البقاع المقدسة.

¹ الغبريني، عنوان الدرابة، ص 80

² حسن الوزان، وصف أفريقيا، ج2، ص 194.

³ عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص 227.

⁴ مزارى توفيق، المرجع السابق، ص 289.

9-الإتجار البحري مع الهند والصين:

عرفت أسواق بجاية منتوجات وسلع هندية وصينية كالتوابل وأنواع الكتان والحريز ومواد الصباغة وغيرها وهذا راجع إلى دور التجار المغاربة في تقريب منتوجات بلاد الشرق الأقصى إلى المستهلك المغربي بصفة عامة والبجائي بصفة خاصة، فقد عمل التجار المصريون على دفع تجار المغرب الإسلامي إلى التعامل مع تجار الهند والصين وبهذا شاركوا في تجارة ما يسمى بالكارم،¹ كما لا ننسى دور الوساطة التجارية الفرنجية التي أشرنا إليها سابقا في الربط بين التجارة البجائية والتجارة مع الهند والصين، فصاحب الاستبصار يذكر أن ميناء بجاية شهد ولوج العديد من السفن حاملة مختلف البضائع من مختلف الأصقاع فيقول: "وهي مرسى بجاية عظيمة تحط فيه سفن الروم من الشام وغيرها من أقصى بلاد الروم وسفن المسلمين من الإسكندرية بطرف بلاد مصر وبلاد اليمن والهند والصين وغيرها..."²

10-العلاقات التجارية البحرية مع إسبانيا:

برزت العلاقات التجارية البجائية الإسبانية خلال القرن 7هـ/13م وبداية القرن 8هـ/14م ومن أبرز المدن الإسبانية التي تولت شؤون التجارة البحرية الإسبانية نجد كل من قطالونية التي نافست المدن الإيطالية فقد ارتفع التعامل مع بجاية من 12 ألفا إلى 24 ألف دينار.³ وقد كثف القطلونيون اهتمامهم وتعاملهم مع بجاية وهذا راجع إلى أهميتها كمحطة مركزية رئيسية على سواحل المغرب الإسلامي.

¹ الكارم تنتسب على الكامية وهو ففة من كنية التجار اختصوا في الاتجار فقط مع التجار الهنود والصينيون (الشرق الأقصى) ونقل بضائعهم وكان مركز نشاطهم في المحيط الهندي، ينظر: توفيق مزاري، المرجع السابق، ص 291.

² مؤلف مجهول، الاستبصار، ص 170.

³ ابتسام مرعي خلف الله، العلاقات بين الخلافة الموحدة والمشرق الإسلامي، ص 270.

أبرمت عدة معاهدات بين بجاية وقطالونيا وأول معاهدة كانت في 05 رجب 669هـ/17 فيفري 1271م وتواصلت الاتفاقيات التجارية إلى غاية سنة 723هـ/1323م ثم بعدها شهدت حركة متذبذبة اتسمت بالمد والجزر سنة 727هـ/1327م¹، تواصلت إلى غاية 840هـ/1436م وهذا بسبب مسألة مالية بينهما تمثلت في إبرام صفقة بين الطرف الإسباني الأروغوني والدولة الحفصية نص على طلب الحفصيين من الأروغونيين أن يمدوهم بالدعم العسكري من أجل صد التهديدات المتكررة على حواضر الدولة الحفصية منها بجاية من طرف بني عبد الواد مقابل دفع مبالغ مالية كانت على بجاية ما قبل، لكن ههذه الاتفاقية لم تتم بسبب استبدال أرغون تونس بتلمسان هذه الأخيرة مدتهم بمبالغ مالية مرتفعة مقابل توفير حصانة عسكرية لها،² هذا الأمر عكّر صفو العلاقة بين أرغون وبجاية إذ نتج عنه تصادمات كثيرة لاسيما أن وضع بجاية كان متأرجحا ما بين الانفصال والاتصال عن الحفصيين بالإضافة إلى السيطرة المرينية، إضافة بجاية إلى ممتلكاتها ثم الرجوع مرة أخرى إلى الحكم الحفصي كل هذه العوامل عطلت التجارة بين أرغون وبجاية وحتى العلاقات الدبلوماسية بينهما بالإضافة إلى عامل القرصنة الذي بات يهدد من ميناء بجاية وقضية الأخرى والمعاملة السيئة لهم،³ لكن في نفس الوقت تجلت محاولات الإصلاح والرجوع إلى إقامة علاقات طيبة وحسنة بين الطرفين كانت متواصلة بينهما لكن في كل مرة تفشل هذه المبادرات من طرف "ألفونسو السابع" وسلاطين الدولة الحفصية ففي سنة 854هـ/1450م أبرم اتفاق بينهما ينص على الهدنة،⁴ فاتسمت بعد ذلك بالهدوء إلى النصف الأول من القرن 9هـ/15م هذه الفترة غيرت من خارطة التجارة البحرية إذ انقسمت المملكة الإسبانية إلى قسمين، القسم الأول ضم نابولي والقسم الثاني صقلية وأرغون⁵ هذا الوضع عمل على تدهورها أكثر في المجال

¹ بعيزيق صالح، بجاية في العهد الحفصي، ص305، 304.

² برنشفيك، المرجع السابق، ج1، ص185.

³ بعيزيق صالح، بجاية في العهد الحفصي، ص314، 313.

⁴ برنشفيك، المرجع السابق، ج1، ص281.

⁵ لظفي بن ميلاد، المرجع السابق، ص259، صالح بعيزيق، بجاية في العهد الحفصي، ص315.

الفصل الثالث التجارة بحماية ومجالاتها الخارجية ما بين القرنين (5هـ-9هـ/11م-15م)

التجاري الخارجي نشبت على إثره حرب أهلية ببرشلونة أدت إلى أزمة اقتصادية عرفت من خلالها انخفاضاً في الإنتاج وارتفاع نسبة البطالة وتعطيل حركتها التجارية الخارجية لاسيما مع بجاية.¹

تأزمت الأوضاع الاقتصادية منتصف القرن 9هـ/15م وكان سببها اختلال التوازن السياسي والدبلوماسي بين الجانب الإسباني والجانب الحفصي ما أدى إلى هيمنة الإسبان على السواحل وموانئ بلاد المغرب الإسلامي حيث أفرز نتائج سلبية منها الإحتلال الإسباني لبجاية سنة 915هـ/1510م وبالرغم من تراحم الميارقة الذين أبرموا العديد من الاتفاقيات مع بجاية،² المتاجرة في البحر المتوسط مع الإسبان إلا أنهم استطاعوا أن يسيطروا على المتاجرة البحرية المتوسطية.

- المعاهدات والمراسلات التجارية بين بجاية والجمهريات الإيطالية:

-1 الاتفاقيات البجائية البيزية:

تاريخ الاتفاق	الأطراف	البنود
القرن 5هـ/11م	أول معاهدة بين الأمير الحمادي الناصر بن علناس ومدينة بيزا	السماح لتجار بيزا المتاجرة مع بجاية الحمادية، كما راسل الناصر بن علناس البابا غريغوري السابع ونصت رسالته على تعيين أسقف مسيحي يرعى شؤون البيزيين بحماية.
القرن 6هـ/12م عهد عبد المؤمن بن علي	بجاية الموحدية وبيزا	إعفاء تجار بيزا من الضريبة الخاصة بمادة الخشب ويسقط العشر في حالة تفرغ أو بيع المركب بضاعته عند وصوله إلى الميناء ³

¹ لظفي بن ميلاد، نفسه، ص258، صالح بعيزيق، نفسه، ص315.

² صالح بعيزيق، نفسه، ص306، 305، الميارقة وعلاقتهم مع بجاية، ص337، 338.

³ ابتسام مرعي خلف الله، المرجع السابق، ص209.

رسالة من مطران بيزا وقناصلتها ومستشاريها ورعاياهم إلى الخليفة الموحد أبي يعقوب يوسف يطلبون فيها أن يسهل المتاجرة البيزية ببجاية، خاصة تسهيل عملية التجارة في سلع الجلود البجائية ¹ التي كانت تنصدر الأسواق البيزية.	بجاية الموحدية وبيزا	577هـ/1181م
رسالة ثانية من بيزا حملت في ثناياها شكاوى موجهة إلى الخليفة الموحد بأن المشرف على أمور التبادل التجاري على ميناء بجاية يفرض عليهم قوانين تعجيزية على بضائعهم.	بجاية الموحدية وبيزا	578هـ/1182م
جعل كل من ميناء بجاية وسبتة ووهران وتونس من الموانئ التي يسمح فيها للتجار البيزيين التجارة فيها.	بجاية الموحدية وبيزا	582هـ/1186م
رسالة تبين الإمتيازات والمكانة التي حظيت بها التجارة البيزية ببجاية. ²	بجاية الموحدية وبيزا	604هـ/1207م
اتفاقية تجارة وسلم مع الأمير أبي زكرياء الحفصي وصلاحياتها تدوم ثلاثين سنة. ³	بجاية الحفصية وبيزا	631هـ/1234م
تجديد معاهدة 631هـ/1234م وتمديد المدة لعشرين سنة وكذا حرية التجارة في بجاية. ⁴	بجاية الحفصية وبيزا	662هـ/1264م
عقد صلح وهدنة مدتها عشرة سنوات مع بيزا.	بجاية الحفصية وبيزا	713هـ/1313م
عقد صلح مدته عشر سنوات مع بيزا. ⁵	بجاية الحفصية وبيزا	745هـ/1353م

¹ صالح بعيزيق، بجاية في العهد الحفصي، ص 319.

² نفسه، ص 320.

³ برنشفيك، المرجع السابق، ج 1، ص 56، 57.

⁴ بعيزيق صالح، بجاية في العهد الحفصي، ص 321.

⁵ ابتسام مرعي خلف الله، المرجع السابق، ص 210.

<p>تضمن هذا العقد 28 بندا:</p> <ul style="list-style-type: none"> - توفير الأمن لتجار بيزا في كل المدن الحفصية من بينها بجاية. - بناء فنادق خاصة بالبيزيين للإقامة فيها وخزن بضائعهم في الموانئ الحفصية. - للقنصل الحرية في التدخل في شؤون رعاياه وله التفويض المطلق في الاتصال بالسلطان الحفصي مرتين في الشهر. - محاربة القرصنة من الطرفين. - إعفاء تجار بيزا من أداء الضريبة التي تخص صادراتهم من الذهب والفضة والأحجار الكريمة بدفع 1/2 العشر فقط. 	<p>بجاية الحفصية وبيزا</p>	<p>800هـ/1397م</p>
<p>تجديد اتفاقية سنة 800هـ/1397م</p>	<p>بجاية الحفصية وبيزا</p>	<p>817هـ/1414م</p>
<p>تجديد اتفاقيتي 800هـ/1397م و 817هـ/1414م¹</p>	<p>بجاية الحفصية وفلورنسا</p>	
<p>تجديد الاتفاقية السابقة لكنها تخللتها بعض البنود الجديدة وهي:</p> <ul style="list-style-type: none"> - معاملة الفلورنسيين بمستوى معاملة الجنويين - إقحام الثياب رفيعة المستوى ضمن الواردات.² 	<p>بجاية الحفصية وفلورنسا</p>	

2- الاتفاقيات البجائية الجنوبية:

¹ أحمد عزاوي، العلاقات بين العالمين الاسلامي والمسيحي في العصر الوسيط، ج2، ص36، 21.

² نفسه، ص43، 37.

التاريخ الاتفاق	الأطراف	البنود
531-532هـ/1137-1138م	بجاية الحمادية وحنوة	اتفاقية سلم وتجارة في العهد الحمادي ¹
549هـ/1154م	بجاية الموحدية وحنوة	سبقت هذه المعاهدة معاهدة سنة 547هـ/1152م وهذا عندما آلت بجاية ضمن ممتلكات الموحدين. ²
633هـ/1236م	بجاية الحفصية وحنوة	عدم التقييد بالمتاجرة فقط مع الموانئ المفروضة عليها أي حنوة بل لها الحرية المطلقة في التجارة مع الموانئ الأخرى، ³ صلاحيتها عشر سنوات. ⁴
649هـ/1251م	بجاية الحفصية وحنوة	تجديد معاهدة 633هـ/1236م بعدما مر عليها خمسة سنوات وتمديد المدة لعشر سنوات أخرى ⁵ وحرية التجارة ببجاية.
671هـ/1278م	بجاية الحفصية وحنوة	اتفاقية مع حنوة مدتها عشر سنوات. ⁶
691هـ/1290م	بجاية الحفصية وحنوة	أبرم عقد تجاري مع حنوة في نقل الحبوب من الشام إلى ميناء تونس وبجاية وكانوا غالبا ما يرسون في ميناء بجاية الحفصية. ⁷

¹ صالح بعيزيق، بجاية في العهد الحفصي، ص318.

² برنشفيك، المرجع السابق، ج1، ص54.

³ نفسه، ج1، ص57

⁴ صالح بعيزيق، المرجع السابق، ص320

⁵ برنشفيك، المرجع السابق، ج1، ص73

⁶ نفسه، ص96

⁷ لظفي بن ميلاد، المرجع السابق، ص215.

تجديد الاتفاقية مع الجنويين ومنح لهم امتيازات أخرى. ¹	بجاية الحفصية وجنوة	786هـ/1384م
--	---------------------	-------------

3- المعاهدات والمراسلات التجارية بين بجاية ومرسيليا.

التاريخ الاتفاق	الأطراف	البندود
625هـ/1228م	بجاية الحفصية ومرسيليا	<ul style="list-style-type: none"> - اتفاقية سلم وتجارة - بيع للخمر في بجاية ويتولى هذه المتاجرة تجارة مرسيليا - حماية قنصلية مرسيليا ببجاية.
646-692هـ/1248-1293م	بجاية الحفصية ومرسيليا	<p>خلال هذه السنوات تمتعت مرسيليا بمجموعة من الامتيازات منها:</p> <ul style="list-style-type: none"> - رسو سفنها بميناء بجاية. - عقود وصفقات تجارية استفادت منها أهم عائلات مرسيليا والتي استمرت أموالها ببجاية كبناء الفنادق وغيرها. - أدرجت مدينة بجاية ضمن قانون مرسيليا الذي ينص على اعتبارها من بين أهم المدن التي تتواجد فيها قنصلياتهم.²

¹ لظفي بن ميلاد، المرجع السابق 216

² صالح بعيزيق، بجاية في العهد الحفصي، ص 333.

لم تستمر العلاقات التجارية بين بجاية ومرسيليا طويلا وهذا بسبب عائق تكرر مع كل الجمهوريات والمدن الأوربية وهو القرصنة البحرية فقرصنة مرسيليا شنوا هجوما على موانئ شمال أفريقيا ما أزم الوضع فساء الأمر بينهم وبين التجارة البجائية.

4- الاتفاقيات والمعاهدات التجارية بين بجاية وإسبانيا:

تاريخ الاتفاق	الأطراف	البند
669هـ/1271م	بجاية الحفصية و كاتالونيا	حفظ أمن التجارة المتوسطية والمتاجرة بأمان في ميناء بجاية وموانئ أخرى ونصت على أن تستمر صلاحية المعاهدة لمدة عشر سنوات.
708هـ/1309م	بجاية المستقلة وأراغون	- توفير الأمن والاستقرار لرعايا أراغون ببجاية. - إعفاء تجار كتالونيا من الضرائب على الواردات بنسبة 50%. - تبادل الأسرى بين أراغون وبجاية. - هذه الاتفاقية سارية المفعول لمدة خمس سنوات. ¹
712هـ/1312م	بجاية المستقلة وأراغون	- تجديد مفعول معاهدة 708هـ/1309م تضمنت نفس البنود إلا بندا واحدا وهو المتعلق بالأمن والإستقرار بين الطرفين فلم

¹ صالح بعيزيق، بجاية في العهد الحفصي، ص305

<p>يستمر بسبب القرصنة بينهما.</p>		
<p>أرسل "خايم الثاني" ملك كاتالوني برسالتين إلى بجاية الأولى فيها أن القرصنة الأرغونية متواصلة أما الثانية جاء فيها عن القرصنة البجائية والأرغونية ومطالبته من الأمير الحفصي أبي بكر بدفع 1000 دينار ذهبي كضريبة لمدة خمس سنوات، ورد الأمير أبا بكر الحفصي على رسالة خايم الثاني فيها تهديد متمثل في إلغاء المعاهدة الأخيرة بينهما.</p>	<p>بجاية المستقلة وأراغون</p>	<p>714هـ/1314م</p>
<p>أرسل خايم الثاني إلى الأمير أبي بكر الحفصي رسالة فيها أن قراصنة بجاية أسروا برشلونيين كما وضح له الوضع المهين لتجار أراغون في بجاية.</p>	<p>بجاية المستقلة وأراغون</p>	<p>715-716هـ/1315-1316م</p>
<p>- عقد صلح بين الطرفين لمدة أربع سنوات وكانت المبادرة الأولى للصلح من طرف الأمير الحفصي أبا بكر. - قبول أبا بكر بدفع الأموال التي فرضتها أراغون من قبل لكنه تراجع ولم يدفع شيئاً.</p>	<p>بجاية الحفصية وأراغون</p>	<p>723هـ/1323م</p>
<p>فرضت فيها أراغون على حواضر الدولة الحفصية إتاوات سنوية كانت قيمتها 2000 دينار ذهبي. مدة فعاليتها عشر سنوات.¹</p>	<p>بجاية الحفصية وأراغون</p>	<p>761هـ/1360م</p>

¹ صالح بعيزيق، بجاية في العهد الحفصي، ص311، 306

<p>الإتفاقية بينهما جاءت فيها إطلاق سراح الأسرى المسيحيين مقابل فدية ولم يأت ذكر مسألة الإتاوة¹</p>	<p>بجاية الحفصية وأراغون</p>	<p>805هـ/1408م</p>
<p>- تبادل الأسرى. - تنظيم الطرق والمواصلات التجارية،² لكن لم تطبق هذه المعاهدة بسبب تعكر العلاقات. - إبرام هدنة وتبادل السفارات.³</p>	<p>بجاية الحفصية وكاتالونيا</p>	<p>847-850هـ/1444-1446م وسنة 854هـ/1450م</p>
<p>تنص على إعادة سلع وبضائع تجار الكاتالانيين المحجوزة بميناء بجاية. طلب من حكام بجاية بأخذ هذا الطلب بعين الاعتبار لأن لهم نية العودة للتجار مع تجار بجاية.⁴</p>	<p>بجاية الحفصية وبرشلونة</p>	<p>878هـ/1473م</p>

نستنتج من خلال هذه الاتفاقيات والمعاهدات البجائية الأوربية أن الطرف المسلم والمتمثل في بجاية كان يبادر إلى السلم أولاً ثم التجارة ثانياً والدليل هو في كل مرة تجدد فيها الاتفاقيات إلا أنها تمديد لسنوات وهذا إن دل على شيء إنما يدل على البحث عن الاستقرار والسلم كل الأطراف المجاورة لبجاية وعليه فإن حركة القرصنة هي مبادرة أوروبية بالدرجة الأولى لم تكن بجاية السبابة إليها إلا بعد الهجمات التي تلقته فكان الجهاد البحري هو الرد على القرصنة الأوروبية التي استمرت ولم تنقطع رغم النوايا الحسنة لحكام بجاية، وبعد صراع طويل لصد هذه الحركة انتهت بأن

¹ نفسه،

² برشفيك، المرجع السابق، ج1، ص 280.

³ صالح بعيزيق، المرجع السابق، ص 315

⁴ نفسه،

يكون مصير بحاية غزوها من طرف الإسبان الذين كانت لهم عدة امتيازات تجارية بحاية لكن أطماعهم أبلغ من أن تنحصر في علاقات تجارية بل تمثلت في التوسع الاستعماري والانتقام لإسبانيا المسيحية التي قسمت بعد الفتح الإسلامي للعدو.

أ- المبادلات التجارية:

يمثل هذا المجال القوة الاقتصادية الكبرى لأي حاضرة فمرسى بحاية منذ العهد الحمادي إلى نهاية العهد الحفصي عرف حركة نشيطة في التبادلات التجارية حيث كانت السفن مشحونة بالسلع إما قاصدة مرساه أو مغادرة منه، حسب ذكر صاحب الاستبصار: "مرسى بحاية عظيمة تحط فيه سفن الروم من الشام وغيرها من أقصى بلاد الروم وسفن المسلمين من الإسكندرية بطرف بلاد مصر واليمن والهند والصين وغيرها"¹ والعملة أو السكة من آليات التبادل التجاري بين الدول وكانت تتم التبادلات وفق قوانين الدولة المتاجرة فيها.

ولإنعاش أكثر المناخ الاقتصادي صدرت بحاية مختلف المنتوجات إلى الأقاليم المجاورة، فالإدريسي يذكر أن أهل بحاية يجالسون تجار المشرق والمغرب الأقصى وتجار الصحراء وبها تحل الشدود وتباع البضائع بالأموال المقنطرة"²، فقول الإدريسي دليل على الديناميكية الكبيرة التي يشهدها القطاع التجاري بحاية وما ساعدها في ذلك وجو الأمن والاستقرار الداخلي

¹ مؤلف مجهول، الاستبصار، ص130.

² الإدريسي، المصدر السابق، م1، ص260.

من بين صادرات بجاية نجد في الصدارة الأولى المواد الفلاحية والحيوانية ثم المواد الصناعية هذا الترتيب جاء وفق الميول الكبيرة لسكان بجاية للميدان الفلاحي أكثر منه الصناعي.

1) الصادرات:

- المواد الفلاحية والحيوانية: صدر سكان بجاية الحبوب من قمح وشعير وحنطة وغيرها إلى كثير من البلاد خارج حدودها وسبب توفرها على طاقة واسعة لهذا الإنتاج هو أنها تحوي على بوادي ومزارع للحنطة والشعير بكثرة،¹ ومن أهم صادرات بجاية الأخرى الزيتون فوائده لا تنحصر في الغذاء فقط فزيته يعتبر من ضمن المواد الأساسية في الصناعة التجميعية كصناعة الصابون.²

وتأتي الفواكه في قائمة صادرات البجائيين التي كانت موجودة بكثرة حسب قول الإدريسي حين يذكر: "...والتين وسائر الفواكه منها ما يكفي لكثير من البلاد"،³ ومن بين الفواكه التي صدرت الموز والخروب والتمور والزبيب فبجاية كانت تزخر بكثرة المنايا والبساتين الغنية بهذا الإنتاج.

إلى جانب هذا كله اهتم البجائيون تصدير النباتات الطبية التي انتشر وجودها بغابات وجبال بجاية، فنبته "كف النسر" scolopendre مثلا ونبات بالسقولو فندريون Berberies والقنطاريون الكبير La grande contanee والشيح Obsinthe والقنب والنجمة الكبرى وغيرها،⁴ هذه النباتات أثرت الصيدلة والصناعة الطبية للدول المجاورة في الوصول إلى علاجات للعديد من الأمراض.

¹ نفسه

² ابتسام مرعي خلف الله، المرجع السابق، ص 311.

³ الإدريسي، المصدر السابق، م 1، ص 260.

⁴ لطفي بن ميلاد، المرجع السابق، ص 267، 287

أما المواد الحيوانية التي تم تصديرها إلى الخارج فمثلة في الجلود والصوف والفرو، بحكم بجاية حاضرة إسلامية تتمتع بالأعياد والمناسبات الدينية كالعيد الأضحى وعاشوراء والأعراس والطهور والمولد النبوي الشريف هذه الأعياد يتم فيها ذبح الذبائح فتتوفر بالتالي مادة خام من صوف وجلود وفرو، هذا الفائض كان لا بد من تصريفه إلى خارج المدينة عبر تصديره، حيث تسابق الأوربيون حول جلود وفرو أغنام بجاية لجودتها، فبجاية احتلت المرتبة الأولى في تصدير أنواع الصوف إلى الجمهوريات الإيطالية ومرسيليا وإسبانيا.¹

ولم تتميز بجاية بجلودها فقط بل كثر الطلب على مادة انفردت بها وهي مادة الدباغة التي تستخرج من حشرة المغافير تعطي لونا قرمزي أرجواني.²

- **المواد الصناعية:** جاء عند ابن حوقل والإدريسي عن معدن الحديد المتواجد ببجاية والذي كان يصدر إلى الخارج وليس فقط الحديد بل صدر أيضا الزيت والقطران والزئبق والنحاس الذي كان يستخرج من جبال كتامة،³ والزجاج والخشب هذه المادة المتوفرة بكثرة ببجاية ما أهّل أن تكون لها دور لصناعة السفن والمراكب وصناعة الأبواب والنوافذ وحتى الأواني.

عرفت بجاية باسم Bougie دلالة على الشمعة نظرا لتوفر الشمع بها والذي كانت تصدره للخارج فكانت المزود الرئيسي لهذه المادة،⁴ وصدرت أيضا الملح إلى السودان وأوربا والذهب المجلوب من السودان الغربي إلى أوربا

¹ صالح بعيزيق، بجاية في العهد الحفصي، ص 343، 342

² نفسه، ص 344

³ صالح أبو دياك، المرجع السابق، ص 223.

⁴Valerian (D), Bougie port maghrébin, Op-cit, P 378-379

والفضة المجلوبة من أوروبا إلى السودان فهذا المعدن كان نادرا عندهم لذلك كان تجار المغرب الإسلامي يبدلون الفضة بالذهب لأن الفضة في بلاد السودان كانت أغلى من الذهب في بعض الأحيان.¹

أما في ما يخص مواد أخرى صدرتها بجاية نجد المنتوجات الخزفية والفخارية إلى جنوة والأقمشة والملابس كالشواشي التي تميز بها سوق بجاية فصاحب الإستبصار يصف لنا هذه العمائم فيقول: "وكانت ملوك صنهاجة عمائم شرب مذهبة يغلون في أثمانها تساوي العمامة 500 دينار و600 دينار وأزيد وكانوا يعمونها بأتقن صنعة فتأتي تيجانا.."²

(2) الواردات:

استوردت بجاية مواد الصباغة التي كانت تجارتها حكارا على اليهود لأهميتها في صنع الثياب وحتى الصناعة التجميلية والطبية، فالإسكندرية صدرت إلى بجاية الشب المجلوب من الهند والنيلة والمصطكى أيضا، أما التوابل فعرف ميناء بجاية أنواعا مختلفة منها الفلفل والزعفران والزنجبيل وجوز الطيب والقرنفل والقرفة (الدار الصيني) ونبته السقمونية scammonée ومادة اللاك قادمة من آسيا الشرقية وبلاد الشام.³

القطن من بين المواد التي تم استيرادها بكميات كبيرة إلى بجاية آتية من موانئ مشرقية عن طريق وسطاء جنوبيين ومن بلاد الشام عن طريق البنادقة حيث عقدت بجاية عدة صفقات تجارية مع جنوة تضمن إرسال القطن إليها.⁴

¹ صالح بعيزيق، رحلة ابن بطوطة والتاريخ الإقتصادي لبلاد المغرب وبلاد السودان والمشرق في النصف الأول من القرن 8هـ/14م، المجلة التونسية للعلوم الإجتماعية، العدد 139، السنة 47، تونس 2010، ص 69.

² مؤلف مجهول، الاستبصار، ص 129.

³ لطفني بن ميلاد، المرجع السابق، ص 281، 280، ابتسام مرعي خلف الله، المرجع السابق، ص 313

⁴ صالح بعيزيق، بجاية في العهد الحفصي، ص 346.

ومن أهم واردات بجاية أيا الحرير الذي كان يجلب من آسيا الشرقية والكتان من مصر،¹ إلى جانب العطور والعنبر من بلاد الهند وماء الورد من بلاد الفرس عن طريق مدينة صور التي يحمل منها إلى سائر بلاد المغرب الإسلامي،² والبحور اليميني كان يصل إلى ميناء بجاية³ وحسب وثيقة جنوبية بتاريخ 08 أكتوبر 646هـ/1248م تم توريد إلى بجاية عناقيد ذهبية.⁴ كما تلقت سلعا ثمينة كالأحجار الكريمة كالياقوت والزمرد والفيروز واللؤلؤ التي تزنت بها المرأة البجائية من الطبقة الغنية وأيضا وضعها ملوك صنهاجة في عمائمهم الثمينة كما أسلفنا الذكر.

لم تنحصر واردات بجاية حول المحاصيل والمنتجات المختلفة بل تعدت إلى استيراد العبيد والخدام من بلاد السودان مثل مالي وبرنو... الخ فكان تجار بجاية يبدلون الخيول ثم يجلبونهم إلى ميناء أين يتم بيعهم للأوروبيين،⁵ كما لم تخلو مدينة بجاية من وجود العبيد في البيوت والأسواق فيذكر الغبريني إحدى السوداوات التي كانت تغسل ملابس الأغنياء وكان عندما يراد تحضير قطع البحر للغزو يوظف الخدام العلماء والعبيد في تجهيز الأسطول.⁶

وعليه أن التاريخ الإقتصادي لبجاية عرف تنوعا كبيرا في إنتاجه الفلاحي والصناعي وقفزات نوعية في إبرام معاهدات وصفقات تجارية جعلت منه قوة متوسطة يستند إليها كل تاجر ومستثمر في تطوير مشواره الاقتصادي ورفع من مردوده، ولكن برغم ما وصلت إليه بجاية من تطور واحتوائها على أهم المنتجات المختلفة إلا أنها وعبر أزمنتها التاريخية صادفتها مجموعة من العراقيل ذبذبت كيانها الإقتصادي لفترة أهمها:

¹ صالح بعيزيق، رحلة ابن بطوطة، المرجع السابق، ص 64.

² توفيق مزارى، المرجع السابق، ص 290.

³ لطفني بن ميلاد، المرجع السابق، ص 284.

⁴ Valerian (D), Bougie port maghrébin, Op-cit, P 372

⁵ صالح بعيزيق، رحلة ابن بطوطة، المرجع السابق، ص 69، 70.

⁶ أحمد الغبريني، المصدر السابق، ص 199، 229.

- تراجعت الفلاحة في منتصف القرن 5هـ/11م بسبب الغزو الهلالي الذي حاصر وضيّق الخناق على أحواز بجاية، كما تقلصت الثروة الحيوانية أيضا بالإضافة إلى استغلال بني هلال المناجم والسيطرة على بعضها.
- انقطاع مورد الذهب من السودان الغربي لفترة بعد مجيء الأعراب وهذا ما أدى إلى انتشار الدنانير المضروبة بسبب قلة الذهب.
- اضطراب طرق القوافل التجارية البرية القديمة من بجاية وأرجلان والسودان الغربي، وبين مصر والمغرب الأقصى والقيروان وطرابلس.
- وجود حالات غش متكررة في بعض الصنائع المنتشرة في أسواق بجاية.
- جور وبطش بعض المحتسبين ما خلق جواً مكهرباً بين البائع والسلطة.
- سوء معاملة ديوان البحر وأعوانه والمشرفين على الميناء، التجار وفرض في بعض الأوقات مبالغ تعجيزية.
- سوء الأحوال المناخية ما ينتج عنها العواصف ونزول الأمطار الغزيرة وهيجان البحر الذي يعيق مسار السفن التجارية.
- أما القرصنة فكانت تهدد من حين لآخر الحياة الإقتصادية لسواحل شمال أفريقيا بصفة عامة وبجاية بصفة خاصة وعلى إثر هذا تهيأت بجاية للجهد البحري لتحمي مصالحها فكانت أهم قاعدة منذ القرن 6هـ/12م إلى غاية القرن 9هـ/15م.

الختامة

بعدها تطرقنا لدراسة بجاية دراسة تاريخية وحضارية من العهد الحمادي إلى بداية الغزو الإسباني، يتضح لنا أنها ساهمت خلال خمسة قرون ، بشكل كبير في بناء المغرب الإسلامي سياسيا و في إبرام علاقات خارجية مع دول وأقاليم و إقتصاديا في دعم هذا المجال الحيوي في مستوى المردود الإنتاجي في الفلاحة والصنائع والتجارة، أما ثقافيا تمثل في الرصيد الفكري من علوم وعلماء الوافدين والمستوطنين.

لقد استطاعت بجاية رغم تغير وضعها السياسي من حقبة لأخرى ، فبعدها كانت عاصمة دولة ، أضحت تابعة للحكم مركزي مسمودي خلال القرن 6/12م تم إنتقالها لمرحلة أخرى وهي أنها أصبحت من ضمن أعمال الدولة الحفصية في بداية القرن 7/13م، وما لبث أن يقضي هذا القرن ، حتى أعلن ولائها انفصالهم عن السلطة المركزية بتونس ، إستمر هذا الإستقلال طويلا إلى غاية زحف الزيانيين إلى حدود بجاية ، لكن لم يتمكن من إخضاعها ، لكن المرينيون فقد تمكنوا من تحقيق غايتهم ، وظفروا ببجاية خلال القرن 8هـ-14م ورغم هذا لم يدم حكمهم ببجاية طويلا لأنها عادت من جديد إلى الحكم المركزي الحفصي ، ثم الغزو الإسباني نهاية القرن 15م.

كما شهدت ولايتها في بداية تشيدها أمراء بني حماد ، ثم مجموعة من ولاة الموحدين المصامدة الذين يسروها خاصة أبناء الخليفة عبد المؤمن بن علي، حسب نظم حكم الموحدين ، وبعدها آلت في يد ولاة بني حفص الهنتاتين لكن بعدها بدأ تدخل العنصر الأندلسي في حكمها ، ما أدى إلى خلق فوضى وتمردات وثورات مختلفة إستطاعت لفترة من الزمن أن تهدأ ويرجع الأمن والإستقرار لفترة ، كل هذه الأوضاع لم تعمل على تفهقر وضعها الإقتصادي والثقافي ، و لم تعطل منافذها برية كطريق الواصل بين بجاية و ورجلان وغيرها من المسالك ، والسبب يرجع كما ذكرنا سابقا إلى التعاملات الكثيرة لبجاية مع دول المشرق العربي ودول جنوب حوض البحر الأبيض المتوسط.

وعلى الرغم من الحياة التقشفية المانعة للترف، والتبذير في العهد الموحد، إلا أن بجاية اكتفت معيشيا وعمرا، بل تعدت إلى تصدير منتوجاتها إلى الخارج، كما عرفت بفضل مينائها صناعات ومنتجات جديدة، ناهيك عن توافد تجار الدول المجاورة عليها، وإقامتهم بها والذين بدورهم تأثروا بمعالم الحضارة والنهضة العلمية والفكرية،

فكانت بهذا أول بوادر اتصال لهؤلاء، وعلى رأسهم التجار الأوربيون متعطشين للتحرر الثقافي والفكري. فبجاية التي كانت بها مراكز التعليم منتشرة كالمساجد، والكتاتيب، والزوايا، شهدت حركة علمية كبيرة ناهيك عن وجود جمهرة كبيرة من العلماء المتضلعين في شتى العلوم والمعارف، فمثلا العالم في هذا العصر كان ملما بجميع العلوم، فالعارف بالدين تجده متطلع في الأدب وعلم الكلام واللغة والتاريخ، والجغرافية، وسبب ذلك هو توجههم الصوفي الذي انتشر أكثر بالعهود الوسطى.

فبجاية مثلا جل علمائها كانوا متصوفة، فعرفت بذلك انتشارا واسعا لظاهرة التصوف بها. وبهذا حضيت ب حياة علمية وفكرية وعقائدية ساهم في بناءها أعلامها من أبناءها، أو الوافدين إليها، خاصة المهاجرين الأندلسيين والمشاركة.

وبفضل الرصيد الثقافي لبجاية استطاعت أن تساهم من خلاله في إثراء النهضة بأوربا، التي ترجع جذور نخصتها الأولى إلى القرن 6هـ/12م، وهذا بعد اكتشاف الأوربيون للعالم الإسلامي الذي منحهم الحرية والتحرر من الآهوت المسيحي، فالمياه العربية روت حقول ثقافتهم، فبجاية بالإضافة إلى تزويد بيوت أوربا بالشمع الذي أنارها بعد ظلمات طويلة، لقتتها أيضا علم الحساب والرياضيات، كما أهدتها الأعداد من بينها الصفر، فكانت بذلك بجاية عاصمة الرياضيات بالنسبة للأوربيين، حيث استقطبت العديد من الطلبة من بينهم ليوناردو فيبوناتشي الذي زود أوربا بتأليفه العلمية بفضل علماء بجاية خاصة والوطن العربي عامة.

وما نستنتجه رغم غزارة العلم ببجاية، إلا أنه وجد نقص هائل في المؤلفات، لا سيما في العلوم العقلية، كالتطب والرياضيات والفلك، وهذا ربما يرجع إلى قلة هذه الوظائف حسب ما ذكرناه سابقا على لسان الغبريني، لكن هذا لا يمنع من ازدهار الإنتاج الأدبي من الشعر والنثر وغيرها، وإنتاج ديني وجغرافي وتاريخي، الذي لا تزال بعض مصادره تحتاج إلى استنطاق ودراسة، قصد التعريف أكثر برواد العلم ببجاية، وجوانب الحياة التي كانت سائدة في تلك الفترة.

وصفوة القول فإن كل العوامل التي مسّت بجاية داخليا أو خارجيا، ساهمت بطريقة مباشرة، في خلق لها نشاط متميز، ميزها عن باقي حواضر المغرب الإسلامي، يكفي أنها حافظت على تألقها العلمي والفكري والإقتصادي قرابة خمسة قرون مضت.

الملاحق

- رسالة الفصول و فيها بعض نصائح الخليفة عبد المؤمن بن علي لأهل بجاية ؛

من الرسالة المعروفة برسالة : الفصول أنشأها الكاتب أبو جعفر بن عطية عن إذن الخليفة عبد المؤمن الى اهل بجاية ، يوصيهم بإقامة الحدود ، و حفظ الشرائع و اظهار الحق بلزوم الواجبات .

و ابتداء بأول مباني الإسلام ، فأخذ الناس بعلم التوحيد الذي هو أساس الدين و مبناه ، وروحه و معناه ، و القاعدة التي يثبت على دون تأصيلها و الرابطة التي لا يقل دين دون تحصيلها ، فلا سبب لمن لم يتمسك بيها و قد بنى وجوب العلم بالفرائض على وجوب العلم به ، وهو إنبات الواحد ، و نفي ما سواه بقيدات في الشريعة ، لا يكفي معها إطلاق اللفظ دون تحقيق معناه ، و ذلك أن يعلم على وجهه وحده ليكون عن علم لا من ضده ، و عن يقين لا عن شك ، و عن إخلالات لا عن شرك ، وأن يقوله مع العملاء ينكل ، و يؤمر الذين يفهمون اللسان الغربي : و يتكلمون به أن يقرؤوا التوحيد ، بذلك اللسان من أوله إلى آخر القول في المعجزات ، و يحفظوه و يفهموه و يلازموا قرانه و يتعهدوه ، و يؤمر طلبة الحضر و من في معهم بقراءة العقائد و حفظها و تعاهدها على سبيل التفهم و التبين و التنبه و التبصر و يلزم العامة ، و من في الديار بقراءة القصيدة التي أولها : أعلم أرشدنا الله و إياك و حفظها و تفهمها و أشمل في الإلزام و الرجال و النساء ، و الأحرار و العبيد ، وكل من نوعه عليه التكليف ، إذ لا يصح لهم عمل ولا يقبل منهم قول دون معرفة التوحيد ، فمن لا يعرف المرسل لم يصدق بالمرسل و الرسالة ، و من حصل على مثل هذه الحالة ، فقد تعتبر في أذيال الضلالة ، فإن لم يبادر إلى التخلص منها ، و الانفصال عنها ، و جب عليه

حكم الكتاب ، ولا عفت في إيراقه دمه لا محالة و أخذ و باقامة الصلاة التي هي في كتاب الموقوف على المؤمنين هو الحكم المثبوت على كل من آمن بهذا الدين و الناهية من الفحشاء و و المنكر على ما ورد في الكتاب المبين ، و لاحظ في الإسلام من ترك الصلاة ، فهو محور في ديوان المؤمنين ، ومن صنعها فهو لما سواها أضيع من الوظائف و القوانين و تاركها ميت في عداد لا حياء لخشاشة ، تقضي عند القضاء أمد الأمهال و العملاء ، فخذوا من قبلكم باقامة الصلاة على ما شرعت وأدائها بسحب ما فرضت ، و خذوا العوام ومن الديار حفظ أم القران و سورة معها و ما تيسر من القرآن لتمم صلاتهم ، و يكمل عملهم ، و أضع الصلاة و أهملها.

و لما يبادر إلى أداء ما فرض عليه منها فأجله حين متاح ، و قتله حكم الكتاب و السنة واجب .. و خذوا إيتاء الزكاة ، و بالكشف عن معانيها ، و تشخيص ممسكيها أو النزر اليسير منها ، فالزكاة حق المال ، والجهد واجب على من منع منها قدر العقل ، فمن ثبت منعه للزكاة ، فهو لا حق من تبث تركه الصلاة و فمن منع كمن منح الشرع كله .

و أمر بالنظر في الربوب و تمييزها ، و الهجوم على بائعها و مدمني شربها ومستعملها فيراق مسكرها ، و يقطع منكرها ، و ليعهد إلى من عمل المسكر الحرام عامدا و شربه عليه و معاهدها ، و لم ترعه الحدود ، و لم تقيده القيود ، و لم يعطه الإعتبار ، و لم ينفعه الأذكار فيمحي أثره ، و بعلف حيره ، فالخمر أم الكبائر ، و جماع الإثم ، وكاشفه شمس العقل و البلاغة ، على كل قبيح من الفعل ، و الفاتحة لكل مرتج من أبواب العصيان ، وهي رجس من أعمال الشيطان . أمر بالكشف عن التلصص و الحرابة ، و التولج في مكان من الهبة ، و الغواية و الاجتماع على البر الجاهلية من الملاهي

على أنواعها ، و اختلاف ألاتها و مانعها من الشاكر الناشئة عن أصل الجهالة ، و الأفعال المنافية
للشريعة الصادرة عن أهل الضلالة من الرجال المفسدين ، و الغواة للمضلين ، و من النساء المفسدات
المتقنات في طرق الغوايات فاكتشفوا من هذه الأصناف ، و اندوهم عن مكائهم ، و نقبوا عليهم في
مظانهم ، فمن شهد عليه منهم بشهادة صحيحة سالمة من الهوى ، و الظنة باستصحاب حاله ،
تماديه على الإحضار في محل باطلة ومحالة ، فبعكم كتاب الله جل اسمه ، و تطاع سنة نبيه صلى الله
عليه و سلم - و الكشف عن الذين يخرمون الناس ، ما ليس قبلهم ، و يأكلون بالباطل أموالهم ، و
عن أهل العناء و التقاعص ، و الإخلاء ، و التنقيط الدين إذا دعوا إلى الجهاد ، و تودوا إلى
الإصلاح ، و الرشاد ، صموا عن النداء تلوموا في إجابة الدعاء ، و ألفوا المعاذير المعربة عن العناد ،
و الناطقة عن الضمائر الممتلئة بسوء الإعتقاد ، و عن القبائل القوية على يسر الجاهلية من الهرج
فيما بينهم ، و القتل و الفساد و الخيل و الانقياد إلى سلطان الجهل و الخروج عن قانون الحق ، و
ضبط الأمر و من أهل النفاق و التدليس الناطقين بما لا يعملون ، القائلين مالا يفعلون فإذا تعبوا
على التحقيق ، فليمض عليهم حكم الله تعالى الذي أمر به فيهم.¹

¹حسن علي حسن ، الحضارة الإسلامية في المغرب و الاندلس ، عصر المرابطين و الموحدين ، ص 536.

الملحق رقم 02 دعوة اهل قسنطينة الدول في طاعة الموحدين (24 جمادى 1/547)

من أمير المؤمنين أيده الله بنصره ، وو أمده بمعونته إلى الشيوخ والأعيان وجميع من فعلية واهم الله لما يرضاه وتولى بهم سبيل هداة - سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

و بعد حمد الله الذي أيده بنصره المؤمنين ، و فتح لأوليائه الفتح المبين و جعل لهذا الامر المبارك التبشير و التسيير و التأمين ، والصلاة على محمد نبيه الذي اختاره لابلاغ رسالته وحمل أمانه فكان القوي الأمين ، وقرن به من آله الطاهرين و أصحابه الطيبين الغر الميامين و الرضى عن الامام المعصوم المهدي المعلوم القائم بأمر الله تعالى مقيما دينه المتين ، موضحا من آيات ربه في قطع الباطل وجبه ما أراد به الإيضاح والتبيين.

وهذا كتابنا إليكم كتبكم الله بمن نور قلبه بدور الأيمان ، وكره إليه ما يكرهه من الكفر والعصيان وقضى له بالحالة الحسنة في نصير السلامة والأمة والانقياد والإذعان ، من حضرة بجاية هذه الطائفة المباركة في الإظهار والإيثار معهود اعتباره وارتضائه ، وسط هذا الأمر العزيز في أكناف هذه الأنحاء والأذراء بساط غلبته واستلائه ، وأصار من كان فيها من الجبارة والطغاة والكفرة إلى غايات إبعاده وإقصائه ، وغيابات وإعداه و إفنائيه ، فأرهم أن الأعراض عن اجابة دعائه ، والاعتراض من محكمات سور الحق واه والاتها إلى إطفاء نوره وضيائه ، محقة لا تبقي ولا تذر وبطشه لا تمهل ولا تؤخر ، ولقمة تحرق بسواعفها من بتحرك في سبيل الغواية ويستعره رأينا أن تخالى ارشذك الله - داعين إلى الله عن التوقف إغواء الشيطان وتضليله ، وكما أوجب جلت قدرته على الداعي ، بدعوته العالية ما أوجبه وأندب أن ينادي إليه كل من عسى أن ينادى وتدب ، فكذلك أمر المدعو بالإجابة والإنابة

... فبادروا وفقكم الله - إلى إجابة منادي الحق وداعيه ، واسعوا إلى الخير بأعماله المؤلفة ومساعدته ، وسارعوا بالتوبة النصوح تسارع الراغب بدينه المقبل إلى ما يعنيه الصارف نفسه عن ما كانت تكسب من الألم وتخنيها واعلموا أن الواجب عليكم وعلى جميع غرة البسيطة اثبان هذا الأمر العزيز في محل قيامه .. وقد علم من علم ما من الله به من فتح هذه الأقطار ، أن من كان ما زعماء الخسار والبوار (بني حماد أمراء بجاية) ورؤساء الأشعلاء الجاهلي والاستكبار أمدا طويلا برجاء الاستبصار فلما أبوا ما دعوا اليه من الحق واغتروا ما عانوه من العطف والرفق ، واختاروا لأنفسهم الأمانة بالسوء ما اختاره من الحروف عن دين الله والفسق ، أحن الله به من ضروب الانتقام ما صورهم عبرة لمن يعتبر ، وقد كان الشيخ التقاعد أبو محمد مهمون بن علي بن حمدون أكرمه الله - في هذه البلاد المفتحة على ما عرفتموه والميتوموه وكان الحديث عنه حيرا يذكر إلى هذا الأمر المبارك بكنتم به ونيسر ، وكان أكثر الواردين على علم المصيرة والصادرين عنها من صنف الطلبة وغيرهم من التجار المتصرفين في هذه الأقطار يصفونه عمله الصفات الحميدة ، ويروان عه آثار هذه الطوية الصالحة والمفيدة وتستبيض أحبارهم فيما لديه من الإرادة الحسنة والنصيحة الأكيدة ، إلى أن يسر الله وبشر له بالانتظام في هذا السلك التنظيم ، والاعتصام بنا الأمر العظيم ، فصار بفضل الله عليه من أشياعه وأوليائه ، وحملة أهاده ، وما هو الآن وأخوه الشيخ الفقيه أو عبد الله محمد بن علي حمدون وسائر من بنيه وإخوتهم وقرابتهم وفق الله جميعهم - يغوون إلى ظلاله المورودة ، وذلك من فضل الله على أهله له ، وأحسانه ه على من أم إحسانه وأخله . وأتم وفقكم الله - مدعون إلى الله سبحانه فتواء ومعني بإيفانكم من نوم الغفلة ، وكان الأشقاء من ولاء وإلزامها شرعا يلتزمون وواجبا يقدمونه ، ولا يلتفتون إلى ما أوجب الله من الزكاة والأعشار بل كانوا يطرحون تلك اطراح أمثالهم من الفخار ، وقد قطع الله بفضلهم وأصولهم وفروعهم ، وأزاح عن عباده جورهم وتروعهم ، ورد الأمر إلى أصله الأكرم ونصابه ، وأجري الشرع بالإمام المهدي رضي الله عنه - على بابه وأزاح جميع أهل البلاد المعمورة بالتوحيد من جميع ما كانوا يكلفونه من المغارم ، ويعرفونه من أسباب المظالم ،

ولما من الله على أهل البلد ما من به من والتأمين ، وأحلهم بفضله ورحمته كنف هذا الأمر المكين الأمين ،
انقطعت بانقطاع أهله ، وسدت عنهم أبواب الباطل كثره وقله فلا يطلبون إلا ما توجيه السنة وتطلبه ، ولا يلزمون
مكسا ولا مغرما ولا قبالة ، مما تسميه الظلمة بأسمائها وتلقه ، ولكم في علم ذلك ومعرفته دليل على ما سواها
والله يهدي هداه من اختاره وارتضاه ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كتب في الرابع والعشرين من جمادى الأولى سنة سبع وأربعين وخمسمائة.¹

¹ عزاوي احمد ، رسائل دنيوية موحدية ، ط 01 ، المطبعة الرباط نيت المغرب ، 2006 ، الرباط ، ص 46-49.

فتح فلسطين وطاعة الأمير الحمادي للموحدين (10 شعبان 547 هـ) ؛

من أمير المؤمنين -أيده الله بنصره ، وأمده معونته - إلى الطلبة الذين بتلمسان وجميع من فيها من الموحدين أدام الله كرامتهم بتقواه - سلام عليكم ورحمة الله تعالى و بركاته .

أما بعد ، فالحمد لله الذي وسعت رحمته كل شيء على العموم والإطلاق ، وجمعت عصمته أهل الاجتماع على طاعته والاتفاق ، وتمت نعمته تماما على أبلغ وجوه الانتظام والأنساق ، والصلاة على محمد نبيه المعبت لتميم مكارم الأخلاق وعلى آله الطاهرين وصحبه المتوانين ...

وهذا كتابنا إليكم - كتب الله لكم فيما حولكم النماء والزيادة ، ومن في تمكينكم وإصلاح شؤونكم الإنالة والإفادة ، وبسط في أرجائكم ومتعلقات رحالكم اليمن والسعادة - من حضرة بجاية حرسها الله ، عن أحوال ترتب صلاحها على أفضل وجوده ، وفتوح تتابع افتتاحها في قريب المعمور وبعيده ، وبشائر ينزه بسرها وسماحها عن الجري على معتاد الدأب المؤلف ومعهوده ، وآيات بينات أغني تجليها واتضحها عن كل برهان ووجوده (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ... وقد تقدم إعلامكم - وصل سروركم وضاعف شكوركم- بما كان من صنع الله تعالى في فتح هذه البلاد التي يسر مأماتها بجوله واقتداره ، ونور ظلامها بأضواء هذا الأمر السعيد وأنوراه ، وصير أباطحها واكمها من موطن أوليائه وأنصاره ، وكيف كانت صورة الحال في درجها ، وتصرف الانتقال من حبها إلى عرجها ، وأن أبا زكرياء بن العزيز بالله من المنصورين الناصر وجميع إخوته وقربته حين أتاهم الذائد الذي لا يكذب

أهله ، القائد المبيح وعز الملتحي وسهله ، لم يكون لهم بد عن التولي عن قرارهم ، والتخلي عن أولادهم وأقطارهم ، لأرى قضي الله فيه لهذا الأمر المبارك بخير قضائه ، وشان قوى الخيرة درج واقتضاله ، فكان مائهم الذي اعتقدوا منعه وحصانته ، واعتمدوا ثقته عليهم وأمانته ، بلد قسنطينة - عمره الله - لكونه بحيث لا ينال بقدره مخلوق ، وأين يستعلى بامتناعه على كل ملحوظ بعين المعمارية أو مرموق ، وكانت جمل من عساكر الموحدين حين احتلال الحملة المذكورة فيه واعتدادهم في عداد من هذه الرسالة دعوة لأمل فعلية للدخول في علامة الموحدين بعدها آنت بجاية لحكمهم ولهم على الوجود الحمادي ، بها يحويه ويؤويه ، جهة القلعة - حرسها الله - على إثر فتحها الميسر ونبل أجرها على الوجه المتغيرة فائض منهم بعون الله إلى تلك الجهة من رحي الحمر في الحاضه ، وحض على خدمة هذا الأمر وإعراضه ، فحين ام الناهضون المذكورون - وفقهم الله - جهات قسنطينة - حرسها الله - فتح لهم الفتح الذي ينتقدم إليكم بيان القول فيه وإعرايه ، وأورد عليكم إبداع القدر في تفريره وإعرايه ، وعلمتم كيف إنهمزت له جموع الضلال وأحزابه ، وحن الموحدون هناك - وفقهم الله - بساحة ذلك ذراه ، وغشيه منهم ما غشيه وعراه ، وما ترك القطابة أن يتعلم كراه ، .. والحياة في قرارها الذي هو مقر قرار اليمن والشابة ، فاتفق رأيهم على إنقاذ جماعة منهم فيهم أخو أبي زكرياء وشيوخ صناهجة وقسنطينة معتممين بهذه العروة الوثقى مستسلمين للأمر الذي لا يقابل بعناد ولا يلقي ، سائلين من التأمين والإيفاء ما يدوم حيره للمحق السائل ويقى ووصلت الجماعة المذكورة إلى هذه الحضرة المحروسة بسعى أملها بين يديها ويعرف القصد عما لديها ، وأنت ما تحملته من المخاطبة ، وأمته لها ولن وراءها من حسن العاقبة فمن الله على جميعهم يتيسر مطلبهم ، واجمال

متقلبهم ، وصدور إلى مرسلهم تنهليل أسرتهم وتتحمل تحلل العافية .. وهذه الدعوة الهيكلة الجامحة ، ودخل القطرة من أمناء الموحدين وغزالهم وفقهم الله - من أمر بعمارته ، والاستقرار في قرارته ، واستقبل أبو زكرياء المذكور ومن معه وفقهم الله - هذه الجهة -حرسها الله - على أحسن حال وأكرم إقبال ، وأتم الله نعمته بهذا الفتح المحيط والصنع المبسوط إماما بلغ الأمل غاية مأموله ، والسائل كافة مسؤولة ، فذلك هو الطرف الأعلى ، والرابط الأحق الأولي ، ورأس الجسد الذي استتبع بعضه بعض و اشتلى ، و به اتعقدت وروابط هذا الإقليم العظيم ، ، . والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته . وكتب في العاشر من شعبان سنة سبعة وأربعين وخمسمائة.¹

¹عزوي أحمد ، رسائل ديوانية موحدية ، ص 50-52.

انتصار الموحدين في سطيح على تحالف القبائل العربية (1 ربيع الثاني 548هـ) :

"من أمير المؤمنين -أيده الله بنصره ، وأمده معونته إلى الشيخ أبي محمد وحمامة أصحابه الطلبة والشيعية والأعيان والكافة من أهل مراكش أكرمهم الله بقواء ، وأنعم على شكر نعماه - سلام عليكم ورحمة الله وبركابه ، أما بعد فالحمد لله الذي تكفل بوعد الصادق إتباعه وإنجازه ، وتحصل لخزيه الأمر السابق علاوه وإعزائه ، وتقلقل في علوم الفاسق المارق قهرا وإعجازه ، والصلاة على محمد نبيه الأمين الذي أظهر على حقه المبين إظهاره و إبرازه .

. . وهذا كتابنا إليكم .. من حضرة تلمسان حرسها الله ، وقد تعالى فتح الله أن تحيط به الأقوال وتجاوزها تطمح نحو الآمال ، و (تناهي) إليه الطلب والسؤال

وقد تقدم إليكم -وفقكم الله ، وأعانكم على شكر ما آتاه - من ذكر ما تحملته الإشارة و الامناع ، ولهذا الكتاب التالي الذي من شأنه برزت الأيام والليالي نبذ قررها الأصفاق والإجماع ، وبشر انتهت عند أولها الأماني والألماع ، فقد كان صنع الله في افتتاح هذه البلاد الشرقية على ما تقدم ذكره و التناسق والتتابع ، وتذليل الصعب وتقريب الشاسع وأراحة القوس بإزاحة القواطع والموانع ، ... وصور غرائب التفسير فيها آيات بينات على باقيات الدهر ، ومن يرتفع أشطرها من الأعراب ، ويودع أعمارها دواعي الجلاء وأخراب قد قذفهم العلية حينئذ إلى صحرائها ، ، وعساكر الموحدين المتقدمة

إلى فتح القلعة وقسنطينة -حرسها الله- وخيمون على إشعال تلك الجهات بازلهم ، حريصون على غزوهم في عقر موافقهم ...

- فلم يرد الله إلا أن يكون هؤلاء الأشقياء ممن تقدفه الملكة إلى سحيقها ، ولأنهم كانوا خلال ما ذكرناه لكم من أحوال استنلاقهم ، والتكبير على جقاتهم وأخلاقهم ، وإمسك الموحدون عن مقدورهم من تدميرهم وانتافهم ، و يخاطبون جميع من بلاد افريقية وما يتصل بها إلى جهات الاسكندرية من العرب المغمورين يغوامر .. وأقبل جميع ما ذكرناه لكم من أعراب تلك البلاد النازحة قبائل هلال بن عامر من هو عرب اليمن ، او شعوب الحروب والفتن ، نافرين أفواجا بعد افواج بغاية عزمهم وقاية حوضهم ، حتى التقى المصرخ والمستصرخ ... فلم تزل جيوشهم على جهات قسنطينة تتوارد ، وكتائبهم تتعاقد على الاعترام » وتتعاقد ، وأمدادهم التي غصت لها تلك المشاريع المعينة والموارد ، تتناصر على رأيها الخاسرة ... وتتعاضده إلى أن انتهوا مالا ينتهية الغد خيلا ورجلا ...

والموحدون الكائنون إذ ذاك هناك مقبلون على ما أمروا به من ارتحالهم إلى الغرب وانتقالهم والكف عن معارضة أولئك الخاسرين وقتالهم ، فزادتهم تلك الحال الظاهرة اغترارا ... فكلما رحل الموحدون المذكورون إلى مأماتهم مرحلة رحل الضالون على أثرهم وعلموا على شكاله تخيلهم الذميم وتصورهم واعتقدوا مصابقتهم في الحال وتمكنهم من ذلك السعي الضال قدرة من قدرهم ، ونتيجة من نتائج آرائهم ونظرهم ، ... بوادي الأفواس بجهات سطيف عمرها الله -....

فكان من التوفيق الممنوح ، والرأي السالك إلى السداد سبيل الوضوح ، إنفاذ جمل مباركة وأعداد مسددة من عساكر الموحدون أعانهم الله - إلى الجهات المذكورة على وجه الاستظهار بحركتها والاستكثار من بركتها ، ونحن

إذا ذاك بمتيجة عمرها الله - على سبيل الصدر ، وحالة المعلن المقدر ، قبل الموحدون الناهضون إلى إخوانهم
جدهم في السير ، ورجوا نيل حظوظهم من ذلك الخير ، فلهقوا بهم.

والحين ما عاين أعداء الله قصد الموحدين على مضاء الاعتزام ، وباشروا آثار الارتباط الإيماني والالتزام . . .
واستقبلت بهم تلك الهزيمة الشنعاء جهات تلك الجراحات والأعطان فاختلفوا بمواشيهم اختلاط الأنعام بالأنعام ،
وأزعجت أوساطهم ...

واستمر القتل فيهم والاتباع لهم من أول ذلك اليوم المبارك إلى آخره ، ولم يسر الموحدون فيه - على ما ذكره -
إلا بين إيل رائعة وسائمة .. فذل بما المأمور منهم والأمر وحق الويل بهلال بن عامر ، أقل الهلال وخرب العامر
، ولم يحل بين سيوف الموحدين ورقاب الفل من أولئك المفسدين إلا ليل أجهته بغسقه ، وطواه على أخريات رمله
ثم انقسمت جيوش الموحدين وفرها الله - صبيحة اليوم الثاني إلى أقسام أخذ كل قسم منها سبيلا غير سبيل غيره
واستقبل ما يستقله الطالب المجد من قصد مرامه وإعداد سيره . ، حتى انتهوا إلى أوائل بلاد إفريقية وما يجاورها
وأخذ الموحدون أعانهم الله - بعد اجتماعهم على مركزهم ، وظفرهم بمحبوبهم وبمنجزهم، يضمون من سبي
الكافرين وغنائمهم وما أبقته الحرب من خيلهم وسلاحهم مالا يستطيعه الضم ولتشكروا الله عليه شكرا
يستنفذ غاية استطاعتكم ، ويستنجد عزائم نصركم له وإذاعتكم والحمد لله الذي عمنا وإياكم ببركاته ونصب
على حقيقة هذا الأمر الحق إلا من أدلة آياته ، وجعل العاقبة لأولياء دينه المتين وولاته ، والسلام عليكم ورحمة الله
وبركاته

وكتب مستهل ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وخمسمائة .¹

¹ عزاي أحمد ، رسائل ديوانية موحدية ، ص 53-58.

*Minuta de carta de un visir de Abutasufin al rey de argon sobre
concierto de unos navios catalanes arrendados por el Rey tenez para
que le ayuden en la conquista de bujia*

الحمد لله وحده والشكر لله على نعمة اتفق من يخلصه الله بمخالصة الجميل جعلنا درمون بن البرشلوبي
على أنه يعمل الصلح بين مولانا السلطان المؤيد المظفر... سلطانهم على أن التجار الواصلين من بلادهم يكونوا
في الأمان سالم ... لهم أحفان بالتجار فكل من فيها وما فيها مؤمنين ... وأجفانهم وعلى أن تعطوهم عشر
العشر من كل ما يسوقوه ... سلطان بن البرشلوبي قنصا من قبله يكون حاكما على التجار كما جرت العادة مع
غيره وعلى ... وجفن غزوانية وما ابدل من ما أردنا بحساب ألفي دينار ذهباً للجفن الواحد من الجميع وان
الاختيار لنا في ... أحفان المذكورة أن أردنا واحد حتى يعرف اشما [أردنا من العدد فالاختيار لنا فتعطوه نصف
ثمن ما أردنا من الأحفان المذكورة وبقى المدة المذكورة المشروطة عليهم وهي أربعة أشهر فيقيموا الأحفان المذكورة
المكرية مرسى بجاية فتحها الله أربعة أشهر فإن دخل جفن للمرسى المذكور فهم المأخوذون فيه إن لم يغرقوه في
البحر أو يحرقوه ويكون الاختيار لمولانا أبو تاشفين فيهم يعمل بهم ما يريد إن لم يأخذوا جفن العدو أو يغرقوه
وليس لهم في ذلك عذر لا من العدو ولا من كبير البحر فان هم حيدوا عن الموضع المذكور بسبب عدم القدرة
فيما بيننا وبينهم ربطه فإذا هم وافدون بالشروط المذكورة فنحن نعطوهم النصف من المال الباقي وإذا اتخذت بجاية
المذكورة ان شاء الله تعالى والسلطان بن البرشلوبي المذكور مصارحاً لنا عليها في البحر بان يكون قايد بجاية فتحها
الله تعالى من تحت يد بين البرشلوبي الذي عندنا وكذلك تونس إن شاء الله تعالى إذا هون الله في فتحها ومهما
أخذوا جفن على بجاية المذكورة فالنصف لنا المذكورة التي في الجفن المذكور والجفن والنصف من الغنيمة لهم من
الجفن ومهما كان من الجفن المذكور مسلمين فهم لنا وان كانوا نصرى فهم لهم فهذا يكون أشخاص الناس.

النصري ومهما تم إن شاء الله تعالى فتاح هذا ينقسم الفرسان القطرانيين بين ابن البرشونوي وبين ابن القايد ...
وهذا والنصف على هذا وكذلك تعطوه مائة ألف دينار ذهباً بعد أخذنا لجفن ، ، . ابن البرشلوني البصير لها فإن
لم يجلسوا الأجفان المذكورة على أخذها ألف ذهباً
. . . المذكورة مهما تمت المدة المذكورة وهي أربعة أشهر فان أمرناهم أن يجلسوا : ... على بجاية المذكورة فيجلسوا
عليها وكلما يجلسوا من فأعطائناهم من الذهب من قرض ما وقع عليه الشرط في الأمل وان كان المذكورين حصروا
البجاية ولم بقار عليها تمام ما شرطت عليهم من المدة المذكورة فيرد لنا ابن البرشلوني الذهب الذي قبضوه من
برسم العمارة على قلة توفيتهم لما شرطنا عليهم من الشروط والصلح المذكور لعشرة سنين إن شاء الله تعالى والله
الموفق للصواب والمعين عليه لا رب غيره ولا معبود سواه .¹

¹ Los documentos arabes diplomaticos del archivo de la corona de aragon, editados y traducidos por maximilano , a.alarcon y santos garcia de linares , Madrid , 1940 , p304 ; p 304

الملحق رقم 15:

- ثكنة عسكرية بنيت علي أطلال قصر اللؤلؤة -



-الجهة الشرقية للثكنة المطلة
علي الميناء-

الملحق رقم 16:

- آثار لباب المرقوم من الجهة الغربية لمدينة بجاية -



- ما تبقي من باب السدات او ما يسمي ايضا باب الاندلس -

الملحق رقم 17:

- بعض ما تبقي من اثار قصر اميمون -



الملحق رقم 18:

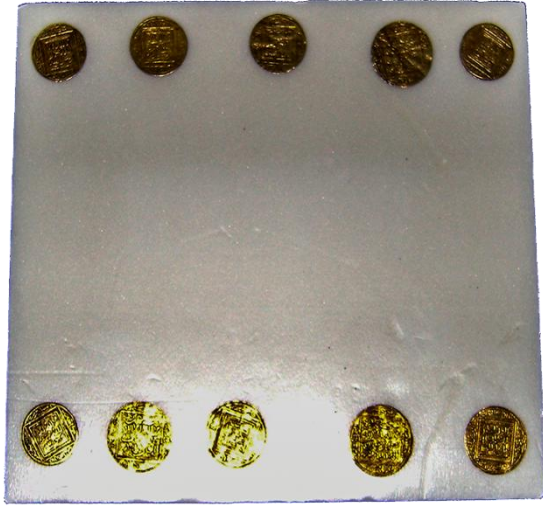
- باب البنود الفوقا -



- المنظر الداخلي لباب البنود -

الملحق رقم 06:

- المسكوكات -



- سكة ذهبية موحدية
- المتحف الوطني بسطيف



- سكة ذهبية حفصية
- المتحف الوطني بقسنطينة (سيرتا)

الملحق رقم 07:

- المسكوكات -



-مجموعة دراهم فضية الفترة الموحدية

-المتحف الوطني بسطيف



-مجموعة فلوس برونزية الفترة الموحدية

-المتحف الوطني بسطيف

مجموعة فلوس برونزية
الفترة الموحدية

- الحلي الحمادي -

- أقراط.



- المتحف الوطني بسطيف



- خواتم

- المتحف الوطني بسطيف



- الحلي الخاص بالقلادة.

- المتحف الوطني بسطيف

الملحق رقم 09:

- الاواني الفخارية الحمادية -



-جرة من فخار بزخارف ملونة

-المتحف الوطني بسطيف



-جرة صغيرة ملونة

-المتحف الوطني بسطيف

الملحق رقم 10 :

-الأواني الفخارية الحمادية –



- قطع لامفورة ذات زخارف
هندسية مختومة

-المتحف الوطني بسطيف



-جرة من الفخار

-المتحف الوطني بسطيف

الملحق رقم 11:

-القطع الزجاج-



-قطع من زجاج

-المتحف الوطني بسطيف

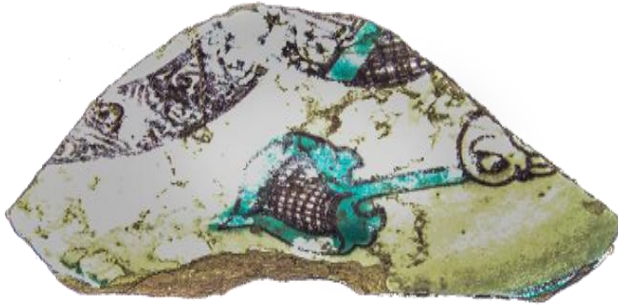


-مسارج فخارية وخزفية
-المتحف الوطني بسطيف

- الفن الزخرفي الحمادي -



-الفن الخزرفي الحمادي -



- قطع لصحون خزفية ذات زخارف هندسية ، حيوانية ، آدمية

- المتحف الوطني بسطيف



-بلاطة خزفية جداريه ذات أشكال هندسية تتوسطها نجمة

-المتحف الوطني بسطيف

-الفن الخزرفي الحمادي –



-بلاطة خزرفية مزينة بزخارف كتابية

-المتحف الوطني بسطيف



-عناصر معمارية من الفسيفساء خزرفية
لتزيين (خاصة النوافذ)

-المتحف الوطني بسطيف

قائمة

المصادر و المراجع

القرآن الكريم

المصادر المخطوطة :

1- ابن ليون (سعد بن أحمد) ، " كتاب أبدا الملاحة وإنهاء الرجاحة في أصول صناعة الفلاحة " ، مخطوط موجود

بالمجلس الأعلى للبحث العلمي ، قسم مكتبة توماس نفارو توماس ، بمديرية CSic

2- " الثعالبي (محمد بن الحسن الجعفري الفاسي المغربي الحجوي) ، " الصور الجمالية في خلاصة تاريخ إفريقيا

الشمالية " ، نسخة منه موجودة بالمكتبة الملكية بالرباط تحت الرقم 347 (257 ح)

3- الرعيني (أبو الحسن علي بن علي) ، " الفهرسة " ، نسخة موجودة بمكتبة قصر الاسكوريال بمديرية - تحت رقم (

. (1729) .

4- القلصادي (علي بن محمد بن علي) ، " كشف الأسرار عن علم حروف الغبار " موجودة نسخة منه بالمكتبة

الملكية - بالرباط تحت رقم (1411 د) .

5- الوغليسي (أبو زيد عبد الرحمن) ، المجموع ، مخطوط موجودة نسخة منه بالمكتبة الوطنية بالحامة الجزائر العاصمة

تحت رقم (590) .

- المصادر المطبوعة -

6- ابن الأثير (أبو الحسن علي بن محمد بن أبي الكرم بن عبد الواحد الشيباني) - الكامل في التاريخ - صححه

محمد يوسف الددق ، ط 3 ، دار الكتب العلمية ، لبنان - 1415 هـ / 1995 .

7- ابن الآبار (أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي) ، كتاب الحلة السيرة حققه حسين مؤنس ، ط 1 ط 2 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1963،1985 م .

8- (-----) ، التكملة لكتاب الصلة - تحقيق عبد السلام الهراس - دار الفكر - بيروت 1415 م - 1995 م .

9- الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحموي الحسني) ت . 560 هـ / 1066 م) ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ط 1 ، عالم الكتب ، بيروت ، 1409 هـ / 1989 م .

10- ابن بطوطة - رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار - ط 1 - دار الكتاب العلمي ، الدار الإفريقي العربية ، بيروت - 1991 م .

11- ابن العذارى (أبو عبد الله محمد المراكشي ق 7 هـ 8 هـ) 13 م - 14 م) - البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب قسم الموحدين تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ، محمد بن تلويت عبد القادر زمامة ، ط 1 دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان - 1406 هـ / 1989 م .

12- ابن فرحون (برهان الدين بن علي بن محمد) - الديقاج المذهب في معرفة أعيان المذهب - بهامشه : أبي العباس سيدي أحمد بن أحمد بن أحمد عمر بن محمد اقيت ، عرف بابا التنبكتي نيل الابتهاج بتطريز الديقاج - ط 1 ، مصر ، 1351 هـ .

13- ابن قنفذ القسنطيني (ابو عباس بن حسين بن علي بن الخطيب) (ت - 810 هـ / 1407 م)

-أنس الفقير وعز الحقير - صححه محمد القاسي ، أدولف فور - المركز الجامعي للبحث العلمي ، الرباط .

- 14- -----) ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية تقديم و تحقيق : محمد الشاذلي النيفر و عبد
المجيد التركي ، الدار التونسية للنشر ، بدون تاريخ .
- 15- -----) ، الوفيات -تحقيق : عادل نويهض ، مؤسسة نوهيض الثقافية ، بيروت -1982م
- 16- ابن الوردي (زين الدين عمر) -تتمة المختصر في أخبار البشر (تاريخ ابن الوردي) -تحقيق أحمد رفعت
البدراوي ، ط 1 ، دار المعرفة ، بيروت ، 1389 هـ / 1970 م .
- 17-ابن مريم (أبو عبد الله محمد بن محمد بن احمد) - البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان - ديوان
المطبوعات الجامعية - الجزائر .
- 18- " ابن عميرة (أبي المطرف أحمد المخزومي) -تاريخ ميورقة - تحقيق : محمد بن معمر ، ط 1 ، دار الكتب
العلمية ، بيروت لبنان -1428 هـ / 2007 م .
- 19- ابن الزيات (أبو يعقوب يوسف بن يحيى التدلي (ت 1229 / 617 م) -التشوف الى رجال التصوف و
أخبار أبي العباس السبتي تحقيق : أحمد التوفيق ، ط 1 ، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، الرباط -1404
هـ / 1984 م .
- 20- ابن أبي زرع (أبو الحسن علي الفاسي) -الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ
مدينة فاس -دار المنصور للطباعة و الوراقة -الرباط -1972 م .
- 21- ابن أبي دينار (محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني) -المؤنس في أخبار افريقية و تونس ط3- دار المسيرة
لبنان -1993 م .

22- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر) ت 618 د 1271 م - وفيات الأعيان

و أبناء الزمان تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت - 1994 م .

23- ابن خلدون (أبي زكرياء يحيى) - بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ت-حقيق : عبد الحميد حاجيات

، المكتبة الوطنية ، الجزائر ، 1400 هـ / 1980 م .

24- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن أبو زيد) (ت 1405/808 م) - العبر و ديوان المبتدأ و الخبر -

دار الكتابي اللبناني ، بيروت لبنان - 1981 م .

25- (-----) المقدمة ، الدار التونسية للنشر ، المؤسسة الوطنية للكتاب والجزائر فيفري -1984 م .

26- ابن الخطيب (لسان الدين السليماني) (ت 1374 / 776 م) أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من

الملوك الإسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام ، ج 4 ، تقديم الشريف المريعي ، دارالأمل ، للدراسات و النشر و

التوزيع ، الجزائر ، م2009 .

27- (-----) اللمحة البدرية في الدولة النصرية ، تقديم و تعليق محمد شايب شريف دار الأمل للدراسات ،

2009 م .

28- (-----) ربحانة الكتاب ونبعة المنتاب ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، م 1 ، ط 1 ، مكتبة الحانجي ،

القاهرة ، 1400 هـ / 1980 م .

29- (-----) ، كناسة الدكان بعد انتقال السكان ، تحقيق محمد كمال شبانة ، ط 1 ، مكتبة الثقافية

الدينية 1423 هـ / 2003 م) .

- 30- (-----) الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق عبد الله عنان ط 2 ، مكتبة الخانجي القاهرة ، 1973م
- 31- ابن الخرداذبة (أبي القاسم عبید الله بن عبد الله) ، مسالك و الممالك ، تقديم : محمد مخزوم ، ط 1 ، دار الحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان - 1408 هـ / 1988 م .
- 32- ابن الشماخ (أبو عبد الله محمد بن احمد ، الأدلة البينية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية ، تح : الطاهر بن محمد المعموري ، الدار العربية للكتاب ، 1984 م
- 33 ابن القطان (أبي محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتاتي) نظم الجمان الترتيب ما سلف من أخبار الزمان حققه محمود علي مكّي ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان -1990م.
- 34- ابن السعيد المغربي ، في حلي المغرب -ج1- تحقيق شوقي ضيف -ط 2 ، دار المعارف مصر -1964 م .
- 35- ابن صاحب الصلاة (عبد الملك ، ت 594 هـ / 1198 م) ، المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب الأندلس في عهد الموحدين، تحقيق عبد الهادي التازي، ط 1 سنة 1964 مط 2 ، 1979 م، ط 3 ، 1987 م، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، لبنان .
- 36- ابن السماك العامري (أبي القاسم محمد بن أبي العلاء محمد بن سماك المالقي الغرناطي) ، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، دراسة و تحقيق : بوباية عبد القادر ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 2010 .
- 37- ابن البيطار (ضياء الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد الأندلسي المالقي - الجامع لمفردات الأدوية و الأعذية - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - 1422 م -2001 م .

38- ابن حوقل (أبي القاسم بن حوقل النصيبي) كتاب صورة الأرض منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان -
1992 م .

39- ابن إبراهيم العباس ، الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الإعلام ، ج 3 - المطبعة الملكية بالرباط ،
1975 م .

40- ابن الحاج النميري فيض العباب و إفاضة قداح النداب إلى قسنطينة و الزاب ، دراسة وإعداد محمد بن شقرون ،
طبعة خاصة مؤسسة البلاغ و الدراسات و البحوث ، الجزائر - 2013 -

41 - ابن الصغير المالكي - أخبار الأئمة الرستمين ، تحقيق محمد ناصر وإبراهيم بحاز المطبوعات الجميلة الجزائر -
1986 م .

42- ابن القاضي (أبي العباس أحمد بن محمد المكناسي) ، درة المجال في أسماء الرجال ، تحقيق محمد الأحدي أبو
النور ، ج 1 ، الناشر دار التراث القاهرة - المكتبة العتيقة تونس 1972 م .

43- ابن الجبير (أبو الحسن محمد بن احمد البلنسي ت 614 هـ -1217 م) - رحلة ابن جبير - ط 1 - دار
الشرق العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، لبنان - بيروت - سوريا - حلب - 1428 هـ-2007 م .

44- ابن أبي الضياف أحمد ، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس و عهد الأمان ، الدار التونسية للنشر والتوزيع ،
تونس ، 1976 م .

45- أبي عبيد البكري (ت 487 هـ) - المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب ، وهو جزء من كتاب المسالك و
الممالك ، الناشر دار الكتاب الإسلامي القاهرة -دون تاريخ

- 46- أبي عبد الله محمد الأنصاري ، فهرست الرصاع ، تحقيق العنابي ، المكتبة العتيقة تونس -دون تاريخ .
- 47- أبي عبد الله بن الأزرق بدائع السلك في طبائع الملك ، تحقيق آز علي سامي النشار ، ج 1 - ط 1 -دار الإسلام للطباعة و النشر و التوزيع و الترجمة ، القاهرة -2008 م
- 48- الا أبو فرحون (برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المدني المالكي) الديق المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ط 1 - مصر- 1351 هـ .
- 49-أبو حامد (بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي) أحياء علوم الدين - ج 1 - المطبعة الميمنية القاهرة 1312هـ
- 50- البلوي (أبو البقاء خالد بن عيسى الأندلسي تاج المفرق في تحلية علماء المشرق جزآن ، مقدمة وتحقيق الحسن السايح ، نشر صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المغرب والإمارات العربية المتحدة ، مطبعة فضالة ، المحمدية (المغرب) 1964 .
- 51-ابن أبي حجلة التلمساني (أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يحيى) -ديوان ابن أبي حجلة - تحقيق و دراسة - مجاهد مصطفى بهجت كنوز للنشر و التوزيع تلمسان الجزائر 2011 .
- 52-الفداء (عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بابي الفداء) (ت 732 هـ) - تقويم البلدان - دار الصادر - بيروت - دون تاريخ .
- 53- البيذق (أبو بكر بن علي الصنهاجي) - كتاب أخبار المهدي بن تومرت - تحقيق عبد الحميد حاجيات - الشركة الوطنية للنشر و التوزيع - 1395 هـ / 1795 م .

- 54- التيجاني (ابو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد - رحلة التيجاني قدمها حسن حسني عبد الوهاب ، المطبعة الرسمية تونس - 1378 هـ / 1985 م .
- 55- النويري (أحمد بن عبد الوهاب) تحقيق و تعليق مصطفى أبو ضيف أحمد جزء خاص بالمغرب تاريخ المغرب الإسلامي في العهد الوسيط إفريقية و المغرب و الأندلس صقلية أقرطش (27- 719 هـ / 647-1319 م) ، دار النشر المغربية - الدار البيضاء - بدون تاريخ .
- 56- السلاوي (أبو العباس أحمد بن خالد الناصري) - الاستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى ، الدولتين المرابطية و الموحدية ، تحقيق : احمد الناصري ، الدار البيضاء ، 1954 م
- 57- الزركشي (ابن عبد الله محمد بن ابراهيم) تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية ، المكتبة العتيقة - تونس - دون تاريخ .
- 58- اسماعيل ابن إبراهيم بن أمير المؤمنين تاريخ الأندلس من الفتح حتي السقوط من خلال مخطوط (تاريخ الأندلس) تحقيق : أنور محمد الزناتي ، ط 1 ، مكتبة الثقافية الدينية القاهرة - 2007 م .
- 59- الغبريني (أبو العباس أحمد) عنوان الدراية فيمن عرف من علماء في المائة السابعة ببحاية تحقيق : رابح بونارل2- الشركة الوطنية للنشر و التوزيع - الجزائر - دون تاريخ .
- 60- (محمد بن عبد الله) نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان ، الزيان ، ملوك تلمسان -تحقيق : محمد بوعبياد المكتبة الوطنية الجزائر -1985 م .

- 61-الوزير سراح (محمد بن محمد الأندلسي) الحلل السندسية في أخبار التونسية -ج1 -تحقيق : محمد الحبيب هيدا القسم - 1970 م .
- 62- المقرري (احمد بن محمد) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الخطيب ، تحقيق : يوسف الشيخ محمد الدين بن البقاعي - ج 3 ط1- دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان - 1419 هـ -1998 م .
- 63- الماوردي (أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب) أدب الوزير للماوردي المعروف بقوانين الوزارة و السياسة الملك ، صححه حسن الهادي حسين ، ط 1929 ، 1 م ، ط 1994، 2 م - مكتبة الخانجي .
- 64-البرزلي (أبي القاسم بن أحمد البلوي التونسي) ، (ت 841 / 1438 م) فتاوى لبرزلي جامع المسائل الأحكام لما نزل من لقضايا بالمفتيين والحكام، تقديم و تحقيق : محمد الحبيب الهيلة، ط 1 ، دارالغرب الإسلامي،بيروت، 2002 م .
- 65- " القلقشندي (أبي عباس أحمد) - كتاب صبح الأعشى المطبعة الأميرية بالقاهرة 1331 هـ / 1913 م .
- 66- الونشريسي (ابي العباس أحمد بن يحي) (ت 814 هـ) - المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقيا و الأندلس و المغرب خرجة جماعة من الفقهاء ، باشراف محمد حجي الأوقاف الإسلامية - المملكة المغربية - 1401 هـ 67- انا ليون الأفريقي (حسن بن محمد الوزان الفاسي) - وصف افريقيا - ترجمة : محمد حجي تي ، محمد الأخضر ، ط 2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان -1983 م .

68- جان ليون قصة الحضارة في إفريقيا جغرافية وتاريخ تلمسان وبجاية وتونس و نواميا والشمال الإفريقي ، ترجمة

نور الدين قورصو ، دار الكتاب الحديث - القاهرة - الكويت - الجزائر 2011 -

69- ابن المنظور المصري محمد بن مكرم بن علي ت 711 هـ -1311 م) ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت

، 1990 م .

70- عبد الواحد المراكشي (أبو محمد بن علي التميمي) (ت 647 هـ / 1249 م) - المعجب في تلخيص

أخبار المغرب ، اعتناء : صلاح الدين الهواري ، ط 1 ، المكتبة العصرية بيروت - 1426 هـ / 2006 م) .

71- ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي) معجم البلدان -

م 1- مقدمة محمد عبد الرحمن المرعشلي دار إحياء التراث العربي - مؤسسة التاريخ العربي دون تاريخ .

72- الحاج - عبد الله بن الصباح أنساب الأخبار و تذكرة الأخيار رحلة المدجن الحاج عبد بن الصباح (النصف

الثاني من القرن الثامن الهجري) ، علق حواشيها : محمد بن شريفة ط 1 ، دار أبي قرقار للطباعة والنشر ، الرباط ،

2008 م .

73- الامام مالك بن انس (ت179هـ) - كتاب الموطأ- بيروت-لبنان-1428-1429-هـ/2008م.

74- القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك -م 1- ط 2-

ضبطه وصححه محمد سالم هاشم ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان -2012 م .

75- القادري (محمد بن الطيب) - نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر و الثاني - تحقيق : محمد حجي ، أحمد

التوفيق - ج 1 - مطبوعات دار المغرب للتأليف و الترجمة و النشر - الرباط 1977 م

- 76- " السخاوي الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، منشورات مكتبة الحياة - بيروت - لبنان دون تاريخ
- 77- " الحفناوي (القاسم محمد) تعريف الخلف برجال السلف - تقديم محمد رؤوف الفاسي الحسني ج 1- 1991 م .
- 78- العبدري ، الرحلة المغربية ، تحقيق وتقديم وتعليق محمد الفاسي ، سلسلة الرحلات (4) حجازية (1) ، نشر جامعة محمد الخامس - الرباط - 1968م .
- 79- * الرازي (محمد بن البكر) مختار الصحاح ، دار الفكر - بيروت - 2001 م .
- 80- * الأصفهاني معجم مفردات ألفاظ القرآن تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - 2010 م .
- 81- الورثلاني (الشيخ الحسين بن محمد الورثلاني السطايفي الجزائري) - نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار (المشهورة بالرحلة الورثلانية) تعليقات : ابن مهنا القسنطيني ، طبعة خاصة - المعرفة الدولية للنشر و التوزيع - الجزائر - 2011 .
- 82- التمرقونتي (أبو الحسن علي بن محمد) - النفخة المسكية في السفارة التركية تقديم و 03 تحقيق عبد اللطيف الشادلي - المطبعة الملكية - الرباط - 2000 م
- 83- محمد (ابن سعد الأنصاري التلمساني) - روضة النسر في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين . تحقيق يحي بوعزيز ، ط 1 ، الناشر المنشورات A.N.E.2002 م ا

- 84- الثعالبي (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون) - غنيمة الوافد و بغية الطالب الماجد - تحقيق : محمد شايب شريف ط1- دار بن حزم - 2005 م .
- 85-" الحميري (محمد بن عبد المنعم) - كتاب روض المعطار في خبر الأقطار تحقيق احسان عباس مكتبة لبنان ، بيروت ، 1975 م .
- 86- الحنبلي (محمد بن يحيى التادفي) قلائد الجواهر في مناقب تاج الأولياء و معدن الأصفياء وسلطان الأولياء ، ط 1 ، المكتبة الأزهرية للتراث مصر -2008 م
- 87- العياشي - رحلة العياشي -من خزانة الشيخ سيدي عبد الله البلبالي بكوسام - أدرار - 2013 م .
- 88- أبو عصيدة (أحمد البجائي رسالة الغريب إلى الحبيب ، ط 1 ، تعريف و تعليق أبو القاسم سعد الله -دار الغرب الإسلامي بيروت - 1993 م .
- 89- و يعقوبي (أحمد بن أبي يعقوبي بن واضح) - كتاب البلدان دار إحياء التراث العربي بدون تاريخ.
- 90- العمري (ابن فضل الله) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار تحقيق : أحمد زكي باشا - مطبعة دار الكتب المصري بالقاهرة -1342 هـ / 1924 م .
- 91-المقدسي (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر) -أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ط2- بمطبعة أبريل لندن - 1906 م .
- 92-الرصاع الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية ، 1481 / 886 م) -تحقيق و دراسة محمد حسن

93- النوي رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين تحقيق : عبد أحمد أبو زيد ، المكتبة العصرية بيروت - دون تاريخ .

94- مؤلف مجهول ، الاستبصار في عجائب الأمصار (وصف مكة والمدينة و مصر وبلاد المغرب) - نشر و تعليق : سعد عبد الحميد ، الإسكندرية ، 1958 م .

95- مؤلف مجهول الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، حققه : سهيلزكار عبد القادر زمامة ط 1 دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء . 1399 هـ -1979 م .

96- مؤلف مجهول ، زهرة البستان في دولة بني زيان 760هـ-746هـ/1359م-1363م تقديم بن أحمد باغي - السفر الثاني - ط 1 - الشركة الأصالة للنشر والتوزيع الجزائر - 2011 م .

- المراجع باللغة العربية :

97- بوتشيش إبراهيم القادري ، اضاءات حول ثرات المغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي ط 1 ، دار والاجتماعي الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، م2002 .

98- أنور إبراهيم ، نقل المعرفة في بلاد المغرب المريني وإفريقية الحفصية إلى منتصف القرن 08 هـ / 14 م ، مطبعة دار المناهل ، 2011. م .

99- حركات إبراهيم ، المجتمع الإسلامي والسلطة في العصر الوسيط ، إفريقيا الشرق المغرب ، 1998.

100- -----) ، مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم القرن 15 / 9 م) ، ج 3 ، التصوف ط

1 ، دار الرشاد الحديثة ، دار البيضاء ، المغرب ، 2000

- 101-نجار أبو عبد المجيد ، المهدي بن تومرت أبو عبد الله المغرب السوسي (ت 524 هـ-1129 م) ، حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب ، ط 1 ، دار المغرب الإسلامي ، بيروت 1403 هـ / 1982م
- 102- الزواوي أبو يعلى ، تاريخ الزواوة ، مراجعة وتعليق : سهيل الخالدي ، منشورات وزارة الثقافة الجزائر ، 2005 .
- 103- الحمروني أحمد ، الهجرات الأندلسية إلى البلاد التونسية ، ط 1 ، ميديا كوم ، تونس ، 2009م .
- 104-المدني أحمد توفيق ، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا 1492م / 1792م وثائق و دراسات ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر
- 105-(-) ، كتاب الجزائر ط 02 دار المعارف ، 1386 هـ / 1963م
- 106-عزاوي أحمد ، العلاقات بين العالمين الاسلامي و النصراني ن العصر الوسيط ، ج 2 ، المطبعة الرباط نات المغرب ، الرباط ، 2006م .
- 107-(-) ، الغرب الاسلامي خلال القرنين 7 و 8 هـ ، دراسة و تحليل لرسائله ، ج 01 ، 2006 م
- 108-(-) ، المغرب الاسلامي و الاندلس في القرن السابع 13 م ، دراسة و تحليل الديوانيات ، كتاب فصل الخطاب في ترسيل أبي بكر غبن الخطاب ، ط 01 ، مطبعة ربانيت ، الرباط ، 2008م
- 109-(-) ، رسائل ديوانية موحدية ، ط 01 ، المطبعة الرباط ، نايت المغرب ، الرباط ، 2006 م .

110- (-----) ن قضايا تاريخية خلال العصرين الموحدى و المارنى ، دراسة وثائقية ن ط 01 الجامع ، الرباط 2010 م .

111- (-----) ، المغرب الاسلامى فى أوساط القرن الثامن هجرى ، (ق 14 م) دراسة تاريخية لديوانيات ربحانة الكتاب للإبن الخطيب ، ط 01 ، مطبعة الرباط نايت المغرب ، 2008 م

112- روجى إدريس الهادى الدولة الصنهاجية فى عهد بنى زيان القرن 10 الى القرن 12 ، ج 01 ، تر:حمادى الساحلى ، ط01 ، دار المغرب الاسلامى ، بيروت ، لبنان ، 1992

113- العربى اسماعيل ، دولة بنى زيان ملوك غرناطة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1982م.

114- الأسطوانات الزجاجية الإسلامية فى مجموعة متحف سيرتا (قسنطينة) ، دراسات وبحوث لايلى بول أرمند ، المؤسسة الوطنية المطبعية التجارية ، وزارة الثقافة ، الجزائر ، 1983 م.

115- بولقطيب الحسين ، حفريات فى تاريخ المغرب الوسيط ، دراسة تاريخية ، ط 1 ، جذور النشر الرباط ، 2004 م .

116- موسى عبد الحميد أنور ، المعالم الحضارية والأدبية فى عصر صدر الإسلام ، ط 1 ، دراسة النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، 2013 م .

117- بكير بن سعيد اعوشت ، الإباضية فى مرآة علماء الإسلام قديما وحديثا ، ط 1 ، مكتبة الظاهري للنشر والتوزيع ، سلطنة عمان ، 2013 م .

- 118- . ابو العسل أحسن ، الضرائب في المغرب الإسلامي منذ عهد الولاة حتى سقوط الموحدين 668-196هـ / 715-1269م، تقديم عبد العزيز فيلاي، ط 1 ، دار بهاء الدين للنشر و التوزيع، الجزائر، 2013م -
- 119- مجاني بوبة ، النظم الإدارية في المغرب خلال العصر الفاطمي (226-362هـ / 909-973 م) ، (الجزائر ، ليبيا ، تونس ، المغرب) ، ط 1 ، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع ، الجزائر ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، الأردن ، 2010 م.
- 120- ابوداود عبيد ، ظاهرة التصوف بالمغرب الأوسط ما بين 7-9م / 13-15م ، دراسة في تاريخ السوسيو ثقافي ، دار المغرب للنشر و التوزيع . (
- 121- (-----) الوقف في المغرب الإسلامي ما بين القرنين السابع والتاسع الهجريين ق 13 م - 15 م) ودوره في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، ط 1 ، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر 2011 م
- 122- طه أحمد جمال ، دراسات في التاريخ الاقتصادي و الاجتماعي للمغرب الإسلامي ، ط 1 ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ، 2008 م .
- 123- طه جمال ، الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى في عصر الإسلامي (عصر المرابطين والموحدين) ، ط 1 ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ، 2004 .
- 124- حسين الحاج حسن ، حضارة العرب في صدر الإسلام ، ط 1 ، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع ، لبنان ، 1982 م .
- 125- " بكريم حسين ، الحسبة تطورها قديما وحديثا ، ط 1 ، 1990 م .

- 126- * فهيم محمد حسين ، أدب الرحلات ، المجلس الوطني للثقافة والفنون و والآداب ، الكويت ، 1989 م ..
- 127- خالد حسن محمود ، الرقيق والحياة الاجتماعية ببلاد المغرب خلال القرون الأربعة الأولى للإسلام ، و ط 1 العربية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2009 .
- 128- بورويبة رشيد ، الدولة الحمادية تاريخها و حضارتها ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، 1397 هـ - 1977 م .
- 129- البارودي رضوان ، دراسات وبحوث في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس ، مركز الإسكندرية للكتاب ، للقاهرة ، 2007 م .
- 130- درنيقة ربما محمد ، الفتح العربي للمغرب والحضارة المغربية ، ط 1 ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، لبنان .
- 131- زغلول عبد الحميد سعد ، تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصرا الاستقلال ليبيا تونس ، الجزائر ، المغرب) ، ج 1 ، منشأة الناشر المعارف ، الإسكندرية ، 2003 م .
- 132- سعدون نصر الله تاريخ الحرب السياسي في المغرب من الفتح العربي حتى سقوط غرناطة (... - 798 هـ / 640-1492م) ، ط 1 ، دار النهضة العربية، لبنان، 2003 م .
- 133- بعيزيق صالح ، بجاية في العهد الحفصي ، دراسة اقتصادية واجتماعية ، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، تونس ، 2006 م .
- 134- بلمليح عبد الإله ، الرق في بلاد المغرب والأندلس ، ط 1 ، مؤسسة لانتشار العربي ، لبنان 2004 م .

- 135- عويس عبد الحليم ، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري ، ط 2 ، دار الصحوة للنشر و التوزيع
1411 هـ / 1991 م .
- 136- حاجيات عبد الحميد ، ابو حمو الزياني وآثاره ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1982 م .
- 137-خالدي عبد الحميد ، الوجود الهلالي السليمي في الجزائر ، دار هومه للنشر والتوزيع الجزائر ، 2007
- 138-العزاوي عبد الرحمن حسن ، تاريخ المغرب العربي في العصر الإسلامي ، طبعة دار الخليج ، عمان الأردن ،
2011 م .
- 139-عبد الكريم يوسف ، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجري
(9 و 10 م) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ب ت .
- 140- كنون عبد الله ، يوسف بن تاشفين ، المجتمع والمجال ، 2004 م .
- 141-دنون طه عبد الواحد ، حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة ط 1 ، دار المنار
الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 2004م.
- 142-سعيد عثمان ، الأمازيغ البربر عاربة وعروبة الشمال الإفريقي عبر التاريخ ، 1996 م
- 143-الجبوري عدي سالم عبد الله محمد ، دراسات في تاريخ صدر الإسلام ، ط 1 ، دار الحامد للنشر والتوزيع ،
عمان ، الأردن ، 2014 م .

144- عز الدين عمر موسى ، الموحدون في المغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم ، ط 1 ، دار عر الغرب الإسلامي

، لبنان ، 1411 هـ / 1991 م .

145- علاوة عمار ، دراسات في التاريخ الوسيط في الجزائر والمغرب الإسلامي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،

2008 م .

146- الصلاحي علي محمد ، أعلام أهل العلم والدين بأحوال جولة الموحدين ، ط 1 ، مكتبة 16 الإيمان ، المنصورة

، 2004 م .

147- عنوف عيسى ، يهود الجزائر 2000 سنة من الوجود ، دار المعرفة ، الجزائر ، ب ت

148- الشميري غازي جاسم مهدي ، دراسات في النظم الإسلامية ، ط 1 ، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع

، الجزائر ، 2002 م . .

149- ابن صحراوي كمال ، الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر عهد ا بيت الحكمة للنشر والتوزيع ، الجزائر ،

2009 م .

151- محمد البشير ، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني ، المؤسسة الوطنية للكتاب ،

الجزائر ، 1984 م .

152- الصغير محمد غانم ، المملكة النوميديّة والحضارة البونية ، ط 1 ، شركة دار المة للطباعة والنشر والتوزيع ،

1998 م .

- 153- الطمار محمد ، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة ، ديوان المطبوعات الجامعية 2010 م.
- 154- حارش محمد الهادي، التاريخ المغربي القديم السياسي و الحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، مؤسسة الجزائر، 1992م.
- 155- محمد حسن، المدنية و البادية بإفريقيا في عهد الحفصي ، ج1، ج2، جامعة تونس الأول، 1999م.
- 156- عنان محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث عصر المرابطين و الموحدين في المغرب والأندلس، القسم الأول، عصر المرابطين وبداية الموحدين، ط2، مكتبة الخناجي القاهرة، 1990م.
- 157- سيد محمود، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، الناشر مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2008م.
- 158- مراجع عقيلة الغناي، سقوط دولة الموحدين ، ط1 وط2، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، 1988م- 2008م.
- 159- مرعي خلف الله ابتسام ، العلاقات بين الخلافة الموحدية و المشرق الإسلامي، (524-936هـ/1130-1529م) ، دار المعارف، 1405هـ/1985م.
- 160- مزهودي مسعود، الإباضية في المغرب الأوسط منذ سقوط الدولة الرستمية إلى الهجرة بني هلال إلى بلاد المغرب (296-442هـ/909-1058م) ، المطبعة العربية ، غرداية ، الجزائر ، 1996م. <
- 161- أبوضيف مصطفى ، اثر القبائل العربية في المغرب في عصر الموحدين وبني مرين ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1982 م
- 162- مفتاح خلفات، قبيلة زاوّة بالمغرب الأوسط ما بين (6هـ و 9هـ / 12م - 15م)، دراسة سياسية والحضارية، دار الأمل للطباعة والنشر و التوزيع، 2011 م.
- 163- عبد الشكور نبيلة، نخب تاريخية جامعة لأخبار المغرب الأوسط، ط1 ،، ج1 ، مؤسسة كنوز حكمة، الجزائر، 2012م.

164- العامري نللي سلامة ،التصوف بافريقية في العصر الوسيط منذ ق3هـ/9م إلى نهاية القرن 9هـ/15م، داركونتراست للنشر، سوسة، تونس، 2009 م.

الدوريات

165-مصطفى رشيد، " بجاية في العهد الحمادي " ،مجلة أصالة " ،العدد 19

166-بعيزيق صالح، " رحلة ابن بطوطة والتاريخ الاقتصادي لبلاد المغرب وبلاد السودان في النصف الأول من القرن

14هـ/08م، " المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية، العدد 139 ،السنة 47 تونس 2010 م

167-موشوش محمد، " تطور شكل السكة الموحدية من خلال أربعة نماذج غير منشورة للدرهم المستدير، "كان

التاريخية، العدد 17 سبتمبر 2012 م

168-مولود قاسم آيت بلقاسم، " بجاية الإسلام لقنت أوربة الرياضيات بلغة العروبة " ، ج 1 ،ملتقى الفكر

الإسلامي التاسع عشر، كتاب الأصالة، 1985 م.

169-بوعزيز يحيى، "ملاحح من قلعة بني حماد و الدولة المادية و بجاية، " مجلة الثقافة السنة 06 العدد 36 ،

1977م.

170-Revue africaine , mausolée du cheikhe el quali sisi boumadien ,
volume 04 , année 1859-60 – alger , constatantine.paris

171-Revue africaine , aichapoete de bougie mu VII seicle de l'hegier ,
volume , année 1859-60 – alger , constatantine.paris.

172-الخطيب سماعيل، ابن سبعين الفيلسوف الصوفي بين بلنسية سية " ،الملتقى الدراسات المغربية الأندلسية تيارات

الفكر في المغرب و الأندلس، جامعة الملك السعدي، تطوان، 26-27-28 ،أفريل، 1993 م

173-العربي اسماعيل، " العمران والنشط الاقتصادي في الجزائر في العصر الحمادي ،مجلة الأصالة، عدد خاص ببجاية

عبر العصور، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، العدد 19، 1394هـ/1974م .

174- بوتشيش إبراهيم القادري، سعيد بن حمادة، المعمار المائي بمدينة غرناطة النصرية 7-8هـ/13-14م، " الندوة الدولية الثالثة ، المكتبة الوطنية ، تونس.

175- بسيوني صلاح رسلان ، الإقتصاد السياسي عند ابن خلدون، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد 01 ، المعهد الوطني للتعليم العالي والحضارة الإسلامية، وهران ، 1993 م.

176- زريوح عبد الحق ، "المدرسة و الكتاب و أصولها اللغوية و التاريخية "، مجلة التراث العربي، العدد 95 ، 1981م.

177- العثماني عبد القادر، "الزوايا و التعليم القرآني و الدين بها"، مجلة الدراسات الإسلامية، العدد 02 شوال ديسمبر 2002م، الجزائر .

178- عزوق عبد الكريم، الأضرحة ببجاية ، دراسة نموذجية، "دراسات تراثية"، مجلة الدراسات و الأبحاث في التاريخ و الآثار و الفنون، العدد 01 ، السنة 2007 م، الجزائر.

179- علاوة عمارة، "التطور العمراني والتجاري، لمدينة بجاية في العصر الإسلامي الوسيط " ، مجلة الأمير عبد القادر للعلوم الإنسانية، العدد 22 ، 1429 هـ / سبتمبر 2008 م.

180- حسين محمد " أصناف الانتاج الزراعي ، بإفريقية من القرن 6هـ/12م إلى القرن 9هـ/15م" ، أشغال البحث بعنوان الفلاحة والتقنيات الفلاحية بالعالم الإسلامي في العصر الوسيط، تحت إشراف حسين حافظي علوي، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، كلية الآداب والعلوم الإسلامية، الرباط ، 2011 م.

181- محمد عبد الستار عثمان، " المدنية الإسلامية، " المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، العدد 162 ، ذو الحجة 1408 هـ/1988م، الكويت.

182- عرعار ، مراد "جغرافية إنتاج الزعفران بالمغرب الإسلامي و مجالات استعماله"، بحوث من الندوة الدولية الرابعة، مساهمات القيروان العلمية و الثقافية ، المنعقدة بالقيروان ، 24-25 أبريل تونس 2009م.

183-المتتاني نجم الدين ،"مياه الأمطار في المدينة في المغرب الإسلامي الوسيط" ، الندوة الدولية الثالثة المنعقدة بالمكتبة الوطنية بتونس، أيام 15-16-17 نوفمبر 2007م.

الرسائل الجامعية :

184- ابن أحمد صالح، بجاية في العهد الحفصي، 628-784هـ/1230-1347م، بحث في المنهجية لدبلوم الدراسات المعمقة، دائرة التاريخ، 1978 م.

185-بودواية مبخوث، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الاوسط والسودان الغربي خلال عهد بني زيان، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2006-2005 م.

186-زينب عبد الله أحمد كير، أهل الذمة في العهد الحفصي، رسالة دكتوراه، جامعة الزقازيق، كلية الآداب، قسم التاريخ، 2005 م .

187-عبد الكريم عزوق، المعالم الأثرية الإسلامية بجاية ونواحيها، دراسة أثرية، رسالة دكتوراه، 2007-2008م.

188-عبد الله لخضر، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان 633-962هـ/1236-1554م، رسالة دكتوراه، 1425هـ-1426م/2004-2005م.

المراجع باللغات الأجنبية :

189-Ahmed Slimani, Massinissa et Yughrtha et leur influence sur hisotoire traduit :Madani guesseriaux éditions dahalab Alger , 1994

189- André Chouraqui , histoire des juifs en Afrique du nord , nouvelle édition , hachette littérature , 1997

190 - Association gehimab , centre universitaire Bejaia , colloque international , Bejaia et sa région a travers les âges , histoire , société sciences , culture Unesco , résumés des communications Bejaia , Algérie

191 – Beatriz Alonso Acero , sultanes de berberia en tierras de la cristiandadexilio musulman , conversion y asimilacion , en la monarquia hispanica (siglos XIV – XVII) , alloranbellaterra , edicions bellaterra barcelona , España 2006 .

192–c.Brocklmann Geschichte der arabischenliteratur , leipzigC.Famelang's Verlag 1909 .

193 – Debeylie , la kalla des benihammad , une capitale berbère de l'Afrique du nord au XI siècle .

194–Don Francisco Zavala , bandera Espanola argelia 1500 à 1791 , imprenta de gojosoyg'galeria de la exposicion , 1885 , argel 198–

195–Fernand braudel , les espagnoles et le beribérie de 1492 à 1577 beleslettres Algérie ,2011

196– Georges Marcais , Algérie médiévale monuments et paysages histoire iques , arts et métiers graphiques , paris .

197– Georges Marçais , les arabes en berbérie du XI au XIV siècle , paris , Constantine , 1982 .

198 – Gilbert Meynier , l'Algérie du cœur du Maghreb classique de l'ouverture islamo – arabe au repli(698 + 1518) , le découverte ; paris .

199 – Gilbert meynier , l'Algérie cour du Maghreb classique de l'ouverture islamo – arabe au repli(698–1518) , la découverte , paris , 2010

- 200 – Jean chesch , l'Algérie passé et présent le cadre et les étapes de la constitution de l'Algérie éditions sociales , paris – 02 –204– Jean lassus , georgesmarçais , léo barbes , louis mouilleseaux , pierre boyer , jean farran , histoire de l'algerie , les productions , de paris (1^{er}) joseph cuoqu , l'église d'Afrique du nord du deuxieme siècle , le centurion
- 201–Khelad imokhet , urbanisme et système sociaux la phamification urbanisme en Algérie , office des publications , universitaire , Alger .
- 202–L. Gobrin , recherche archéologique a la Qalaa des beni Hammad , paris , 1965 .
- 203– Ladwing Salvatore Vonhabsburg – toskana , bougie perle de l'Afrique du nord , traduit de l'allemand par ahceneabdelfattah , najjma abde lfattah lalmi – CNRPAN – Alger , 2005 .
- 204 – Laurent – Charles Feraud , histoire de bougie , éditions bouchene 2001 .
- 205 –M . Henri Lavoix , catalogue des monnaies musulmanes de la bibliothèque nationale , Espagne et Afrique imprimerie nationale paris , 1891 .
- 206 – Mahfoud Kaddache , l'Algérie médiévale , deuxième édition Alger , 1992 .
- 207– Meriem mohmoudi , quand qu'alaat béni salama raconte ibn Khaldoun , Thala , Alger , 2014 .

208- Miguel Josédeya Bauza , entre la toma de Oran y los pactoxonargel las baleatres y la conquista de bugia in oranhistoria de la corte chica madrid edicion espolifemio , 2011)

209- Mohammed Raouraoua , Françoise Allaire . Djazair 2003 une année de l'Algérie en France , Algérie : céramique d'hier a aujourd'hui décors de céramique

210 – Moloud Gaid , histoire de Bejaia et de sa région depuis l'antique jusqu'à 1954 , SNED , Alger 1976 .

211- Rafael Gutierrez Cruz , cartografia , fuentes y docmenticien laqfortificaciones de bugaia (1510–1527) ; « el vigia de tierra , num 6–7 Melilla (espana) 1999–2000 .

212 –Recuell des notices et mémoires de société archéologique du département de Constantine , 1e volume de la quatrième série trente deuxième volumes de la collection année 1898 et quarante deuxième volume de la collection année , 1908 (Alger , paris) .

213-s . gsell , histoire ancienne de l'Afrique du nord , Tome1

214- Salah baizig « l'élite Andalouse à tunis et à bougie et le pouvoir hafside » mélanges de l'école française de Rome moyen – âge , tome 115 , Roma , 2003.

215-Sir gadfreyfisher , legende de l'arabes queguerrentommerce et piraterie en afrique de mord de 1415 a 1830 , traduit et annoté par faridahellal , office des publications universitaires , Alger

216–Valerian(dominique),Bougie port bmaghrèbin (1067–1510)école française de Rome , Rome , 2006 .

217–Valerianosanchez romes , 2008 , el infante Don Fernando de bugiovasall odelemporado .

الفهارس

فهرس الأعلام

أ

- أحمد أبو عصيدة البجائي..... ص: 184
 - أحمد الصقلي - ص: 42
 - أحمد بن إدريس البجاني..... ص: 181
 - أحمد بن عيسى بن سلامة- ص: 181
 - أبو البقاء خالد ص: 102،99،66،64
 - إسحاق إبراهيم ص: 58،57
 - الأمير عبد الرحمان..... ص: 78،81،82،83
 - الأمير يحيى بن العزيز ص: 113
 - إبراهيم بن محمد بن عباد الرحمان ص: 190
-

ب

- باديس بن منصور بن الناصر بن علناس..... ص: 16،26
 - بني هلال ص: 22،49
 - بن محمد بن الحسن بن يحيى بن عمارة الريف الحسني..... ص: 105
 - بيدرو نقارو ص: 83،81،80،79
-

ت

- تاشفين ص: 32،27،25،39
 - التلمساني عرف بالآبلي محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدري..... ص: 189
-

ث

ج

ح

- حاد بن بلكين ص: 125، 88، 17، 16
- الحسن علي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم الحدالي التيجي ص: 188
- حفص الهفتاني ص: 33
- الحسن بن سيد الإثيلي ص: 62
- حمو ص: 72
- حمو موسى الأول ص: 66
- حامد الغزالي ص: 165
- الحسين المريني ص: 70، 69
- الحسن الزواوي ص: 183
- الحسن علي بن أحمد الحسين بن إبراهيم الحرابي التجيني ص: 225
- الحسن علي بن أبي فتح بن عبد الله ص: 209
- حفص الهنتاني ص: 33
-

خ

- خضر الصافي محمد الشاطبي ص: 189
- خايمي الثاني ص: 310، 140، 66
-

د

- أبو دبوس ص: 50
-

ذ

ر

- ريموندو اكردوم.....ص:78
 - الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن بن عليص:40، 41
-

ز

- زكريا يحيى بن عبد المؤمن بن عليص:39
 - زكريا بن حفص الهنتاتيص:46
-

س

- سحنون بن سعيد التتوخيص:164
 - سبعين الصوتي الأندلسيص:155
-

ش

- الشيخ محمد بن عمر الهواري.....ص:190
-

ص

ض

ط

- الطاهر عمارة بن يحيى بن عمارة الشريف الحسنيص:182
-

ع

- علي بن أبي نصر فتح عبد الله البجاني.....ص:205
- علي بن إسحاق بن غانية.ص:40
- علي بن حمدون.....ص:35،34،28،27
- علي بن غانية....ص:41،43

- عيسى بن مسعود الزواوي ص:179
- عبد الله محمد المرجاني ص:156
- عبد الله محمد بن علي الطائي محي الدين بن عربي.....ص:187
- عبيد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد الإدريسي المعروف بالجزائريص:183
- عبد الرحمان الأردني الإشبيلي أبو محمد عبد الحق.....ص:186
- عبد الله القرشي ص:203
- العزيز بن منصور.....ص:26،27
- عبد العزيز ص:01
- عمارة ص:61
- عربي الحاتمي الطائي.....ص:155
- عبد الله بن عسيمة ص:64
- عبد الواحد بن أبي حفص.....ص:44
- عبد الله محمد..... ص:74،72
- عبد الله محمد بن حماد الصنهاجي القلعي.....ص:209،184
- علي المسيلي ص:211،203
- العباس أحمد بن خالد..... ص:188،75،73،34
- العلاء إدريس بن يونس بن عبد المؤمن.....ص:44
- عبد الحق بن ربيع البجائي ص:183
- عبد الرحمان بن خلدون.....ص:221،220،219

203.202.201.196.194.190.167.166.165.164.163.162.157.139.132
129.128.127.126.125.114.113.112.111.110.102.94.90.89.68.65.64

63.62.60.59.57.55.54.49.46.45.43.37.34.33.32.31.29.26.25.23 19.17.16

- عائشة بنت أبي الطاهر عمارة بن يحيى بن عمارة الريف الحسنيص: 182
- عبد الرحمان الوغليسيص: 211،190،181
- عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف الثعالبي أبوزيد.....ص: 191
- عبد الرحمان بن يعقوب بن مخلوف الصنهاجيص: 64
- عبد الله بن إِباص التيميص: 153
- عبد الله بن حفصص: 46،45
- عبد الله بن غانيةص: 43
- عبد المؤمن بن عليص: 40،38،36،35،34،32،31،22
- عبد الوهاب بن يوسف بن عبد القادر أبو محمد البجانيص: 185
- علي بن أبي نصر فتح عبد الله البجانيص: 205
- علي بن اسحاق بن غانية.....ص: 40
- علي بن حمدونص: 35،34،28،27
- علي بن غانيةص: 43،41

غ

- غريغوار السابعص: 23

ف

- الفضل قاسم محمد القرشي.....ص: 207
- فارس عبد العزيز.....ص: 58
- الفضل أبو عبد اللهص: 182

- الفضل قاسم بن محمد القرطبي ص:207

ق

- قدفد أحمد بن حسن بن علي الشهير بابن ص:189

ك

ل

م

- محمد عبد الحق بن عبد الرحمان بن عبد الله ص:163،187

- محمد عبد الكريم بن عبد الملك ابن بيكي ص:205

- المطرف أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن عصيرة المخزومي ص:187

- مروان بن عمار بن يحيى أبو الحكم البيجائي ص:180

- محمد بن عبد الواحد بن حفص ص:44

- محمد بن تومت ص:22،28،29،31

277،284،46،149،168،228،239،248،270،275

- محمد عبد الحق الإشبيلي الأزدي ص:187

- محمد عبد الحق بن ابراهيم بن محمد بن سبعين المرسي ص:188

- مهدي عيسى يليتي ص:191

- موسى عيسى ص:40

- مهدي عيسى الغبريني ص:178

- مأخوخ الزناتي ص:25،27

- محمد بن ابراهيم الفهري البجائي المشهور بالأصولي ص:182

- محمد بن أبي القاسم بن محمد بن عبد الصمد المشذالي.....ص:182
- محمد بن أحمد بن أبي القاسم الزواويص:178
- محمد بن ببيع.....ص:18،19
- محمد بن تومرتص:154،203
- محمد بن ميمون القلعي أبو عبد اللهص:183
- محمد بن هلال الهنتاتيص:56،57

ن

- نصر البجائي علي بن فتح بن عبد اللهص:178
- ناصر الدين المشذاليص:178،181،209

هـ

و

- الواثق باللهص:56

ي

- يوسف بن محمد بن يوسف أبو الفضلص:182
- يوسف بن عبد المؤمنص:38،45،115
- يوسف بن ناسفينص:25
- يغمراسنص:58،60،62

64،63

- يحيى بن العزيزص:29،30،32

191،115،114،113،36،35،34

فهرس الأماكن و القبائل

- إفريقية ص: 17،16،15
- 44،43،42،34،32،28،26،57،55،53،47،45
- آث و غليس ص: 181
- أرغون ص: 58،53،43
- 303،140،67،66
- إشبيلية ص: 185،174
- أشبر ص: 16
- الإثبج ص: 36،23
- الأسباب: ص: 54،49،48
- 300،299،262،229،225،223،221،218،197،157،136،135،131،128،86
- الإسكندرية ص: 127،93،66
- الأندلس ص: 38،34،33
- 56،49،48،39،136،135،133،131،99،67،94،91،88،77،70

ب

- بجاية موجودة في كل الرسالة
- بن ومانو ص: 25
- بني يلومي ص: 25
- بونة ص: 35،30،26
- 297،289،134،65،53
- بيزا ص: 295،294،293
- 306،305
- برشك ص: 30
- برشلونة ص: 140

- برقة ص: 47
- بسكرة..... ص: 23، 143
- بلاد السودان..... ص: 139، 288، 134

315، 314

- بلارة ص: 22، 191
- بلشبية..... ص: 177، 188
- بن غانية..... ص: 40، 41، 42

45، 44، 43

- بن هلال ص: 17، 22، 49
- بن يزيد. ص: 129
- بني حماد..... ص: 17، 19، 22، 23

128، 126، 113، 101، 88، 41، 37، 36، 33، 29، 28، 27، 26

- بني روياكل ص: 29
- بني زيان..... ص: 25، 25، 41، 60، 63

72، 68، 67، 66، 64

- بن سليم. ص: 129
- بن عامر..... ص: 184، 113
- بني محمد..... ص: 129
- بن عميد..... ص: 114، 184
- بني محمد..... ص: 129
- بني مرين..... ص: 50، 54، 68، 69، 70

126، 89، 75

- بن مرغنة ص: 30، 34، 41

289، 70، 69، 66، 62

- بني ومان.....ص: 23
- باب السادات.....ص: 83
- بونة.....ص: 26
- البرانسص: 126، 125، 124
- البربر.....ص: 124، 32، 30، 16، 15

247، 244، 204، 195، 152، 130

- البرتغالي.....ص: 75
- البنادقةص: 315، 217

ت

- تامزيدكت.....ص: 68
- تبسة.....ص: 44
- تلمسانص: 33، 32، 31، 25

263، 256، 209، 189، 186، 185، 170، 80، 70، 69، 68، 67، 64، 62، 60، 58، 44، 41

- تميم.....ص: 30، 27، 22، 18
- 101، 34

- تنس.....ص: 28، 20، 14

30، 36، 44، 45، 46، 50، 58، 59، 61، 62، 63، 64، 70، 73، 83، 98، 99، 104، 144

- تيهرت.....ص: 44، 153

ث

ج

- جراوة.....ص:212،17
- جربة.....ص: 28،43،301
- جزر البليار.....ص:28،43،80
- جنوةص: 292،291،290
297،298،307،308،314،315
- جيجل.....ص: 82،30،26
134،276،289
- الجزائر بني مزغنة.....ص: 47
-

ج

- الخلافة العباسيةص:17
-

د

- دلس.....ص:72،72
- الدولة الحفصيةص:55،54،53،20
56،57،58،62،63،65،73
-

ذ

ر

- رياحص:76،72،62،43
-

ز

- زغبةص:129

زناة.....ص:23,25,64	-	92,126
زواوة.....ص:99,60,19,14	-	179,178,177,171,165,163,161,126,125
الزيانيين.....ص:53	-	
الزاب.....ص:43,25,23,16	-	62,49
الزناتية.....ص:77,66,63	-	

س

سبنة.....ص:188,181,33	-	298,293,291
سجلماسة.....ص:288,44	-	
سدويكش.....ص:125,59,19	-	
سرقسطة.....ص:131	-	
سطيف.....ص:145,129,37	-	289,273,267,148
سكيدة.....ص:134	-	
سوسة.....ص:289,159,70	-	
سوق حمزة.....ص:233	-	

ص

صقلية.....ص:297,36,32,30	-	304,300,299
صلدة.....ص:195,15,14	-	

- صنهاجة.....ص:17،19،25،34
262،168،129،124،92،48،36

ض

ط

- طبنةص:16
- طرابلسص: 23،43،44،47
289،128،83

- طليطلةص:130

ظ

ع

- عبد الواد.....ص:132،74،53
168،303

- العراق.....ص: 156، 196،208،247

- العرب.....ص:72،48،44،41
211،217،231،237،244،283،249،124،125،128،130،134،139،208

- العلوجص:
94،136،252

غ

- غرناطة

17،77،81،128:ص.....

131،133،134،135،214

ف

فاس.....ص:

190،300 31،33،170،177

- فلسطين

14،124،190:ص.....

84،294،295،296 :ص..... فلوسينا -

16،104،216:ص..... الفاطمي -

194،220،315:ص..... الفرس -

32،36،93،111،112:ص..... الفرنجة -

136،279،285

14:ص..... الفينقيون -

ق

قابسص: 31،33،170،177 -

190،300

قبرص.....ص:298 -

قراقوش.....ص:43 -

قرطبة.....ص:38،130،194 -

قصة بجاية.....ص:71 -

- قلعة سنان.....ص:ص60
 - قسنطينةص:ص26، 35، 36، 41، 45، 47، 53، 55، 57، 58، 59 ن 62، 65، 69، 81، 90، 122، 128، 129، 140، 289، 42
 - قوراياص:ص15، 81، 82، 225
 - القلص:ص287
 - القلعة.....ص:ص16، 17، 18، 22، 27، 28، 36، 125، 136، 182، 195، 212، 213، 233
 - القيروانص:ص28، 44، 240، 288
-

ك

- كتابةص:ص14، 19، 33، 36، 59، 125، 313
 - كوميةص:ص31، 127
 - الكنعانيين.....ص:ص14
-

ل

- لمتونةص:ص25
 - ليبياص:ص36، 49، 104، 190
-

م

- مراکشص:ص32، 33، 36، 38، 40، 41، 43، 44، 50، 68، 94، 186، 188، 196
- مرسي الخرز.....ص:ص268، 298

- مرسى الكبيرص:78،79،80
- مرسليلياص:299،282،309،308
- مستغانمص:190
- مسوفةص:45
- مسيلةص:17،16
- مصرص:177،128،49،40،31

186،181،316،315،311،303،302،301،298،297،290،231،217،187

- مكناسص:32
- ملالةص:31،29،22
- ملقاص:78،84
- مليانةص:98،45،34
- منصورهص:72
- مازونةص:41
- المهديةص:289،140،50،32،30
- الموحديةص:39،38،35،28،22

50،49،48،47،46،41

- الميارقةص:304،287،44،43،42،41
- المرابطينص:32،29،27،26،25

158،127،95،93،48،41،40،34

- المسيحيونص:278،212،136،77،67
- المصامدةص:89،42،40،37

251،254،284،250

- المغرب الأقصىص:50،33،32،31
- المغرب الأوسطص:44،19،154،106،92

293،282،246،236،207،202،77،70،64

- نفوسة ص:153
- النصارى ص: 122,94,53,37
- 302,226,223,214,192,136
- النورماندي ص:29
- النيجر ص:285
-

هـ

- هنتانة ص:46
- هرغة ص"93,127
- الهند ص:302,297,271,147
- 315,314
-

و

- ورقلة ص:288
- ورحلات ص:288
- وحدة ص:31
- الوندال ص:195,15
-

ي

- اليمن ص:297,290,217,124
- 303,301
- اليهود ص: 278,135,134,28
- اليونان ص:138

فهرس الموضوعات

- فهرس الموضوعات -

- 1- التمهيد.....ص:12
- 2- الباب الأول: بجاية دراسة تاريخية وسياسية من القرن (5هـ-9هـ/11م-12م)
- 2-1- الفصل الأول: بجاية في العهد الحمادي والموحدي (5هـ-6هـ/11م-12م)
- أ- أمراء الحماديين ببجاية (460هـ 547هـ/1066م-1152م).....ص:20
- ب- دخول عبد المؤمن بن علي بجاية في عهد الأمير يحيى الحمادي.....ص:27
- ج- بجاية تحت الحكم الموحدي (547هـ 627هـ/1152م 1230م).....ص:32
- د- أسباب سقوط دولة الموحدين.....ص:39
- 2-2- الفصل الثاني: بجاية دراسة تاريخية ما بين القرنين (7هـ 9هـ/13م-15م)
- أ- بجاية ضمن أعمال الدولة الحفصية (7هـ 9هـ/13م-15م).....ص:44
- ب- انفصال بجاية الأول عن الدولة الحفصية.....ص:51
- ج- الهجمات الزيانية و المرينية علي بجاية.....ص:52
- د- أسباب تراجع الحكم الحفصي ببجاية.....ص:64
- و- الغزو الإسباني لبجاية (5جانفي 915هـ/1510م).....ص:65
- ز- نتائج الإحتلال الإسباني على بجاية.....ص:73
- 2-3- الفصل الثالث : نظم الحكم الإدارية والمالية ببجاية من الفترة الحمادية إلى نهاية القرن (9هـ/15م)
- أ- نظم الحكم الإدارية ببجاية.....ص:76
- ب- الضرائب في العهد الوسيط.....ص:91
- ج- القرصنة البجائية دعم لبيت المال.....ص:94

- فهرس الموضوعات -

- د- السكة ص:96
- و- المكايل و الموازين
- ص:102
- 3- الباب الثاني : المجتمع و التعمير ببجاية من القرن (5هـ 9خ/11م15م)3
- 1- الفصل الأول : الحياة الإجتماعية ببجاية خلال العصر الوسيط
- أ-البربر.....ص:106
- ب- العرب
- ص:110
- ج-الأندلسيين ص112
- د- أهل الذمة.....ص:115
- و- الطبقات و الفئات الاجتماعية.....ص:118
- هـ- المجال الانتوGRAفي ببجاية..... ص : 120
- 3-2-الفصل الثاني : الحياة الفكرية و العلمية ببجاية
- أ-الحياة المذهبية ببجاية.....ص:128
- ب- التصوف
- ص:132
- ج- أصناف العلوم المنتشرة ببجاية.....ص:135
- د- علماء من بجاية و احوازها
- ص:151
- و-العلماء الذين توافدوا علي بجايةص:161

3-3- الفصل الثالث : العمران ببجاية خلال القرن (5هـ -9هـ/11م-15م)

أ-تشبيد مدينة بجايةص:169

ب-العمارة الدينية والثقافيةص:172

ج-العمارة الجنائزيةص:184

ح-العمارة الإقتصاديةص:187

د-العمارة الملكية والمدنيةص:192

و-العمارة العسكرية(الحربية)ص:196

هـ-الوقف مصدر مالي للعمارة البجائيةص:201

4- الباب الثالث :الوضع الإقتصادي لبجاية القرن (5هـ-9هـ/11م-15م)

أ-الفلحة ببجاية في العهد الحماديص:205

ب-أنواع النباتات الطبية المنتشرة ببجاية في العصر الوسيطص:214

ج - الفلحة الموحدية و مجالها ببجايةص:218

د- الإنتاج الفلاحيص:221

و-الفلحة الحفصية ببجايةص:222

هـ: الإنتاج الفلاحي ببجاية الحفصيةص:224

الفصل الثاني : المهن و الصنائع ببجاية خلال القرن (5هـ-9هـ/11م-15م)

أ-النشاط المهني و الصناعي.....ص:232

ب-التنظيمات المهنيةص:252

د-الدور الإقتصادي والاجتماعي للمهن و الصنائع ببجايةص:254

ب-العوائق والعراقيل.....ص:255

3-4-الفصل الثالث :المجال التجاري والعلاقات التجارية الخارجية

أ-النشاط التجاري داخل مدينة بجايةص:259

ب- التجارة الخارجية :ص264

ج- عراقيل التجارة.....ص281

د-المعاهدات و المراسلات التجارية بين بجاية و الجمهوريات الايطالية.....ص284

و- المعاهدات و المراسلات التجارية بين بجاية و مرسيليا.....ص288

ي- المعاهدات و المراسلات التجارية بين بجاية و إسبانيا.....ص289

هـ- المبادلات التجارية.....ص292

5-الخاتمة.....ص:300

6-الملاحق.....ص:304

7-قائمة المصادر و المراجع.....ص:338

8-الفهارس.....ص:417

